

مكتبة شمس الدين المكي

١٩٩٠

تاريخ العراق القديم

الأستاذ الدكتور
محمد بيومي مهران

أستاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

دار المعرفة
الطبعة الأولى
١٩٩٠



والله أسأل أن يكون في هذه الدراسة بعض انتفع ، وله العزة والرسالة
والمؤمنين .

« وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب » .

دكتور

محمد بيومي مبران

أستاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم

كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

بولكلي رعل الاسكندرية | السادس من شوال عام ١٤١٠ هـ
الاول من مايو ١٩٩٠ م

مكتبة جامعة الإسكندرية
رقم الكتاب: ١٠٠٠
رقم التسجيل: ١٠٠٠

مصر واشهد في الآدمي القديم
(١٠)

تاريخ العراق القديم

الأستاذ الدكتور
محمد بيومي مهران

استاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

دار المعرفة الجامعية
شارع سيدتي - الإسكندرية
الإسكندرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين

مولانا وبيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين

«اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على
ابراهيم وآل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كما
باركت على ابراهيم وآل ابراهيم في العالمين، اباك حميد مجيد»

إهداء

الى من هموا أعز على من نفسى ..

الى زينة الدنيا ، ودعوة الآخرة ..

الى ولدى : الحسين

اهدى هذه الدراسة

تقديم

تمثل مصر والعراق القديم مركزا الثقل السياسي والحضاري في منطقة الشرق الأدنى القديم حتى اننا نستطيع بدراسة تاريخها - وخاصة منذ الالف الثانية قبل الميلاد - استعرف على تاريخ المنطقة بأسرها ، ذلك ان الباحث في تاريخ مصر في عصورها الفرعونية ، يمكنه ان يتعرف هم الاحداث السياسية ، والتميزات الحضارية ، في بلاد الشام وآسيا الصغرى ، فضلا عن الصلات السياسية والحضارية في بلاد الرافدين ، وجزر شرق البحر المتوسط .

ونعمل في هذا الكتاب على حشد كبر في بلاد الرافدين ، ومن ثم فالباحث في تاريخ العراق القديم انما يمكنه كذلك ان يتعرف الصلات السياسية والحضارية - في ايران وبلاد الشام وآسيا الصغرى ومصر ، فضلا عن بعض مناطق الخليج العربي ، وانفصال تعريبية - الفسحة والمرحلة - في شمال شبه الجزيرة العربية .

وعلى اية حال ، فليس هناك الى سبيل من ريب في ان العراق القديم ، انما يحتل مكانة ممتازة ، بين مناطق الشرق الأدنى القديم ، كما انه لا يختلف عن غيره من بلاد تلك المنطقة ذات الحضارة العريقة ، فقد قامت في بلاد الرافدين دول ، ونشأت فيها حضارات ، وانزلت على ارضها رسالات : واصطفى الله تعالى - جل جلاله - من بينها بعض انبيائه ومرسله ، واسمعت بنصيحها فيما قدمه هذا الشرق لخدمة الانسانية من ايام بيضاء .

ومن ثم فقد تأثرت بلاد الرافدين بحضارة تلك المنطقة ، وأثرت فيها ،
وارتبطت بها بعلاقات ، سادها انود الحيثاني ، وسادها النفور الحيثاني
أخرى ، وهكذا كان للعراق القديم علاقات بمصر ، وبلاد الشام وآسيا
الصفوى وإيران ، ومن ثم فتاريخه جزء من تاريخ الشرق الأدنى القديم ،
تعرض للغزو الأجنبي يوم تعرض هذا الشرق لهذا الغزو أو ذاك ، ونعم
بخبراته يوم أن كان أمر هذا الشرق في أيدي ابنائه ، ولما لاقى هذا
الشرق ، يوم أن كانت قوى أجنبية تتحكم في مصيره ، وتجنح خبراته ،
ومن ثم فليس عجبا أن كان التاريخ العراقي القديم متأثرا بتاريخ الشرق
الأدنى القديم ، ومؤثرا فيه .

وتقدم هذه الصفحات دراسة عامة لتاريخ العراق القديم وحضارته ،
وإن نال الجانب التاريخي اهتمامها الأكبر ، ذلك لأنه عن الصعوبة بمكان
أن يتحدث كتاب في مثل هذا الحجم عن تاريخ العراق القديم وحضارته ،
ومع ذلك فقد تحدثت عن كثير من الجوانب الحضارية - السياسية
والاجتماعية والعسكرية والتشريعية والدينية والمعمارية - .

على أنه من الجدير بالإشارة أننا لم نتعرض في الجانب الديني
للديانات السماوية ، وذلك لثمين : الواحد : أننا أصدرنا من قبل كتابا
عن الرسلات السماوية في العراق القديم (١) ، والثاني : أننا سوف نتحدث
بالتفصيل عن الديانات البشرية والسماوية في كتاب قادم سوف تخصصه
لحضارة العراق القديم - إن شاء الله - .

(١) انظر : محمد بيومي مهران : دراسات تاريخية عن القرآن
الكريم - الجزء الرابع - في العراق - بيروت ١٩٨٨م ، وقد تحدثنا
فيه عن :

- ١ - سيرة نوح عليه السلام ص ٩ - ١٠٢ .
- ٢ - سيرة إبراهيم الخليل عليه السلام ص ١٠٣ - ١٧٢ .
- ٣ - سيرة يوسف عليه السلام ص ١٧٢ - ٢١٠ .

والله أسأل أن يكون في هذه الدراسة بعض النفع : والله العزة ورسوله
وللمؤمنين .

« وما توفيقى إلا بالله » عليه توكلت وإليه أنيب » .

مكتور

محمد بيومي مبررات

أستاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

يونكلى زمن .لاسكندرية { السادس من شوال عام ١٤١٠ هـ
الاول من مايو - ١٩٩٠ م -

الباب الأول

عصور ما قبل التاريخ

الفصل الأول

في شمال العراق

يقسم المؤرخون عمومًا ما قبل التاريخ في العراق القديم إلى الأقسام التالية : ١ - العصر الحجري القديم ٢ - العصر الحجري الأوسط ٣ - العصر الحجري الحديث ٤ - العصر الحجري النحاسي *

(١) العصر الحجري القديم :

لعل من اللافت للنظر أن الآثار التي عثر عليها في العراق القديم (ميزوبوتاميا)^(١) من العصر الحجري القديم (مرحلة جمع الطعام) إنما أتت من شمال العراق ، دون جنوبه ، ذلك لأن هذا الجنوب إنما كان وقت ذاك منطى بالأمواه ، ربما حتى عصر حضارة العبيد - أي ربما حتى أخريات الألف الخامسة قبل الميلاد - بل إن شمال العراق نفسه لم يقدم لنا آثار ترجع إلى ما قبل العصر الحجري القديم - في مرحلته الوسطى - حيث عثر على عدد من المواقع التي تنتمي إلى هذه المرحلة في شمال شرق العراق *

ولعل أشهر هذه المواقع : بردة بالكة - على بعد ٢٠ كيلو شمال

(١) ميزوبوتاميا (Mesopotamia) : لفظ أعريقي ترجمه المؤرخون العرب بمعنى «بلاد ما بين النهرين» أو «بين النهرين» ، ورغم دقة الترجمة ، فإنها قاصرة غير شاملة ، ذلك لأن حضارة العراق القديم لم تقتصر على ما بين النهرين ، وإنما امتدت إلى ما حول النهرين أيضا ، بل إن ضائفة من أقدم المواقع الأثرية مثل العبيد وأريدو وأور وماري ، قامت غرب الفرات ، وليس فيما بينه وبين الدجلة ، كما قامت أشوت ونل اسر ونوزي شرق دجلة ، وليس فيما بينه وبين الفرات ، وقد فطن الأشرقة أنفسهم إلى قصور لفظ «ميزوبوتاميا» ، فأضاف بعضهم إلى لفظ «باربوتاميا» (Parapotamia) أي ما وراء النهرين أو ما حولهما ، وهذا يحسن - فيما يرى إبداننا الدكتور عبد العزيز صالح - أن نقول «بلاد النهرين» ، وهذا إلى أن تعبير «بلاد الرافدين» أو «حضارة الرافدين» لا يؤدي المعنى كاملا ، ذلك لأن روافد النهر تنحرف عن النهر ذاته فيما هو معروف (عبد العزيز صالح : الترقى الأدنى - الجزء الأول ، مصر والعراق - القاهرة ١٩٦٧ ص ٣٧١) *

تشرق جميعاً - ومعظم إنتاج أدوات من الطران من الاسلحة ذات الحدين التي تتميز بطرف مدبب ، ومن المحكات ، وهناك موقعان آخريان ، الواحد : في «كهف هزارمرد» ، على مقربة من السليمانية ، والاخر : «كهف شايندر» ، جنوب غرب بحيرة ارومية ، وقد أسفر التنقيب الاثري بأرضية كهف شايندر عن أربع طبقات أثرية متعاقبة ، يبلغ سمكها حوالي ١٥ متراً ، عثر في أقدمها (ط D) على بقايا مواقد ، وعظم مهنمة لانسان نياندرتال ، أحدها لطفل ، ربما لم يكمل عامه الاول ، وأما الثلاثة الاخرى فكانوا لأشخاص بالغين^(٢) .

وهناك من مرحلة العصر الحجري القديم الاعلى بعض كهوف في منطقة السليمانية ، لعل أهمها : «كهف زارزي» ، والذي تعتبر صناعته الحجرية عن تنوع ملحوظ ووفرة وتنوع في الانتاج من أزاميل ونصال صسنة ورؤوس سهام ، هذا فضلاً عن صعر الحجيم ، ورشتماتها على بعض الاسلحة انقزمية ، الأمر الذي يدل على أن انتاج «كهف زارزي» إنما يمثل أخريات مرحلة العصر الحجري القديم الاعلى^(٣) .

(٣) العصر الحجري الاوسط :

يمثل هذا العصر الحجري الاوسط لفترة الانتقال بين العصر الحجري القديم والعصر الحجري الحديث ، الذي عرف فيه الاسان ازراعة وبالتالي الاستقرار في قرى ، هذا ويمثل العصر الحجري الاوسط انتاج «كهف شايندر» (ط B) وقرية «زاوي ثمي» — على مبعدة ٤ كيلا من كهف شايندر — فضلاً عن بعض مواقع أخرى ، وخاصة «كريم شاهر» على مقربة من كركوك ، ولعل أهم مظاهر الانتاج الحضاري لهذا

2) R. S. Solecki, in Sumner, B, 1932, P. 127-130, 137, 141, 9, 1953, P. 230-231, 13, 1957, P. 59-60, 14, 1958, P. 106-707.

وانظر : محمد عبد اللطيف : تاريخ العراق القديم — الاسكندرية ١٩٧٧ ص ٢٠ - ٣١ .

3) D A E. Garrud, Primitive Man in Egypt, Western Asia and Europe in Palaeolithic Times, in CAH, I, Part, I, Cambridge, 1920, P 86-87.

العصر ، إنما عني الأسلحة المقلّية : التي تعبّر عن اقتصاد يعتمد على صيد الحيوان والأسماك والطيور .

وأحد من الأهمية بمكان الإشارة هنا إلى أنه قد حدث في بداية الألف التاسعة قبل الميلاد ، تحول نحو الزراعة المبرية ، واستثناس المصوان ، كما يشير إلى ذلك إنتاج قربة «زاوي شمي» (ط ٤) إنما تخلو من إنتاج الفخار ، وإن تضمن إنتاجها الأجران وأحجار الجرش ومقابض المفاجل ، وبغايا الحصر والسلا ، الأمر الذي قد يشير إلى اقتصاد يعتمد على الزراعة القربة ، فيما يرجح البعض — وهي زراعة لم يمارسها القوم وقت ذاك كحرفة ، فضلاً عن الاعتماد على الزراعة المبرية — على صيد واستثناس الحيوان ، كمصدر أساسي للغذاء . ذلك لأن الطبقة الأثرية (٤) إنما قد احتوت على كثير من عظام الماعز والأغنام والغزلان ، فضلاً عن محار القواقع التي ربما كانت تمثل جزءاً من غذاء القوم وقت ذاك .

وعلى أية حال ، نرغم أن قربة «زاوي شمي» إنما تمثل منطقة استقرار مؤقت ، غير أنها تعد من الأقدم مناسطق الاستقرار في العراق القديم ، ومؤرخ بحوالي بداية الألف التاسعة قبل الميلاد ، ويشير إنتاجها الوفير إلى الاتجاه نحو الزراعة والاستقرار وهي أهم سمات العصر الحجري الأوسط ، ومن ثم فإن موقع «زاوي شمي» إنما يمثل هذا العصر في العراق القديم^(٢) .

وأما المواقع الأخرى — كزيم شاهر وملفعات وجرّد شاي — فإن الموقع الأول (زيم شاهر) . رغم أنه موضع استقرار موسمي — شابه

(٤) محمد عبد النظيف : المراجع السابق عن ٢٢ — ٢٧ ، وكذا J. Mellaart, The Earliest Settlements in Western Asia from The End of The Fifth Millennium B. C., in CAH, I. Part, I, Cambridge, 1970, P. 254-256.
J. Mellaart, Earliest Civilizations of The East, London, 1974, P. 19-24

في ذلك تسان زاوي شمي — فان مخلفاته الاثرية لا تتضمن بقايا واضحة للمنازل والاكواخ ، غير أنها تتميز بالمناجل الحادة من الطران ، والتي استخدمت على الأرجح في حصد زراعة برية ، كما عثر فيها على تماثيل من اطلين المحروق ، وأما موقع «مطعمات» ، فيم بين الموصل وأربيل ، فتكشف مخلفاته الاثرية — والتي تؤرخ بنهاية الألف السادسة قبل الميلاد — عن بقايا هيطان حجرية غير منتظمة الشكل لمساكن بيضاوية ، وقد عثر في بقاياها على عدة طبقات احتوت بقايا أثرية أغلبها تشبه في نوعيتها انتاج كريم شاهر الحضاري ، وأما موقع «جرد نسي» فلم يلا يضيف في انتاج المواقع السابقة جديد: (٥) .

(٣) العصر الحجري الحديث

لعل من الاهمية بمكان الإشارة هنا — وقبل الحديث عن العصر الحجري الحديث في العراق القديم ، والذي يتميز بمعرفة الزراعة ، وما تبع ذلك من إقامة المجتمعات المستقرة — أن نثير ، بادي ذي بدء ، الى الجدل الذي قام بين العلماء ، حول «الوطن الاول للزراعة» ، فذهب فريق الى أن ذلك المكان انما كان في جنوبي غربي آسيا ، وبخاصة في جنوب سورية وفلسطين وميزوبوتاميا وعرب ايران (٦) — عسى أن هناك وجها آخر للنظر يذهب الى أنه مصر ، انما كانت من الوطن الاول للزراعة ، ذلك لأن وادي النيل ، انما كان — دونما أي ريب — عواصم التوحيد الذي بدأت فيه أول حضارة متميزة خارج منطقة غربي آسيا (٧) .

وفي الواقع ، فإنه على الرغم من صعوبة التوصل الى مكان وزمان نشأة الزراعة على وجه اتيقن ، ورغم أن ظروف الجفاف جعلت

5) J. Mellart, in CAH, I, Part, I, P. 256-257.

R. S. Solecki, in Same, 13, 1957, P. 168-169.

وكذا

6) J. de Morgan, La Préhistoire Orientale, II, Paris, 1926, P. 71.

7) G. Clark, Prehistory of The World, Cambridge 1962, P. ٧٢.

المجتمعات التي تعيش نفس الظروف ، تستجيب استجابة تلقائية سريعة الى هذا الاكتشاف منذ بداية ظهوره ، ومن ثم فربما قد اكتشفت الزراعة في عدة مناطق في وقت واحد تقريبا - في وادي النيل ، وفي جنوب غربى آسيا - ويذهب بعض الباحثين الى أن جميع شعوب الشرق الأدنى القديم والشرق الأدنى ، انما قد نسجت الى شخصيات خرافية في تاريخها ، شرف التوصل الى معرفة القمح^(٨) .

وليس هناك من ريب في أن البيئة المصرية انما قد ساعدت على معرفة الزراعة ، فانيل في غيضان المنتظم ، واخصابه للتربة ، فضلا عن دور الشمس في البيئة المصرية ، كل ذلك قد ساعد على الوصول الى مرحلة الزراعة والاستقرار ، قبل أمة أخرى .

وفي الواقع أن أرض مصر انما قد انفردت بميزة خاصة ، ذلك أن فيضان النيل انما كان يأتي في أواخر الصيف وأوائل الخريف ، حتى اذا ما تقدم هذا الفصل الأخير في السنة ، بدأت مياه الفيضان تنحصر عن جوانب الوادي ودلتاه ، وهنا ملاحظ أن منتصف الخريف أو أواخره هو الوقت الملائم لزراعة نباتات الحبوب الشتوية ، وأهمها القمح والشعير ، وبميزة أخرى : كان الفيضان يأتي غمر أرض مصر بالطمي والماء ، ثم ينحصر عنها في أحلح وقت الزراعة تلك النباتات ، حتى اذا ما زرعت ونبات كان غسل الأمطار الشتوية في مصر قد بدأ .

والظاهر أن تلك الأمطار في العصر الحجري الحديث وما بعده أوفر منها الآن ، فكانت تغذي النباتات وتمدها بسيل الحياة في أشهر الشتاء . حتى اذا ما جاء آخر الربيع وأول الصيف ، وكانت نباتات الشتاء قد اكملت نموها ، انقطع المطر وحل فصل الحصاد ، وهكذا تكامل عصمران في مصر - هما عنصر الفيضان وعنصر الأمطار الشتوية - وكان من

٨) F. Hartman, L'Agriculture dans L'Ancienne Egypte. Paris, 1923, P. 42.

ثمّرات ذلك التكامل أن أصبحت أرض النيل صالحة - كذ الصلاحية -
لتكون مهداً من مهد المزارعات الستوية القديمة *

على أن التكامل بين عناصر البيئة الطبيعية في مصر لا ينفك عند ذلك .
فبعد أن يتم الحصاد : يحل أول الصيف ، وهو فصل شديد الحرارة ،
فتجف التربة وتتشقق الأرض ، وتموت النباتات الضاربة ، والتي
تمتص خير الأرض ولا تفيد شيئاً ، ويؤدي التشقق إلى تنفج التربة
ودخول غازات انبواء التي تجدد التربة ، حتى إذا ما جاء الفيضان من
جديد في آخر الصيف : عاد فغطى الأرض وكساها بطبقة من الطمي ،
حتى ينحصر المنهر ، ويحىء الإنسان ليزرع الأرض من جديد *

وهكذا أصبحت دورة انطبيعية متكاملة العناصر والعوامل . وتلك
ظاهرة لا نكاد نجد لها في نهر آخر من أنهار العالم الكبرى ، بل تلك
ظاهرة ميزت أرض مصر منذ فجر التاريخ ، وربما كانت هي العامل
الأساسي ، فيما عرفناه من استمرار الحياة والخصارة وتجددتها في
أرض مصر على مر السنين^(٩) *

وعلى أية حال ، فلقد عثر في العراق القديم على موقعين يمثلان
العصر الحجري الحديث (جرمو - - حسونة) ولذي يقوم على الزراعة
والاستقرار ، وهي زراعة لا ريب في أنها بدأت في مساهمة صغيرة ، ولكنها
تقوم بمهمة الاكتفاء الذاتي في الانتاج للمزارع . كما أن زراعة منتقلة
ولعلها أشبه - في مرحلة الاستقرار الدائم - بزراعة الفلاحين البدو .
ربما بسبب استنفاد خصوبة الأرض ، أو عدم معرفة الإنسان وقت ذاك
بالأسمدة ، وربما بسبب عدم معرفة المزارع بزراعة جزء من الأرض ،
ثم تركه بوراً في السنة التالية^(١٠) ، وعلى أية حال : فإن الموقعين اللذين
يمثلان هذا العصر ، إنما هما جرمو وحسونة *

(٩) سبتيان حزير . البيئة والإنسان والخصارة في وادي النيل
القديم . تاريخ الحضارة المصرية - القاهرة ١٩٦٢ ص ١٦ .
(١٠) طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة - الجزء الأول -
تاريخ العراق القديم - بغداد ١٩٥٥ ص ٤٠ - ٤١ *

(١) حضارة جرمو :

تقع (جرمو) على حافة واد عميق في سهل جمجميل في لواء كركوك (فوق وادي طوق جاي ، أحد روافد دجلة ، على بعد ٣٥ كيلا شرق كركوك) — أي خارج نطاق السهل الميزوبوتامي شرقا — وتبلغ مساحة قرية «جرمو» ما بين ثلاثة وأربعة أقدنة ، وقد كشف فيها عن ١٦ طبقة أثرية متتالية ، يؤرخ أقدمها بحوالي عام ٦٧٥٠ ق.م ، وإن ذهب «كول» إلى أنها تؤرخ ، فيما بين ٧٠٠٠ ، ٦٠٠٠ ق.م ، وتضم ما بين ٢٥:٢٠ منزلا ، ويقدر سكانها بحوالي ١٥٠ فردا ، وإن قدرها «طسه باقر» بحوالي ٥٠ بيتا ، تضم حوالي ٣٠٠ فردا (١٧) .

هذا وقد اختلف الباحثون في أقدمية موقع جرمو ، فذهب فريق إلى أنها تمثل أقدم قرية زراعية في العراق القديم بمعنى آخر ، تمثل أول عهد الإنسان بتعلم الزراعة ، على أن هناك وجهة آخر للنظر يذهب إلى أنها موضع شك في نسبتها إلى عصر بداية الزراعة ، بل وفي تمثيلها لمرحلة حضارية متميزة ، وأنها لا تعدو أن تكون مجرد قرية متخلفة ترجع إلى أواخر المصوور الحجرية أو ما بعدها ، وأن موقع مثل حسونة إنما يمثل في أولى طبقاته السفلى أول موقع زراعي في شمال العراق .

على أن الحفريات إنما قد كشفت في الحفريات الأثرية الأولى — والتي تعرف بالمرحلة السابقة للصناعات الفخارية — على الأدوات التي توضح توصل الإنسان إلى مرحلة الزراعة والاستقرار ، فقد عثر على صوب انقمح والشعير المتكرنة ، أحيانا انطباعات تلك الحبوب في الأرضية الطينية للإنسان كما عثر على العديد من الأدوات المصنعة بالعمل الزراعي ، كالمناجل والفؤوس الحادة الأطراف والأجران والمحاريث ،

(١١) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٨ ، صه باقر : المرجع السابق ص ٤١ : ٤٢ ، وكذا
P. Mortensen, On The Chronology of Early Village Farming Communities in Northern Iraq, in Sumer, 18, 1962, P. 74-76
S. Co'g, The Neolithic Revolution, London, 1961, P. 48. وكذا

هذا فضلا عن استئناس الانسان للماعز والكلاب ، وربما الاغنام والخنازير كذلك ، ولعل هذا كله انما يشير الى أن موقع حضارة جرمو ، انما يعد مركزاً رئيسياً في حضارة العصر الحجري الحديث ، هذا ويرجح البعض أن القواقع البحرية انما كانت تمثل جزءاً من غذاء الانسان في جرمو ، حيث عثر على كمية كبيرة من أصداف هذه القواقع ضمن مخلفات القرية (١٣) .

هذا ولم تقدم لنا أنقاض القرية آثاراً حضارية ، إلا في الطبقات المخصصة الأخيرة ، وربما يرجع ذلك الى أن الانسان في المراحل السابقة قد اكتفى بالآواني الحجرية ، هذا فضلا عن أن ما عثر عليه من أوان عشارية ، في الطبقتين الخامسة والرابعة ، أفضل من تلك التي عثر عليها في الطبقات الأخيرة ، الاحدث عهداً ، وقد زينت هذه الآواني بخطوط حمراء مائلة ، ونظرا لوجود الآواني الفخارية المبكرة التي كشف عنها ، فانه ربما كان من الصعب اعتبارها انتاجاً محلياً خالصاً ، هذا فضلا عن عدم وجود مثيلات لها في المنطقة ، مما يرجح القوم بأنها مستوردة من الشرق ، وخاصة من «تبة جوران» ، جنوبي كرمنشاه في ايران ، حيث كشف هناك عن أنماط تشبه فخار جرمو الملون (١٤) .

هذا وقد بنى القوم منازلهم من كتل طينية ، أقيمت في بعض الاحيان فوق أسس من حجر ، وسويت حيطان المنازل بطبقة من طين ، كملاط ، كما تشرت طبقة طينية ممتدة فوق حزام من بومي غطيت بها

(١٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢٧٢ . أحمد سليم : دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم - بيروت ١٩٨٩ ع - ٢٢٦ - ٢٢٧ . رشيد التناصوري : جنوب غربي آسيا وشمال أفريقيا - الجزء الاول - بيروت ١٩٧٧ ص ١٣١ - ١٣٢ ، وكذا

J. Mellaart, in CAH, I, Part. I, P. 257-258.

J. Mellaart, Earliest Civilizations, of The Near East, P. 48.

P. Mortensen, Op. Cit., P. 25.

(١٣) أحمد سليم : دراسات في تاريخ ايران القديم وحضارتها . الجزء الاول - بيروت ١٩٨٨ م ص ١١٨ .

أرضية المنزل ، أما السقف فكان من حزم البوص المغطاة بدقيقة مسيكة من الطين ، وكلن تصميم المنزل على شكل المستطيل ، وبه عدد من الحجرات الصغيرة ، لا يتجاوز طول الواحدة منها أقدام ستة ، وقد عثر فيها على مواقع احتوى كثير منها على بعض الاواني ^(١١) .

وهناك ما يشير الى تطور الصناعة الحجرية بدرجة كبيرة في جرمو ، وقد عثر على أنواع من الرخي البسيطة التي قوامها حيران بسيطان ، وكذلك الاطباق الفخارية التي استعملت نفث الحيرب ، وأحيانا للمعجن ، فضلا عن المناريث البسيطة والمناسجل المكونة من أسنان المصوان ، والادوات الصوانية ، ويرجح البعض أن الانسان عرف النزل والحياكة كما تدل على ذلك أفراس المغزل الفخارية ^(١٢) .

هذا وقد شاع استخدام الأسلحة القزمية المتعددة الاشكال ، وصنع العديد منها من حجر الاوبسيديون (الزجاج البركاني) ، وإل استعمال الاوبسيديون في جرمو مما يركى إمكانية الاتصال بمنطقة الاناضول . كما أن العثور على بعض الاساور والخرز تبين الاتجاء الى بعض النواحي الكمالية في حياة انسان جرمو ، كما عثر على بعض المحلات الرقيقة التي استخدمت لطحن المنرة ، فضلا عن بعض الاواني الحجرية ورؤوس النعام والاقراص المنقوبة والخواتم ، كما استخدم القرم المعظم في صنع المغازل الأبر وجبات الحقود والدلائل ^(١٣) .

هذا وقد نسب الى حضارة جرمو تمثيل طينية بدائية متواضعة

(١٤) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٤ - ٣٩ ، وكذا

P. Mortensen, Op. Cit., P. 75.

J. Mellaart, Op. Cit., P. 258.

(١٥) طه باقر : المرجع السابق ص ١٣

(١٦) رشيد الناضوري : المرجع السابق ص ١٣٣ ، محمد عبد اللطيف :

المرجع السابق ص ٣٩ - ٤٠ ، وكذا

R. S. Solecki, Op. Cit., P. 170-171

J. Mellaart, Op. Cit., P. 259.

P. Mortensen, Op. Cit., P. 75.

وكذا

وكذا

لحيوانات ، ورجال ، ونساء جلست ذوات أرداف غلاظ ، كما تشكل القوم من الطين عدها من التماثيل الصغيرة لالهة الامومة ، فضلا عن بعض البكرات والمخاريط الطينية التي ربما كانت دمي للأطفال ، وقد مثلت الهة الامومة على شكل أنثى بدينة متضخمة الساقين ، تجلس المقرنساء ، وربما قد قدس فيها انسان المعصر الحجري الحديث مظهر الخصوبة الذي أدرك أثره في حياته الزراعية المستقرة التي تعتمد على خصوبة التربة^(١٧) .

بقيت الإشارة الى أن هناك من يذهب الى أن حضارة جرمو إنما قد امتد تأثيرها الى ما وراء نهر دياللي ، فقد عثر على مسطح بعض تلال مندلي على أدوات من الطران وحجر الأوبسيديان ، وكسرات آنية فخارية ، وأخرى تماثل افتتاح جرمو^(١٨) .

هنا وقد عثر على ما يشبه عضو الذكر ، مما دفع الى الفن بقيام لون من عبادة الجنس والرمز للخصوبة ، ويرجع بعض الباحثين أن لوند من ألوا التفكير الديني نشأ في هذه المرحلة بقيام عبادة للشمس التي قدست على هيئة معبودة^(١٩) .

(٢) حضارة تل حسونة :

يقع تل حسونة في غرب نهر دجلة ، على ميمدة ٣٥ كيلا جنوبي الموصل ، ٨ كيلا شرقي قرية الشورة ، وهو موقع صغير (٢٠٠ × ١٥٠ مترا) يرتفع نحو سبعة أمتار عن السهل المجاور ، ويعد أقدم المواقع

(١٧) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢٧٢ ، محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٤٠ ، وكذا

J. Meilart, Op. Cit., P. 259

P. Mortensen, Op. Cit., P. 75.

(١٨) J. Oates, in Sumner, 22, 1966, P. 52-53, 1969. P. 133.

(١٩) نجيب محاسنيل : مصر والشرق الأدنى القديم - الجزء الخامس - الاسكندرية ١٩٦٢ ص ٦٠ ، وكذا

G. Childe, New Light on The Most Ancient East, 1952, P. 59

الحضارية من صميم السهل الميزوبوتايمي - ويعبر عن انتقال مركز الثقل الحضاري من المنطقة الشرقية الى هذا السهل ، ويرجع البعض أن أصحاب حضارة تل حسوونة قد أفادوا من حضارة جرمو أو الأسبق ، ونقلوا عنها في البداية ، الأمر الذي يبدو بوضوح في تشابه الانتاج الميكرو من فخار تل حسوونة ، مع فخار جرمو الفخين - وفي بناء منازل تل حسوونة من الطين ، أسوة بما كان متبعاً في جرمو .

هذا وقد كشف في تل حسوونة عن ١٧ طبقة أثرية ، أقدمها تلك التي تملأ الأرض البكر مباشرة ، وتمثل بداية عصر حضارة حسوونة ، وأما أحدثها فهي الطبقة (XV) من عصر حضارة العبيد ، كما كشف عن بعض المواقع الأخرى لهذه الحضارة ، وخاصة تل الصوان وسامراء وتل الحفنة (٢٠) .

ويمثل تل حسوونة حضارة قديمة مستقرة في العصر الحجري الحديث ، ولم يعثر الأثاريون على أي معدن في تل حسوونة ، مما يدل على أن يقوم وقت ذاك نم يصلوا بعد ألى عصر استخدام النحاس والحجر ، وانما هم قوم يمثلون صميم العصر الحجري الحديث ، فقد تمكنوا من النوصل الى الزراعة ، وخاصة القمح ، كما استأنسوا بعض الحيوانات كالاعنام والاعز والخنازير (٢١) .

هذا وقد بنى النقوم مساكنهم من اللبن - ومن أحجام مختلفة ، وكان المنزل في الغالب الاعم يتكون من بعض الحجرات التي كانت تتجمع حول أو الى جانب فناء مكشوف يقع فيه غالباً قرن وجرار لتخزين الطعام والشراب فضلاً عن صوامع الغلال ، وغير ذلك مما تحتاجه الحياة

.....

(٢٠) طه باقر : المرجع السابق ص ٦٠ ، محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٤٣ - ٤٤ ، وكذا

P. Montan, Op. Cit., P. 33.

S. Lloyd and P. Saffar, 'Tell-Hassana JNES, - 1945, P. 272.

(٢١) رشيد الشاذلي : المرجع السابق ص ١٣٣ .

المنزلية ، هذا وقد أحرزت مباني تل حسوثة ، ابتداء من الطبقة الثانية مظاهر جديدة من التفوق ، كثرويد الحيطان بركائز للتدعيم من الداخل ، وربما تميزت مباني الطبقة الثانية بوجود ممرات تفصل فيما بينها ، وأن لم يستمر وجود هذه الفواصل في الطبقات التالية ، ولعل أفضل مبعسوعات مباني تل حسوثة ما كشف عنه في الطبقة الرابعة التي تقدم معالم واضحة للأقسام التي كان يتكون منها المنزل (٢٢) .

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن مباني «تل الصوان» ، إنما تقدم تطوراً ملحوظاً في تشييد المباني ، فقد شيدت من خلع الأجر الكبيرة المستطيلة الشكل ، وطليت الجدران من الداخل بطبقة من الطين ، ودفن القوم موتاهم أسفل أرضيات المنازل ، كما عمل القوم على تحصين الموقع ، وذلك بنحرة ذات ثلاثة أضلاع شيد بداخلها حائط ضخمة مزود بركائز ، وهي مثالب فريد للتحصين في بلاد النهرين في هذا التاريخ المبكر .

هناو قد دفن القوم موتاهم — كما اشرنا آنفاً — في أسفل أرضيات المنازل ، فلقد عثر بين موجدتين من المرحلة الأولى في الطبقة (Ia) على هيكل عظمي لآسان ، وبجواره جرة كبيرة ، ربما قد احتوت طعامه أو شرابه كما وجد قرب رأسه فأسان من النخران ، الأمر الذي قد يشير إلى اعتقاد القوم في حياة أخرى ، كما تضمنت بقايا المرحلة الثانية جرة من القفار الضمن احتوت هيكل عظمي لطفل ، وبجوارها جرة أخرى ربما كانت كذلك للطعام أو الماء (٢٣) .

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى أنه قد كشف عن بقايا جفت للأطفال دفنوا في بعض الأوامى الفخارية وكان اتجاه رأس المتوفى نحو

(٢٢) عبد النطف : المرجع السابق ص ٤٦ — ٤٨ ، ركداً
S. Lloyd and F. Safar, Op. C. I., 272
234 F. El-Waily and B. Abu es-Suef, in Sumer, 21, 1965, P. 16-21
K. A. Al-Adami, in Sumer, 24, 1968, P. 58

النمال ، ويذهب أستاذنا الدكتور الناصوري الى أن وجود بقايا الهياكل العظمية للأطفال بما يتصل بظاهرة التضحية البشرية لا يترضاء القوى الالهية ، وعلى رأسها الهة الامومة التي عبر عنها في شكل تماثيل صغيرة (٢٤) .

هذا وقد كشف أسفل مباني المنيقة (١) بطل الصوان عن جبانة ضخمة تضم أكثر من ١٣٠ قبرا ، حفرت أسفل أراضيات انحجرات فوق الارض اليكر مبائرة ، وزودت جميعها تقريبا بالكثير من الانية المرمية المتعددة الاشكال والاحجام من الجرار والاقواب والأطباق . وبعض قطع أخرى على هيئة عضو الذكر ، فضلا عن مجموعة كبيرة من التماثيل الصغيرة المجيدة الصنع ، التي في معظمها لالهة الامومة ، التي تمثل هنا غالبا واقفة (وكانت في حراسة جرمو تمثل جالسة القرفصاء) . وقد زود بعضها بغطاء رأس من القار وعيون الممار ، هذا وقد اختلف الباحثون حول تماثيل الهات الامومة هذه ، فذهب فريق الى أنها كانت تودع في مخاضن الذكور ، دون الاناث المسمى قد أودعت في قبورهن قطعاً حجرية منقوشة على هيئة عضو الذكر ، خاصة وأن انقشائر لم تكشف عن الاثنين معا في قبر واحد ، على أن هناك وجها آخر للنظر يذهب الى أن هذه التماثيل إنما تعبر عن الامومة الفعيلة التي تضفي حمايتها على الاطفال الذين تغلب هياكلهم العظمية في مدافن تل الصوان وتل حسونة خاصة وقد عبرت أشكال تماثيل الهات الامومة عن اهتمام صانعيها بأبرار صفة الاخصاب فيهن ، حيث تمثل غالبا ، وقد اتجهت أيديهن نحو بطونهن أو نحو أسفل أثدائهن (٢٥) .

هذا ويمثل مخار تل حسونة تماذج فخارية من أقدم ما عثر عليه في

(٢٤) رشيد الناصوري : المرجع السابق ص ١٣٥ -

(٢٥) محمد عبد الحاميد : المرجع السابق ص ٤٩ - ٥١ وكذا

S. Lloyd and F. Safar, Op. Cit., P. 275

J. Melart, Op. Cit., P. 272.

Abu Al-Sud, (B.), in Samer, 27, 1972, P. 5

W. Yasin, in , Samer, 25, 1970, figs, 39-42.

العراق القديم ، وقد كشفت استقرت عن تطور مستمر للفخار في تلك
 حسونة ، ففي بداية الطليقات ظهر الفخار العتيق ، والمصنوع من مادة
 طينية هشة غير نقية ، وتغلب عليها التوعية الخشنه . ثم تظهر بعد ذلك
 الأنواع المزينة باللون الاصفر أو القرمزي ، وقد زخرفت بحزوز في
 شكل تصميمات اتخذت في الغالب شكل سمك النخيل أو سحاب القمع ،
 ثم يلي ذلك ظهور الفخار المزين بالاشكال الحيوانية والخطوط المتعوجة ،
 وهو الفخار الذي يسمى «فخار سامراء» نسبة الى موقع سامراء - على
 الضفة اليسرى لنهر الدجلة ، وعلى مسافة حوالي ١٠٠ كملا شمالي بغداد
 - والذي كان يظن من قبل أنه يمثل عصر حضاريا مستقلا ، ولكنه يعتبر
 الآن ضمن عصر حضارة حسونة ، الممتدة على طول الطريق غربا بين نهر
 دجلة والبحر المتوسط ، اعتمادا على العثور على فخار حسونة في اقليم
 العمق ، وكذلك في مرسين (٢٦) .

وقد كشف أيضا عن كثير من الأدوات الحجرية في تلك حسونة وتل
 الصوان ، وتتضمن العديد من الأسلحة القرمزية ورؤوس السهام وغيرها
 من الآلات من الطران وحجر أوبسيديان ، فضلا عن القووس الحجرية
 التي طليت بالقار ، والمناجل ذات الأسنان القرنية ، والتي تنكث في تل
 حسونة (ط ١/٥) حيث يبدأ ظهور الابنية السكنية التي يظهر معها
 تشييد صوامع الغلال وأفران التخزين ، وصناعة بعض تمثيل غير كاملة
 للالهات الأمومة (التي تبدو منواعة للغاية بالمقارنة بتمثيلات
 الصوان) .

هذا وقد عثر في صوامع الغلال على التمج المتكررين - وعلى كثير من
 كمرات الانية ، فضلا عن عقلم الماعز والاعنم والحيوانات اثيرية
 كنزولان والخنازير والارانب ، وقد استخدمت في التزيين بالخرز
 وحسب الثقوب التي تظهر بوضوح في حبات العقود والذلايات - التي

26) S. Lloyd and F. Safar, Op. Cit., P. 262, 266, 278-279, 280

T. Dabbagh, Hassana Pottery, in Sumar, 21, 1965, P

P. Mortenson, in Sumar, 19, 1962, P. 77-78.

تزين به القوم في مجتمعات حصونة وانصوان والمنظارة وتبعها ياريم ، وقد انفردت الأخيرة بأقراص حجرية ذات خروز ، يمكن اعتبارها نوعا من الاختتام البعثية^(٢٧) .

وقد تميز موقع تل انصوان بالعثور على بعض القطع النحاسية الصغيرة ، وإن لم تكن انتاجا محليا ، كما كشف في الطبقة (VII) في «تلة ياريم» (أ) عن رقاقة صغيرة من النحاس لفت في شكل اسطوانة ، وعلى قطعتين نحاسيتين أخريين ، الأمر الذي يشير إلى استخدام القوم هنا إلى النحاس منذ بداية عصر حصونة ، خاصة وقد كشف في «تلة ياريم» من نفس الطبقة ، عن أنون ضخمة شديدة فوقه مبنى مقبى من الطين ، وهو أقدم نموذج من نوعه في بلاد النهرين . وقد استخدم في الحراق الانية النحاسية ، وربما في تعيين صلابة قطع النحاس - التي ربما جلبت من ديار بكر - الأمر الذي يساعد على تشكيلها^(٢٨) .

بقيت الإشارة إلى أن الانثروبولوجيين لم يتوصلوا بعد إلى جنس أصحاب تلك الحضارة ، رغم العثور - كما أشرنا من قبل - على جثث أطفال دفنت في أوان كبيرة من فخار ، هذا فضلا عن عدم الوصول حتى الآن إلى رأى نهائى بشأن أولوية التوصل إلى الاستقرار الدائم بين كل من مصر والعراق القديم ، أو بالأحرى بين حضارة الفيوم (أ) ومروحة بين سلامة من ناحية ، وبين عصر حضارة جرمو وتل حصونة من ناحية أخرى ، وإن كانت الظواهر حتى الآن تعطى لكل منهما أقدمية في بعض

-
- (٢٧) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٥٨ - ٦٠ ، وكذا :
 N. Merpert and R. Munchojev, in: *Sumer*, 25, 1969, P. 126-129
 S. Lloyd and E. Saffar, *Op. Cit.*, P. 268-269.
 K. A. Handwood and Oihers, *Mattarab*, JNES, XI, 1952, P. 69
 R. M. Munchojev and N. Merpert: *Excavations at Yarm Tepe 1971*, in *Sumer*, 28, 1972, P. 9.
- (٢٨) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق : ص ٦٠ - ٦١ ، وكذا :
 K. A. Al-Adami, *Op. Cit.*, P. 59.
 R. M. Munchojev and N. Merpert, in *Sumer*, 27, 1971, P. 28, 30, 1972, P. 6-9.

النواحي ، وربما تكشف الحفائر مستقبلا عن رأى نهائى فى الموضوع :
ومع ذلك فنتائج الحفائر حتى الآن تثبت توصلى كل منها الى مرحلة
الزراعة المستقرة ونشأة القرى ، فكلاهما أنتج المناجل الحجرية :
وتوصل الى الصناعات العظمية وصناعة الاجران والاسبنة فى الفيوم
(١) والصير فى جرمو (٢٩) .

(٤) العصر الحجري النحاسى

(١) حضارة تل حلف :

يتميز هذا العصر بالتوصل الى معرفة واستخدام النحاس ، منذ
حوالى منتصف الالف الخامسة قبل الميلاد ، ويتمثل فى عصر حضارة
حلف ، نسبة الى تل حلف - ويقع فى أعلى نهر الخابور ، على مسعدة
١٤٠ كيلا شمالي غربى «نيوى» ، وان لم يكن موقع تل حلف أفضل
مواقع هذه الحضارة ، حيث كشف فيه عن شوارع مباطة بالحجارة :
وقد أحيطت القرية بأسوار ، وقامت فيها مباني عامة كانت بمثابة المعابد
الدينية ، مما يدل على تقدم فى الحياة الاجتماعية (٣٠) .

وتشغل حضارة حلف انقطة منذ أواخر الالف السادسة ، وحتى
أواخر الالف الخامسة قبل الميلاد ، وقد انتشر إنتاجها فى الشمال خاصة
وفى مساحة واسعة تمتد من المزاب الاعلى وسفوح جبال زاغروس
شرقا ، الى ما وراء الفرات غربا ، وإلى الحدود التركية وسفوح جبال
طوروس شمالا ، وأما من ناحية الجنوب والجنوب الشرقى ، فكان من
المنعقد أنها لم تتجاوز موقع سامراء ، غير أن الحفريات كشفت حديثا
عن حضارة حلف فى الطبقتين العلويتين فى تل الصوان ، وفى أعلى تل
(Choga Mami) فى إقليم مندلى (٣١) .

(٢٩) رشيد الشاذلى : المرجع السابق ص ١٣٤ .

(٣٠) طه باقر : المرجع السابق ص ١٣ .

(٣١) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٦٣ ، وكذا

J. Mellaart, Op. Cit., P. 276-277.

F. Dabbaghi, Op. Cit., P. 32

J. Oates, in Senier, 32, 1956, P. 56, 25, 1969 P. 124.

هذا ويختلف المؤرخون في أصل حضارة حلف هذه ، فهناك وجه للنظر يذهب الى أن مركزها ربما كان في المنطقة الممتدة من الموصل شمال شرق العراق الى منطقة الخابور في شرق سورية ؛ على أن هناك وجهاً آخر للنظر يذهب الى أنها ربما ترجع الى أهل أرميني ، على أن الاتجاه التقليدي إنما يذهب الى أنها نشأت في تل حلف ذاتها ، على أساس أن الفخار المميز لتلك الحضارة إنما قد بدأ العثور عليه هناك .

وعلى أية حال ، فإن حضارة حلف هذه لم تشمل بهيم منطقة إيران ، وذلك لوجود الحواجز الطبيعية ، وخاصة جبال زاغروس التي عمت على منع حضارة حلف من دخول إيران ، كما أنها لم تمتد جنوباً في العراق القديم ، وذلك لأن تلك المنطقة لم تكن قد سكنت بعد ، ومن ثم فقد امتدت الى منطقة الموصل ، فضلاً عن منطقة سنجار عبر نهر الخابور ، وفي منطقة جبل عبد العزيز ، كما امتدت غرباً في سورية حتى منطقة العمق ورأس الشمر ، بل وفي حدود الاناضول الجنوبية الشرقية (٣١) .

هذا ويتميز حضارة حلف هذه بمظاهر حضارية جديدة ، وخاصة في العمارة والفخار والنحت على الحجر ، فضلاً عن استخدام الفخار ، ومن ثم فقد اعتبرت في التقسيم التقليدي لمعصور ما قبل التاريخ ، مثلاً للعصر الحجري النحاسي في العراق القديم ، وإن كان الأمر يحتاج الى إعادة نظر في هذا التقسيم ، في ضوء ما عثر عليه حديثاً من مصنوعات نحاسية من عصر حضارة حسونة ، كما أشرنا من قبل .

وأياً ما كان الأمر ، ففي مجال العمارة : سادت الابنية ذات التصميم الدائري ، والتي تشك عنها في شمال العراق ، وهي عبارة عن مبنى أساسها من حجر ، ويحيطونها من طين ، في الغالب الأعم ، وهي -

(٣٢) رشيد الناصوري : المرجع السابق ص ١٧٦ ، وكذا R. Munchajev and N. Mergert, in *Sumer*, 27, 1971, p. 30-31, 1972, p. 10.

على أية حال — تتكون من حجرة دائرية ، قطرها خمسة أمتار ونصف المتر ، يتصل بها ممر مستطيل ، وإن كانت أبنية «مثل الأريحية» إنما تشير إلى أنها قد ألحقت بها حجرات جانبية مستطيلة ، أصغر حجما ، دون وجود ممر أو قواصل بينهما ، كما تدل نفس بقايا أبنية تلك الأريحية ، على أن البناء الأصلي — وهو الحجرة الدائرية — إنما كان لها سقف متبني ، أما الحجرة الجانبية فقد كانت غير مسقوفة ، أو كان لها سقف مسطح أو «جملون»^(٣٣) .

وأما الفخار ، فقد تميز بالوانه وزيناته التي تمثل تفرقا متاعيا لأصحاب حضارة حلف ، وقد لون الفخار بالوان مختلفة ، منها البزنجي والقرمزي والاحمر والبني والمصفر ، وقد غطت الزيفات كل سطح الاناء الفخاري الخارجي بالنسبة للجرار ، أما الاطباق والاسلماين فقد غطت الزيت فيها السطحين ، الداخلي والخارجي ، كما ضمت الزينة مجموعات مختلفة من الرسوم الهندسية ذات الاشكال المثلثة والمربعة وذات الخطوط المتدرجة والمستقيمة ، ومن الرسوم الفريدة على فخار حلف رسم مركبة على أنية فخارية ، قد قوحي بأن القوم ربما قد اخترعوا وقت ذاك المركبات ذات العجلات ، كما استخدمت في التعميمات الزخرفية كذلك أوراق الزهور ورؤوس الثيران ، على أن الظاهرة المميزة إنما هي كثرة الاشكال النحوية في الزينات من اشكال بشرية وحيوانية ونباتية ، فضلا عن اشكال الطيور ، وقد تميزت الرسوم بوجود حركة كبيرة في المناظر^(٣٤) .

هذا وقد أنتجت حضارة حلف عددا من الاواني الحجرية ، ورؤوس النعام والمنزل وغيرها ، مما يعبر عن تفوق في تشكيل المادة الحجرية ، الامر الذي يظهر بوضوح في أدوات الزينة التي مشتت من الحجر ، كما

(٣٣) J. Meland, *Earl Est Civilizations of The Near East*, London, 1964 P. 123.

(٣٤) احمد سليم : المرجع السابق ص ٢٣١ ، وشيخ انصوري : مرجع السابق : ص ١٧٠ .

يستخدم انقوم انطين في صناعة المسامير الملونة والخواتم ، فضلا عن تماثيل الهات الامومة التي اُعتنى انفسان فيها بابرار مظهر الخصوبة المتضخم ، وذلك بتضخيم وطلاء ثدييها وساقيها ، فضلا عن تمثيلها وهي تضم ذراعيها أسفل ثدييها ، هذا الى جانب انتاج بعض الاختتام التي استخدمت ، ربما لأول مرة ، في الطباعة عنى قطع من طين مجفف ، وأخيرا قلقد عثر على بعض المصنوعات النحاسية كالدبابيس والارامل : غير أن عددها انما كان محدودا ، رغم توفر النحاس في منطقة ديار بكر وملاطيا ، في شمال وشمال غرب خلف (٢٥) .

وأما عن مدافن انقوم ، فقد كانت غالبا تحت أرضية مساكنهم ، وكان الميت يرقد على جنبه الايمن ، في وضع مقرنص ، بينما تتجه رأسه نحو الغرب ، هذا وقد احتوت المقابر على بعض المتاع الشخصي كالآنية الحجرية الصغيرة والاكواب والالوانى الفخارية وحبث العقود المرمرية : فضلا عن دلايات من حجر ، زيتت احداها بـصور لطيور ورؤوس حيوانات (٢٦) .

(٢٥) محمد عبد الصريق : المرجع السابق ص ٦٩ - ٧١ ، و ١٣٥

J. Mellaert, CAH. I, Part. I. Cambridge 1970, P. 277-278

F. Dabshagh, Op Cit, P. 23-26

N. Megret, in Sumer, 27, 1971, P. 40-71.

26) A. Parrot, Sumer, London, 1968, P. 48.

R. Munchajev and N. Merpen in Sumer 37 1971, P. 31, 29, 1971 P. 14.

الفصل الثاني

في جنوب العراق

شهدت بلاد العراق في أواخر عهد حضارة حلف التشايط الحضاري في مناطقها الوسطى والجنوبية ، حتى ذهب البعض إلى أن مركز الثقل الحضاري ، وربما السياسي ، قد انتقل من القسم الشمالي للسهم الميزوبوتامي إلى القسم الجنوبي من هذا السهل ، حتى أن التسمي السامالي أصبح أكثر شيوعا بتتابع يدور في فلك الجنوب غالبا ، وحتى حلول الاموريين بأرض آشور في بداية الألف الثانية قبل الميلاد .

وقد ارتبط ذلك كله بتطور صناعي جديد ، وربما بتحركات شعبية أو قبلية جديدة أيضا ، أما التطور الصناعي فهو معرفة معدن النحاس واستخدامه على نطاق ضيق ، جنبا إلى جنب ، مع الأدوات الحجرية ، فيها يعرف اصطلاحا باسم «العصر الحجري النحاسي» أو «عصر بداية المعادن» ، وُفرقت الأبحاث الأثرية بين ثلاث مراحل شهدتها العراق في هذا العصر ، وسبقت كلا منها إلى أقدم أماكن التي عثر فيها على مخلفاتها فسميتها بأسماء : حضارة العبيد ، وحضارة الوركاء ، وحضارة جمدة نصر ، وقد تعاقبت ثلاثتها في مواضعها من جنوب العراق إلى وسطه على «سلاسل متساوية» ولكنها تداخلت مع بعضها البعض في أزماتها وخصائص منتجاتها ، إلى حد أن مآل الرأي الحديث إلى ادماج ثلاثتها ، وسمي جمدة نصر ، في حضارة الوركاء ، واعتبارها مرحلة أخيرة منها (١) .

غير أن الحفريات أثبتت منذ عام ١٩٤٦م وجود حضارتين أسبق عهدا من حضارة العبيد ، هما : حضارة أريدو ، وحضارة الحاج محمد (حجي محمد) ، ويرى بعض الباحثين في هاتين الحضارتين مرحلتين مبكرتين من عصر حضارة العبيد ، ومن ثم فهم يقسمون هذا العصر

(١) عبد العزيز صالح : المراجع السابق ص ٣٧٤ .

الخصاري التي ثلاثة مراحل هي - التبييد «١» (حضارة أريدو) والتبييد «٢» (حضارة الحاج محمد) والتبييد «٣» (حضارة التبييد النصيفة)^(٢)، غير أن هناك وجه آخر للنظر يذهب أن لكل من هاتين الحضارتين (أريدو - الحاج محمد) انتاجها المتميز عن حضارة التبييد، فضلا عن تأثيره الواضح بحضارتى صوفه وحلف السابقتين، بينما لا تكاد فلسفي هذا التأثير في حضارة التبييد^(٣).

(١) حضارة أريدو :

تقع أريدو - وهي أبو شعيرين الحالية في أقصى جنوب السهل الميزوبوطني، وعلى بعد ٢٤ كيلا جنوب غرب مدينة أور، ٣٤٠ كيلا من الخليج العربي - وطبقا لنتقائيد السومرية، فإن أريدو أول المدن الخمس قبل الطوفان وأول مقر للملكية^(٤)، وعلى أية حال، فهناك من يرجح أنها كانت ميناء على اهدى البحيرات الراسعة، وكان لها اتصال بالخليج العربي عن طريق عدد من البحيرات^(٥)، ومن ثم فقد اهتمت أهلها ببناء المعبد وقدموه كترسان للمعبد، كما أن كثيرا من مساكن التوأم إنما كانت أكواخا من بوص، هذا فضلا عن أن هناك نصا من عهد «شولجي» (٢٠٩٥ - ٢٠٤٨ ق.م) - أحد ملوك أسرة أور الثالثة - يشير إلى أن «أريدو» إنما تقع على شاطئ البحر، وهذا ما أثبتته الحفريات الأثرية هناك.

هذا وقد أسفرت نتائج الحفريات التي قامت بها مديرية الآثار العراقية في الفترة (١٩٤٦ - ١٩٤٩م) في المنطقة السكنية من «أريدو

(١) J. Oates, in Sumer, 22, 1966, P. 52, 55, 25, 1980, P. 105

(٢) S. Lloyd and F. Salari, in Sumer, 4, 1918, P. 121-125

(٣) انظر

S. N. Kramer, The Deluge, in ANET, 1966, P. 43

A. L. Oppenheim, The Sumerian King List, in ANET, 1966, P. 51-52

(٤) M. Malmer, The Development of Cities from Aq-Ubad to The

End of Uruk, 3, in CAH, I, Part, 1, Cambridge, 1971, P. 221

وانظر : محمد عبد اللطيف : المراجع السابق ص ٧٨ - ٧٦

أن فخارها ينتمي إلى عصر أربح حضارات (أريدو - الحاج محمد - العبيد - التوركاء) وأن أشكاله السائدة إنما هي الأكواب والناظمين ، وأحياناً الأطباق الكبيرة ، وقد تعددت ألوانها وزينت بتحسينات هندسية أكثر فيها الخطوط المستقيمة والمتعرجة والمثلثات والنقش ، بينما يندر وجود الأسكال الطبيعية الحية^(٦) .

وكانت منزل القرم أكثرها من بومن - ويتفصلاً من أجر - وأما المباني الدينية فكانت بقاياها : كما في أولى الطبقات : أربعة حيطان من أجر - شيدت فوق كتف من رمل ، لعل أول تعبر عن المنصة المرتفعة التي يعلوها المعبود (الزاقورة) ، والتي سوف تصبح مظهر العبادة في العراق antiquity منذ أيام العبيد وما بعدها ، وهذا وقد كشفت الطبقات التالية في أريدو عن مبان مختلفة أكثر انتقلاً ، تمثل المعبود القديم في العراق ، بما فيه من هيكل وموائد لتقريبين^(٧) .

(٢) حضارة الحاج محمد :

يقع موقع حضارة الحاج محمد على على خدخاف انفرات ، على بعد ١٨ كيلاً جنوب غرب التوركاء ، ويتميز بأدواته الفخارية العميقة ذات الجوانب المقوسة ، وقد زينت بخيوط مائلة ومتعرجة ومربعة ، هذا ويمثل فخار حضارة الحاج محمد تطوراً لفخار حضارة أريدو ، وقد لون بنفس ألوانه (الأسود والبني والأحمر والأصفر) فضلاً عن اللون القرمزي اللؤلؤي .

وهناك ما يشير إلى أن فخار الحاج محمد إنما قد تأثر بحضارة

6) A. Javard, The Archaic Material and Implications, in *Sumar*, 30, 1974, P. 31-33.

M. Mallowan, Op. Cit., P. 341

وكذا

A. Parrot, Op. Cit., P. 53-57

وكذا

7) A. Parrot, Op. Cit., P. 52.

M. Mallowan, Op. Cit., P. 332-339

وكذا

H. Frankfort, The Art and The Architecture of The Ancient Orient, 1970, P. 13.

حلف : أكثر من تأثره بحضارة أريدو : سواء أكان ذلك في الشكل أو الزينة أو الصنعة : يبدو «هذا واضحاً في أواني «الرأس العمياء» الذي اهتمت إليه حضارة الحاج محمد ، حيث عثر على آنية فخارية تشبه تماماً ذلك المخطط الذي يتوسطه رسم زهرة كبيرة ، والذي يميز حضارة حلف»^(٨) .

(٢) حضارة العبيد :

تتميز حضارة العبيد - وقد أخذت اسمها من ذلك يقع على مبعدها بمساحة كياو متوات إلى الغرب من «الناصر» قرب أريدو - تتميز بالانتشار في جنوب العراق وشماله ، ويمثلها في الجنوب : تل العبيد والموتاء ورأس العمياء وتل الحفير وأريدو وأور ولجش والحاج محمد ويمثلها في الشمال : تبة جاور أو تل الأرجبية وجبل سنجار وتل المبرك ونوزي وتل حسونة ونيتوي وتل حلف ، وهذا يعني أنها شملت كل أرض بابل جنوباً ، وكل أرض آشور وتخومها الشرقية والشمالية والغربية ، حتى حدود الشبور ، وقد أثبتت الدراسات المقارنة لحضارات العبيد الشمالية والجنوبية وجود تشابه واختلاف بين إنتاج هاتين الحضارتين ، ولكنهما ينتهيان أحلاً إلى حضارة واحدة ، سرعان ما تأثرت بالبيئة المحيطة بها ، فأعطتها شكلها المعين .

وهناك من الباحثين من يذهب إلى أن حضارة العبيد ليست تطورا غيراً من حضارات العراق القديم السابقة ، وإنما هي حضارة مستوردة من الحضارة الإيرانية ، جاء أصحابها من غرب إيران في أوائل الألف الرابعة قبل الميلاد ، أو قبلها بقليل ، وذلك اثر حدوث تغيير مفاجئ ، انداع الجفاف في موائلهم الأولى ، وقد عثر من مصنوعاتهم في «أريدو» على فخار ملون ذي أرضية خضراء شديدة الشبه بالفخار المميز لصنوعات معاصريهم سكان أرض عيلام في جنوب غرب إيران ، وكسان أولئك النازحين على معرفة بطريقة انبناء بالبن في موائلهم الجديدة تشجعت

(٨) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٧٥ - ٨٣ ، وكذلك

M. Mallowan, Op. Cit. P 341-342, 366-367.

هجرة إيرانية أخرى من بني عمومته على المفروح إلى ما يلي مواطنهم شمالاً من بلاد النهرين ، ولو أنه ليس من الضروري أن نفترض أن المسرح قد خلا لهجرتهم حينذاك ، وإنما لا يبعد أنه كانت تقابلها في الوقت نفسه هجرات سامية نشتت طريقها من الغرب إلى بلاد النهرين بالفتيل السلمي حيناً ، وبالغزو القبطي حيناً آخر^(٩) .

هذا وقد كثف في شمال الجزيرة العربية أكثر من ثلاثين موقعاً ، ينتمي إلى حضارة العبيد ، فيها أربعة مواقع عبارة عن أماكن استقرار ، والباقى مناطق سطحية تحيط بالأربعة السابقة ، وتتوزع هذه المناطق على مساحة واسعة داخل المنطقة الشرقية ، وكذا على الساحل ، وتوجد الأولى في العروض الجنوبية ، بينما توجد الثانية في العروض الشمالية ، وإن اتفقت جميعاً في أن الخضار الملون — وكذا الأدوات التي عثر عليها فيها — إنما تشابه جميعاً مع مثيلاتها في منطقة العبيد^(١٠) .

وقد أدى ذلك كله إلى أن يفترض «المذكور عبد الله المصري» وجود علاقات بين سكان شرق شبه الجزيرة العربية ، وسكان جنوب العراق من أولئك الذين كانوا يحترقون الصيد وجمع الغداء ، وأن مجموعات بشرية من شرق الجزيرة العربية قد هاجرت إلى السهل الفخفى القريب منهم ، ودامت بذلك في إيجاد نوع من التفاعل الثقافي ، ومن ثم فقد كان هناك تبادل بين جنوب العراق وشمال شرق الجزيرة العربية في الأدوات الحجرية والمنتجات البحرية إبان عصر العبيد ، وربما أدى هذا التبادل إلى هجرات دورية من جسانب الرعاة والصيادين أو جسامعي الطعام ، وأن التطور الاقتصادي في كل من المنطقتين (الصيد والجمع وصيد الأسماك في شرق الجزيرة العربية — والزراعة في جنوب العراق) قد ساعد على عملية التبادل المادي والحضاري بين المنطقتين^(١١) .

(٩) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢٧١ - ٢٧٥ .

(١٠) Abdullah Hassan Masry, Prehistory in Northwestern Arabia, The Problem of Interregional Interaction, Miami Florida, 1974, P. 1-11

(١١) Ibid., P. 16

وعلى أية حال ، فلقد كان من نتائج فحص مناطق الاستقرار التي تنتمي إلى حضارة العبيد في شمال شرق الجزيرة العربية : أن الجنوب قد سادت فيه حضارة العبيد المبكرة ، بينما سادت في الشمال نفس الحضارة في عصرها المتأخر ، وأن عثر في موقع وحيد — على مقربة من بلدة الهنوف — على فخار يشبه فخار العبيد المبكر ، كما أن الحضارات التي تعاقبت بعد ذلك في جنوب العراق — كالوركاء — وما قبل الكتابة — لا أثر لها في تلك المواقع التي عثر فيها على حضارة العبيد في بلاد العرب^(١٢) .

وطبقاً لعلم الطبقات ، فإن العنصرين الحضاريين وجدنا أنهما على علاقة مباشرة ومتتالية في موقع «عين قناص» في الداخل ، وفي جنوب غرب المنطقة الشرقية ، هذا فضلاً عن أن تحليل الرواسب من هذا الموقع إنما قد أهدنا برهاناً مباشراً على تواجد سكاني دوري في المنطقة في العصر الحجري .

وهكذا يمكننا أن نستنتج أن حركات سكانية وهجرات دورية حدثت على المدى المطول تجاه الوادي الغربي في جنوب العراق ، وأكبر الظن أن مواطن الاستقرار التي تنتمي إلى حضارة العبيد في بلاد العرب خاصة تلك التي تقع على طول السهل ، قد تعاقبت المواد الخام مع هذيلاتها في جنوب العراق ، فنقد كنت مواد التبادل هذه تتمثل في الأصناف واللاليء والمنتجات البحرية الأخرى ، فضلاً عن المواد الحجرية المنتجة من سواحل الجزيرة العربية ، كما أن وجود حجر الأوبسيدون في مواقع شبه الجزيرة العربية إنما هو دليل على العلاقات بين هذه الأخيرة وبين الشمال عن طريق جنوب العراق^(١٣) .

(١٢) Ibid., P. 17-18.

وانظر : محمد بيومي مهران : تاريخ العرب القديم — تزييض ١٩٧٧ ص ٢٠٤ - ٢٠٨ .

(١٣) A. H. Messey, Op. Cit., P. 19.

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن الفترة التي بدأت تتكون فيها المدن في العراق ، قد توافقت زمنياً مع فترة اختفاء حضارة العبيد في الجزيرة العربية ، ممسا يحصل على الظن بأن عجرة كبيرة نزلت إلى العراق القديم في نهاية الألف الرابعة قبل الميلاد ؛ وهذا يتفق مع ما افترضه العلماء من أن تدفق السكان على سهول العراق إنما كان حاسماً في قيام المراكز الحضرية هناك (١٤) .

وأخيراً فهناك وجه ثالث للنظر يذهب إلى أن أصحاب حضارة العبيد إنما أتوا من المنطقة الشمالية في العراق نفسه (بلاد الآشوريين فيما بعد) .

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن حضارة العبيد إنما كانت أول حضارة في العراق القديم تنتشر في الشمال والجنوب ، رغم كونها جنوبية الأصل ؛ وهذا وقد ظهر إنتاجها في كثير من المجالات ، مثل صناعة الأواني الفخارية المونة والمزينة ، ممسا أدى إلى انتشار أنواع راقية سببها من الفخار المرسوم ، ثم سرعان ما طغى إنتاجها شيئاً فشيئاً على إنتاج فخار حصونة الشمالي ؛ ووجدت بعض نماذجها في «سامراء» ، على نهر دجلة ؛ وبأغوص ؛ على نهر الفرات ؛ وفي نينوى وفي حصونة نفسها ؛ وهذا مما يعني قيام المبادلات والاتصالات بين أهل الشمال وأهل الجنوب ، وقد بلغ من رقة بعض أواني هذا الفخار ما دفع بعض الآشوريين إلى التمييز عنها باسم «أواني قشر البيض» .

ونعم مهرة الصناع حينذاك عن فنون عصرهم على أفضل إنتاجهم من الأواني الفخارية ، فزينوها سطوحها الخارجية بأشكال تخطيطية متجانسة ؛ وبألوان حمراء وبنفسجية ؛ واستغلوا بوادئها المتسعة لتصوير مجموعات تخطيطية أيضاً يمكن أن تعتبر بعض نماذجها الراقية مفضرة لعصرها — إن صحت نسبتها إليه فعلاً .. فمن هذه المجموعات الراقية

(١٤) Ibid , P. 20.

التي نقدمها على حذر : مجموعات صورت ست اثاث يتوزع على محيط دائرة تتطابق شعورها داخلها ، وتحيط بها ست عقارب كبيرة توزعت هي الاخرى على المحيط اندثرى لباطن الصفحة ، وابست أشكال النساء هنا غير خطوط تقريبية لا تريد الرأس فيها عن بقعة سوداء ، ولا يزيد الممثلان فيها عن خطين متجاورين ، ولكنها تميزت ، على الرغم من ذلك ، بتقاسمها واستدارة خطوط الفخذين فيها والفصل بين اسافين ، وصحفة أخرى صورت فيها أربعة طيور طويلة الرقبة والاذنجة ، توزعت على أركان باطن الصفحة واتجهت نحو مركزها ، والتقط كل طائر منها سمكة بمنقاره ، واستغل الرسام الفراغت بين هذه الطيور ، فوزع حولها مجموعة أخرى من الاسماك في شكل دائرة ، ثم عبر عن مركز الدائرة في الصفحة بخطوط متقاطعة تكاد تقرب من هيئة الصليب المعقوف ، ولم يكن الصانع العبيدي أقل توفيقا في صفحة ثالثة فرسم فيها أربع سمكات ثلاث رؤوسها على أطراف شكل معين ، واستغلها لتصوير أربع عنرات تصويرا جريديا لطيفا بالنسبة لعصره (١٥) .

هذا وقد كشف عن كثير من الصناعات في مواقع العبيد انشمالية ، ومنها بعض الادوات النحاسية التي عثر عليها في «تبة جاورا» ، ومنها خاتم صغير وإزميل من النحاس ، هذا وقد تميز القسم الشمالي لحضارة العبيد بإنتاج أخفام الطابع ، وقد عثر عليها في «تبة جاورا» ، وهي تتكون من أقراص بسيطة وأزرار ومربعات من الحجر المتعدد الانواع ، وتحمل هذه الاحتمام أو طبعاتها من الطين رسوم بسيطة من خطوط مستقيمة أو متقاطعة ، كما تتضمن في بعض الاحوال ، أشكالاً حيوانية (١٦) .

وكان من أهم إنتاج حضارة العبيد الجنوبية ما كان يتصل بمهنتي صيد الاسماك والزراعة ، ومن ثم فقد انتج القوم هياكل منخنية من

(١٥) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٧٥ .

(١٦) أحمد سليم : المرجع السابق ص ٢٣٦ .

طين ، ويرجح البعض أن انغرض منها أن يعلق عليها الصياد صيده من السمك ، وربما شبكة جيدة ، وقد عُثر على نماذج ملونة وغير ملونة لهذه السامير في مواقع أريدو وتل العبيد وتل العقير ، وفي رأس العمياء ، وربما كان في رأس العمياء أدوات صحن بسبب رؤوسها الأكبر حجماً ، كما استخدم القوم المادة الطينية التي وفرتها البيئة المحلية ، وخاصة في الجنوب ، كحديل للأحجار الصلبة والمعادن التي افتقر إليها هذا الجنوب ، وذلك في صناعة أنقؤوس والمناجل ، وقد كشف عن العديد من المنيرل الطينية في الجنوب - كما في أريدو وتل العبيد وتل العقير (على مبعده ٧٥ كيلاً جنوبي بغداد) - والتي كانت : فيما يبدو ، ابتكاراً له أهميته العملية : خاصة عندما تحرق إلى درجة عالية تصبح ذات مادة قاطعة ، فضلاً عن أنه يمكن استبدالها بسهولة حينما تكسر ، وقد ظهرت - لأول مرة - في أولى طبقات حضارة العبيد بموقع أريدو (ط ١٢) ، كما ظهر منها نماذج ملونة في (ط ٩) من نفس الموقع^(١٧) .

وأما في مجال العمارة ، فقد شهدت منازل القوم في التمسك من الآجر ، وأما في الجنوب ، فقد استعمل الأهلاني الآجر أحياناً ، واليوص والأطین أحياناً أخرى ، وقد كشف في تل العقير عن منطقة استقرار من عصر العبيد تضم سبع طبقات ، وكانت في أقدمها (ط ٧) من جدران أنيوص ، يليها بناء من الآجر ، وأما في الطبقات العليا من موقع العقير هذا ، فقد بنيت معظم المنيرل من قطع الآجر الكبيرة المستطيلة والمتراصة ، وقد بلغ سمك حيطانها أحياناً قرابة المتر ، كما شفت على جانبي مهر أو حارة في صفين متقابلين^(١٨) .

هذا وقد وجدت المنازل في «تية جاورا» (تية كورا) - وتقع عن

17) V. G. Child, Op. Cit., P. 137-138.

M. Mallowan, Op. Cit., P. 345, 359, 369

H. Frankfort, Op. Cit., P. 47.

(١٨) محمد عبد اللطيف : أترجع السابق ص ٩١ - ٩٣ : وكذا

M. Mallowan, Op. Cit., P. 398

S. Lloyd and F. Safar, in JNES, 2, 1943, P. 137-139, 149.

مبعدة حوالي ٢٠ كيلا شمال مدينة الموصل - مع المعابد في منطقة واحدة ، وكلاهما - المنزل والمعابد - قد بنى بالآجر ، وأن أقيم بعضها فوق أسس من حجر ، هذا ويضم موقع «تل الأربعية» - على مبعدة ٨ كيلا شمال شرق نيزوى - منطقة سكنية في وسط الجبانة ، وقد كشفت الصغريات عن أربع طبقات من منازل طينية متواضعة ، وقد زودت معظم المنازل بالاقران والاوغية الفخارية انكسرية لخزن الصبوب والماء (١٩) .

وأما عن مقابر القوم فمقد كشفت الصغريات في جبانة أريدو أنها تصم ما لا يقل عن ألف مقبرة ، وتشير بعض الطبقات التي ترجع الى أخريات عصر العبيد الى أن الموتى انما كانوا يوضعون في صناديق من الآجر ، تدفن في باطن الارض ثم يهال عليها التراب وتطلق بالآجر أيضا ، هذا وقد وجدت بعض المدافن الجماعية في جبانة أريدو : الامر الذي يستدعي بالضرورة إعادة فتح القبر ، بين حين وآخر ، ثم دفع الهيكل العظمي الاسبق ، وبالتالي تتأثر عظامها وقد زودت المقابر ببعض الاواني الفخارية التي تتصل بالطعام والشراب كالاطباق والفناجين ، الامر الذي قد يشير الى ايمان بلعالم الآخر ، كما زودت المقابر أيضا بعدد من تماثيل الاموات الامومة الصغيرة ، والتي كان لبعضها رؤوس تشبه رأس الضفدعة أو البطية ، مما يشير الى تأثر الانسان في جنوب العراق القديم بثقافته المستتغية (٢٠) .

هذا وقد اهتم القوم كثيرا بحور العبادة ، والتي يمثل بقاياها ما عثر عليه في مرقعين رئيسيين ، «أريدو» في أقصى الجنوب ، و «شبه جاورا» في الشمال ، وفي «أريدو» نواجه ، ولأول مرة ، بمظهر معماري جديد . يتمثل في بناء المعبد فوق تل صناعي ، وتؤدي بعض المنحدرات الى

(١٩) K. Egami, in Sumar, 13, 1957, P. 6-8, 22, 1960, P. 2-3.

M. Mallowan, Op. Cit., P. 303

(٢٠) A. Parrot, Op. Cit., P. 53.

M. Mallowan, Op. Cit., P. 347, 352.

S. Lloyd and F. Safar, Sumar, 4, 1948, P. 117

وكذا

وكذا

وكذا

منحته^(٢١) ، وهو تصميم قدر له أن يصبح علما على عياني السومريين الدينية فيما بعد ، وقد شاده القوم لمعبود كان ذا صلة بالمعبود «أيا» الذي اعتبره خلفاؤهم في العصور التاريخية ربا للمياه العذبة ، وتخليوه مستقرا في أعماقها .

وعلى أية حال ، فلقد كان معبد أريدو هذا متواضعا يناسب عصره ، ويتكون من متحورة بسيطة (بلغ اتساعها ١٢ × ١٥ قدما) كانت لها مشكاة لتمثل لمعبودها ، أو رمزه ، ومائدة لونية للقرايين وضعت أمام هذه المشكاة ، وتجدد معبد أريدو ، وزاد اتساعه أكثر من مرة خلال عصر العبيد^(٢٢) ، وقد تضييطة في مراحلها المتأخرة على تطورات جديدة ، فشاده أصحابه من جديد فوق مسطح يؤدي إليه درج ، ويدعو الارتفاع بمثل هذا المذهب فوق المسطح ذي الدرج إلى كمر من قرض واحد ، فهو قد يعتبر مجرد تطور معماري محض في أسلوب بناء المعبد ، أو مجرد إجراء عملي محض للارتفاع بقاءه عن مستوى الأرض الرطبة المحيطة به ، أو يكون تعبيرا دينيا يدل على رغبة أصحابه في التسمي بمعبودهم ومعبودهم إلى العلى ، أو يكون تعبيرا عن فكرة سموية تدل على أن أصحابه كانوا في بداية أمرهم من سكان المرتفعات الذين عبدوا آلهتهم — آلهة الحيوانات — غرة قمم جبالهم وعضنهم العالية، فلما تركوا ربواتهم واستغفروا في سهول الفهرين ، استعاضوا عنها بمسطحات صناعية من صنع أيديهم ، وليس هناك من سبيل إلى ترجيح أحد هذه الفروض دون غيره بالنسبة لهذا العصر ، وإن كنا نلاحظ فيما بعد : أن الفرض الأخير منها قد زكته شواهد متأخرة ظهرت في آثار أواخر بواكير العصر الكلاسيكي ، وفي آثار العصور السومرية وآساطيرها .

21) M. Mallowan, Op. Cit., P. 337.

(٢٢) انظر

A. Parrot, Op. Cit., P. 34.

M. Mallowan, Op. Cit. P. 335-337.

وكذا

H. Frankfort, The Art and Architecture of The Ancient Orient, 1950, P. 39.

وأما ما كان لاصر ، فلقد زبّد أصحاب معبد اريڊو في محتوياته مقصورته ، فأصاعوا مذهباً جديداً على مبعدة من مائدة القربان القديمة ، وأحاطوا المقصورة بحجرات جانبية ، وشكّلوا واجهة جدران المعبد الخارجية على هيئة مشكاوات رأسية مستطيلة بسيطة ، تعاقبت الواحدة منها بعد الأخرى على مسافات متساوية (٣٣) .

وأما في شمال العراق ، فقد كشف في موقع «ثبة جاورا» عن معابد من عصر حضارة العبيد ، هو الذي يمكن أن تقسم إلى قسمين ، الواحد : مبكر ، ويتضمن معابد ذات أشكال مستطيلة مبنية بالآجر ، وثالث : مساحة كبيرة ، وتشتمل على فناء تتوسطه مائدة قرابين ، فضلاً عن معابد صممت على الشكل اندائري ، المأخوذ عن حضارة صنف ، والآخر : وهو القسم المتأخر زمنياً ، ويمثله ثلاثة معابد ، شيدت بحيث تواجه أركان كل منها الجبهات الأربع الأصلية ، وقد زودت جدرانها بكثير من الميكائير ، التي استخدمت كدعامات للجدران ، وقد دثبت بعض جدران المعابد بلون أبيض (٣٤) .

(٤) حضارة الوركاء :

تسبب هذه الحضارة إلى الوركاء — ونقع شرق الفرات ، قرب مركز السماوة ، وعلى مبعدة ١٢٨ كيلاً شمال غربي أور — رأسها القديم «أوروك» (Uruk) ، وذكرتها التوراة باسم «أرك» ، ونسبت بناءها إلى نمرود ، وتنمّل حضارتها في عدة مواقع أثرية في جنوب العراق ، مثل اريڊو وأور ولجنس وفل العقير ، كما انتشرت في مرحلتها المبكرة في شمال العراق في تبة جنورا ونيوى وتل جرابى رش بمنطقة سنجار ، وعلى .

(٣٣) عبد النذير صالح : المرجع السابق ص ٣٧٦ ، وانظر

H. Frankfort, Op. Cit., P. 2 R.

Sumer, 3, 1947, P. 84 F; 4, 1948, P. 115 F

(٣٤) أحمد سليم : المرجع السابق ص ٢٢٧ - ٢٢٨ ، ومحمد

عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٨٩ - ٩٠ .

على أية حال ، الحضارة الثانية لحضارة العبيد في العراق القديم (٢٠) .

هذا وقد اختلف الباحثون في جنسية أصحاب حضارة الوركاء : وهل هم السومريون أم الآشوريون ؟ هلما السومريون فقد دخلوا العراق في عصور ما قبل الاسرات بوجه عام ، وكان لهم دورهم الحضاري الهام والمكثي بكثر من وادي السند وجنوب العراق ومصر في عصور ما قبل الاسرات الاخير .

وأما الساميون فقد سبق لهم الاستقرار أيضا في جنوب العراق ، وكانوا ذوي مكانة خاصة في عصر حضارة الوركاء ، على أساس أن هناك أوجه شبه بين فخار الوركاء والفخار السامي في المواقع السومرية والفلسطينية ، وعلى أية حال ، فأكبر الظن أن السومريين والساميين ، فضلا عن عناصر أخرى - عيلامية وجيالية متمثلة من منطقة جبال زاغروس في عرشي إيران - إنما قد تواجدت في جنوب العراق في تلك الفترة ، غير أن السومريين إنما كانوا أصحاب أولوية حضارية ، خاصة في عصر حضارة الوركاء ، وفي عصر حضارة جمدة نصر التالية لها (٢١) .

هذا ويعد الفخار أهم إنتاج عصر الوركاء المبكر ، وهو من أنواع مختلفة ، أشكال ولون ، فمن ناحية اللون ، فإن فخار الوركاء من... ومنه اللون الواحد ، أزرق مائل إلى الأحمر المصقول كما أن منه الأسود المصقول ، والمزيج بينهما مائل ، وإن كان هذان النوعان الاخيران قليلين ، بل إن الفخار المزيج لا يرد في غير الطبقات المبكرة من عصر حضارة الوركاء ، وذلك في موقعي أريدو والوركاء ، وبطلب تزيينهما بالشرائط العريضة والأشكال الهندسية البسيطة ، وقد صنع الفخار

(٢٥) هناك من الباحثين من يفهم عصر حضارة الوركاء إلى قسمين : الأول : الوركاء (١ - ١٢١) ويندرج في نطاق عصور ما قبل التاريخ . والثاني : الوركاء (٤ - ٥) ويطلق عليه ، وكذا حضارة جمدة نصر (الوركاء ٢ - ٣) «عصر بواكير العصر الكتابي» (Proto-Literate Period) أو «عصر ما قبل الكتابة» أو «العصر الشبه بالكتابة» . (٢٦) أحمد منير : المرحح السابق ص ٢٤١ .

الرمادي من طينة رمادية محمرة ، وهو جيد الاختراق والمصقل وتغطيته
 قشرة رمادية ، أما الفخار الاسود فمأخذه من طينة نقية حمراء ، وهو
 على درجة عالية من الاختراق والمصقل ، وتغطيته قشرة حمراء أو صلاء
 أحمر : وقد خصصت لأحراقه أفران كثيرة ، عثر على بقاياها في «أور»
 (مثل المقبر) : وتنسب إلى هذه المرحلة معرفة عجلة الفخار في الطبقة
 (H) التي أدت إلى التحول من الصناعة اليدوية إلى الصناعة الآلية^(٢٧) .

ومناك الفخار البسيط غير الملون ، وأنتشر شيوعاً الجرار والآنية
 ذات التصابير ، وذات المقابض ، وذات الأذان^(٢٨) ، هذا فضلاً عن
 الفخار الذي سمي باسم «الآنية النذرية» وهي آنية خثينة مصنوعة
 باليد ، وتبدو في شكل ملاطين تنسج عند الحافة المشطوفة ، وتضيق
 تدريجياً نحو القاعدة المسطحة ، إلى غير ذلك من أنواع الفخار البسيط ،
 مثل الجرار الطويلة التي تتميز بضيق أفها وعصر الرقبة ، فضلاً
 عن الآنية ذات الحواف المنثنية إلى الخارج بشكل غوعات القوارير^(٢٩)
 هذا وقد أنتشر فخار الموركاء شمالاً ، وكانت «نيوى» (ناب قوينجق في
 مزرعة الموصل) أول المناطق الشمالية التي كُشف فيها «المالوان» عن فخار
 لموركاء في النجدي العميق الذي أجراه في (مثل قوينجق) ، كما عثر في
 منطقة جبل سنجار على العديد من فخار الموركاء المصقول^(٣٠) .

27) S. Lloyd, *Urak Pottery, A Comparative Study in Relation to Recent Finds at Eridu*, in *Samet*, 4, 1948, P. 44-43.

وكذا

B. Al-Sayid, *Urak Pottery from Eridu, Ur and Al-Ubad*, in *Samet*, 29, 1973, P.

M. Mallon, *Op. Cit.*, P. 255

28) S. Lloyd, *Op. Cit.*, P. 44-49.

29) M. Mallon, *Op. Cit.*, P. 402.

30) Ibid, P. 401-404.

وكذا

S. Lloyd, *Op. Cit.*, P. 41-45, 46.

30) Ibid, P. 401-404.

هذا وقد تميزت هذه المرحلة المبكرة بإنتاج عدد أوفر من الأدوات النحاسية في جنوب بلاد النهرين ، وهي - وإن كانت أدوات بسيطة مثل الأرميل ورؤس الدربة ومخاطف صيد السمك والابرة - غير أنها أكثر وفرة ، بالإضافة بإنتاج المصنوعات النحاسية من عصر حضارة العبيد .

وأما القسم الشمالي من حضارة الموركاء هذه فكان متنوعاً بدرجة كبيرة في إنتاج المصنوعات المعدنية التي لم تقتصر على النحاس ، وإنما تضمنت أيضاً الذهب والأحجار الكريمة وشبه الكريمة وغيرها ، والتي استخدمت في أدوات الزينة ، ولعل أفضل ما يعبر عن ذلك ما كشف عنه حديثاً في «تل قاتنيج أغا» الذي احتوت قبوره من مرحلة حضارة الموركاء الكثير من القطع الذهبية الصغيرة المتنوعة الأشكال ، فضلاً عن أعداد كثيرة من حبات العنود والقلائد من الذهب واللآلئ والعقيق والأحجار شبه الكريمة ، ولعل أروع ما كشف عنه مجموعات في قبر امرأة غنية ، معظمها من خرز الذهب والأحجار الكريمة ، داخل جرة وجدت فوق رقبة الهيكل العظمي ، وهي عبارة عن قلادة تتوي على سبع حلقات من الذهب ، وثماني خرزات ذهبية كبيرة ، وأربع عشرة خرزة ذهبية متوسطة ، وأخرى أسطوانية ، ٣٤ خرزة ذهبية صغيرة ، ١٥ خرزة من العقيق الأحمر ، ١٥ خرزة من حجر أزرق ، فضلاً عن مجموعة من خرز الصدق (٢٩) .

هذا ويرجع إلى تلك المرحلة أقدم ما عثر عليه من طبعات طينية لأختام المطابع في الجتموب ، وهي لختم مربع يجهل شكلاً لوعلى ذي فروع ، أسفل المنحدر الصاعد إلى معبد الطبقة (١٠) في زانقورة «أنو» في الموركاء ، غير أن هذه الطبعات المبكرة لا تعبر عن أي مدلول كتابي،

(٢٩) وجدت عند النظيف : المرجع السابق ، ص ١٢٧-١٢٩ ، بكتر

V. Clift Op. Cit., P. 149, 161.

M. Malowan, Op. Cit., P. 161.

Abu-Al-Sool and Es-Siwani, in Sumer, 23, 1967, P. 72.

وانظر : شاه النجواني : مجموعة قبور تل قاتنيج أغا - زوبيل -

مجلة سمر - العدد ٢٧ لسنة ١٩٧١ عن ٤٧ - ٥١ .

الامر الذي سوف يظهر في الجنوب في المرحلة الثانية (مرحلة ما قبل الكتابة) ، ويذهب البعض الى أن بعض أختام هذه المرحلة الأخيرة في موقعي أوروكا وخاجي — والتي تعمل أكمال عجالات حربية — انه تشير الى أن ابتكارا أقل تطورا لعربات ذات عجلات استخدمت في النقل ، قد سبقها ، وأنه قد أتى من المرحلة السابقة في الوركاء ، وأنه قد أحدث ثورة في النقل (٣٢) .

وفي المرحلة الثانية من الوركاء ، بدأ التوصل الى بداية التعبير الكتابي ، الذي انفراد بتقديمه جنوب العراق ، وقد أدى بالتالي الى بداية العصر التاريخي ، هذا وقد بدأت الكتابة في أول أمرها بسيطة عيودها تدوين الانبياء المادية الملونة برسم صورها ، وهذا ما يدعى «بالكتابة التصويرية» ، وقد أخذ القوم ألواح الطين للكتابة عليها ، وهي طرية يقيم من قصب أو خشب ، ورغم أن الطين ظل أهم مواد الكتابة في جميع تاريخ العراق القديم ، غير أن الكتابة بقلم من قصب أو خشب سرعان ما تطورت الى كتابة على الأحجار أو المعادن ، بالندح أو النقش ، كما تطور الشكل الصوري باستخدام علامات لتعبير عن المعاني المجردة ، وقد تحولت الكتابة الى علامات تنتهي بما يشبه المنثبات أو المسامير ، ومن هنا كانت تسميتهما باسم «الكتابة المسامية» (الاسفنجية) ثم استخدمت مقاطع صوتية لكتابة الكلمات والأجمل ، بعد تقسيمها الى مقاطع ، وقد وصلت الكتابة الى بداية المرحلة الصوتية في أواخر عصر الكتابة ، كما أثرنا آنفا .

هذا وقد شهدت هذه المرحلة تطورات حضارية هامة ، وخاصة في مجال العمارة الانديفية ، التي تميزت بالمعابد الضخمة ، التي أقيمت فوق مطاب صناعية من عدة طبقات هي أصل «الأزاقورات» التي وجد لها نموذج في الحفير ، وكانت العمارة تقوم من قبل على كوخ القصب الذي

(٣٢) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ١٢٧ - ١٢٨ ، وكذا .

M. Mallowan, Op. Cit., P. 361.

V. Child, Op. Cit., P. 149, 161.

ظل طويلا يمثل المسكن ، ثم استبدل بالنمجة للمعبود ببيتهم اللبن يقوم على أساس من الحجر ، وقد استعير من هذا المبنى في الوركاء بحوش له جدران تزينها أعمدة وأنصاف أعمدة ، وبها زخارف في مخاريط قنارية مدهونة باللون الأحمر والأزرق والأبيض ، ويقوم بالقرب من معبد المعبد برج ضخم هو «الزقورة» (كبرج بابل المشهور ، وبرج أور المقير ، وبرج بورتسا المسمى الآن برنس نمرود وبرج عقروكوف) ، وكان يعلو الزقورة معبد صغير يشيد فوقها مثلث ، على جدرانه صور ملونة تمثل حيوانات ، وتعد هذه الصور أقدم صور جدارية ، هذا وكان يرقى إلى قمة البرج بسلاسل لكل طبقة^(٣٣) .

هذا وقد بدأ المجتمع الزراعي منذاً وآخر عصر الوركاء (أو منذ بواكير العصر الكنتابي الجديد) يصيغ بصيغة مدنية ، نشأت فيه بلدان أو مدن صغيرة ، تطورت عن القرى الكبيرة ، وامتازت عما يحيط بها من أراضي الزراعة والتفري العسادية ، باتساع عمرانها اتساعاً نسبياً ، وبأهمية معبدها وقصور حكامها ، وكفاية صناعاتها وفنائها ، وباتساع مجالات الانتاج وفرض التشجيع فيها ، وأن ظل ذلك كله فيحدود نسبية بطبيعة الحال^(٣٤) .

(٥) حضارة جمدة نصر :

تنسب هذه الحضارة إلى نل صغير ، على مقربة من مدينة «كيش» القديمة ، وقد عثر على نماذج لهذه الحضارة في الوركاء والعقير وثل أسمر وآور ونروباك وثل العبد وتوبلياسي ، ويميز هذه المرحلة تطور فن البناء والنحت والكتابة ، ويعد المخطط الثاني من هذه المرحلة الحضارية أقرب إلى العهد التاريخي منه إلى عهد ما قبل الأسرات ، وهو

(٣٣) نجيب صديقي : المرجع السابق ص ٦٦ - ٦٧ ، ص ٦٨ :
المرجع السابق ص ٦٦ ، ٦٨ .
(٣٤) ص ٣٧٧ : المرجع السابق ص ٣٧٧ .

يقابل في مصر المرحلة الأخيرة من عصر جزيرة ، وقيام مملكتي الصعيد والثلث^(٢٥) .

هذا وتتمثل العمسارة الدينية لمرحلة جمدة نصر بشـكل واضح في «المعبد الأبيض» الذي أقامه أصحابه لمعبودهم «آن» (أنو) إله السماء . فوق تل هناعي يرتفع نحو ١٢ مترا عن مستوى السهل المتدحوله ويشرف عليه ، وسرورا جوانب هذا التل بسور ذي مشكاوات ، واعتبروه — فيما يحتل — بديلا عن أمثال سطح معبد اريدو ، أو عم اعتبروه على الأرجح ، نموذجا لأصله المبلى القديم ، نو كان يؤدي إلى سطحه طريق «اند» ، ودرج طويل يفي جزء منه ، وتوسط المعبد الأبيض سطح التل ، واستتملت جدرانها عتبة المستطيل (٧٤ × ٥٠ قدما) وتشكلت على هيئة مشكاوات متتالية ، تتعاقب في كل منها عدة مستويات داخلية ، وقد بريت بالطين كالمادة ، ودعمتها غنوق تطل قصيرة ، ثم كسيت بملاط أبيض ، وتوسطت المعبد مقصورتها الرئيسية ، وتضمنت في داخلها عنصرها الرئيسين ، وهما المذبح ومائدة القربان ، ولكن مذهبها تميز بأنه كان ذا درج ، وبلغ ارتفاعه نحو أربعة أقدام ، وجاور مائدة القربان فيها موقد منخفض نصف دائري ، وأحاطت بالمقصورة بضع حجرات قممت بينها جدران ذات مشكاوات .

واستمر تل هذا المعبد باقيا حتى انحوت أسوار معبد «آن» (أنو) الكبير في العصور الهلنستية ، أي بعد بداية البناء فوقه بسدود ثلاثين قرنا نو قد يعنى ذلك أنه كان يرتبط بقداسة خاصة عند أهله أدت بهم إلى المحافظة عليه^(٢٦) .

وهناك أيضا من مرحلة جمدة نصر بعض المعاني الدينية المبكرة في شرم أرض بابل شرقا ، وتتمثل في الطبقات الخمس المبكرة لمعبد إله

(٢٥) يجب ملاحظة : المرجع السابق ص ٦٧ ، طه باقر : المرجع السابق ص ٧٠ .
(٢٦) ١٣٦١ = ١٣٦٠ : المرجع السابق ص ٣٨٢ .

اللقمر «سن» في خفاجي ، وفي أقسدم طبقات معبد الآله آنو في «قل
أسمر» (اشنونا) ، ويتبين من الطبقة الأولى لمعبد سن في خفاجي أن
«خطه يشبه إلى حد ما المعبد الأبيض في الموركاء» ، ويمكن أن نطالع
فيه السمات الأساسية للمعبد في جنوب العراق ، هو هي الغناء المستطيل
الذي يقع الهيكل في نهايته ، وتطل عليه حجرات جانبية ، غير أنه لم يبق
فوق منصة عالية ، وأصبح — فيما تدل مبنى الطبقة الخامسة — عبارة
عن بيت لمسكني المعبود ، أسوة بمنازل البشر التي تجاوره .

وفي اشنونا كشف عن بقايا معبد «آنو» في طبقات يرجع أقدمها إلى
نهاية مرحلة جمدة نصر ، وهي لزار صغير ذات تصميم دشوء ، ربما
بسبب ضيق المساحة التي أقيم عليها بين منازل القوم ، وإن كانت الطبقة
التالية — وترجع إلى بداية العصر التاريخي — تشير إلى إعادة التخطيط
على غرار معبد خفاجي ، ويذهب المرحوم الدكتور عبد اللطيف إلى أن
اقامة معبد خفاجي وشنونا بين المساكن ، وعدم تنييدها فوق منصة
عالية ، ربما بسبب طبيعة الأرض التي أقيمت فوقها المعبد ، وهي أكثر
ارتفاعاً ، وبمنجاة عن خطر الفيضان الذي يتعرض له — عادة الأرض
الخفضية في جنوب العراق — هذا خلا عن تقارن مدى قوة العقيدة في
المعبد بين أهل الجنوب وسكان النخوم الشرقية ، الأمر الذي تشير
إليه البناي الدينية بوضوح (٣٧) .

هذا ويتميز غفار جمدة نصر بأنه مصنوع على عجلة الفخار ، وهو
جيد الأحراق والمصقل ، ومن أحجام مختلفة . وأغلب آنيته ذات شكل
كروي منتفخ ، ولها قواعد مسطحة أو مقوسة . وقد زودت فوهاتها في
بعض الأحيان بسدادات من الفين ، قد شملت زينة الجزء العلوي من
الأناء ، بما فيه الرقبة . وذلك بأشكال هندسية سوداء وحمرات فنية

(٣٧) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ١٤٦ - ١٤٧. انظر
مورنجات : الفن في العراق القديم - مرحلة عيسى سبيل وسليم النكري -
بغداد ١٩٧٥ ص ٦٩ - ٧١ ، ركزاً

H. Frankfort, Op. Cit., P. 23

أرضية فاتحة اللون ، أما باقي البناء فلا تتجاوز زينتته ملاؤه بلون أحمر أو مائل إلى الحمرة (٢٨) .

وقد انتشر فخار جمدة نصر في جنوب العراق ، في أور والوركاء وكيش وتل الحجير ، وفي التخوم الشرقية في خفاجي وتل أسمر ، كما امتد إلى منطقة كركوك ، وربما امتداده — عن طريق التجارة على الأرجح — إلى ألتاي بعيد في الشمال ، ذلك لأن أقدم فخار نينوى إنما يشبه فخار جمدة نصر ، في تركيبها باشكال هندسية ، وتلون بنون أحمر أو بني قائم فوق أرضية فاتحة ، وربما انطبق هذا على موقع «تبة جاورا» ، وربما موقع طول الثلاث وتل الخيراك ، وإن قد ساد العراق الشمالي في أخريات عصر جمدة نصر ، وبداية العصر التاريخي في الجنوب ، فخار نينوى (٢٩) .

هذا ولقد قدم عصر جمدة نصر كثيرا من نماذج النحت على الحجر ، والتي تلتقى بعضها من أهواء على الفكر الديني والسياسي المبكر في العراق القديم في أخريات عصور ما قبل التاريخ والانتقال إلى بداية تعصور التاريخي ، ومن هذه النماذج وأمثعها ، ما أطلق عليه «البناء النذري» ، وهو آنية أمطوانية من المرمر ، محفوظة الآن في المتحف العراقي في بغداد ، وقد شيدت مسطوحها إلى ثلاثة صفوف ، وظهرت المعبودة «إماء» في صفها الأعلى يسدّد غطاء رأسها على ظهرها وكشفيها ، وتنتدّر بنوب طويل أو شال وأسع ، وتجمع بيسراها مجامع ثوبها ، بينما ترتفع يفتاها ليبارك بها سلة فاكهة قدمها إليها أحد كهنتها العراة ، وتلاها

(٢٨) خرج بسمّة جي : بحث في الفخار — صناعته وأنواعه في العراق القديم — مجلة سومر ، العدد ٢١ لسنة ١٩٦٥ من ٢٤ — ٢٥ ، وكذا : S. Lloyd and F. Sumer, Op. Cit., P. 151.
H. Frankfort: The Last Predynastic Period in Babylonia, C.A.B. 1, P. 1 & 2, Cambridge, 1973, P. 81.

(٢٩) خرج بسمّة جي : المرجع السابق ص ٢٤ — ٢٦ — وهذا
Abu-Al-Suof, in Sumer, 23, 1967, P. 310, 311, 1971, P. 6-4
وانظر : محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ١٤٨ — ١٤٩ .

تصوير رمز معبدها (النباتي ؟) ومجموعات الهدايا الفاخرة التي قدمت اليه ، ثم رجل وامرأة بملابس طويلة ، وشعر مرسل طويل (أو غطاء رأس طويل) يصعدان مسطحي المعبد المسورين ، وشغل الصف الثاني من نقوش الآنية عدد من الكهنة العراء حاملين القرايين ، بينها صورت في صفها الثالث مجموعة كباش ونعاج ونباتات ، وعبرت صور الكباش فيها عن الانواع الثلاثة في عصرها : همتها كباش أفقية القرون ، ومنها مرتفعة القرون ، وكلها كباش قصيرة الذبول ذات طبقات سمكة تحت رقابها وفي مقدمات صدرها ، ولا تزال نقوش هذه الآنية تعتبر خير نقوش أوائل عصرها ، بل ولم يعثر بعد على ما يداني نفوسها في آثار عدة قرون تالفة لها من الألف الثالث قبل الميلاد^(١٠) .

وهذا لوح «هيد الأسود» : وهي من حجر الجرايت الأسود ، وقد تحطم طرفاه العلوي واليسلي ، وتضم اللوحة منظرين ، الواحد وهو الأسفل ، يصور فيه الفنان مثالا ، يجذب وتر قوسه الكبير ، ليطلق سهمًا على أسد سبق أن أصابته سهامه ، وأسفل هذا الاسد يوجد أسد آخر صرعه سهم هذا المقاتل ، هذا إلى أن هناك خلف هذا المقاتل أسدا ثالثا صرع بهذه السهام . ويمثل هذا المقاتل بالزى والسمات المميزة للملك أو البطل ، فهو يرتدي زيا كاسيا يصل إلى أسفل الركبة ، ويشد خصره حزام عريض ، وله لحية كثيفة وشعر خيزر ربط بالتمريط الذي يتبسه العقال ، ويدور حول الرأس فوق الجبين ، وأما المفطر الثاني ، وهو الأعلى ، فيصور نفس المقاتل ، على الأرجح فهو يمثل بنفسه الزى والسمات المميزة ، ويسمى برمح طويل بذاهب لخصه في عنق أسد يتبذوه مهاجما .

ويذهب «هنري فرانكفورت» إلى أن المادة التي صنع منها لوح هيد الأسود هي الجرانيت ، وقد جلبت إلى التوركاء من منطقة خارجية : لاقتفار جنوب العراق إلى هذا النوع من الحجر ، ولكنه يتساءل عن

(١٠) عبد العزيز صالح المرجع السابق ص ٢٧٢ - ٢٨٠ .

الهدف من تسجيل صيد الأسود ، وهل هو لتخليد ذكرى الصراع مع
البيئة في جنوب العراق ، وتهيئة للاستقرار ، ثم التطور الى مرحلة
المدنية ؟ فضلا عن جهود طبقة الحكام الاوائل ، ذلك يؤكده حور المقاتل
في اللوحة بزي وسمات الحاكم أو البطل ، وتذين أراد الفنان أن يعبر
عن بأسهم في مواجهة الحيوانات الضارية ، وكفاحهم الشاق في سبيل
تأمين الحياة في بيئتهم ، وإن لم ينجح فنقش اللوح في تصوير النمب
الجمجمة السيمة لهذين الرجلين (وربما نفس الرجل المقاتل) ، وإن
نجح الى حد ما في التعبير عن حركة أذرعهما خلال إطلاق القوس
وتصويب الرمح ، وصورهما بألف أثنى بعض الشيء^(١١) .

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة الى ازدياد مجالات المصلات
الخارجية في عصر جمدة نصر في هذه الفترة ، والتي امتدت حتى مصر
وبلاد السند ، وأكبر الظن أن الطريق البحري إنما كان هو الطريق الذي
استخدم في تلك اتصالات ، ولعل الايام تكشف لنا في المستقبل عن آثار
المحطات الحضارية التي كان على الدفن أن تتوقف عندها في سواحل
عمان وحضرموت والبحر الأحمر .

على أنه من الجدير بالإشارة الى أن هناك من هذه الفترة مؤثرات
حصارية من العراق القديم ، لم يكتشف بعض عن مؤثرات مصرية في
بلاد النهرين تنتمي الى نفس الفترة ، ويعمل البعض ذلك بسبب صعوبة
الملاحة من البحر الأحمر الى البحر الأبيض بسبب التيارات البحرية
الشديدة في منطقة باب المندب ، غير أن اتصالات البحرية البشرية
الحامية ، فضلا عن الحيوانات الضارية مع شرق أفريقيا ، وخاصة
مناطق الصومال ، في طلب البخورا للآزم بلطقوس الدينية المصرية ، إنما

(١١) محمد عبد الحليم : المرجع السابق ص ١٥٦ : عبد العزيز
صالح : المرجع السابق ص ٢٨٠ وكذا

H. Frankfort, The East Pre-dynastic Period in Babylonia, CAH, I, Part,
2, P. 87-88.

H. Frankfort, The Art and Architecture of The Ancient Orient, P. 33-34.

تؤكد قدم تلك المصلات التي استخدمت فيها تطرق البرية والبحرية ، هذا إلى جانب أن حقيقة الاتصال بالصومال إنما ينطبق أيضا على تلك المحيطات الساحلية في شرق وجنوب شبه الجزيرة العربية : فضلا عن سواحل البحر الأحمر ، للوصول إلى حل نهائي للمسئلة^(٤٢) .

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى تلك المصلات التي كانت بين مصر وجنوب العراق فيما قبل عصر التأسيس وانقائه ، فقلد أشار كثير من الباحثين إلى وجود مصلات تجارية وحضرية بين البلدين ، اعتمادا على مجموعة الأواني الفخارية ذات انصباير المثلثة ، فضلا عن ذات الأذان المثلثة في المستجدة والبدرى ، بمحافظة أسجوط ، والتي تنتمي إلى حضارة جمدة نصر ، هذا إلى جانب الاختتام الاسطوانية الأربعة التي عثر عليها في «جرزة» بمحافظة الجيزة ، وفي نجع الدبر بمحافظة سوهاج ، والتي تنتمي إلى حضارتي الموركاء وجددة نصر في العراق القديم^(٤٣) .

(٤٢) رشيد الخاضوري : المرجع السابق ص ٢١٥ .

(٤٣) رشيد الخاضوري : المرجع السابق ص ٢١٠ - ٢١١ ، وكذا :

H. Kantor, Further Evidence for Early Mesopotamian Relations With Egypt, JNES, XI, P. 239 F.

J.E.S. Edwards, CAH, I Part, II, 1971, P. 42-43

H. Frankfort, Op. Cit., P. 101

الباب الثاني

المسومرون

الفصل الأول

قصة الملوфан

(١) قديم :

من المعروف أن بداية العصر التاريخي في مصر ، إنما تختلف عنها في العراق القديم ، ذلك لأن بداية التاريخ المصري القديم إنما كانت منذ توحيد مملكتي الصعيد والدلتا في دولة واحدة ، ذلك لأن المصادر المصرية إنما قد اعتبرت الملك «نعرمر» (عنا - هينا) على رأس الأسرة الأولى المصرية ، فهو - كما تصوره آثاره - قد لبس انتحاج الأبيض لمصر العليا (الصعيد) على أحد وجهي لوحته المشهورة (لوحه نارمر) بينما نراه على الوجه الآخر - وكذا على رأس ديوس له نفس الأهمية - يضع على رأسه التاج الأحمر لمصر السفلى (الدلتا) ، ومن الواضح أنه أول ملك يفعل ذلك في تاريخ مصر كله (١) .

وعكذا بدأ العصر التاريخي في مصر (حوالي عام ٣٣٠٠ ق.م) ، ذلك لأن مصر إنما كانت قد بدأت تعرف الكتابة ، وأخذت تسجل حوادثها المختلفة على آثارها ، ومن ثم فقد أصبح اعتمادها الأكبر على ما خلفه المصريون القدماء أنفسهم مسطوراً على آثارهم (٢) .

على أن الأمر في العراق إنما هو جسد مختلف ، حيث يبدأ العصر التاريخي بحادث الطوفان المشهور ، ومن المعروف أن حوادث الجوفانات أو الفيضانات الكبيرة في العراق القديم ، إنما كانت من أهم وأخطر الأحداث التي تعتبر بمثابة البداية للعصر التاريخي في بلاد النهرين .

وفي الواقع فإن حادث الانتقال إلى العصر التاريخي في كل من مصر

١) A. H. Gardner, Egypt of The Pharaohs. Oxford, 1961, P. 405-406.

وكذا
J. E. Quibell, Hierakonpolis, I, 1900, Pl. XXIX, P. 10, 11, 1902, P. ٥١

(٢) محمد بيومي مهران : مصر - الجزء الأول - : لاسكندرية ١٩٨٨
ص ٣٣٣ .

والعراق إنما يعبر عن أصول المفاهيم السومرية من ناحية ، والمصرية من ناحية أخرى ؛ فقد كانت عملية التقلد التي بدائية العصر التاريخي في العراق القديم عملية بيئية بحتة ، وغير مطمئة للإنسان ومضرة ، مما أدى إلى اعتبار هذه الحقبة عماداً تدور حوله الحضارة العراقية القديمة ؛ بينما كان حادث الوحدة السياسية في بداية التاريخ المصري القديم ، مؤكدة لاستقرار الإنسان وأطمئنته ؛ فضلاً عن توطيد كيانه السياسي ، وتكوين وتشكيل مدنيته على ذلك المفهوم الواضح طوال العصور الفرعونية .

على أن هناك ظاهرة مشتركة بين مصر والعراق في مرحلة الانتقال إلى العصر التاريخي ، وأعني بذلك أن توصل إلى التعبير بالرموز ؛ فالكتابة وسيلة اتصال بين الأفراد والجماعات في كافة المعاملات التجارية والخاصة ؛ فضلاً عن تحرير الوثائق الحكومية وتنظيم شؤون الدولة ؛ وقد توصل الإنسان في كل من مصر والعراق إلى هذه الظاهرة الفكرية الهامة ؛ واختراع الكتابة المصرية ، الهيرغليفية في مصر ، والمصرية السومرية في العراق القديم (٣) .

وتدل من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن حصص الطوفان الكبير الذي أهلك البشرية ، إنما تكاد تنتشر انتشاراً واسعاً في جميع أنحاء العالم منذ زمن جد طويل ؛ وهكذا انتشرت الروايات عن الطوفان في كثير من مجتمعات الشرق الأدنى القديم ؛ وفي الهند وبورما والصين والملايو وأستراليا وجزر المحيط الهادئ ، وفي مجتمعات الهنود الحمر (٤) ؛ وطبقاً لدراسة «جيمس فريزر» فقد انتشرت قصص الطوفان في قارات : آسيا وأستراليا وأمريكا الشمالية والوسطى والجنوبية — فيما قبل العهد الأوروبي — ولكنها قليلة نسبياً في قارة أوروبا ، وأقل منها

(٣) رشيد الناصوري : جنوب عربي آسيا وشمال أفريقيا - الجزء الأول - بيروت - ١٩٧٧ ص ٢٢١ - ٢٢٢ .

(٤) E. Sellbergz. The Flood. London. 1963. P. 11

في أفريقيا (٥) *

على أن قصص الطوفان — رغم كثرتها وبسعة انتشارها — فأنها تختلف فيما بينها اختلافا كبيرا ، فضلا عن أن قسما منها أساطير ، وضعت وضعها لتفسير بعض العوارض الأرضية كالمخفضات الواسعة في البلاد التي وضعت فيها تلك الأساطير (٦) ؛ هذا إلى جانب أنه ليست هناك رواية واحدة أصيلة عن الطوفان الكبير دونت في أفريقيا ، فمثلا ليس هناك من أثر لهذه القصة في الأدب المصري القديم — وهو موضحا ريب أهم الآداب الإفريقية وأكثرها أصالة دون منازع — *

ولما رواية الطوفان في «غينيا الشمالية» فهي أسطورة أكثر منها قصة ، اختلطت فيها الخرافات بالأميزات ، حتى بات من الصعب علينا مقارنتها بنيرها من قصص الطوفان ، فضلا عن أنها نزلت إلينا عن طريق المبشرين الأوروبيين ؛ حتى أصبحنا غير قادرين على إرجاعها إلى أصول غينية أو أوروبية ، أضف إلى ذلك أن هناك رواية أخرى يزعم أصحابها أن الرجال قد ذهبوا — بعد الطوفان — إلى غرود ، كما تحولت النساء إلى سحالي ، وأن ذيل القرد هو بندقية الرجل ، الأمر الذي يدل بوضوح على مسدى التأثير الأوروبي الحديث في هذه الأسطورة الإفريقية عن الطوفان ؛ كما أن الروايات التي اكتشفها الكتاب الألمان عن الطوفان تكبير بين سكان أفريقي الشرقية ، ليست سوى روايات مختلفة لقصة الطوفان في الكتاب المقدس ، والتي تسربت إلى هؤلاء البدائيين عن طريق المبشرين من النمساوي (٧) *

ومن المدهي أننا لن نناقش هنا كل القصص والأساطير التي دارت

(٥) جيسس فريزر : الفنتازيا في العهد القديم — ترجمة توفيق الحكيم
ومراجعة حسن طافلا — القاهرة ١٩٧٢ ص ٩١ — ١١٩ .
(٦) منه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة — بغداد ١٩٥٥
ص ٤٦٠ .
(٧) جيسس فريزر : المرجع السابق ص ٢٠٦ — ٢٠٧ .

حول الطوفان الكبير الذي أغرق العالم وقت ذاك ، ولكننا سوف نقتصر على دراسة قصة المادوفان في المصادر السومرية والبابلية في روايات ثلاث رئيسية تتشابه في مخطوطاتها العمة ، وفي كثير من تفاصيلها ، وأول تلك الروايات نسخة مدونة في السومرية يسمى بطلها «زيمودرا» الذي أنقذ البشرية من الفناء أثناء الطوفان العظيم ، الذي عم الأرض جميعها ، غيما يهتد الأدميون ، وجاءت القافية في ملحمة «جلجاميش» ، حيث قام بطلها المسمى «أوتتايشتم» ببناء سفينة ضخمة حمل فيها ما استطاع من بذور وطيور ومناخ .

ويذهب «جيمس فريزر» إلى أن قصة الطوفان السومرية إنما تنشق في ملامحها الأساسية ، مع قصة الطوفان البابلية ، كما جاءت في ملحمة جلجاميش التي تتميز عن أختها السومرية بطولها وكثرة حواشيها ، ففي كلتا الحكيتين قرر اله كبير أن يهلك الجنس البشري عن طريق أغراق الأرض بالأمطار ، وفي كليهما حذر اله آخر رجلا من حدوث الكارثة ، ومن ثم غدد أنقذ هذا الرجل ومن معه عن طريق سفينة أمر بنائها . وفي كلتا الحكيتين بلغ الفيضان ذروته في اليوم السابع ، وفي كلتا الحكيتين قدم الإنسان أضحيته للالهة بعد أن انتهى الطوفان ، ثم رعبته الالهة بعد ذلك إلى مصافها .

أما الاختلاف الجوهرى الوحيد بين الروايتين ، فيتمثل في اسم البطل في كل منهما ، فهو «زيو سودرا» (Ziusudra) في الرواية السومرية ، وهو «أوتتايشتم» (Utnapishtim) في الرواية السامية ، وأما الرواية الثالثة فهي قصة «أتراخاشيس» (Atrahasis) نسبة إلى اسم الرجل الذي يقوم بدور مشابه لنظيره «زيمودرا» و «أوتتايشتم»^(١) ، ولتحدث الآن عن هذه القصص التي دارت حول

(١) فضل عبد الواحد علي : الأدب - من كتاب حضارة العراق -
الطبعة الأولى : بغداد ١٩٨٥ ص ٣٢٠ - ٣٣٦ ، جيمس فريزر : الخلق
واللهو - ترجمة من ١٩٠٥ .

الطوفان في العراق القديم :

أولاً : قصة الطوفان السومرية

كان الناس يعتقدون حتى أخريات القرن الماضي أن التوراة هي أقدم مصدر لقصة الطوفان^(٩) ؛ غير أن ، لاكتشافات احدثية قد أثبتت أن ذلك مجرد وهم ، حيث عثر في عام ١٨٥٣م على نسخة من رواية الطوفان البابلية ، وفي الفترة فيما بين عامي ١٨٨٩م ، ١٩٠٠م ، اكتشفت أول بعثة أمريكية قامت بالحفر في العراق عن اللوح المينوي الذي يحتوي على القصة السومرية للطوفان في مدينة «نيبور» (نمر) ، وكلن «أرتو بويل» أول من قام بنشره في عام ١٩١٤م ، ثم تبعه آخرون ، وأن كانت ترجمة «بويل» هي الأساس الذي ما يزال يعتمد عليه الباحثون^(١٠) .

هذا يبدو من طبع الكتابة التي كتبت بها القصة السومرية أنها ترجع إلى عهد الملك البابلي الشهير «حمورابي» (١٧٣٨ - ١٦٨٦ ق.م) ، وأن كان من المؤكد أن القصة نفسها إنما ترجع إلى عهد أقدم من ذلك بكثير ، ذلك لأنه في هذا الوقت الذي كتب فيه اللوح لم يكن هناك وجود للسومريين ، بوصفهم عنصراً مستقلاً ، فقد كانوا قد ذابوا في الشعب السامي ؛ هذا فضلاً عن أن لغتهم كانت من قبل قد أصبحت لغة ميتة ، على الرغم من أن الكهنة والكتبة الساميين كانوا ما يزالون يدرسون الأدب القديم والنصوص المقدسة عند النجوم ، والمخطوطة في ثياب تلك

(٩) قدم الباحث دراسة مفصلة عن قصة الطوفان : انظر :
(محمد سومي عيران : قصة الطوفان بين الآثار والكتب المقدسة - لرباط
١٩٧٥) .
(١٠) انظر :

Arne Poebel, in PBS, V, 191٤

PCS, IV, P. 979

وكذا

S. N. Kramer, The Deluge, in ANET, 1966, P. 42-43

G. A. Reamer Sumerian Mythology, Philadelphia, 194٤, P. 97-98

L. W. King, Legends of Babylon and Egypt in Relation to Hebrew Tradition, 1913

T. Jacobsen, in AS, II, P. 58-59.

الاداب ، ويعيدون كتابتها ، ومن ثم فن الكشف عن رواية قصة الطوفان السومرية انما يدعو الى افتراض أنها انما ترجع الى زمن سبق احتلال الساميين لوادي الفرات ، وأن هؤلاء الساميين انما قد أخذوا هذه القصة ، فيما يبدو ، عن السومريين بعد هجرتهم الى وادي الفرات^(١١) .

هذا وتتضمن قصة الطوفان السومرية عدة وقائع هامة ، يتعلق أول ما يمكن تراثه من سطورها بخلق الانسان والنبات والحيوان ، وبأصل الملكية السموى ، فخلا عن خمس مدن ترجع الى ما قبل الطوفان ، ومن أسف أنه من بين النوحات التي تتناول القصة لم يبق سوى لوحه واحد ، وحتى هذه لم يبق منها سوى ثلثها الأخير ، وقد فقدت مقدمه النص ونهايته ، ومن ثم فهو نص غامض في أكثر نواحيه ، وعلى أية حال ، فإن النص انما يتكون في جملته من ثلاثمائة سطر ، لم يشر منها الا على حوالى المئة ، ورغم ذلك فانها تقدم لنا المخطوط الرئيسية للنص .

وعلى أية حال ، فبعد ٢٧ سطر ، تنتهي بمعبود ينير الى أنه سوف ينفذ البذر من العلاك ، وأن الانسان سوف يبني المدن والمعابد ، ويلى ذلك ثلاثة أسطر غامضة ، ربما كانت تتضمن ما سوف يبذله المعبود في هذا السبيل ، ثم الحديث عن خلق الانسان والحيوان ، وربما النبات . . . ثم ٣٧ سطر خاتمة . . . نعرف بعدها أن الملكية هبطت من السماء ، وأن خمس مدائن قد أسست ، ثم ٣٧ سطر ضائعة . . . ربما تشير الى اصرار الالهة على الاتيان بالفيضان وقدمي البذر ، وحين يصبح النص مفروا نجد بعض الالهة غير راخين ، رتجناهم المتعالة بسبب القرار القاسي ، ثم نلتقي ببطل القصة «زيوس ودرا» الذي يوصف بالتقوى ، وبأنه ملك يخاف الآله ، وينكب على خدمته في تراخ و«نوع» وبطلان النظر الى المكان المقدس ، وهو يقيم بجوار حائط .

(١١) جيمس هربزر : المرجع السابق ص ١٠٣ .

يستمع منه أى صوت معبوده «أنكى» الذى أحبره بالقرار الذى اتخذوه
مجمع الامة بارسال انطوفان «لاهلك بغزة اجنس البشرى» *

ولعل من المؤكد أن ما يلى ذلك تعليقات مبهمة الى «زيوسودرا»
ببناء سفينة هائلة لتغذ نفسه من الهلاك ، غير أن هذا كله ناقص لوجود
كسر كبير فى النوحة ، بما كان يتسفل ٤٠ سطرا ، ومن ثم فنحن ننقل
نحاه من موضوع تحذير الآلهة للإنسان الى موضوع الطوفان ، فيصف
اللوح العاصفة والامطار ، وقد ثارت جميعا ، ثم تستمر الرواية فتقول
«وبعد أن عبت العاصفة المطرة على الأرض سبعة أيام وسبع ليال ،
يكتسح الفيضان فيها الأرض ، ويدفع نفاك قدمه على المياه المضطربة .
ثم يظهر بعد ذلك اله الشمس «أوتو» وهو يسكب الضوء على انحاء
والأرض ، وعندما تشرق أشعة الشمس انسقية ، ويرى «زيوسودرا»
نور ربه ، ويعلم مصقحه ، يخرج من أنفك ويسجد ترب مضجعا له
بفعل وشاة» *

ويلى ذلك كسر يشغل ٣٩ سطرا ، ثم نصف الاسطر الباقية كيف
نفث الآله روح الخلود فى «زيوسودرا» مستقرا بأرض دانون ، حيث
تشرق الشمس ، أى حيث النقرة القاهرة بالموت : دلون التى هى مركز
الخلق فى الأساطير السومرية ، حنة الخلد : «أرض دانون مكان طاهر ،
أرض دلون مكان مقدس ، ثم يوصف «زيوسودرا» بعد ذلك بأنه
«شخص الذى حفظ على سلامة الجنس البشرى» *

ويحتمل من سياق لوح صغير أى «زيوسودرا» كان قد تنقلى الحكمة
عن أبيه «شوربات» بن «ابار - توتو» أحد ملوك ما قبل انطوفان ، وقد
كرر فى وصاياه نولده أن يتقبل نصائحه ، وأن يعمل بها ، وأن لا يضيع
عنها (١٣) *

(١٢) صمويل نوح كريمر : أساطير العالم القديم - ترجمة محمد
عبد الحميد ، ومراجعة عبد الحى أبو بكر - القاهرة : ١٩٦١ ص ٩٧ .

ولعل سائلا يتساءل : أين دلون هذه التي تحدثت عنها قصة الطوفان السومرية ؟

في الواقع أن العلماء مختلفون حول موقع «دلون» السومرية هذه ، فذهب فريق إلى أنها في الجهة الجنوبية الغربية من بلاد فارس (أي الجزء الشرقي من ساحل الخليج العربي) ، على أن هناك وجها آخر للنظر يذهب إلى أنها منطقة وادي السند ، بينما يذهب وجه ثالث للنظر إلى أنها سهول العراق الكائنة إلى جنوب بابل ، بل إن هناك وجها رابعا للنظر يذهب إلى أنها في القسم الشرقي من شعبة جزيرة العرب ، في المنطقة فيما بين «مجان» و «بيت نيسافو» * .

على أن جمهرة المؤرخين إنما يتفقون — أو يكادون — على أن موقع «دلون» إنما هو جزيرة البصرين الحالية ، أو جزيرة البصرين والساحل المقابل لها (١٧) * .

صربيل روح كريمة : من ألواح سومر : ترجمة طه باقر ، ومراجعة احمد فخري — القاهرة ١٩٥٧ ص ٢٥٢ — ٢٥٩ ، جيس فريزر : المرجع السابق ص ١٠٢ — ١٠٥ ، رشيد الناصوري : المرجع السابق ص ٢٢٢ — ٢٢٤ ، محمد بيومي دهران : قصة الطوفان بين الآثار والكتب القديمة — الرياض ١٩٧٥ ص ٣٨٥ — ٣٨٨ ، محمد عبد القادر : قصة الطوفان في ادب بلاد الرافدين — القاهرة ١٩٦٥ ص ١١٠ — ١١٤ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٣٩ ، وكذا

E. O. James Mythes et Rites dans le Proche-Orient Ancien, Paris, 1960, P. 247.

F. Moulayrol et J. M. Aynard, La Mesopotamie, Paris, 1968, P. 54-59.

W. G. Lambert, Babylonian Wisdom Literature, Oxford, 1961, P. 97-101.

S. N. Kramer, The Deluge, in ANET, 1962, P. 42-44.

S. N. Kramer, Sumerian Mythology, Philadelphia, 1944, P. 97-101.

S. Langdon, Sumerian Mythology, 1930, P. 206-208.

(١٣) محمد بيومي دهران : المرجع السابق ص ٣٩٠ : جون الدر ، (١٤) دار التراث — ترجمة عزت زكي ص ٢٠ ، وكذا

J. Finegan, Light from The Ancient Past, Princeton, 1969, P. 33.

P. B. Cornwall, On The Location of Dilmun, in BASOR, 203, 1946, P. 3-11.

=

وسؤال البداعة الآن : هل هناك من الأدلة من الأدلة الرئيسية في العراق ما يثبت قصة الطوفان السومرية هذه ؟

ليس هناك من ريب — بعد الاكتشافات الحديثة — أن هذه الأدلة الأثرية قد وجدت ، فقد عثر «سير نيوتارد وولي»^(١٥) في حفائره في خرائب «أور» — وعلى تل المقير الخالية على مقربة من محطة القطار في الناصرية ، وعلى بعد ١٦ كيلا شرقي نهر الفرات : ١٩٠ كيلا شمال مدينة البصرة الحالية — وذلك في عام ١٩٢٩م على طبقة من الغرين السميك والرواسب الخالية من الآثار ، فيما بين ٢٠ مترا ، ٣٠ مترا ، فوق مستوى سطح البحر ، وقد اعتبر ذلك دليلا ماديا على الطوفان السومري : نظرا لكثافة تلك الطبقة المرونية ، وتوافقها الزمني التي حد كثير مع البحوث السومرية ، هذا الى جانب أن تلك الطبقة الغرينية انما تقع فوق آثار تنتمي إلى عصر حضارة العبيد ، والتي تمتد عصر ما قبل الأسرات الأولى في جنوب العراق .

هذا وقد اتجه «وولي» بعد ذلك إلى الحفر في موقع بعيد عن «أور» بموالي ٣٠٠ ياردة من ناحية الشمال الغربي للبحر عن مدى امتداد تلك الطبقة الغرينية . وكانت نتيجة الحفر إيجابية : مما أدى إلى القول بوجهة النظر المشهورة في ارتباط تلك الطبقة الغرينية تسمية «بتلوفان» الذي ذكرته الكتب القديمة^(١٦) .

S. N. Kramer, Dilmun, The Land of The Living, in BASOR, ٥٥, 19١4, P. 13-23.

S. N. Kramer, The Indus Civilization and Dilmun, The Sumerian Paradise Land Expedition, Philadelphia, 19٥١, P. 45.

F. Hommel, Grangers, I, P. 23٩.

(1٥) C. L. Woolley, Ur of The Chaldees, London, 193٥, P. 22-23.

C. L. Woolley, Excavations at Ur, London, 196٥, P. 3٥-3٥.

(١٦) وردت قصة طوفان نوح عليه السلام في التقدير في سفر التكوين في الإصحاحات من ٦ إلى ٩ ، وفي القرآن الكريم في سورة الأحقاف (٥٩) - (٦٤) وبقر (٧١ - ٧٣) وهود (٢٥ - ٢٩) ولأنبياء (٧٣ - ٧٧) =

على أن أسندنا الدكتور الناصوري إنما يرى أنه لا ينبغي الجزم بصورة حاسمة في هذا الشأن ، ذلك لأن جنوب العراق القديم قد واجه الكثير من الفيضانات والطوفان ، فهناك أدلة غرينية على فيضان أو طوفان كبير في «شوروباك» (فارة) يرجع إلى نهاية عصر جمدة نصر ، وآخر في «كيش» (تل الاحيمر) ، وهكذا بات من الصعب علينا المقارنة بين تلك الطوفانات ، وأياًها هو الذي يتفق مع قائمة الملوك السومرية ، ونحن فيضان «شوروباك» أكثر قرباً منها على أساس أن تلك القائمة قد أشارت إلى المدينة الأخيرة ، كآخر مدينة قبل حدوث الطوفان ، ولكن في نفس الوقت علينا ألا نستبعد كنية طوفان أور ، ذي الطبيعة السميكة للغاية ، أضف إلى ذلك أن عدم المنور على الطبقة العرينية الموزية في كافة المدن السومرية إنما يدفع إلى الاتجاه باحتمال كون الطبقة العرينية إلى عشر عليها «وونى» في أور ، إنما هي مجرد ترسيب محلي ، ليس له الصفة الشملة^(١٧) .

وهناك من الأدلة أيضاً على حدوث طوفان قائمة الملوك السومرية ، والمكتوبة بالخط السامري بعد عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد^(١٨) ، أو في فترة لا تتأخر كثيراً عن منتصف عهد أسرة أور الثالثة (٢١١٣ - ٢٠٠٦ ق.م) ، وربما قبيل عهد «أوتو هيجال» من أسرة الموركاء الخامسة (٢١٢٠ - ٢١١٣ ق.م)^(١٩) ، ومن كان يبدو أنها نسخ عن قوائم

والمؤمنون (٢٣ - ٣٠) والشعراء (١٠٥ - ١٢٦) والعنكيوت (١٤ - ١٥) ولصفات (٧٥ - ٨٢) واللاهوت (٩ - ١٧) في سورة شوح ، فضلاً عن ذكره في موضع متفرقة عن «السران الكريم» (انظر : محمد بيضوي جهران : دراسات تاريخية في القرن الكريم - الجزء الرابع - بيروت ١٩٨٨ ص ٧٣ - ١٠١) .

(١٦) رشيد الناصوري : المرجع السابق ص ٢٢٥ - ٢٢٦ ، وفي الديباغ : حضارة العراق - الجزء الأول - بغداد ١٩٨٥ ص ١٤٠ ، وكذلك H. W. F. Saggs, The Greatness That was Babylon, London, 1962, P. 34-35.

J. Finigan, Op. Cit., P. 24.

(١٧) S. L. Woolley, Excavations at Ur, London, 1962, P. 34.

(١٨) CAH. I. Part. 2, P. 998, (Chronological Table of The Sumerian Period).

قديمه ، ربما ترجع الى أخريات العبد الاكدي (٢٣٧٠ - ٢٢٣٠ ق م) .
وعلى أية حال ، فانها تتضمن معلومات تاريخية ترجع الى بداية العصر
التاريخي في العراق القديم ، وربما ترجع الى أقدم من ذلك (٢١) .

وتبدأ قائمة الملوك السومرية بقولها : «عندما أُنزِلت الملكية من
السماء أصبحت أريدو مقرا للملكية» ثم تذكر القائمة ثمانية ملوك حكموا
قبل الطوفان في خمس ممدن هي : أريدو ، و «نيندتييرا» (نن المداين
قرب تللو) و «لارك» (لوركاء) و «سبي-ار» و «شورويك» ، وأن
هؤلاء الملوك قد حكموا ٢٤/٣٠٠ سنة ، وأن آخرهم كان «وبار -
نوفو» ، أنه قد حكم في مدينة «شورويك» لمدة ١٨٦٠٠ سنة ، ثم
جاء من بعدهم الطوفان الذي أغرق الأرض ، وبعد زوال الطوفان
هبطت الملكية من السماء ثانية ، وأصبحت كيش مقرا للملكية ، ثم
تعود القائمة مرة أخرى الى ذكر أسماء المدن التي حكمت العراق antiquity
بعد ذلك (٢٢) .

هذا ورغم الارتباك الاسطوري التي تقدمها قائمة الملوك السومرية
كفترة لحكم ملوكها ، حتى بات من الصعب علينا أن نعرضه منها متى
انتهى العصر الاسطوري ، وهنئ بدأ العصر التاريخي ؟ ، رغم ذلك ،
فان الوثيقة ، دونما ريب ، انما تحمل بين طياتها كثيرا من المعلومات
التاريخية الصحيحة ، ومع ذلك ، فما يهمنا هنا وفي الدرجة الاولى ، أن
الوثيقة انما تتحدث بوضوح عن طوفان يفصل بين فترتي حكم ، الواحدة

19) J. Finegan, Op. Cit., P. 29.

S. L. Woolley, Op. Cit., P. 14.

وكذا

(٢٠) انظر عن قائمة الملوك السومرية : (محمد عبد اللطيف : المرجع

السابق ص ٢١٥ - ٢٥١ ، وكذا

S. N. Kramer, The Sumerians, 1970, P. 328-331.

A. L. Oppenheim, ANET, P. 265-267.

وكذا

G. A. Barton, The Royal Inscriptions of Sumer and Akkad, P. 345 F.

J. Finegan, Op. Cit., P. 29-30.

S. L. Woolley, Op. Cit., P. 242-253.

T. Jacobsen. The Sumerian King List. Assyrian Studies. 11, 1979.

سابقة له ، والثانية تالية نه ، تبدأ بتزول الملكية مرة ثانية من اسماء الى كيش ثم الموركاء ، ثم أور ، ولعل في هذا دليلا واضحا على أن قائمة الملوك السومرية إنما تعتبر حادث الطوفان الخطير ، بمثابة كسر في عمية استمرار تاريخ العراق القديم ، من ثم فهو حد فاصل بين عصور ما قبل التاريخ والعصر التاريخي .

ولعل مما تجدر الإشارة اليه أن الأدلة الامرية التي عثر عليها في طبقات مدينتي أريدو والوكاء لتثبت حقيقة ما نصت عليه وثيقة قائمة الملوك السومرية ، من حيث انتقال السيادة السياسية في جنوب العراق بين تلك المدن (٢١) .

هذا ويتمتع «سير ليوفارد وولي» هذا الطوفان — موضوع الحديث طوقانا كبيرا موعا ، لا مفيد له في أي عصر لاحق من تاريخ العراق القديم ، ومن ثم فلهذا غالباً بأذهان الاجيال التالية ، ومعروفا لديهم باسم «الطوفان» صحيح أن هناك في أور ، وفي مواضع أخرى من بلاد النهرين ، أدلة على فيضانات مؤقتة ومحلية ، حدثت في أوقات مختلفة من تاريخ العراق القديم ، وفي بعض الاحيان لم تكن اكبر من نتيجة الأمطار مطلت في منطقة محدودة ، ولكنه صحيح كذلك أن الطوفان الذي وضع نهاية لحضارة العبيد ، إنما ينفق في توقيتته مع التاريخ السومري الذي وصل اليها عن طريق التقاليد ، وأنه بعينه الطوفان الذي تحدث عنه قائمة الملوك السومرية ، وهو الطوفان الذي روته التوراة في سفر التكوين .

على أنه يجب أن لا يفهم أن القصة السومرية صحيحة بحذورها ، صحيح أن الخلفية الحقيقية تاريخية ، ولكنه صحيح كذلك أن التفاصيل قد زخرها المؤلف السومري — وكذا فعل صاحبه العبري — ببيانات وأوصاف تتفق وهدف كل منهما من كتابتها ، فمثلا تقول التوراة أن الماء

(٢١) رشيد الناضوري : المرجع السابق ص ٢٤٧ .

قد ارفع ٢٦ قدمه وهذا — فيما يبدو — صحيح اسي حد كبير كما أن القصة السومرية تصف انسان ما قبل الطوفان بأنه كان يعيش في أكواخ من بوص ، وهذا أمر قد أثبتته الحفائر في العبيد وفي أور بوان نوح — في رواية التوراة — قد بنى فلكه من خشب خفيف لا ينفذ عنه الماء ، ولا يؤثر فيه ، وأنه قد ظلاه من داخل ومن خارج ، وهو أمر قد أثبتته الحفائر (٢٢) .

وهناك من الأدلة أيضا ما حدثنا عنه «سيراينارد وولي» من أنه قد وجد في «أور» أسفل طبقة المبانى السومرية ، طبقة طينية مليئة بقدر من الفخار الملون ، وقد اختلطت بها أدوات من صوان وزجاج بركنى ، وكان سمك هذه الطبقة حوالى ٣ أمتار تقريبا ، أسفل المبانى الطينية التى يمكن تأريخها بحوالى عام ٢٧٠٠ ق م ، وأن أور قد عانت أسفل هذه الطبقة في عصر ما قبل الطوفان ، ولم تجر حتى الآن حفائر على نطاق واسع في هذه المنطقة ، وكل ما أمكن اثباته هو وجود مدينة قبل الطوفان ، وأن الفخار الملون قد اختفى .

ويذهب «وولي» الى أن السبب في اختفاء هذا الفخار الملون الذى كان منتشرا في بلاد الوافدين قبل الطوفان اختفاء تاما ، مرة واحدة ، هو أن الطوفان قد قضى تملما على سكان هذه البلاد ، وغنى من بقى منهم حيا ، فقد فقد القدرة على الانتاج ، فجاء شعب جديد ، هم السومريون ، الى تلك البلاد الخالية ، وأسسوا حضارة جديدة ، وكان قضرهم مصنوعا على دولاب الفخار ، بدلا من الفخار المصنوع باليد ، الذى كان مائدا في عصور ما قبل الطوفان ، كما استعملوا الادوات المعدنية ، بدلا من الصوان (٢٣) .

ولعل سائلا يتساءل : هل كان الطوفان السومري عذا طوفانا عاما أغرق الدنيا كلها ؟ أم كان مقصورا على جنوب العراق ؟

22) Sir Leonard Woolley Excavations At Ur, London, 1963, P. 34-36
(٢٣) محمد عبد القادر : المرجع السابق ص ٩٦ - ٩٧ .

والدراي عند «سبر ليونارد وولي» بأن هذا الطوفان لم يكن طوفانا عابثا عم القوم بأسره^(٢٤) وإنما كان مقصورا على انحوض الأسفل لدمري الدجلة والفرات ، وأنه قد أغرق المنطقة المصالحة للسكنى هناك بين الجبال والمصراة - والتي كانت بالنسبة للسكان الذين يعيشون فيها بمثابة العالم كله - وأن المساحة التي شملها الطوفان ربما كانت (٤٠٠ ميلا طولا ، ١٠٠ ميلا عرضا) وأن الغالبية العظمى من السكان قد أغرقهم الطوفان ، وأن القوم قد رأوا أن هذه الكارثة بمثابة عقاب من الآله بسبب آثام الناس وخطاياهم ، وأن قلة نادرة قد نجت ، وأن رأس هذه القلة قد نظر إليه كبطل للقصة ، وهو هنا «زيوسودرا»^(٢٥) .

ثانيا : قصة الطوفان البابلية

وفي مواقع أن قصة الطوفان البابلية نيت قصة واحدة . وإنما ثلاثة : الواحدة : منحة جلجاميش ، والثانية : قصة بيلوسوس - والثالثة : قصة تراخسييس .

(١) منحة جلجاميش :

لقد قل العالم لا يعرف شيئا عن قصة الطوفان البابلية . إلا من خلال رواية «بيلوسوس» التي كتبت باللغة اليونانية في القرن الثالث قبل الميلاد ، إلى أن عثر «راسام» H. Rassam في عام ١٨٥٣ م على نسخة من رواية الطوفان البابلية في مكتبة الملك «أشور بانيبال» (٦٨٨ -

(٢٤) نرى جمهور الباحثين أن جميع الطوفانات - السومرية والبابلية ، فضلا عن طوفان نوح عليه السلام ، والذي جاء ذكره في التوراة والقرآن العظيم ، إنما كانت خاصة ، ولم تكن عامة ، في جنوب العراق فحسب (انظر : محمد بيومي مهران : قصة الطوفان بين «أنات» و«لكت المقدسة» - الرياض ١٩٧٤ م ، ص ٤٣٦ - ٤٥١ ، دراسات تاريخية من القرآن الكريم - الجزء الرابع - في العراق - بيروت ١٩٨٨ ص ٨٢ - ١٠١) .

25- S. L. Woolley, Op. Cit., P. 35

وكتا W. Keller, The Bible As History London, 1967, P. 50-51.

٦٢٩ ق.م) في العاصمة الآشورية «نينوى» - ترجع إلى القرن السابع قبل الميلاد .

وفي الثالث من ديسمبر عام ١٨٧٢م ، أعلن «سيدني سميث» نهاده في جمع القطع المتناثرة من «ملحمة جلجاميش» بعضها التي بعض .
هذه ربة في انتى عترة - سيد : أو بالاصري نوحا : ومحتوية على قصة الطوفان في لوحها الحادى عشر (٢٦) .

وأما «جلجاميش» هذا ، فهو أحد الملوك الذين ورد اسمهم في ثبت ملوك أسرة الموركاء الاولى ، التى لا تعرف عنها سوى أسماء ملوكها : وقد صار بعضهم - مثل جلجاميش - موضوعا لقصص وملاحم شعرية ، ويرجح العلماء أن هؤلاء الملوك قد حكموا في العراق - في مدينة الموركاء - قبل عصور فجر الامرات أو في بدايتها (٢٧) ، على أنما يستطيع أن نعين تاريخا تقريبا لعهد جلجاميش عن طريق قطعة من المرمر محفوظة الآن في المتحف العراقى ببغداد - وأن كانت مجهولة الاصل - كتب عليها «مى - براج سى» ملك كيتى ، وقد ثبت أنه الملك الذى ونعشرون من أسرة كيتى الذى حارب ضد جلجاميش - خامس ملوك الموركاء - كما تحدثنا أسطورة جلجاميش وأجا السومرية (٢٨) .

وبذهب «شورج روكس» إلى أن «مى - براج - سى» هو أقدم حاكم سومرى معروف لنا ، وإذا ما اعتبرنا أن «البرجون الاكدي» كان يعيش في الفترة (٢٣٧٠ - ٢٣١٥ ق.م) : فانه من الممكن تقدير تاريخ «مى - براج - سى» بحوالى عام ٢٧٠٠ ق.م : كما يمكن اعتبار ذلك التاريخ بداية للعصر التاريخى في العراق القديم ، ومن ثم فإن

(٢٦) جيمس هيربر : المراجع السابق ص ٩٦ - ٩٧ ، وكذا M. F. Unger, Unger's Bible Dictionary, P. 371.

(٢٧) ص بافر : المراجع السابق ص ٤٥٩ .

(٢٨) سبب ميديكل : مصر : الشرق الاقصى القديم - الجزء ١

السادس ص ٢٦٥ - ٢٦٧ ، وكذا G. N. Kienast, ANET, P. 447.

جلجا ميش انما كان يعيش بعد هذا التساريخ بفترة ليست بعيدة على
أية حال (٢٩) .

هذا ويمكن تلخيص ملحمة جلجاميش في السطور التالية ، والتي
يؤلف خير الطوقان جزءا منها : —

بدأ قصة الطوقان ، بعد أن ينتهي جلجاميش من قصته ، التي فقد
في أحيائها صديقه «أنكي دو» ، ذلك أن جلجاميش كان ملكا حكيما واسم
المعرفة ، شجاعا جريئا ، ولكنه كان ظالما مستبدا ، ومن ثم فإن الآلهة
قد خلقت له «أنكي دو» ليدفع عن الناس ظلمه ، غير أن الصراع بينهما
لم يحسم في مصلحة واحد منهما ضدا لآخر ، ومن ثم فقد تم التصالح
بينهما ، وقام الاثنان بمغامرات كثيرة ، ثم مات «أنكي دو» فجأة ، فحزن
جلجاميش لفقده ، ثم أسلمه الحزن الى المرض ، وظل خائفا يتربص
مصيره المخوف ، وإن كان في الوقت نفسه بدأ يفكر في وسيلة ينقذ بها
عائلة الموت ، وهكذا هداه تفكيره الى البحث عن جده «أوتنابيشتم» بن
(وبار — نوتو) ليسأله عن كيفية إمكان أن يكون الإنسان الفاني مخلدا ،
فقد كان على يقين من أن «أوتنابيشتم» على علم بهذا الامر ، ذلك لأن
الآلهة قد رفعت ألى مصافها ، وجعلته يسكن بعيدا في مكان ما ، متمتعا
بنعمة الخلود .

ويتحمل جلجاميش من أجل تحقيق بغيته هذه رحلة مضيئة خطيرة ،
يلتقى في أثناءها برجل وامرأة في شكل شعبانين يحرسان جبلا ، فضلا عن
اختراجه طريقا مغزعا عظاما ثم تطلوه قدما انسان من قبل ، ثم يعبر بحرا
مترامى الاطراف ، وأخيرا يلتقى بالحدى الآلهات فيطلب منها أن تدله
على مكان جده «أوتنابيشتم» ولكنها — وقد علمت هدفه — تدرى اليه

(٢٩) محمد ابو الحسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم
ص ٢٤٩ — ٢٥٠ ، وكذا

Sir Leonard Woolley, Op. Cit., P. 1٤.
George Rux, Ancient Iraq, 1980, P. 1١9-120.

النصح قائلا : الى أين تسمى يا جلجاميش ، ان الحياة التي تبغى لن تجدها ، ذلك لان الالهة لما خلقت البشر جعلت الموت من نصيبهم . واستأذنت هي وحدها بالخلود : امكن مبهجا ليل نهار ، ولتجعل كل يوم من حياتك يوم فرح وحبور وذلك الطفل الذي يمسك بيدك ، أدخل السرور الى قلب المرأة التي في أحضانك ... فهذا هو نصيب البشر ، ومع ذلك فان جلجاميش يصر على سؤاله ، فلا تجد الالهة الا أن تجيبه الى ما يريد .

ويلتقى جلجاميش بجده «أوتتا بيشتم» فيطرح سؤاله عن كيفية تحقيق الانسان للخلود ، وهنا يجيبه «أوتتا بيشتم» : هل ينوينا بيتا يقوم الى الابد ؟ هل عقدنا عهدا على أن نستمر الى ابد الابد ؟ لم يكن هناك خلود منذ القدم ، ما أعظم التشبه بين الميت والنائم ، ألا تظهر على وجهيهما هيئة الموت ؟ ، وهكذا مصير السيد والعبد حتى ينفى أحدهما في هذه الدنيا .

وحين يتعجب جلجاميش من هذه الاجابة من شخص كان هو نفسه انسانا قانيا ، ثم أصبح مخلدا فيما بعد ، كان على «أوتتا بيشتم» أن يشرح له كيف استطاع هو نفسه أن يهرب من الحير المحتوم لكل انسان فقص عليه قصة الطوفان الكبير التي تجرى على النحو التالي :

قال أوتتا بيشتم لجلجاميش : سوف أكتشف لك يا جلجاميش عما خفى من الامر ، سوف أخبرك بسر الالهة ، «أوروبات» مدينة أنت تعرفها على ضفاف الفرات ، هي مدينة قديمة قدم الالهة التي أنت بها ، عندما انتوت الالهة احدث الطوفان ، كان من بينهم «أنو» أبوهم : و«إنليل» الشجاع ، مستشارهم ، و«إنينورتا» مساعدهم ، و«إنينوجي» مفتش القرع ، وكان حاضرا معهم «إنيجيكو - أبا» والذي أعاد قوتهم الى كوخ القصب (ربما يعني مسكن أوتتا بيشتم) : يا كوخ القصب ، يا حائط ، يا حائط ، اصغ يا كوخ القصب ، استمع يا حائط ، يا رجن شوروباك ، يا ابن «ويار - توتو» .

أهدم هذا البيت وابن ملكنا ، دح الأملأك وانقذ حياتك ، أهدر ابتاع
ودع الروح حية وأعمد على ظهير أملك بذرة كل شيء حى ، وأملك التي
مستقيها ستتكون أبعادها حسب هذا المقياس ، عرضها مثل طولها ، وأجعل
سقفها كسقف آلايسو (العالم السفلى) : للهيمت وقلت لمولاي «ايا» :
نعم يا مولاي ، أن مسا تأمر به ينرضنى أن أنفذه ، لكن يم أجيب
المدينة : الناس والسيوخ .

فدتح «ايا» غام ، وأجاب شـادمه قائلاً ، لى أنا : قل لهم : علمت
أن الربيع يهـدينى ، ومن ثم فلا أستطيع أن أقيم فى مدينتكم ، أو أضع
قدمى فى أملاك انليل ، ومن ثم فسوف أنزل الى الأعماق ، وأسكن مع
مولاي «ايا» ، وأما أنتم فسوف ينزل عليكم مطراً مدراراً خير
الخير وأندر الأسماك ، وسوف تمتلئ الأرض بمحاصيل كثيرة ووفرة .
ومع أنشق التفجر فجمعت الأرض من حوالى (النص مهشم)
..... وحمى المسار القار ، وجاء البالغون بكل ما احتجنا إليه .

وفى اليوم الخامس أقيمت هيكلها (أى البذينة) ، وكانت أرضيتها
عندنا كاملاً ، وكان ارتفاع كل حائط من حوائطها ١٢٠ ذراعاً ، وطول كل
ضلع من السطح ١٢٠ ذراعاً ، وبنيت هيكل جوانبها وربطتها الى بعضها :
وجعلت فيها ستة أسطح ، قسمتها الى سبعة طوابق ، وقسمت أرضيتها
تسمة أجزاء : ودققت سدادات ألياء بها . وجهزتها بما نحتاج إليه من
المقرون ، وصيبت فى الفرن ست سار (السار = ٨٠٠ جالون) من الفار :
كما صيبت كذلك ثلاثة سار من الأمفلت ، وثلاثة سار من الزيت ، نقله
حاملو السلال ، فضلاً عن سار من الزيت استهلكته القلطة ، كما خزن
الملاح سارين من الزيت ، وذهب نيراناً للناس ، ونحرت عاصمة كل
يوم ، وأعطيت العمان عمير قواكه : ونبيذ أحمر ، وآخر أبيض ، وكأنه
سياء النهر ، لبشربوا وكانهم فى عيد رأس السنة : وقعدت
الدهون ، لوضعها فى يدي .

وأكتمل أملك فى اليوم السابع ، وكان لقارانه الى الله بالغ الشقة ،

حتى أنهم اضطروا إلى دفع الألواح الأرضية من أعلى ومن أسفل ،
حتى أمكن انزال ثشي ميكله إلى الماء ، وحملتها بكل ما عندي ، حملتها
بكل ما لدى من فقه : حملتها بكل ما لدى من ذهب ، حملتها بكل
ما أهلك من الكائنات الحية : وكل عائلتي وذوي قريبي : أركبتهم القلث ،
وكذا حيوان الحقول ووحوشه ، وكل الصناعات أركبتهم معي .

وقد حدد لي «شمس» (شمس) وقتا معينا ، عندها ينزل الموكل
بالمزابع ليلا مطرا مهلكا : أصعد إلى الفلك وأوصد بابه ، وجاء اليوم
الموعود ، وأنزل الموكل بالمزابع ليلا مطرا مهلكا ، وأخذت أرقب وجه
السماء ، وكان منظر العاصفة مهيئا يثير الرعب ، فصعدت إلى الفلك
وأوصدت بابه ، وعهدت إلى الخوتي «يوزور — أموري» بقيادة الفلك :
وبعد جميع متافذه .

ومع انبثاق النور ، ظهرت في السماء عمامة سوداء ، وأرعد «أداد»
من داخلها ، وتقدموا «شولات» و «هانيس» كنذير غرق انكل والسفاح ،
ونزع إيرجال (رجال إله العالم السفلي) الأعمدة (أي الأعمدة الخاصة
بسد العالم) : وجاءت «ذينورتما» وجعلت اسديد تفيض ، وحمل
«أنوتاكي» المشاعل ، وجعلوا الأرض تتسعل نارا ، ووصل الذعر من
«أداد» إلى عنان السماء ، فأحال النور إلى ظلمة ، وانصدعت الأرض
الواسعة ، وكأنها جرة ، وهبت عاصفة الجفوب يوما كاملا بسرعة عنيفة
حتى لحقت الجبال ، وحلت بالناس وكأنها حرب ، فلا يرى إلاخ أخاه ،
ولم يعد الناس يعرفون من في السماء .

وخشي الآلهة الطوفان ، فأجفلوا وصعدوا إلى سماء «أنو» (أعلى
سماء في النظرية العالية عند الأكديين) حيث ربحست كالكلاب على
الأسوار الخارجية ، وصرخت عتقار ، وكأنها امرأة جاءها المخاض ،
وتأهت سيدة الآلهة ذات الصوت الشجي بصوت عال : وامرته . لقد
تحولت الأيام المشؤم إلى طمي ، لأنني لعنت الناس في مجمع الآلهة ،
ولكن كيف ألهم الناس في مجمع الآلهة ، وأعلن حربا للنساء الناس ، بينما

أنا أثني وهبتهم الحياة : انهم يملأون البحر كييخس السمك ، وبكى آلهة «أنوناكي» معها ، وجلس الآلهة جميعا ييكون في ذلة ، وفسد التعمقت سفافهم بعضها ببعض ، واستمرت ربيع الفيضان تهب ستة أيام ومث ليل ، وعاصلة الجنوب تكتسح الارض •

وفي اليوم السابع سكنت عاصفة الجنوب عن الحرب التي شنتها ، وكأنها جيئ من الخباله ، وهذا البحر ، وسكنت العاصفة ، وثوفض الهواءان . وتطلعت الى الجو ، فاذا السكون شامس ، واذا الناس وقد تحولوا الى طين ، واذا الارض قد تشققت وكأنها جرة ، ففتحت كوة وسقط امسوه على وجهي ، فجلست ويكيت وسالت دموعي على وجهي وتطلعت الى الدنيا في عرض البحر ، في كل من الاقاليم الاربعة عشر (الأثني عشر) طلع نجم •

واستوت انفك على جبل نيبير^(٢٠) ، نو امسك جبل نيبير بالنفك ولم يدعها تتحرك ، ويوم ، ثم يوم آخر ، وجبل نيبير يمسك بالسفين فلا

(٢٠) نصف النصوص البابلية القديمة جبل نيبير (نيبزر) بأنه بين الدجلة والزاب الاسفل ، وحيث سلسلة جبال كردستان في شرق الدجلة ، وعلى اي حال ، فهو يمكن توحده بجبل بئر عمر جشرون
وكذا
J. Finegan, Op. Cit., P. 38.
وكذا
W. Kellied, Op. Cit., P. 57.
وكذا
E. Speizer, ASOR, 8, P. 7, 17-18.

ونقل من الجدير بالاشارة الى ان المصادر الاسلامية تكاد تجمع على ان طوفان نوح عليه السلام لما بدأ وانتهى في العراق القديم : فهناك رواية تذهب الى ان القنور انما كان بارض الكوفة ، واخرى تدعي الى انه كان بارض الجزيرة . وثالثة تدعي الى ان سفينة نوح انما بدأت رحلتها من «عين وردة» و «عين وردة» هذه ، فيما يرى باقوت ، اما حي راس عين المدينة المشهورة في الجزيرة فاذا اصف الى ذلك ما جاء في القرآن الكريم من ان «سفينة نوح قد سموت على تجودي - الحدودي جبل يقع شرق جزيرة ابن عمر ، التي بجانب دجلة عند الموصل وان كل هذه الاماكن الثلاثة المذكور انما تقع في العراق ، فمن البدهي ان الرحلة سفينة نوح ، اما بدأت وانتهت في العراق (تاريخ البصري ١٩٠٧ ، الكامل لابن الاثير ٧٠٨ ، نسخة والنيابة لابن كثير ٢١١/١) .

نستطيع حراكا ، ويوم خامس ، ثم يوم سادس ، وجبل نصير يستمسك بالسفين فلا تستطيع حراكا ، فلما كان اليوم السابع أطلقت حماته ، فذهبت وعادت وعز عليها أن تجد مكانا ظاهروا تخط عليه ، ثم أطلقت «سنونو» ، غير أنه عادة إذ تم يكن ثمة مكان طاهر يخط عليه ثم أطلقت غرابا فذهب ورأى الماء يتناقص فلكل وعب ودار ، ولم يعد ، ثم أطلقت الجميع الى الرياح الاربعة ، وضربت وأرقت سكبية على قمة أنجيل ، ونحبت : أقدار ، وعلى مصاف قوائمها كومت القصب وخشب الارز والآس ، فشمت الالهة الرائحة الزكية ، وتكأكات حول الافاضي ، وعندما وصلت سيدة الالهة (عششار) نزلت الجوهرات العظيمة التي لا أنسى حقا عقد اللازورد الذي في عنقي ، فسوف أذكر هذه الأيام ولا أنساها ليتقدم الالهة الى انقربان ، ما عدا «انليل» فإنه لا يتقدم ، لأنه أحدث الطوفان دون روية ، وهذا شمبي الى التهلكة .

ولما جاء «انليل» ورأى الفلك عز عليه ذلك ، وامتلأ غضبا على آلهة «اجيجي» (الهة السماء) ، وقال : هل نجت روح ، ما كان ليشر أن يبقى ، لفتح «نينورتا» فاه ، وقال : من غير «ايا» يقش الخط ، فانه يا «انليل» أيا سئل ، يعلم كل شيء ، وفتح «ايا» فاه ، وقال لانليل البطل : أنت يا أحكم الالهة ، أيها البطل ، كيف تصدت الطوفان دون روية ، على الاتم وزر ائمه ، وعلى المعتدى وزر اعتدائه ، كن رحيما ، والا قطع كن صبوراً ، ولا أقصى

- ليت أمدا هب وقلل من بنى الانسان ، بدلا من أن تأتي بالطوفان .
- ليت ذئبا هب وقلل من بنى الانسان ، بدلا من احداث الطوفان .
- ليت مجاعة هبت وقللت من بنى الانسان ، بدلا من احداث الطوفان .
- ليت طاعونا هب وقلل من بنى الانسان ، بدلا من احداث الطوفان .

سنت أنا الذي أفضيت سر الالهة ، أعظام ، بل جعلت «أثرا حبيسي» (حكيم الحكماء — أوتابيشتم) يرى حلما كثف فيه سر الالهة ، ففرض فيه ما أنت هاض ، وعنك صعد انليل الى ظهر السفين ، وأمسك بيدي

وأخذني إلى ظهرها ، وأخذ زوجتي وجعلها تركع بجانبى ، ووقف بيننا
 لبيزركها ، وقال : لم يعد أوتنايشتم بشراً ، وإنما سيكون وهو وزوجه
 أنسبه بنا معشر الأرياب ، وعلى ذلك أخذ ذونى وأسكتونى بعيداً عند
 مصاب الأنبار ، وتكن أنت يا جلجاميش من يجمع لك مجمع الآلهة ،
 ليعبوا لك الحياة إلى الأبد^(٢١) .

(٢) قصة بروسوس :

كان هناك في النصف الأول من القرن الثالث قبل الميلاد ، وأبان حكم
 المغزاة السلوقيين ، وعلى أيام الملك «أنتيوخس الأول» (٢٨٠ - ٢٦١
 ق.م) على وجه التحديد : أحد كهنة المعبود «مردوك» البابلى ، يدعى
 «بروسوس» (Berosos) قد كتب تاريخ العراق القديم : منذ أول
 الخليقة والطفوفان وحتى عهد الاسكندر المقدونى (٣٥٦ - ٣٢٣ ق.م) ،
 باللغة اليونانية في ثلاثة أجزاء .

ومن ألف أن كتابات «بروسوس» - شأنها في ذلك شأن كتابات
 المؤرخ المصرى «مانيتو»^(٢٢) (٣٣٣ - ٢٤٥ ق.م) - والتي تقدم وجهة

- (٢١) محمد بيومي هنران : قصة الطوفان بين الآثار والتكثبات
 من ٣٩٥ - ٤٠١ : محمد عبد القادر : المرجع السابق من ٩٨ - ١١٠ ط١
 باقر : المرجع السابق من ٤٦٧ - ٤٧٠ ، نجيب عيضايل : المرجع السابق
 من ٣٤٧ - ٣٥٩ : جيمس غريزر : المرجع السابق من ٩٧ - ١٠١ .
 S. Langdon, Semitic Mythology, 1931, P. 210-223.
 E. Gruy, Near Eastern Mythology, New York, 1969, P. ٥7-60.
 S. N. Kramer, The Deluge, in ANET, 1969, P. 42-44.
 S. N. Kramer, Sumerian Mythology, Philadelphia, 194٤, P. 97-98.
 T. Jacobsen, in Assyriological Studies, II Chicago, 193٢, P. 58-59.
 J. Finegan, Op. Cit., P. 32-36.
 E. A. W. Budge, The Babylonian Story of The Deluge and The Epic of
 Gilgamesh, N. Y., 1920.
 A. Heidel, The Gilgamesh Epic and Old Testament Parallels, 1949.
 E. Campbell Thompson, The Epic of Gilgamesh, 1930.
 (٢٢) انظر عن المؤرخ المصرى «مانيتو» (محمد بيومي مؤلفه) :
 مصر - الجزء الاول - الاسكندرية ١٩٨٨ من ٦٥ - ٦٨ ، وكذلك
 W. G. Waddell, Manetho, With an English Translation, Cambridge
 London, 1940 .

المنظر الغومية عثر ربيع العراق القديم . لم تصل ابنسما شاملة ، وكل ما وصافا م ما مفتحات حقها لنا المؤرخين المتأخرون من الاخرقة . ومن حسن الحظ أن هذه الفتحات كانت تحتوي على قصة الطوفان البابلية : والتي تصري أحداثها على النحو التالي : —

في عهد الملك «أكسيوتروس» ، وفي ليلة ما : رأى هذا الملك ، غيما يرى الناس ، أن الآله «كرونوس» يخذله من طوفان سوف يغمر الأرض ، ويهلك المحرث والنسل ، في اليوم الخامس عشر من شهر «ديسيموس» — وهو الشهر الثامن من السنة المقدونية — ومن ثم فإن عليه أن يكتب تاريخ البشرية منذ بدايتها ، وأن يدفن ما يكتبه في مدينة «سييارا» (عق أبو حبة) بلد الشمس ، حتى لا يضييع في طوفان سوف يهدر كل شيء . كما أمره أيضا أن يستمر لذلك ماوي إليه .

ويطلب الأكاديميون ربه عن الكائن الذي يبحر إليه بؤله هذا .
 فغذا به يجيبه «إلى الآلهة» ولكن بعد أن تصلى من أجل خير الناس ،
 ويهدع الملك بالامر ، ويبنى فلاناً طوله مائة وألف ياردة ، وعرضه
 أربع مئة وأربعون ياردة ، يجمع عليه كل أربابته وأصحابه ، ويختزن فيه
 زحاما من اللحم وانسراب ، فغضلا عن المكائنت الحية من الطيور وذوات
 الأربع .

ويغرق الطوفان الأرض : وعندما ينحسر عنها يطلق تلك سراح بعض البحور التي ما تلبث أن تعود إليه ثانية : ثم يطلقها بعد أيام ، فإذا بها تعود وأرجلها ملوثة بطين ، وفي المرة الثالثة لا تعود الطير التي الملك ، ويعلم الملك أن الماء قد انحسر عن الأرض : وينظر من كوثف السخني غيري الشاطئ ، الذي يقبض إليه ، وهناك تسنقر انك عند جبل ، حيث ينزل الملك وزوجه وأبنائه وقائد الدفة .

ويسجد الملك لربه شكراً ، ويقدم القرابين ، ثم يخشى هو ومن معه .
ويبحث الذين ما يزالون في الغلك عن الملك ورفاقه ، ولكنهم لا يجدون

لهم أثرا ، وحين يجدون في البحث عن المختفين يسمعون صوتا يدوى في الهواء ، ويطلب منهم أن يتتوا الآلهة ، ويكفوا عن البحث عن المختفين ، لأن الآلهة قد اختارتهم لكي يسكنوا الى جوارها .

ثم يأمرهم نفس الصوت بالعودة الى بابل ، والبحث عن الكتابات اندفونة هناك ، وأن يوزعوا فيما بينهم ، كما أخبرهم الصوت أن الأرض التي يقفون عليها ، إنما هي أرض أرمينيا ، وهكذا عاد القوم - دون المختفين - الى بابل ، واستخرجوا الكتابات اندفونة في «سبير» ، وشيدوا مدنا كثيرة ، وأعادوا الأرض المقدسة وعمرؤا بابل بنسأهم (٣٣) .

(٣) قصة أنراخاميس :

كشف عن هذه القصة على لوح مهشم في مدينة «سبير» أثناء عمليات الحفر التي قامت بها الحكومة التركية ، ويرجع تاريخه الى حوالي عام ١٩٦٦ قبل الميلاد ، ويطلق القصة هنا هو «أنراخاميس» (أنرام خميس) ، وهي تشير بوضوح الى أن الطوفان إنما كان آخر سلاح تلجأ اليه الآلهة للحد من تكاثر البشر ، بغية القضاء على صخبهم الذي صار يقض مضاجع الآلهة ، ويسبب انزعاجها ، وكان انليل - اله الجو والرياح - هو المعرض على القيام بمسئلة من الاجراءات المتلاحقة لاهلاك البشر ، وقد استطاع انليل في المرة الاولى اقناع الآلهة بانزال الامراض والوبئة بين الناس في جميع أنحاء البلاد ، وقوضت الآلهة «نمتار» للقيام بالمهمة ، وسرعان ما انتشر الوباء في البلاد ، وأخذ يلتهم الناس انفسهما ، وعندئذ استنجد «أنراخاميس» بالله الحكمة «ايا» ليخلص الناس من هذه المحنة فأوصى «ايا» بأن يقوم الناس ببناء معبد ثلاثة «نمتار» وأن يقدموا له اتهدايا والندور ، وعندئذ سوف يرفع نمتار يده عنهم .

(٣٣) جيمس فريزر : المرجع السابق ص ٩٤ - ٩٥ : محمد بيومي مهران : المرجع السابق ص ١٠١ - ١٠٣ .

غير أن الناس سرعان ما تكاثروا من جديد ، وتزايد ضييقهم في
البلاء ، ومن ثم فقد قرر انليل أن يرسل عليهم الجفاف والمجاعة ،
فأمر «ألمره» إلى «أند» أن يحبس المطر ، وإلى «أيا» أن يمنع تدفق
المياه من البفابيح ، وإلى «نيسابا» الهة البخلة «أن تمنع فيض نديهما» ،
كما أمر أن تهب الريح لتفجع وجه الأرض ، وأن تغلب النجوم ، ولكن
دون أن تشهر قطرة من مطر ، وهكذا حلت المجاعة سنوات ست ،

على أن الآله «أيا» سرعان ما تأخذ الشفقة بالناس ، فيسمح بتدفق
المياه من المحيط المثلج ، لأرواء الأرض وتخليص الناس من الجفاف ،
الأمر أنذى كان سببا في غضب «انليل» ، وفي أن يصمم على أن تؤدي
جميع الآلهة القسم لأرسل الطوفان الأعظم ، وتدمير أرض ، ومن عليها
وما عليها ، غير أن الهة الحكمة «أين» الذي عرف بحبه للناس ، رفض
أن يربط نفسه بالقسم ، بل وأخذ رجلا تقيا حكيما من سكان «شروباك»
(فارة) بالاستعداد لأحدث الخطير الذي بات يهدد أهل الأرض جميعا ،
وتلقى رجل شروباك الأمر بالطاعة ، وبدأ يهشم كل الطاقات لإنجاز
المهمة ، وبعد سبعة أيام استطاع أن يصنع السفينة التي أسماها «متنفة
الحياة» ، ثم حملت بالبشر والحيوانات والمؤمن .

وسرعان ما جاء الطوفان الهائل : رعد يهتق عنان السماء ، أعاصير
مدمرة ، تعصف ، وتزجر : «مثل نهيق حمار الوحش» ، غدران عارم
تخور مياهه ، كما يخور الثور ، وظلام دامس ودمار في كل مكان من
الأرض ، حتى أن الآلهة نفسها تراجعت لهولاء : مذعورة إلى أقصى
السحوات ، واستمرت الحال السيئة هكذا طوال سبعة أيام وسبع ليال .
مضى الطوفان فيها على كل من في الأرض من مخلوقات «أنصم الناس
بملأون البحر ، قاتهم صغار السمك» .

غير أن هلاك الناس على هذا النحو ، إنما كان سببا في ندم شديد
وحزن عميق من الآلهة ، وخاصة تلك التي عرفت بسببها للناس : مثل

الاله «أيا» والالهة «عشتار» ، ثم هذا «بصر» ، وسكنت العواصف ،
ولنتوي الطوفان» .

وعندما خرج رجل الطوفان من السفينة لأول مرة بعد أربعة عشر
يوماً من دخوله ، سكب الماء المقدس على قمعة انجبل ، وقدم القرابين
للهة ، الذين «تجمعوا حول مقدم «لقربان كاذب»» ، وبعد أن التهموا
القرابين ، وندموا على إرسال الطوفان ، منحوا رجل السفينة وزوجه
الظلود (٢٤) .

ونال من الاهميه مكان الاساره هنا الى ان رواية أخرى لقصة
الطوفان قديمة كل القدم ، اكتشفت في مدينة «نيبور» (٢٥) في أثناء
عمليات الحفر التي قامت بها جامعة بنسلفانيا الأمريكية ، وقد دونت
هذه الرواية على كسرة من الفخار غير المحترق ، وقد ذهب الاستاد
«هيلبرخت» — اعتماداً على أسلوب الرواية ، وعلى المكان الذي عثر
عليها فيه — الى أن هذه الرواية لم تدون الا بعد عام ٢١٠٠ قبل
الميلاد .

(٢٤) فاضل عبد الواحد علي : الادب — من كتاب حضارة العراق —
الجزء الأول — بغداد ١٩٨٥ — ص ٣٣٠ — ٣٣٨ .

(٢٥) نيبور : تقع نيبور — وهي نمر الحالية — على مبعده ١٦٠ كيلو
جنوبي بغداد : وفي منتصف المسافة تقريبا بين المدينتين القديمتين «كيش»
و «شورباك» : وتعتبر نيبور من أهم المراكز الثقافية السومرية في العراق
القديم ، ورغم أنها لم تكن أبداً مقراً لاية سلطة سياسية ، فقد كانت أكبر
مدينة ممتدة ، وربما أكثر مركز ديني في بابل ، كما أن «الطوبى» لله
المدينة إنما كان رتبته مجمع الكلمة البابلي ، هذا وقد اودعها «الحفر» الذي
أجره عدد من الباحثين الأمريكيين منذ عام ١٨٨٩ م ، بإلاف من ألواح
الكتابة والحفلات التي صنف في آلاف الثالثة والثانية قبل الميلاد ، والتي
تدل بوضوح على مدى انتشار الثقافة السومرية ، كما تغطي مراحل تاريخ
المدنية حتى العصر الفرسي : (بنواوسهم : بلاد ما بين النهرين ص ٥٠٠ —
٥٠١ ، وكذا

J. P. Peters, Nippur, in Excavations on The Euphrates. 2 Vols (1927)
H. W. Hilprecht, The Excavations in Assyria and Babylon, 1925, p
289 f.
KFTS, p. 277.

هذا وقد أشررت الرواية التي أن الآله قد ظهر ليذبح نبأ حدوث طوفان سموف يكتسح البشرية جمعاء وفي الحال ثم حذر من هذا الطوفان شخصا بعينه ، وطلب منه أن يبني فلكا كبيرا ، ذا سقف قوي ، لينجو فيه بضيائه ، كما أمره أن يأخذ معه في الفلك صنوقا من الحيوانات الأليفة ومن حيور السماء (٣٦) .

(٣٦) جيمس فريزر : المرجع السابق ص ١٠٢ .

الفصل الثاني

السموريون

(١) التفسير:

تقع بلاد سومر وأكد في الوادي الاسفل لنهرى دجلة والفرات ،
والى جنوبها وغربها تقع الصحراء الغربية والضيغ العربى الذى كان
يمتد في أيام - سومر المبكرة شمالى مجاورات أريدو ، وربما كان نهر دجلة
يتكون أصلا حـدا طبيعيا من ناحية الشرق : وهي الناحية التى كن من
الممكن التوسع من ناحيتها ، وربما كان الطمع فى التوسع نحو الشرق
كان السبب فى الصراع مع عيلام ، وأيا ما كان الامر ، فان مدى النفوذ
السومرى والاكدى انما كان يمتد الى المنحدرات السفلى للشلال
العيلامية ، ومن ثم فان المساحة التى كانت تحتلها سومر وأكد لم تكن
كبيرة +

وتتشون أرض سومر وأكد من سهل قيسى ، وتعتمد الحياة فى هذه
المنطقة على نهري دجلة والفرات ، واللذين كنا يغيران مجراهما
باستمرار ، ولكن مجرى دجلة - بسبب ضفافه العالية المثبتة نسبيا -
أقل عرضة للتغيير من الفرات ، الذى يبدو تغيير مجراه واضحا فى
الاقوام التى تمثل المواقع القديمة للمدن ، والى تمتد فعلا على مجارى
جانبه الى شرق المجرى الحالى ، فالاكوام التى تمثل أبو حبه وتل
ابراهيم والاحيمر ونقر ، انما تمثل مواقع مدن -بيبار وكوتا وشكش
ونيبور على التوالي : وكلها تقع شرق النهر +

ومن ثم فانه مما تجدر ملاحظته أن مدن سومر وأكد ، انما كانت
تقع جميعا على ضفاف الفرات ، أو أحد أو بعض بؤافده ، وليست على
ضفاف اندجلة ، فبما عدا «أوبس» أبعد مدن أكد الى الشمال ، ويذهب
البعض الى أن ذلك انما يرجع الى أن جريان دجلة سريع ، وأن ضفافه
عالية ، وأن هذين الأمرين معا انما يتسببان عقبة تهول دون استثماره
فى الري ، بنفس الدرجة التى يستثمر بها الفرات الذى ييسر ذلك الأمر

بسبب ضفافه المنخفضة وسهولة وصول مياهه الى الارض المحيطة به مباشرة ، أو حتى عن طريق القنوات الصناعية ، هذا فضلا عن بطء جريان مياه النهر تسببا في شهور الصيف .

ولم يكن هناك جدد فاصل طبيعي بين سومر وأكد ، كالحدد الذي ينصلهما مما عن اقليم آشور وهيزوبوتاميا في الشمال ، وكان النصف الشمالي الشرقي يحمل اسم «أكد» ، كما كان انقسم الجنوبي الشرقي عند رأس الخليج العربي يعرف باسم «سومر» .

ولمعد أول ظهور لاسم سومر وأكد في النصوص العراقية القديمة انما يرجع الى عهد ملوك أور ، الذين أطلقوا على أنفسهم لقب «ملوك سومر وأكد» (Lugal Ki-en-gi Ki-uri) والذي ترجمه الأكديون الى لغتهم (Shur Mat Shumerim u Akkadim)

وفي عام ١٨٦٩م ذهب بعض الباحثين الى أن كلمة «أكد» في لقب «ملك سومر وأكد» انما تعني تلك الاقوام التي تتكلم لغة سامية ، سواء أكانوا أكديين أم بابليين أم آشوريين ، بينما تدل كلمة «سومر» في اللقب ذاته على أولئك الذين تعود اليهم النصوص المدونة باللغة غير السامية .

ومع ذلك فالمعروف أنه منذ عصر موغل في القدم قد اُطلق اسم الجنوب على بلادهم اسم «كلم» (Kishum) أي الارض ، وعرف حاكم البلاد باسم «ملك الارض» ، أما المعالم خارج هذه البلاد فكان يعرف باسم «كوركور» ، وكان لقب الاله انليل «لوجل كور كورجي» أي ملك البلاد ، ويعني العالم المسكون أو بمعنى أدق «البلاد الأجنبية» .

وانا لا أتقن في سومر «أينتلوم» و «أوجال زاجيزي» و «أنشاج كيشانا» بلغة «كي ان جي» الذي يعني سومر أو سومر على الاصح ، وقد حرفت الكلمة الى «كنجي» ، وتعني كذلك «البلاد» أو «الارض» ، ويخصد بها «سومر» (Sumer) .

وأما كلمة «أكّد» أو «أكادو» (Akkadu) إنما هي النطق السامى لكلمة «أجاد» Agade وهو الاسم القديم للمدينة ، ويرجع اطلاق الاسم على القسم الشمالي الى فترة لاحقة بسبب تزايد سلطان المدينة في عهد «سارجاني شاري» و «نارام سن»^(١) .

(٢) الموطن الاصلي للسومريين :

قام ، وما يزال ، جدل طويل بين العلماء حول جنس وموطن السومريين الاصلي ، ولعل السبب في ذلك انما يرجع الى أن التمييز بين السومريين والاكديين وغيرهم من الاقوام التي سكنت جنوب العراق القديم ، انما يمكن أن يكون لغويا أكثر منه عرقيا ، بل ان هناك من يذهب الى أن الدراسات الانثروبولوجية لبقايا الهياكل العظمية التي عُثر عليها في المقابر السومرية انما تشير الى عدم وجود ما يمكن تسميته بالمرق أو الجنس السومري ، وانما هناك خليط يتمثل في قوم ذوي رؤوس طويلة ، وهو ما يعرف بجنس البحر المتوسط ، وآخرين ذوي رؤوس مدورة ، وهو السائد في أوروبا الوسطى وأرمينيا .

هذا الى أن الحفريات الاثرية في المدن السومرية المختلفة قد أثبتت أن هذه الاقوام من سومريين وأكديين انما قد مارست جميعا أنظمة سياسية وأعرافا وعادات اجتماعية متشابهة ، فضلا عن معتقدات وطقوس دينية واتجاهات فنية متشابهة أيضا ، وبعبارة أخرى ، فقد كانوا جميعا جزءا من حضارة واحدة نشأت وازدهرت في جنوب العراق ، تعرف اليوم باسم «الحضارة السومرية» ، ومن ثم غنهن نقصد بكلمة «سومري» هؤلاء الذين كانوا يتكلمو اللغة السومرية ، ونقصد بكلمة «أكدي» تلك القبائل التي كانت تتكلم اللغة السامية ، وموطنها الاصلي شبه الجزيرة العربية .

(١) نجيب مبخايل : المرجع السابق ٥/ ٨٧ - ٩٥ / ١ احمد سليم : المرجع السابق ص ٣٤٩ - ٣٥٠ ، قضايل عبد الواحد : سومريون و الاكديون - كتاب العراق في التاريخ - بغداد ١٩٨٣ ص ٦٣ - ٦٤ ، طه بقر : المرجع السابق ص ٩٠ .

على أن هذا الغاصل اللغوي لم يكن أبدا حلا لمشكلة أصل السومريين ، ذلك لأن اللغة السومرية إنما هي لغة منفردة لا يمكن أرجاعها إلى عائلة لغوية حية أو ممتدة ، وقد ذهب غرض حديث إلى تقريبها إلى مجموعة اللغات التي تأخذ بطريقة الالتصاق (Agglutination) - مثل المجموعة الآسياتية أو مجموعة الأورال طائي ، والتي منها اللغات المحينية والتركية والمجرية والفنلندية - وفيها تتكون الجملة الفعلية من عدة عناصر يعلق بعضها ببعض البعض الآخر ، فهناك أداة الجملة الفعلية التي تكون عادة في المقدمة ، ثم جذر الفعل الذي يسبقه أو يلحق به ضمير انفعال ، وهناك أدوات أخرى للدلالة على زمان ومكان حدوث الفعل ، وبتهجير آخر ، فإن الجملة الفعلية عبارة عن كلمة مركبة من عدة مقاطع ، أما الاسم فتلصق به عدة أجزاء ، كضمائر الملكية وأدوات الانضمام وحروف الجر ، فضلا عن الأداة الدالة على انفعال عندما يكون الفعل متعديا ، الأمر الذي يؤدي إلى ظهور تغييرات صوتية بسبب هذا الالتصاق ، ومع ذلك ، ورغم أن الالتصاق صفة لغوية معروفة في عدد من اللغات القديمة كالعلامية مثلا ، والحديثة كالتركية مثلا ، فإن اللغة السومرية ليس لها ما يشبهها من حيث المفردات والقواعد والنحو في أية لغة أخرى ، ومن ثم فقد بقي أصل السومريين مشكلة مثيرة لتبدل لم تستطع الدراسات اللغوية أو الأثروبولوجية أو الآثارية حلها ، وإن كن المؤرخون يتفقون على أنهم جنس غير سامي ، وأن لغتهم غربية لا تشبه اللغات السامية ، ولا يعلم زمن مجيئهم إلى بلاد النهرين ، وإن رأى البعض أن ذلك ربما كان في فترة مبكرة من الألف الرابعة قبل الميلاد (٣) .

وانطلاقا من كل هذا ، فهناك عدة آراء بشأن الموطن الأصلي للسومريين ، فهناك رأي يذهب أصحابه إلى أن السومريين ربما جاءوا عن طريق البحر إلى جنوب بلاد النهرين في العصر السابق للورك ، أي في عصر العبيد ، وأنهم سكنوا في أول الأمر في «البلون» (البهرين) التي

— . . . —

(٢) فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ص ٦٥ - ٦٧ ، محمد موسى مهزان : المرجع السابق ص ٣٨٦ .

تحقق مكانة بارزة في التراث السومري ، ثم نزحوا بعد ذلك شمالا في اتجاه انقسم الجنوبي من وادي الرافدين الذي عرف فيما بعد باسم «بلاد سومر» ، وذلك اعتمادا على العناصر الحضارية الجديدة التي نقتن عددة بوجود السومريين ، والتي ظهرت في عصر الوركاء ، كالاختلاف الأسطورية والنحت ودولاب الفخار والكتابة .

على أن هناك وجه آخر للنظر يذهب إلى أن السومريين بدو مما وراء الأنديز ، أو مما وراء قزوين ، اندفعوا على مضطج غرب إيران فيما يعاصر أيام العبيد ، وأوائل الوركاء ، ونجحوا في اقتباس حضارة بلاد النجيين التي امتدت منها عبر حدود إيران ، ثم استعانوا بما تعلموه منها ، وبخطة الحركة ليندية ، في الاندفاع منذ الربع الأخير عن الألف الرابع قبل الميلاد إلى جنوب العراق وسجنفروا عليه تدريجيا خلال فترة من فترات حضارة الوركاء ، وكان لما أساعوه به من الاضطراب حينذاك أثر في بداية فترة ركود حضاري شملته ، وإن يكن قد نشأ خلال هذه الفترة نفسها (حوالي القرن الثلاثين قبل الميلاد) عصر الميخولة السومري الذي قام على الشجاعة الفردية بقيادة السومريين ومحاولاتهم لتملك رهام السلطة في المدن المغنوية على أمرها ، لا سيما وأنه لم تكن تنقطع اندفاعاتها على حدود العراق ، وعندما تمت المغلبة للسومريين ويتم اندماجهم في السكان الأصليين الذين كانوا أرقى منهم بدا العصر السببي بالكتابي في العراق حوالي القرن التاسع والعشرين قبل الميلاد .

على أن هناك ثالثا للنظر يذهب صاحبه «روترني» H. R. إلى أن السومريين إنما قدموا مهاجرين من آسيا الصغرى في موجتين من موجت الهجرة ، وهناك وجه رابع للنظر يذهب أصحابه إلى أن السومريين قد قدموا إلى العراق من المرتفعات الشمالية والشمالية الشرقية التي تحده به ، عن طريق أرمينيا وإيران ، ولو أنه يمكن أن نستبعد أرمينيا أساسا من هذا الفرض ، على اعتبار أنه كان من المستبعد أن يهبط مهاجرون منها ، ويتجاوزوا المناطق الصالحة للاستيطان القريبة منها في شمال بلاد النجيين ، ليذهبوا بعيدا عنها ثم يستقروا في الأجزاء

الجنوبية التي كانت أطرافها لا تزال حينذاك وحشية الطابع تتطلب جهودات كبيرة لتهدئتها وتيسير الانتقاع بها ، ومرة أخرى قد يتصل بهذا الاصل الجبلي المفترض ، وصله أسلاف السومريين المقترحة المرتفعت ايران ، ما عرف من صلة بعض المعبودات السومرية بدين المرتفعات ، ثم ما اتت به اسطورتان ملك سومري يدعى «نمركار» اعتبرته القوائم السومرية المتأخرة ثاني ملوك الاسرة الاولى في مدينة اوركا (أوروك) بعد الملوفن .

وهناك وجه خامس للنظر يذهب أصحابه الى أن كثرة استخدام السومريين للمادة الحجرية ، وما حملته العديد من تماذج النحت على الحجر من مناظر تمثل الحاكم ذي السمات المميزة التي لا تتغير ، ومناظر الحروب التي لم تطل بأي حال من تمثيل هذا الحاكم ، ما يعبر عن أن هؤلاء السومريين انما كانوا شعبا جبليا هقنتلا ، فرض نفسه عن طريق الحروب ، وتسود البلاد ، أما عن المنطقة التي وفد منها هؤلاء السومريون فلم تكن النخوم القريبة لجنوب السهل الميزوبوتامي ، كما أنها لم تكن نخومه الشمالية ، أو الا لشهد الشمال بداية التعبير الكتابي أسوة بالجنوب ، فضلا عن افتقار الشمال للمحجار ، ومن ثم فإن الموطن الاصلى الذي وفد منه السومريون انما هو المنطقة الشمالية من النخوم الشرقية (جنوب ديبالي) ، وهي منطقة متفوقة حضاريا ، وكثيرا ما كان لها صلاتها الحضارية بالسهل الميزوبوتامي ، فضلا عن طبيعتها الجبلية التي تتوفر فيها الأحجار ، والتي تضي على ساكنها صفة المقاتل ، بعكس الحال بالنسبة للبيئات الزراعية ، والتي يمثل النصف الجنوبي من النخوم الشرقية (سهل سومريانا) واحدا منها ، وقد يؤكد هذا الموطن الاصلى أيضا كثرة ما قدمته مرحلة ما قبل الكتابة من صناعة معدنية ، وخاصة النحاس الذي يمكن أن يكون مصدره المنطقة الجبلية الشرقية التي وفد منها السومريون ، وقد عرفت ، فيما يبدو ، تصنيع النحاس منذ عصر حضارة حسونة ، كما يشير الى ذلك إنتاج تل المصوان .

وهناك وجه سادس ننظر (ربما يرتبط كثيرا بالرأي الاول) ان

السومريين هاجروا من منطقة تقع فيما بين شمال الهند وبين أفغانستان وبلوخستان ، واستقروا حيناً من الدهر في غربي إيران ، ثم غزوها منها إلى بلاد النهرين ، عن طريق الخليج العربي وجزره البحرية ، اعتنقوا على تشابه أوائل طرز الفخار السومري القديم وزخارفه في بلاد النهرين ، مع نماذج الفخار القديمة التي انتشرت جنوباً حتى منطقة «خاربا» و «موهنجودارو» في سهل أكند ، مما يوحى بروابط جنسية وحضارية بدائية قديمة بين أهل هذه البوادي الذين سبقوا الأجانب «الهندو - أوروبية» في سكناها ، والذين يكفي أن يفصل عنهم أنهم من الخروع المبكرة للسلالات الآسيوية والآسيائية ، وذلك مع تقدير ما نلحت إليه الأساطير السومرية من أن أصحابها الأوائل هاجروا من الجنوب عن طريق البحر في عصور كان الناس ما يزالون يسعون فيها على أريج ، واستقروا حيناً في جنة زلمون ثم غزوها منها إلى «كالاما» بالعراق ، لأنهم لم تثر إليه الأسطورة .

وهناك وجه سابع ننظر يذهب أصحابه - من المؤرخين العراقيين - إلى أن السومريين إنما هم من الأقوام التي فطنت العراق في عصور ما قبل التاريخ ، وأن حضارتهم أصيلة في العراق ، بل ويمكن تسمية أهل حضارة العبيد بالسومريين ، غنى الرغم من أننا لا نعرف اللغة التي تكلم بها أهل حضارة العبيد ، صحيح أن هناك خصائص أو عناصر مميزة لحضارة السومرية ، غير أن هذا لا يعنى بالضرورة أن تلك العناصر جاء بها السومريون من خارج العراق ، بل أنه من المنطق أن نفترض بأن هذه العناصر المميزة للحضارة السومرية التي نشاهدنا في عصر الزركا إنما هي نتيجة امتداد طبيعي لمميزات عصور ما قبل التاريخ الأخرى ، التي سبقت هذا العصر ، مثل حضارة وخلف في الشمال ، والعبيد في الجنوب .

وانطلاقاً من كل هذا ، فإن أصحاب هذا الرأي الأخير : يرون في السومريين امتداداً لأقوام عصور ما قبل التاريخ في بلاد النهرين ، وأنهم انتحدروا من شمال العراق إلى جنوبه ، وسنوطنوا منطقة كانت على

الأرجح تحريف بلسم «السومري» : والتي عرقه السومريون باسمها في العصور التاريخية *

غير أن أصحاب هذا الرأي صعب عليهم تحليل اختلاف لغة السومريين عن اللغات السامية ، وعندما أراد بعضهم أن يوازئوا بين هيئات أرباب المعصر السومري ، ذوى اللحي الكتنة والشمسحور الكتيفة والملايس الصوشية التي تقربهم إلى هيئات المردة الساميين : وبين جماعير السومريين طائفي اللحي والخوس ، لم يزدوا الأمر غير صعوبة ، وإذا كان هناك ما يمكن توضيحه رأيهم ، فهو اعتبار السومريين فرعاً من الجنس القوقازي يختلف عن الفرع السامي *

وهكذا يبدو واضحاً أن أنعماء لم يتفقوا بعد على أي نهائي بشأن الموطن الأصلي للسومريين ، وأن الأمر ما يزال في مرحلته الفروض ، وبلا إلى غدا يزال موضوع السومريين ينتظر مزيداً من البحث والدراسة ، على أن الأمر الذي لا شك فيه أن السومريين في أوائل العصور التاريخية قد انتفعوا بأحضارات التي سبقتهم في بواكير العصر التكني ، ثم طوروها إلى ما يتفق مع مطالب عصرهم وأذواقه ، وكان أوضح ما ربط بينهم وبين أصحاب تلك الحضارات بروابط التطوير ، هي علامات الكتابة وأساليب البناء بالطين وأساليب النقوش (٢) *

(٢) عبد المنعم ماتيح : المرجع السابق ص ٢٨٦ - ٢٨٩ : محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ١٦٨ - ١٦٩ ، أحمد فخري : دراسات في تاريخ الشرق القديم ص ٢٨ - ٢٩ ، فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ص ٦٢ - ٦٩ طه باقر : المرجع السابق ص ٨٩ - ٩٠ أحمد سليم : المرجع السابق ص ٢٤٩ - ٢٥١ وكذا

H. Frankfort, *Archaeology and The Sumerian Problem*, 1952, P. 13 F.

H. Schimkel, *Geschichte des alten Vorderasien*, 1957, P. 3-4

H. Schimkel, *Das Land Sumer*, 1950, P. 44-61

S. H. Langdon, *Sumerian Origins and Racial Characteristics*, in *Archaeologia*, 1920, P. 154 F.

E. Speiser, *The Sumerian Problem: Reviewed*, in *HCC* 23, 1950-1951, P. 339 F.

==

بقيت الانسارفة إلى أن التمازج المصحيح يفسدون السومريين واستقرارهم في جنوب العراق القديم - لا يزال موضع خلاف بين الباحثين ، فهناك من يذهب إلى أن ذلك إنما كان منذ بداية عصر حضارة العميد ، أي حوالي عام ٤٠٠٠ ق.م ، على أن هناك من يذهب إلى أنه كان عند نهاية الألف الرابع قبل الميلاد ، ومع ظهور الكتابة وأن كان «سمويل كريمة» يذهب إلى أن ظهور السومريين إنما قد سبق ظهور الكتابة مباشرة ، غير أن الكتابة السومرية البدائية إنما قد نشأت في جنوب العراق ، بعد أن حثم ظهورها التطور الحضاري العام الذي ظهر في جنوب العراق من قبل ذلك التاريخ - سواء كان ذلك قد تم في أيدي السومريين أو على أيدي جماعات أخرى - ونظراً لأن هذه الكتابة الأولى إنما تعبر عن اللغة السومرية - ومن ثم فمن الصعب ألا يدرك أن يكونوا قد أتوا إلى البلاد منذ زمن بعيد - ربما بعشرات السنين - وربما بمئات السنين ، قبل ظهور هذه الكتابة .

على أن هناك وجهاً ثانياً للتفكر يذهب أصحابه إلى أن السومريين إنما كانوا أول من سكن جنوب العراق ، وتستند وجهة النظر هذه إلى تشابه الحضاري بين حضارة العميد ، وبين حضارتي زيبو وتاج محمد ، السابقتين لها ، على أن هناك وجهاً رابعاً للنظر يذهب إلى أن الحضارة السومرية إنما كانت انشأه عصر حضارة العميد - وليس في بدايته - أي فيما بين ٤٠٠٠ - ٣٥٠٠ قبل الميلاد .

- S. N. Kramer, in JAOS, 63, 1952, P. 191 F.
S. N. Kramer, in AJA, 52, 1948, P. 156-164.
C. Roux, Ancient Iraq, 1950, P. 85-86.
E. R. Hall, Op. Cit., P. 173.
MacGarry, in JRAS, 1925, P. 607.
(٤) احمد سليم : المراجع السابق ص ٢٥٣ - ٢٤٩ - رتيبة - شكري : المراجع السابق ص ٢٥١ ، وكذا
H. Frankfort, Archaeology and the Sumerian Problem, Chicago, 1937, P. 21 F.
J. Goffe, in and Enche, in Iraq, 20, 1957.
S. N. Kramer, in AJA, 52, 1948, P. 156-164.

على أن الزميل انكريم المرحوم الدكتور محمد عبد اللطيف — طيب الله ثراه — أنما يدّعي إلى أن السومريين إنما قد ثبت وجودهم في جنوب العراق منذ بداية التعبير بالكتابة (الوركاء ٤) ، وبالتالي فقد وجدوا في جنوب العراق منذ بداية مرحلة ما قبل الكتابة على الاغل (الوركاء ٥) وربما حلوا به في عصر حضارة الوركاء الاسبقي ، كما يدل على ذلك انتاج حضارة هذا العصر من أسانيب حضارية جديدة^(٥) .

(٣) دويلات المدن السومرية :

بدأ العصر التاريخي في جنوب بلاد النهرين ، عندما توصل القوم هناك إلى الكتابة ، فضلا عن الطوفان الكبير الذي حدث في العراق القديم ، وقد تميزت بداية العصر التاريخي في بلاد النهرين بما يسمى «نظام حكومات المدن» التي كان لكل منها كيافتها المستقل عن حكومات المدن الاخرى في جنوب العراق بسبب الانتقال إلى مرحلة اندنية ، وهذا يعني ببساطة أن القوم لم يستطيعوا في بداية العصر التاريخي أن يحفظوا الوحدة السياسية للبلاد ، ومن ثم فقد اعتمدت الحياة السياسية على امارات المدن ودويلاتها فعلا — كما روت الاساطير — ودون أن تتطور إلى نظام الدولة المركزية الكبيرة ، وترقب على ذلك أن تعاصرت دويلات وأمر حاكمة في كثير من مدن الجنوب العراقي ، وربما كان السبب في ذلك طبيعة هذا القسم الجنوبي من العراق القديم ، غلقت حالت المساحات الشاسعة من المستنقعات دون سهولة الاتصال فيما بين القرى والمدن ، الامر الذي أعاق تحقيق الوحدة السياسية .

والواقع أن ما نعرفه عن دويلات المدن هذه ، أضال من أن يستطيع أن يقدم صورة كاملة للحياة السياسية لكل منها ، بله شأنها ، وربما لا يعدو أسماء ملوك تنظم فيها أسرات سجل جداولها الكتبة السومريون أنفسهم في الالف الثاني ق.م ، في تعاقب زمني يشير إلى مدة حكم الملك ، ثم الأسرة ، وقد قسمت هذه الجداول إلى قسمين ، يفصلهما

(٥) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ١٦٨ .

حدث جد خطير ، هو «الطوفان» ، وتمثل فترة ما قبل الطوفان العصر الاسطوري ، وما بعد الطوفان انما يمثل العصر التاريخي^(٦) ،

ومع ذلك فمنستطيع أن نقدم صورة مقبولة عن المدينة السومرية ، والتي كانت تتكون من مدينة (وقد أطلق عليها في السومرية كلمة «أور — Ur» وفي الاكدية «أُو — U») ومجاوراتها من الاراضي التي قام سكان المدينة بزراعتها ، أحيانا كانت حكومة المدينة تضم أكثر من مدينة واحدة ، فمثلا عن عدد من القرى التي كانت تتبع المدينة الرئيسية ، مثل حكومة مدينة لجش التي كانت تضم أراضي «جرسو» و «لجش» و «تينا»^(٧) .

هذا وكانت المدينة السومرية — وربما معظم المدن المتأخرة — تتكون من قسمين : الاول : وهو المدينة الخاصة التي أطلق عليها في الاكدية «نبي ألي» (Libbi Ali) أو «قابلي ألي» (Qabalti Ali) ، وهي مصطلحات تدل على القسم القديم للمدينة فحسب ، وتمثل في هذا الجزء الاقسام المسورة التي تحتوى على المعابد والقصر ومكاتب الموظفين التابعين للبلاد ، وعلى بيوت المواطنين ، وأما القسم الثاني فهو «الضاحية» ، وتقرأ في السومرية «أور — بار — را» (ur-bar-ra) بمعنى «خارج المدينة» أي الضاحية التي تتجمع فيها البيوت والمزارع وحظائر المشية ، وليست لدينا معلومات عن الحدود التي امتدت إليها هذه الضواحي ، كما لا نعرف ان كانت فيها أسوار ثانوية لحمايتها ، أو قواعد أمامية محصنة للحماية التي كانت تسمى «كيدانو» (Kidanu) (٨).

(٦) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٠٢ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٠٠ .

(٧) محمد عبد الحظيف : المرجع السابق ص ١٧٦ ، وكذا J. Jacobsen, in *Surer*, 25, 1969, P. 104-106.
C. J. Gade, in *CAH*, I, Part 2, Map. 6.
H. Frankfort, *CAH*, I, Part 2, P. 92.
(٨) ليو أوبنهايم : المرجع السابق ص ١٤٠ — ١٤١ .

هذا وتقع المدينة الرئيسية في وسط حكومة المدينة ، وينوسطها معبد
له المدينة - أو الاله الرئيسي لحكومة المدينة - وكان المعبد يمثل نواة
الحياة السياسية والاجتماعية ؛ كما كان صاحب الارضين في المدينة ، هذا
وكان يوجد بالمدينة الرئيسية - الى جانب معبد الاله الرئيسي - معابد
أخرى لمعبودات ذات صلة بهذا الاله الرئيسي ؛ وكان لهذه المعابد أملاكها
الضخمة ، مما يرجح أن معظم أراضي حكومات المدن في مطلع العصر
التاريخي إنما كانت ملكا للالهة ؛ نسبة بما كان عليه الحال في عصور
ما قبل التاريخ ، وخاصة في مرحلة ما قبل الكتابة^(٩) .

وقد عبر الفكر السومري أن الانسان إنما خلق للخدمة الالهة ، وطبقا
لأسطورة سومرية ، فإن الاله انليل إنما قد شق قشرة الارض بفأس ،
ليخرج منها الناس ، كما يخرج النبات ؛ وأن الالهة قد أحاطت بالليل ،
ثم سأله أن يجعل لها عبيد . من السومريين الذين يخرجون من الارض ،
ونبتا لأسلاف أخرى ، فإن الناس إنما خلقوا ليكونوا عبيدا للالهة ،
وليزودوها بما تحتاجه من طعام وشراب^(١٠) ، ومن ثم فقد قامت
جماعات من البشر على الخدمة والعمل في معبد الاله الرئيسي لحكومة
المدينة وفي حقوله ، وقد أشرف عليهم جماعة من الملاحقين على رأسهم
ال «سانجا» ، وهو الرئيس الإداري لمعبد المدينة ، والمسؤول عن شئون
معبد الاله وأعماله ، فضلا عن الاعمال الزراعية ونسق النقولات وإقامة
الجبور وتنسيق الابنية وغيرها من الاعمال المتصلة بنشاط المعبد^(١١) .

على أن السلطة السياسية في حكومة المدينة إنما كانت تقوم بها في

(٩) H. Frankfort, in Before Philosophy, (Penguin Books, 1954, P. 26).

(١٠) H. Frankfort, The Birth of Civilization in The Near East, London, 1951, P. 59

وفي الترجمة العربية من ٧٧ - ٧٨ .

(١١) محمد عبد الحفيظ : المرجع السابق من ١٧٧ .

H. Frankfort, Op. Cit, P. 70-71.

S. N. Kramer, The Sumerians, Chicago, 1970, P. 141

H. Frankfort, in Before Philosophy, P. 202-214

الأصل جمعية عمومية تضم كل الرجال الأحرار من مواطني حكومة المدينة — وربما اشترك النساء فيها أيضاً — وكان لكبار السن ، وهم أرباب الأمر الكبيرة في المدينة ، مجلس خصاص بهم ، كما يبدو أنه قد أسند اليهم التصرف في الشؤون اليومية العامة ، كما كانوا ينولون إرشاد الجمعية العمومية ، وأما رجال المدينة ، فهم على الأرجح ، جميع الرجال العاملين في مجتمع هذه المدينة هو الذين يحملون السلاح في حالة الحرب ، وقد ورد ذكر الجمعية العمومية ، وكبار السن في أنشراح عصر ما قبل الكتابة ، ومن ثم فيمكن القول بأن التنظيم السياسي لحكومة المدينة ، إنما قد نشأ مع قيام المدن نفسها^(١٢) .

وعلى أية حال ، فإن هذا التنظيم السياسي لحكومة المدينة السومرية إنما يمثل مرحلة هامة في تاريخ الفكر الإنساني ، لأنه يشهد بتواجد التفكير الديمقراطي في بداية العصر التاريخي ، وانتخاب الحاكم الذي يرأس حكومة المدينة بناء على قرارات الجمعية العمومية ، «الجمعية كيش» ، و«رغموا إلى الملكية» «أبذور كيش» ، رجل من كيش^(١٣) ، وهكذا كان من حق الجمعية العمومية أن تفصل في المنازعات ، وأن تصدر القرارات الهامة — وخاصة قرارات الحرب — بل أن من حقها — إنما تتطلب الحاجة — أن تمنح السلطة العليا في البلاد (الملكية) لواحد من أعضائها^(١٤) .

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن رأس الحكومة في المدينة السومرية ، إنما كان يسمى «أنسى» ربما بمعنى «النائب» أو «الوكيل» ،

(12) T. Jacobsen, Primitive Democracy in Ancient Mesopotamia, in JNES, II, 1943, P. 163-166, 172.

H. Frankfort, The Birth of Civilization in The Near East, 1956, P. 68.

H. Frankfort, in CAH, I, Part, 2, 1971, P. 92.

(13) ريند الناصوري : المرجع السابق ص ٢٤٢ ، وكذا

T. Jacobsen, Op. Cit., P. 165, No. 33.

H. Frankfort, Kingship and The Gods. Chicago, 1948, P. 118.

(14) T. Jacobsen, Op. Cit., P. 172.

أشيرة إلى وكراته عن معبود مدينته في حكم بلده وأهلها ، ومن ثم فقد ظلت الصبغة الدينية أُلصق بهذا اللقب ، وثرثب عليه أن انقسخ المجال أمام كهنة الآلهة السومرية ، ليكون لهم شأن فعال في أوضاع دويلاتهم وسياستها ، وظلت معابدهم تخطى بنصيب كبير من ثروات المدن وأرضها وضرائب أصحابها ، حتى أصبحت بأموالها شبه وحدات اقتصادية وإدارية قائمة بذاتها ، ثم مال حكام المدن إلى تغليب الصبغة السياسية في سلطاتهم ، وتلقب كل منهم بلقب «لوجال» بمعنى الرجل العظيم ، وبما يرادف لقب «ملك»^(١٥) واتسعت سلطاتهم المدنية على حساب سلطان الكهنه ، وإن ظلوا من الناحية الشكلية يعتبرون ممثلين لعبوداتهم على الأرض ، ويدعون أنهم يصدرون في تصرفاتهم عن وحيهم ، لا سيما في فترات الحروب ، ثم تركوا لقب «انسي» لولاتهم الفرعيين ، وإن استعدوه لأنفسهم من حين لآخر ، ليؤكدوا صلاتهم برؤسائهم وتواضعهم إزاءهم ، وظهرت لهذا التطور في سلطان الحكام السومريين أمثلة شرقية أخرى لاحقة لمصورهم : فلقد بدأ الحكم في جنوب شبه الجزيرة العربية بنفس الصبغة ، وتلقب الحكام هناك بلقب «مكرب»^(١٦) ،

(١٥) يذهب الدكتور سامي الأحمد إلى أن الملك الساماني حاكمًا مستقلًا يدير أكثر من دويلة مدنية واحدة في وقت واحد ، قد يكون فيه «انسي» تابعًا لمملك ، وإذا جاوزت منطقة حكم الانسي ، ما وراء حدود مدينته ، واعتترف به معبد أنليل في مدينته نيبور (نفر) فيحمل آنذاك لقب «الك» ، ويحمل كل حاكم في مدينته تابعه للانسي لقب حاكم (كوربنا) ، في وقت كانت فيه إدارة المعبد بيد موظفين يشرف عليهم الانسي ، وكان موظفي الدولة مسئولين أمام الانسي ، ومرتبطين به ويجمعون له الضرائب من القطعان والبقوارب ومصائد الأسماك ورسوم الدفن والطلاق (سامي سعيد الأحمد : الإدارة ونظام الحكم - من كتاب حصارة العراق - الجزء الثاني - بغداد ١٩٨٥ ص ٩) -

(١٦) ظهر لقب «مكرب» في العصر الأول من أدوار التاريخ السبئي الأربعة ، وذلك في الفترة (٨٠٠ - ٦٤٠ ق.م) ، وفيه حمل حكام سبأ لقب «المكرب» وهو لقب تغلب عليه الصبغة الدينية ، وتغلبه في العرب النصحي (عرب) وهو أمير كان يقوم بذبح القرابين للآلهة ، فضلًا عن دور الوساطة بين الآلهة والنامر ، وربما كانت وظيفة المكرب هذه تنبؤ وظيفة «المزود» عند العنبيين ، والفضة عند بني إسرائيل ، ولقب «ابسي» و «أيشكو»

ولقب «مزود» ، ثم انتقل هؤلاء وهؤلاء الى اللقب الملوك ، واكدوا بها الصبغة الدينيّة في حكمهم (١٧) .

على أن استاذنا الدكتور الناضوري انما يذهب الى أن ادارة الحكومة في المدين السومرية انما قد تركزت في عدد من المدنيين والدينيين ، فكان المسؤول المدني يسمى «انسى» ، وكان مسئولاً عن الشؤون الزراعية وما تتطلبه من مشروعات تنهض بعمليات انرى ، وأما وظيفة «لوجان» En ، بمعنى الرجل العظيم ، فكان مسئولاً عن شؤون المدينة ، وخاصة عندما تتعرض لأخطار الحروب ، ثم سرعان ما تطلّورت هذه الوظيفة لتصبح أن تساغها انما قد امتدت لطاقته الى توسع من حكومة المدينة ، فأصبحت تعنى السيطرة على عدد من المدن المجاورة ، وأما الشؤون الدينية فقد أصبحت في يد موظف يدعى بالسومرية «ان» En بمعنى «سيد» كان يعيش في المعبد ، ويدير شؤونه الادارية والاقتصادية غير أن تلك الوظيفة الدينية قد تطورت في المراحل الاخيرة من بداية عصر الاسرات السومرية ، واقتربت وظيفة ال «ان» من الجانب الديني ، وانتقل صاحبها من المعبد الى القصر (١٨) .

وأياً ما كان الامر ، ومواء كان حاكم دويلة المدينة «انسى» أو «لوجان» ، فإنه لم يصل الى الحكم بمقتضى حق الوراثة ، فقد كان مبدأ «الاختيار الالهي» أساساً للملكية في العراق القديم ، وإن كان هذا لا يعني أبداً أن النجوم لم يعرفوا مبدأ الوراثة ، بل إن تعاقب الأبناء

عند السومريين ، وكل هذه الألقاب تعطي أصحابها صفة دينية في حكم بلادهم ، أو على الأقل ، إشارة الى القداسة التي يركزون عليها في ممارسة هذا الحكم ، دينياً ومثلياً ، ثم سرعان ما تطور لقب «كوب» الى لقب «ن» في العصر السبئي الثاني (١٥٠ - ١١٥ ق م) ، كما تطور لقب «انسى» الى لقب «لوجال» أو «ملك» (محمد بيومي مهران : تاريخ العرب القديم ص ٢٦١ - ٢٧٢ ، وكذا

J. Hastings, Dictionary of The Bible, 1936, P. 384.

(١٧) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٠٠ - ١٠١ .

(١٨) رشيد الناضوري : المرجع السابق ص ٢٥٢ .

للإلهاء إنما كان قائما منذ عصر الأسرات السومرية المبكر - كما تشير إلى ذلك قائمة الملوك السومرية - ومع ذلك فلم يكن مبدأ الوراثة هو أسس الملكية ، وقد عسر نظام التعاقب بأنه من مظاهر رضى الآلهة عن ملوك الأسرة التي يتعاقب أبناؤها على العرش ، على أن الملكية ، مع ذلك ، فقد بنيت مؤسسة تعاقبها جميع ضروب المشاكل ، الأمر الذى أدى إلى أن تغفل في أن تصبح أداة اتحاد ، كما كانت في مصر الفرعونية^(١٩) .

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن التنظيم الميسنى لدويلات المدن السومرية - سواء أكان في شكل الجمعية العمومية أو الملكية - فقد كان انعكاسا لأفكار القوم الدينية ، ذلك لأن الآلهة السومرية إنما كانت لها جمعيتها العمومية التي تضم كل الآلهة - ذكورا وإناثا - وكل له دوره الفعال في مداولاتها ، وكان غنى رأس هذه الجمعية العمومية المعبود «أنو» - إله السماء وملك الآلهة - الذى أودع أمانه المولجج والناسخ وعصا الراعى ، وقد كانت المعبودات السومرية تصور في شكل إنسانى ، وتخضعهم عواطف إنسانية ويرقدون كالإنسان على مكدولا ، ربما كان من جلد الخنم ، رغم أنه كان يمثل سمات حياة البداوة التي انتهت منذ زمن بعيد ، هذا فضلا عن أن الملكية - كما عجزت عنها أسطورة الطوفان وقائمة الملوك السومرية - إنما قد أنزلت على البشر من السماء ، وهي إنما تمثل تطورا تاليا للجمعية العمومية^(٢٠) .

وعنى أبة حال ، فإن قائمة الملوك السومرية - وكذا قصة الطوفان - إنما تقدمان لنا قائمة بأسماء المدن التي قامت فيها الملكية الأولى ، لأول مرة ، في جنوب العراق ، فتروى أنه بعد أن شكلت الآلهة (أنو وإنليل

(١٩) H. Frankfort, The Birth of Civilization in The Near East, P. (١٩٦١).

وقى الترجمة العربية ص ٩٤ - ٩٥

(٢٠) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ١٨٠ ، وكذا

T. Jacobsen, Op. Cit., P. 167-169

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 102.

S. N. Kramer, in ANET, P. 43.

E. A. Speiser, in ANET, P. 114.

وانكى ونشفور ساج) خوى الرؤوس السوداء^(٢١) ، وأوجدت الأحيوان ،
وأكثر من الفعات ، وبعد أن أنزلت الملكية من السماء ، قام الآله «أنو»
بتأسيس المدن الخمس في ٥٠ أماكن ظاهرة ، ونادى أسماءها ، وعينها
كمراكز للعقائد الدينية ، وأولى هذه المدن هي «أريدو» ، والثانية
«بادتيسير» ، والثالثة «الاراك» ، والرابعة «سجيسار» ، والخامسة
«شوروماك»^(٢٢) .

هذا وتقدم قائمة الملوك السومرية مدنا أخرى كانت مقرا للملكية في
عصر الاسرات المبكر ، بعد الطوفان ، مثل أور وأدب وأكشاك ومارى ،
فضلا عما أضافته الحضريات من مدن كان لها أهميتها السياسية أو
الدينية مثل لجش ولوما ونيبور وأشور^(٢٣) .

بقيت الإشارة إلى أن مصدر الحكم الملكي إنما كان أصلا في السماء ،
مما يشير ضمنا إلى أن الآلهة طبقا لمعتقدات السومريين — إنما كانت
هي التي تحكم البشر ، وأنها — بمقتضى هذا الحق — تنفوس أو تختار
من بينهم من يمارس هذه السلطة على الأرض ، وهم الملوك أم والملوك
الديون^(٢٤) ، وهذا يعنى — من ناحية أخرى — أن «الملكية» هي التي
نزلت من السماء — وليس الملك — ومن ثم فلم ينظر إلى الملك في العراق

(٢١) كان أصحاب الرؤوس السوداء يسكنون أرض سوزر ، وهم
ليسوا ساميين ولا آريين ، ولغتهم ليست سامية أو «هندوأوروبية» ، وربما
كانت كتابة التوركاء التصويرية سومرية ، ومن ثم فإن هؤلاء انقوام ربما
كنوا في جنوب العراق القديم منذ الفترة الأخيرة من عصر النوراء ، وربما
منذ فترة مبكرة من الألف الرابعة قبل الميلاد ، على أن تعبير «أصحاب
الرؤوس السوداء» ، وإن كان يعنى السومريين ، فربما يعنى كذلك — كان
سومرواكدومعا ، وربما يشير في هذا النص إلى البشر عامة

H. Frankfort, The Art and Architecture of The Ancient Orient, P. 235.
No. 2).

(J. Finegan, Op. Cit., P. 29

22) S. N. Kramer, Op. Cit., P. 43.

(٢٣) محمد عبد الصنف : المرجع السابق ص ١٨٥ .

(٢٤) فضل عبد الواحد : المرجع السابق ص ٧٠ .

القديم كاله ، وإنما ككتاب عن الآله ، وإن كانت قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام تشير إلى تأليه الحكام في العراق القديم (٢٥) .

هذا وتشير قائمة الملوك السومرية إلى أرقام خيالية حددتها لفترة حكم للملوك السومرية الذين قالت عنهم أنهم حكموا قبل الطوفان ، حيث خصصت لهم فترة ٢٤١٢٠٠ سنة ، كما أعطت ماسوك «كيش» ، والتي نزلت إليها الملكية - مرة ثانية - بعد الطوفان ، وعددهم ٢٣ ملكاً ، فترة حكم قدرها ٢٤٥١٠ سنة ، ثلاثة أشهر ، ثلاثة أيام ونصف يوم ، وأكثر الظن أن مثل هذه الأرقام الخيالية كفترات حكم ، إنما تعكس فكرة شائعة عند أكثر الأمم القديمة ، مؤداها : أن الإنسان في قديم الزمان إنما كان يتمتع بعمر طويل ، وصفات جسدية خارقة ، وربما أن جامع قائمة الملوك السومرية لم يكن في حوزته غير أسماء نمادية ملوك من قبل الطوفان ، فاهبط إلى تطويل فترة حكم كل منهم ، حتى يغطي الحقبة الزمنية التي تصورها طويلاً جداً ، والتي تفصل ما بين ظهور أول سلالة حاكمة وبين حدوث الطوفان العظيم (٢٦) .

غير أن هذا التعليل لا ينطبق على ملوك ما بعد الطوفان ، بل إننا لو جمعنا ما ورد في قائمة الملوك السومرية (٢٧) عن سني حكم الأسر الاربعة عشر ، والتي حكمت بعد الطوفان ، لوجدنا يتجاوز اثنين وعشرين ألف عام ، بينما نفقد الفترة الزمنية التي شغلها عصر الأسرات السومرية المبكر - متصفاً مرحلة ما قبل الطوفان - فكانت في حدود ٥٠٠ إلى

(٢٥) انظر : محمد بنوعى عهران : دراسات تاريخية من العراق القديم - الجزء الرابع - بيروت ١٩٨٨ ص ١٤٧ - ١٥٦ .
(٢٦) فاضل عبد الواحد ص ٦٩ - ٧٠ .
(٢٧) انظر قائمة الملوك السومرية .

رشيد الناضوري : المرجع السابق ص ٢١٦ - ٢٤٨ : محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٤٥ - ٢٥١ ، وكذا

S. N. Kramer, The Sumerians, Chicago, 1970, P. 328-331.

A. L. Oppenheim, The Sumerian King List, in ANET, P. 265-266

CAH, I, Part, 2, 1971, P. 908-909.

٧٠٠ عام ، وتؤرخ بدايتها بحوالى عام ٣٠٠ ق.م^(٢٨) ، ولعل المسبب في هذه المبالغات أن قائمة الملوك السومرية اعتبرت هذه الاسر الحاكمة الاربعة عشر ، قد حكمت متعاقبة ، بينما هي في الحقيقة كانت متعاصرة ، وقد اثبتت بعض المصادر أن كثيرا من هذه الاسر الحاكمة انما كان يبعاصر بعضها البعض الاخر .

(٤) اسرة لاجش الاولى (٢٥٢٠ - ٢٣٧١ ق.م) :

قامت هذه الاسرة في مدينة «لاجش» - وهي الحبة الداخلية على مسعدة ٢٠ كيلا شمال شرق تللو - في الفترة (٢٥٢٠ - ٢٣٧١ ق.م) ونم ترد في قائمة الملوك السومرية ، غير أن الحفريات الحديثة قد كشفت عما خافه ملوكها من تسجيلات كتابية عن تاريخها في عصر الاسرات السومرية المبكرة ، وهكذا بدأت «لاجش» تاريخها مع فجر الحضارة السومرية ، وظلت طوال تاريخها مدينة سومرية حتى انتهت في فترة لا تبعد كثيرا عن قيام الاسرة البابلية الاولى (حوالى عام ١٨٩٤م) ، وقد ظلت منذ ذلك التاريخ محجورة بخيم عليها النسيان حتى شغلها البرثيون في القرن الثاني الميلادي^(٢٩) .

وكن «أورنانشة» (Urnanše) أول ملك ارتقى عرش لاجش باختيار إحدى الالهات ، وان انتشرت النقوش الى اثنين من ملوك لاجش من أسلاف «أورنانشة» هما «ان خيجال» و «لوجال ساجنجر» ، غير أنهما لم يجاوزا مرتبة الحكام المحليين ، فضلا عن عدم وجود أية صلة تربطهما بالملك «أورنانشة» ، وعلى أية حال ، فربما كان اختيار «أورنانشة» كملك على لاجش بسبب أعماله الخيرة ، حيث سجل تشييده للمعابد وعمل التماثيل للمعبودات ، فضلا عن تجديد التفسير من دور

28) M. Mallowan, Op. Cit., P. 242.

(٢٩) يجب ملاحظة : المرجع السابق ص ١٠٤ - ١٠٥ ، محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٣١ - ٢٣٤ ، وكذا CAH. I, Part. 2, P. 948 (Chronological Table of The Sumerian Period)

العبادة ، ومنها معبد نانشة ومصلى ننجرسو ومعبد أنكى ومعبد دموزى — أبو ، هذا الى جانب شق القنوات ، وتشديد سور للمدينة ، كما تشير نقوشه الى أن سفن دلمون قد أحضرت له شحنتات الخشب ، وهذه أقدم إشارة الى دلمون في النقوش الميزوبوتامية ، فضلا عما تشير اليه من نفوذ خارجي لأورنانشة ، تجاوز نطاق أرض سومر نحو الجنوب ، وهناك في مدينة أور لوح حجرى عليه صورة أورنانشة واسمه ؛ الامر الذى ربما يدل على أنه قد حكم هذه المدينة ، أو أخضعها لنفوذه⁽³⁰⁾ .

وجاء «أكورجال» (Akurgal) على عرش لجش بعد أبيه أورنانشة ، وهناك ما يشير الى أن الرجل قد واجهته بعض الصعاب في بداية حكمه القصير ، مع «أوش» حاكم مدينة «أوما» (Umma) بسبب النزاع بين المدينتين على مناطق الحدود⁽³¹⁾ .

وخلف «أكورجال» ولده «اينانتوم» (Eannatum) الذى شغل في بداية عهده بالاصلاحات الداخلية ، كتنسيق القنوات ، وتشديد بئر من الاجر في معبد «تنجرسو» معبود لجش ، فضلا عن اعادة ما تهدم في بلده على يد أهل أوما ، على أيام أبيه «أكورجال» ، وهكذا كان «اينانتوم» — كجدّه أورنانشة — بناء عظيما ، بقدر ما كان محاربا عظيما ، وتدل نقوشه على أنه خاض عدة معارك دامية ، على شاطئ نهر انكاربى (Carpe) قهر فيها السيلاميين في المشرق ، كما خاض معارك أخرى ، أخضع فيها مدن أوما والوركاء وأور وكيش وماوى ، ومن ثم فقد أصبح أهمية شخصية في عصره ، وارتفع بها شأن لجش الى درجة قد تجعلها رعية المدن السومرية ، فضلا عن أن تهبه الالهة «لنانشة» ملكية كيش ، الى جانب عرش لجش⁽³²⁾ (Lagash) .

30) S. N. Kramer, Op. Cit., P. 53, 303-309.

31) J. Gadd, Op. Cit., P. 116-117.

وكذا

G. Bibby, Looking for Ebla, (Penguin Books), 1972, P. 63.

32) S. A. Kramer, Op. Cit., P. 53.

32) D. O. Edwards, in Sumer, 15, 1959, P. 23.

S. N. Kramer, Op. Cit., P. 309-310.

على أن أهم حروب «ايلناتوم» إنما كانت ضد مدينة «أوما» (تل حوخة) — وتقع على مسافة ٣٠ كيلا شمال غرب لجش — بسبب النزاع على منطقة الحدود بين المدينتين ، وعلى قناة المياه التي كانت تغذي هذه المنطقة وتسمى «نجرع جرسو» ، وهي قناة تبدأ عند المدينة القديمة «زابلالام» شمالي أوما ، ثم تتجه نحو الجنوب الشرقي ، على مدى ٥٠ كيلا ، حتى تصل إلى جرسو ، ثم تنتهي عند «نيشا» ، ويبدو أن الحدود كانت في صالح لجش ، ومن ثم فقد رأت أوما أنها تجور على جزء من أراضيها ، ولهذا فقد كانوا كثيرا ما ينتهزون أية فرصة للاستيلاء على هذه الحدود ، والاستيلاء على الأرض المتنازع عليها ، غير أن أهل لجش إنما كانوا يعتبرون هذه الأرضين ملكا خاصا لمعبودهم «نجرسو» ، وبالتالي غلب الاستيلاء عليها إنما هو بمثابة إهانة لهم فنجرسو ، وعلى الملك — وهو نائب الإله — أن يثار لكرامته (٣٣) .

وفي الواقع أن قصة الصراع بين لجش وأوما على موارد المياه وحدود الزراعة ، إنما قد بدأت قبل ذلك ، عندما كانت مدينة كيش تمارس سلطانا واضحا على سومر في أيام «مسليم» Mesilim الذي دانت له بالولاء لجش وغيرها من المدن في جنوب العراق ، وفي خلال حكمه كان «لوجال — شاج — نجير» يشغل منصب «ايشاكو» لجش ، ويدين له بالولاء ، وعندئذ من عهد نجر على رأس ديبوس نفري ضخم في لجش يسير إلى هدايا أرسلها «مسليم» إلى نجرسو (نجر جرسو) رب لجش ، وربما شاركه فيها في ترميم معبد أنكبر ، وقد جاء في النص «مسليم ملك كيش : الذي يبنى معبد نجرسو ، قد أودع رأس هذا الديبوس ، حين كان لوجال شاج أنحور ، ايشاكو على لجش» .

وهكذا استطاع مسليم أن يقوم بدور الحكم بين أوما ولجش ، وربما كان ذلك بناء على رغبة الفريقين المتنازعين وقد أفلح — فيما يبدو —

33) T. Jacobsen, in Sumer, 25, 1969, P. 103-104.

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 118.

وكذا

في وضع خط للحدود بين الدينيتين ، وافق عليه الطرفان في معاهدة تضمنت ذلك الامر ، وصيغت بالصيغة الدينية ، فلقد كان «أنيل» هو الذي أشرف على مؤتمر الصلح ، وغايت المعاهدة بناء على رغبته ، ولما كان لأنيل من مكانة بين المعبودات الأخرى ، فقد نفذ «ننجرسو» أوامره ، وأما الملك «مسليم» فقد قام بالدور الذي رسمته له معبودته «كادي» ، ومن ثم فقد قام بتسجيل المعاهدة التي أملاها الآلهة أنفسهم : وهكذا نستطيع أن نخلص من ذلك بصقيفة عن مركز الملكية في هذه المرحلة مؤداها : أن الملك أو أنصاكم (الامشاكو) إنما كان وكيلًا للمعبود ، أو وزيرًا له ، يعرف شؤون المدينة ويدير أمورًا طبقا لرغبة الآلهة ، ومن ثم فإن اشهار الحرب إنما كان يعني حربا بين المعبودات ، كما كان وضع الحدود إنما يتم بناء على اتفاق المعبودات كذلك (٣٦) .

هذا - وطبقا لما جاء في لوحة العقبيان (٣٧) - فلقد قام «يانانقوم» بحملة على مدينة «أوما» فأوقع بها هزيمة منكرة وذلك بسبب اعتداء «أوما» على منطقة «جو ادين» (Giu - edin) والتي وصفت بأنها كانت أقطاعية خاصة للمعبود «ننجرسو» ، وبسبب رفع لوح الحدود الذي كان قد أقر هناك بين البلدين على يد «مسليم» ، ثم غزا سهل لجش ،

(٣٦) نجيب ميخائيل : المراجع السابق ص ١٠٦ - ١٠٨ ، وكذا عبد العزيز صالح : المراجع السابق ص ٤٠٦ ، وكذا G. A. Barton, The Royal Inscriptions of Sumer and Akkad, 1929, p. 32.
(٣٧) لوح العقبيان (The Sile of The Vultures) : لوح حجري إقامه «يانانقوم» عند الحدود القديمة بين لجش وأوما نصيدا لذكرى انتصاره على أوما ، وقد عثر عليه في حفائر لجش (أشور) ، وهو من الحجر الجيري ، وكمياته محفوظة حاليا في متحف المتوفر بباريس . وقد سعى بلوح العقبيان بسبب مناظر مجموعته من العقبيان أو الصيور بنتت حلقة تحمل في أفواهها ومخالبها صرعى أوما وأشلأهم ، أما مفاتيح لجش الذين تقوا حلفهم في ميدان القمار فقد صورت نقوش اللوح تكريمهم بدفنهم وتقديم الفرائين لهم ، وقد مثل الآلهة ننجرسو بحجم ضخيم ونسبة طويئة وقد سجل حاكم أوما على لوح قسمه بكل الآلهة أن يعقدي مسرة أخرى على أراضي الحدود أو جصورها أو فنوتها أو يفتلح ألواح الحدود .
أحمد عبد اللطيف : المراجع السابق ص ٣٣٥ - ٣٣٨ ، وكذا B. N. Kramer, Op. Cit., P. 210-213

ويبدو أن المعركة أشهرت بكلمة من «نجرسو» - محارب أنيل - وأن
 اهلاك أهل أوما إنما تم بتدخل من أنيل نفسه ، ذلك المعبود الهام الذي
 تركز عبادته في نيبور ، وصاحب الكلمة الأخيرة في إعطاء النصر لمن
 يشاء ، وأن «اينانتوم» كان قد تضرع - قبل بدء القتال - إلى
 نجرسو ، ملتصبا عونه ومشورته ، وقد تجلى نجرسو لأيانا توم ،
 وأعلمه أنه هو المختار للانتقام والاخت بالثأر ، وأنبطح «اينانتوم» على
 وجهه ، وشهد رؤيا ، شهد «نجرسو» نفسه يقف إلى جانب رأسه ،
 ويعده بالنصر على أعدائه ، وأن «ينبار» اله الشمس سيضيء المدينة ،
 ويقف إلى يمينه ليشتد أزره ، وقام «اينانتوم» لينفذ ما أمر به المعبود ،
 وتقدم جيوشه إلى أوما .

ودارت المعركة بين الفريقين ، وسرعان ما انتهت بنصر مبين للملك
 «اينانتوم» على عدوه «ووش» وقتل من أعدائه ٣٦٠٠ رجلا (وفي قراءة
 أخرى ٣٦٠٠٠ رجلا) ، ثم تقدم نحو أسوار أوما هتفكا دما ، وسرعان
 ما سقطت المدينة تحت رأسه ، فأعمل ههنا السيف في إفساد كلمة
 كالعاصفة المنجحة ، ثم جمع جثث القتلى من رجاله ، وترك القتلى من
 أعدائه في الغراء ، إلا من وجده يشغل الطريق فآلفى به خارج الأسوار
 هريسة للجوارح والضواري ، ومن هنا جاءت تسمية اللوحة بلوحة
 العقبان .

وكان من نتائج المعركة أن أعيد سهل «جوادين» (جوادنا) فور
 انتهاء القتال إلى لجش ، وبذلك استردت «الضبيعة المحبوبة» لـ
 «نجرسو» ، وأعيدت إليه ، وأعاد «اينانتوم» تخطيط الحدود لصالح
 دولته . وأجبر خصومه على عقد معاهدة جديدة أعاد بمقتضاها المنصب
 القديم إلى مكانه ، وحفر رجاله خندقا كبيرا على طول الحدود ، وأقاموا
 عدة نصب على امتدادها ، وبنوا على جانبيه عدة مزارات لمعبوداتهم
 لتكون رادعا للعدوان ، ويبدو أنه كان من المفروض أن تحرى المياه إلى
 الخندق من قنوات أوما المهزومة ، وإراد ايانانتوم أن يخفف وقع المهزيمة
 على خصومه فسمح لهم باستغلال جزء من أرض الحدود ، على أن يؤديوا

الضرائب عنها ، وذكرت نصوصه أن رجاله حفرُوا قناة كبيرة امتدت إلى خزان كبير متسع عند مدينته لجش^(٢٧) .

وهكذا يمكن القول أن لجش في عهد «ايانانوم» قد تحولت من مدينة إلى دولة تضم المدن السومرية الكبرى ، ثم اشتهرت الحرب على الشمال واستطاعت أن تهزمه — أو ترده على الأقل — كما أوشطب أطماع عيلام وردتها مقهورة ، وأغلب الأمر أن الاستيلاء على أور والوركاء ولارسا وكيش ، وربما أريدو ، حتى تحولت هذه المدن إلى أقاليم تتبع لجش ، قبل أن تحاول كيش وأوبس الدخول في معركة معها ، بقصد صد أطماعها عن أنش-مان : وكانت نتيجة الصراع مع أوما واللاتصار عليها ، أن أصبحت لجش زعيمة مدن بابل قاطبة ، وقد عني «ايانانوم» بتقوية حصونها وخط دفاعها وتدعيم أسوارها ، كما عني بشق القنوات وتطهيرها ، وتشييد المعابد والمياكل لمختلف المعبودات التي نصرته على أعمدائه^(٢٨) .

وخلف «ايانانوم» في حكم لجش أخوه «اياناناسوم» الأول (Enannatum. I) ، ومن عجب أن ينتقل العرش إلى الأخ ، وليس إلى الابن ، غير أن الأخ لم ينل العرش عنوة ، بل من ثم فراء يشير في نقش عثر عليه في الحجة بأنه «الأخ المص» لـ «ايانانوم» ايشرادو لجش^(٢٩) .

.....

(٢٦) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٠٦ - ١٠٨ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١١٦ العريز صالح : المرجع السابق ص ١٠٢ - ١٠٤ ، عهد الحمد زيد الشرق الخالد ص ٢٨ - ٢٩ ، محمد عبد المطيف : المرجع السابق ص ٢٣٣ - ٢٣٨ ، وكذا

G. Roux, Op. Cit., P. 136-137.

S. N. Kramer, Op. Cit., P. 313-315

M. Lambert, in R.A. L., Paris, 1960, P. 141-146.

H. Frankfort, Op. Cit., P. 71-73.

(٢٧) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١١٨ .

(٢٨) نفس المرجع السابق .

وعلى أية حال ، فنقد كان «ايناناتوم» باراً بأربابه ، فخُلق لها المعابد وزينها بالذهب والفضة ، وزودها ببعض الملحقات من المخازن والأبار ، وهناك نقش على قطعة حجرية يزعم فيه «ايناناتوم» أنه منـح ملكيه لجش ، وأنه قبض بيديه على البلاد الأجنبية ، وألقى بالأرض العاصية تحت قدميه ، غير أن هناك ما يشير إلى أن حاكم أوما قد هاجم لجش على أيامه ، وأنه قد هُزم أثناء الدفاع عن مدينته⁽³⁹⁾ .

وجاء بعده ولده «انتمين» Entemena الذي استمرت الحرب في عهده بين لجش وأوما ، وقد نجح في تهر عدوه ملك أوما ، الذي حر من الميدان : غير أن «انتمين» استمر في القتال ، حتى في داخل أوما ، ومع ذلك فلم تنته الحرب بين الفريقين ، ذلك لأن حاكم أوما الجديد (ايل) سرعان ما منع الماء عن القناة التي تروى أملاك المعابد في منطقة الحدود ، مدعياً أنه تجري في أراضي ، وبالتالي فقد وضع يده عليها ، الأمر الذي اضطر «انتمين» إلى شق قناة جديدة من نهر الدجلة مباشرة ليضرب القناة التي تروى أراضي الحدود بالمياه ، وانتهى الصراع ، آخر الأمر ، بإعادة ألواح منطقة الحدود إلى مكانها ، فضلاً عن تسليم بعض المباني في المنطقة⁽⁴⁰⁾ .

وجاء بعد «انتمين» - والذي يعد عهده من أعظم العهود في لجش - حربياً ومعمارياً ملك ضعاف ، بدأوا بولده «ايناناتوم الثاني» الذي تحدد على أيامه الصراع بين لجش وأوما ، والذي قد يير نصوصه إلى أنه قد امتداد ببيت صناعة النجارة الخاصة بالمعبود «ننجرسو» الأمر الذي يشير إلى أن «أوما» كانت قد استولت عليها⁽⁴¹⁾ .

وجاء بعد «ايناناتوم الثاني» على عرش لجش «انتشاري»

39) F. A. Ali, New Text of Enannatum, I, in Sumer, 29, 1973, P. 20.
M. Laroche, La Période Protargonique, in Sumer, 5, 1952, P. 206

40) S. N. Kramer, Op. Cit., P. 114-116

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 119

41) Ibid., P. 212-236

Enetar28 ، وفي عهده فقدت لجش مكانتها المتفوقة ، حتى أنها تعرضت لغارة من جماعة عيلامية ، بلغ عددها ٦٠٠ رجلا ، وإن انتهى الأمر بقمع هذه الجماعة ، وأسر ٤٥٠ رجلا منها^(٤٢) .

وجاء بعد «انتارزي» «نوجال أندا» (Lugal anda) ، وكسل مامكاتا عن عهده انقصر الذي لم يتجاوز سنوات سبع ، أن لجش قد توددت لهدايا مع «أدب» (بين لجش ونيبور)^(٤٣) .

وجاء بعده على عرش لجش «أوروكاغينا» (Urukagina) — والذي ينطقه البعض «أورو أنيمكينا»^(٤٤) — وقد اتخذ لقب «لوجال» في عام حكمه الثاني ، والذي دام ثمانية أعوام أنجز فيها الكثير من المعابد فضلا عن شق قناتين^(٤٥) .

ولم من الأهمية بمكان الإشارة هنا — وقبل الحديث عن إصلاحات أوركاجينا الإدارية — إلى أن الحكام السومريين انصبا قد ردوا انتصاراتهم إلى آربابهم ، كما حرصوا على استفتاء وحيهم وطلب عونهم ، الأمر الذي شجع كهنة أولئك الآرباب على أن يتمتعوا بنفوذ كبير في ذلك الوقت ، وعلى أن يشركوهم قيادة الجيوش لحماية دمار مدينتهم ، كما شجعهم على أن يذكروا أسماءهم إلى جانب أسمائهم ، وقد سمح لهم هذه الأوضاع بأن يزدوا ثراء معابدهم ، ويضاعفوا التزامات السكان إزاءها ، بل ويشغلوا في تحصيل نصيب وأقر من الضرائب على كل ما كبير وصغير ، حتى على جز صوف الغنم ، وعلى طلاق الرجل تزوجه ، وعلى دفن الموتى .. وهكذا زاد نفوذ الكهان

42) S. N. Kramer, Op. Cit., P. 331.

43) M. Lambert, Op. Cit., P. 210.

CAH, I, Part 2, 1971, P. 998.

وكذا (٤٤) فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ص ٧٣ .

45) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 120.

S. N. Kramer, Op. Cit., P. 337, 339.

وكذا

وتنضم ، حتى أصبحوا يشركون الحكام في أهميتهم ، أن هم يكونوا قد
طلعوا على نفوذهم (٤٦) .

واستمر الوضع هكذا ، حتى جاء «أورو كاجينا» (Urukagina)
الذي وجه همه إلى الإصلاحات الداخلية ، وتعهد أن يحدد من دخل
الكهان ، ويمنع الرشا ، ويعزل من حامت الشبهات حولهم من الموظفين ،
قائد عدة قرارات تحدث في بدايتها عن المساواة التي سبقت عهد ،
وكيف كان الكهنة والموظفون ينتصبون فيها أرزاق العباد ، ويستغلون
مزارع العباد وماشيئها ، كأنما هي ملك ضلح لهم ، ويشغلون حتى في
أمور الدفن ، وأعلن في أحدها كيف أقر ربه بأسه في قلوب ست وثلاثين
أنفا من رعائاه ، وكيف وفقه إلى أن يفسر على هداه ، ويعيد الأهلين
الذين قاسوا المظالم .

هذا وتعد إصلاحات «أورو كاجينا» أقدم ما سجله التاريخ عن
تشريعات إدارية ، وقد أهتم فيها بالقضاء على المفاسد السابقة ،
وتخفيف الضرائب عن كاهل الناس ، والعفو عن المسجونين بسبب عدم
الوفاء بهذا الضرائب ، كما خفف عن الملاحين عبودية العمل في مراكبهم
بمصلحة نظير الملاحية ، وعن الرعاة عبودية العمل وراء الصير والانتاج
لخدمة نظير الماشية ، ومنع أثرياء تقصوم من أن يشعروا دورا تجاور
أعمالهم : إلا يرضى من أصحابها ، والا بدفع ثمنها ، وأعلن - أمام ربه
نجرسو (نين جرسو) مسؤوليته عن الأراكل والأهلي : وعن حماية
الفقراء من الأغنياء ، كما خفف مرتبات الكهنة إلى النصف ، وألزم
العراقين في المعابد بتقديم نساء لهم بدون من مقابل ، بعد أن كانوا
يشتغلون في تقدير أجورهم ، والزام الناس بدفعها (٤٧) .

(٤٦) عبد العزيز صليح : المرجع السابق ص ١٠٤ .
(٤٧) عبد العزيز صليح : المرجع السابق ص ١٠٤ - ١٠٥ ، وكذا
S. N. Kramer, Op. Cit., P. 317-322.
C. J. Gadd, Op. Cit., P. 142.
M. Lambert. Les reformes d'Urukagina - la Revue d'assyriologie, V, 1956.

على أن انصراف «أورو كاجينا» إلى إصلاحاته الداخلية ، فضلاً عن عدم الاهتمام بما كان يدور حوله في «أوما» — عدوة لجش اللدود — إنما أعطى الفرصة لحاكم «أوما» (لوجال زاجيزي) لأن يقوم بهجوم ضائف على لجش ، فأضرم النار فيها ، ونهب ثرواتها ، واستولى على معابد الأرباب فيها ، وحطم أصنامها ، وقد سجل أحد كتبة لجش ما أصاب بلده على لسان مليكه ، فقال : «إن رجال أوما بالاحتياجهم لجش ، إنما قد ارتكبوا اثماً عظيماً فد ننجسو : إن القوة التي منعت لهم ستؤخذ منهم ، ليست هناك من خطيئة أو ذنب على أورو كاجينا ، ملك جرسو ، أما عن «لوجال زاجيزي ، أيشاكو أوما ، ألا غنتم من ربيته نيدايا أئمه فوق رأسه»^(٤٨) .

(٥) عهد لوجال زاجيزي وتوحيد المدن السومرية :

عرف «لوجال زاجيزي» Lugal Zagesi كجطل سومري ، كتب له نجاحا بعيد المدى في أن يخضع المدن السومرية جميعا ، وأن يؤسس دولة كبيرة ، وإن كان عمرها قصيرا ، لم يتجاوز ربع القرن . — طبقا لما جاء في قائمة الملوك السومرية ، وإن كان هناك من جعلها ٢٩ عاما (٢٤٠٠ - ٢٣٧١ ق.م) ومن جعلها ٢٤ سنة (٢٣٤٠ - ٢٣١٦ ق.م)^(٤٩) ، وثيا كان الصحيح في هذه الأرقام ، فإحدى لاشك فيه أنها كانت أكبر من أية دولة استطاعت أية «دولة سومرية» أن تضمها داخل حدودها ، ثم نقل عاصمته من «أوما» إلى الوركاء (أوروك) ، واعتبر نفسه ملكا على سومر (لوجال كالاما) .

48) G. A. Barton, Op. Cit., P. 90-91.

S. N. Kramer, Op. Cit., P. 323.

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 143.

G. Roux, Op. Cit., P. 138.

(٤٩) فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ص ٧٢ ، عجيب ميخائيل :

المرجع السابق ص ١٢٧ ، وكذا

G. Roux, Op. Cit., P. 139.

S. N. Kramer, Op. Cit., P. 59, 323.

CAD. J, Part, 2, 1971, P. 498.

«مذا وقد عثر في نيبور على قطع من ألوان تكمل بعضها البعض - وقد كرست لافلين - استقطاع الباحثين من ورائها أن يجمعوا نصا بلغ الأهمية عن (الوجال زاجيزي) : ويبدأ النص بمجموعة من الانقلاب - دائرة قائمة بالبلاد التي أخضعها ، وحدود دولته في العصر الذي سخر فيه النص ، ثم يقول النص بعد ذلك «عندما عهد أنليل رب الدنيا بملكية هذه الأرض إلى لوجال زاجيزي ، وهيا له النجاش في أمين نيلاد ، أقر للمدانة في الأرض ، وغلب بأسيه البلاد من مشرق الشمس إلى مغربها ، وقرض أنجزى على أهلها ، وحقت الديانة له حينذاك ، من البحر الأرض والمجلة والمغربات إلى البحر الأعلى ، واستقرت أحوال البلاد في سلام - وستبت الأرض بماء السعادة ، وأهلوه في هياكل سرور ليكنوا ليناتكو - وفي الثوركاك سيكون كاهن أكبر ، عنك جعل الثوركاك يتمتع قرج - أنه كابر رفع رأس اور إلى السماء ، وروى لأرسا - مدينة أله الشمس المحبوبة - بماء أنسرور ، وأما أومسا المدينة المحبوبة ... غنة رفعها بالقدود المجددة ...»

ونزل من الجدير بالأشاره هنا أن هناك عبارة غامضة في النص يدعينا فيها لوجال زاجيزي ، أن أنليل إنما عتق له السيادة من البحر الأسفل إلى البحر الأعلى : أما البحر الأسفل أو الأدنى فهو الخليج العربي ، وأما البحر الأعلى فهو من التسعوية يمكن أن يكون «بحيرة رومية» أو «بحر قزوين» ، وإنما هو البحر المتوسط ، وهنا يجدر بنا أن نشير : بل ان كانت دولة لوجال زاجيزي حقا شمال العراق وب سوربة حتى مناطق البحر المتوسط ؟

في الواقع أن ذلك مستبعد جدا ، وليس هناك من دليل عليه - أو أدارة ونسخة تؤكد : بل أن علاقة - ب - تؤكد نفسها ليس من دليل عليه ، كذلك : وأغلب الأمر أن حدوده لم تزد عن بلاد سومر نفسه ، وأن النص لا يحتمل هذا التخريج ، خاصة وأنها منتهى بعد قليل بعنقة كيش تبسط سيادتها على بابن الشماليه .

وأيا ما كن الأمر ، عصرمان ما ينتهي حكم «لوحال زاجيزي» - وهو الملك الوحيد في أسرة الوركاء الثالثة - على يد «سرجون» الأكدي ؛ وكان هذا في الواقع أمراً خطيراً ؛ فهو يعني أولاً : انتقال السلطة من السومريين إلى الساميين ، وهو يعني ثانياً : نهاية عصر الأسرات المبكر لحكمات المدن في تاريخ العراق القديم . وبداية عصر جديد ، يتغير فيه النظام السياسي للبلاد ؛ حيث تنتقل من حكومة المدينة إلى حكومة الدولة ، الأمر الذي تم على أيدي الساميين ، دون سواهم من سكان العراق القديم ؛ حتى هذه الفترة (٥٠) .

(٥٠) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٠٤ - ١٠٦ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٢٧ - ١٢٨ ، وكذا

G. Roux, Op. Cit., P. 139.

S. N. Kramer, Op. Cit., P. 58-59, 321-324.

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 143.

G. A. Barton, Op. Cit., P. 98-99.

الباب الثالث

العصر الاكدي

(٢٢٧٠ - ٢٢٣٠ ق م)

الفصل الأول

السياسة الداخلية

(١) الساميون في جنوب العراق :

منذ الألف الرابعة قبل الميلاد ، بدأت هجرات الساميين من موطنهم الأصلي في شبه الجزيرة العربية^(١) ، إلى سهل دجلة والفرات في موجات متتالية ، وقد أثر هذا من قبل ، إلى وجود علاقات بين سكان شرق الجزيرة العربية ، وسكان جنوب العراق من أولئك الذين كانوا يحترفون الصيد وجمع الغذاء ، وأن مجموعات بشرية من شرق الجزيرة العربية قد هاجرت إلى السهل الفخمي القريب منهم ، وساهمت بذلك في خلق نوع من التفاعل الثقافي ، ومن ثم فهناك تبادل بين جنوب العراق وشمال شرق الجزيرة العربية في الأدوات الحجرية والمنتجات البحرية. إبان عصر النحاس ، وربما أدى هذا التبادل إلى هجرات دورية حدثت على المدى الطويل من شرق الجزيرة العربية تجاه الوادي الفخمي في جنوب العراق^(٢) .

وأكثرنا نلاحظ أن مواطن الاستقرار التي تنتمي إلى حضارة النحاس في بلاد العرب - وخاصة تلك التي تقع على طول الساحل - قد تبادلت المواد الخام مع مثيلاتها في جنوب العراق ، فتلقت كانت مواد التبادل هذه تتمثل في الأصناف واللآلئ والمنتجات البحرية الأخرى : فضلا عن المواد الحجرية المصنوعة من سواحل شبه الجزيرة العربية ، هذا فضلا عن أن وجود حجر الأوبسديون في مواقع الجزيرة العربية ، إنما هو دليل على العلاقات بين هذه الأخيرة وبين الشمال عن طريق جنوب العراق .

(١) قدم الباحث دراسة مفصلة عن موطن الساميين الأصلي (محدد ببحر مهران : الساميون والفرات التي دارت حول موطنه الأصلي - الرياض ١٩٧٤) .

(٢) A. H. Murry, Prehistory in Northeastern Arabia: The Problem of Interregional Interaction, Miami Florida, 1971. P 1-16

ولعل من الجدير بالاشارة أن الفترة التي بدأت تتكون فيها المدن في العراق ، إنما قد توافقت زمنيًا مع فترة اختفاء حضارة العبيد في الجزيرة العربية ، الامر الذي قد يشير إلى أن هجرة كبيرة من سكان شرق الجزيرة العربية قد نزحت إلى العراق القديم في نهاية الألف الرابعة قبل الميلاد ، وهذا يتفق مع ما افترضه العلماء من أن تدفق السكان على سهول العراق ، إنما كان حاسمًا في قيام المراكز المتخفية هناك (٢٤) .

وهكذا - وبمرور الأيام - استطاع هؤلاء القادمون من شمالي الجزيرة العربية أن يكونوا لهم - إلى جانب السومريين - مدنًا ، لكل منها أمير يحكمها ، ومعبد تقام فيه طقوسها ، والاله يحمياها ، وكان الساميون الأوائل أقل حضارة من السومريين ، فأنفذوا عنهم الكتابة والعمارة والدين والنظم الادارية ، ثم سرعان ما بدأت المدن السومرية ترتطم بمناقسة خطية من مدن الساميين - الأكديين - ثم أبدى الأكديون (الأكديون) تنوعًا عسكريًا ساحقًا انتهى بهم إلى السيطرة على البلاد ، على أيام أول ملوكهم «سرجون الأول» (٢٣٧٠ - ٢٣١٥ ق.م) (٢٥) .

على أن هناك وجهًا آخر للنظر يذهب إلى أن الساميين ، ربما كانوا هم الذين سبقوا السومريين إلى جنوب العراق القديم ، فخلد وجدت في أقدم الوثائق السومرية من الألف الثالثة قبل الميلاد ، أسماء وتكلمات سامية منفردة ، مما دفع البعض إلى القول بأن أصحابهم هم السلاف الساميين الذين سبقوا السومريين في الاستيطان بالقسم الجنوبي من النهر الميزوبوتامي ، وغرضوا كلماتهم على اللغة السومرية ، ومن هذه الكلمات غير السومرية تسميات نوري دجلة والفرات ، وعدد من مدن جنوب العراق ، فضلًا عن أسماء بعض الحرفيين مثل الفلاح والزراعي

3) 1976, P. 19-20.

(٢٤) حسن ظاظنا : الساميون ولغاتهم - الاسكندرية ١٩٧١ ص ٣٤ .

والنهباج وصانع البلال والتاجر والتجار ، ويبدو أن بعض أسماء هؤلاء
الحرفيين سامية ، وخاصة «تاتجار» والتي تعني في لغتنا العربية
«تجّار»^(٥٥) .

وهناك منذ بداية العصر التاريخي الكثير من الأسماء السامية ، مثل
«أبل» بمعنى آله ، وقد اتخذت كنسمة لآله سامي ، وكذا «الوليم» ،
وهو اسم سامي حماء هان أريدو ، وهو التدم ملك لأول حكومات المدن
التي نزلت عليها الملكية ، كما كان نزول الملكية — للمرة الثانية بعد
الطوفان : في «مدينة كيش» التي يبدو أنها كانت مركزا لتجارة
السامية ، فقد حوّل أكثر من اثني عشر من ملوكها الثلاثة والعشرين
أسماء سامية ، بل وقد انفرجت كيش ، دون غيرها من مدن جنوب العراق
التيدهم بقيام أربع أسر حاكمة أبان عشرين الأسرات السومرية المبكرة ،
الأمر الذي يشير ، دونما ريب ، إلى مركزها المتفوق^(٥٦) .

وعلى أية حال ، فإن مجموع العناصر السامية انما كان في جنوب
العراق ، وذلك لجوار هذه المنطقة منطقة الفرات الأوسط التي وفدت
عنها للهجرات السامية التالية ، منذ مطلع الألف الثانية قبل الميلاد ، ومن
ثم غدت أطلق على هذه المنطقة — وتندم بابل وكيش وأكد — «أرض
أكد» ، بينما أطلق على القسم الجنوبي — والذي يمتد من نيبور شمالا ،
وحتى أريدو جنوبا — «أرض سومر» ، وعلى أية حال ، نغرض أن التوزيع
الجغرافي للمواقع الأثرية التي وجدت بها النصوص التي تذكر أسماء
الاعلام السامية إنما يدل على أن الأكديين انما كانوا منتشرين في رقعة
جغرافية واسعة نسبيا ، وأنه من السهولة بمكان تحديد فواصل محددة

(٥٥) محمد عبد الحفيظ الخرجي السابق عمر ١٨٢ - ١٨٢ ، وكذا

A. Lloyd and E. Schar, *Op. Cit.*, P. 156-157.

J. N. Kramer, *The Sumerians*, Chicago, 1939, P. 41.

(٥٦) محمد الكريم عبد الله : ملاحج الوجود السامي في جنوب العراق

الجزء الثاني : مجلة أكديا - مجلة سومر - العدد ١٠ - ص ١٧١
١٧١ - ١٧١ ، ١٧١

M. Mallevan, in *CAH*, 1, Part 2, 1971, P. 272.

C. J. Gadd, *Op. Cit.*, P. 189.

لمناطق الاستقرار السامي والسموري في عصر الأسرات المبكر ، خاصة وأن الأسماء السامية وردت في أسرات الموركاء وأور السمورية ، كما وردت الأسماء السومرية في أسرة كيتي : هذا فضلا عن أن مدينة سيجار — وهي في شمال أكد — ترد في أسطورة الطوفان السومرية ، كواحدة من المدن السومرية المخصى التي نزلت عليها الملكية من السماء^(٧) .

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى أننا لا نستطيع أن نؤكد أن «الأكديين» انما كانوا ينتمون أصلا إلى «المارتو» الساميين ، الذين وجدوا على النجوم الغربية لمنطقة الفرات الأوسط ، وقد وصفهم السومريون بالبدو^(٨) ، غير أن مثل هذا الافتراض انما يبدو مقبولا ، فلقد تركزت العناصر السامية التي نزلت إلى السهل الميزوبوتامي في تواريخ لاحقة — وخاصة الاموريين — في نفس المنطقة التي وجد فيها «المارتو» ، كما تعتبر نسبة الجزيرة العربية — وخاصة أطرافها الشمالية — هي المنطقة التي صدرت عنها الهجرات السامية في انعصر التاريخ ، ونقرأ في نقش منبور للملك الأكدي «مرجون الاول» ، ما يفهم منه صراحة : أنه وعشيرته قد نزحوا إلى العراق من شبه الجزيرة العربية^(٩) .

هذا فضلا عن أن الاموريين انما قد وجدوا في نفس المنطقة التي سادها «المارتو» Mar-Tu وأنهم قد هددوا أسرة أكد نفسها ، الأمر الذي اضطر الملك الأكدي «شاركالي شاري» (٢٢٥٤ — ٢٢٣٠ ق.م) خاضه ملوك هذه الأسرة إلى القيام بحملة ضدهم ، وتقييد تسمية العام الثاني من حكمه بأنه العام الذي «قهر أمورو عند باصار» فيه ،

(٧) فاضل عبد الواحد على : السومريون والأكديون — كتيب العراق التاريخ — بغداد ١٩٨٢ ص ٧٤ وكذا

S. N. Kramer, in ANET, 1966, P. 43.

(٨) S. N. Kramer, The Sumerians, Chicago, 1970, P. 264-267.

(٩) سيبتيو موسكاني : الحضارات السامية القديمة — ترجمة وزارة علي السيد يعقوب بكر — القاهرة ١٩٦٨ ص ٥٣ — ٥٤ : حين ظلالا : مرجع السابق ص ١٢٦ .

و«إحصار» اسم مكان يضم مجموعة من القلائد في الصحراء السورية العربية ، ويطلق عليه حالياً اسم «جبل بشري» ، ويقع إلى الجنوب الغربي من مصب نهر بلخ (بالخ) في الفرات ، في غرب «دير الروز» الحالية ، ومن المؤكد أن جهد «شار كالي شاري» إنما كان جهداً دفاعياً ، ذلك لأن الرجل لم ينتقل بعد ذلك إلى منطق أبعد في الشمال الغربي ، كما يرجح أن الهدف من الحملة إنما كان حصد خطر الآموريين الساميين الذين يبدو أنهم أرادوا الاستفادة من ضعف دولة أكد ، والنزوح إلى السهل الميزوبوتامي بغية تحقيق حياة أفضل لأنفسهم^(١٠) .

وسرعان ما ازداد خطر الآموريين في أخريسات الألف الثانية قبل الميلاد ، وازدهروا فرصة انهيار أسرة أور الثالثة (٢١١٣ - ٢٠٠٩ ق.م) ثم سقوطها على أيدي الميلايين ، لينزحوا نحو السهل الميزوبوتامي ، ويقوموا لهم حكماً في كل من آشور وبابل (وتسمى في اللغة البابلية «باب - إينو» بمعنى باب الله) في بداية الألف الثانية قبل الميلاد (أسرة بابل الأولى)^(١١) .

(٣) سرجون الأول (٢٣٧٠ - ٢٣١٥ ق.م) :

كان سرجون الأول زعيم سامي استطاع أن يؤسس أول دولة كبيرة في العراق القديم ، كتب لها نجاحاً بعيد المدى في تشكيل مستقبله السياسي خلال غرة تزيد عن القرن ونصف القرن ، وفي أن تذهب بولاء الأعراد والجماعات نذهم وزعمائهم المحليين ، إلى الولاء للدولة في

(١٠) محمد بيومي مهران : مصر والشرق الأدنى القديم - الجزء الثامن - بلاد الشام - الإسكندرية ١٩٩٠ ص ٦٢ - ٦٣ ، محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٩٤ ، وكذا

C. J. Gadd, The Dynasty of Agade and The Gûtion Invasion, in CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971, P. 155.

J. Bottéro, Syria at The Time of The Kings of Agade, in CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971, P. 327.

(11) W. Hinz, Persia, C. 2400-1800, in CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971 P 659.

S. N. Kramer, The Sumerians, Chicago, 1970, P 71

مجموعها ، ولحاكمها الأعلى الكبير ، ودعت إلى تسوع من تعظيم أولي الأمر الكبير ، زكى لدى بعض أهل العراق القديم فكرة تقديس الحكام ونعتهم بموت الربوبية ، وإن لم يسلّم جميعهم بهذه الفكرة على سواء ، وأدخلت معها ألفاظاً ومسميات سامية وجذب سببها إلى لغة الدين والأدب وأسماء الأفراد ، فأدخلت إلى الدين اسمي «سين» و «اسمش» ربي القمر وانشمس ، إلى جانب اسميهما السومريين «القديمين» «ننا» و «أوتو» واسم المعبودة «عشتار» ربة الزهرة ، التي غاضت «انانا» انسومرية ، ثم حلت محلها ، كما أدخلت معها بعض صفات ربانية مثل «بعل» بمعنى سيد ، و «إيل» (أو إل) بمعنى إله ، وألقبها كهنوتية مثل «اشيبو» بمعنى كهنة الطقوس ، وعدداً كبيراً من أسماء الأفراد ، كن من أطرافها اسم يقرب من اسم «اسماحيد» وذلك غشلاً عن لقب «شرو» بمعنى ملك ، وقد حل محل لقبه «لوجان» السومري (١٢٢) .

هذا — وطبقاً لما جاء في قائمة الملوك السومرية — كان «سرجون» — وصحة اسمه في اللغة الأكادية «شرو — كينو» (Sharum + Kenu) ومعناه حرفياً «الملك المكين» أو «الرئيس القوي» — ومن الواضح ، فيما يرى الدكتور حسن ظاظا ، أن هذا لم يكن اسمه ، وإنما لقبه بعد توليه الحكم المطلق في العراق ، وأنه (أي سرجون) هو الذي أسس مدينة «أكّد» — كما ينطق اسمه في الأكادية ، و «أجد» في السومرية — وتقع على مقربة من «كيش» في جنوب العراق — في نقطة غير محددة بعينها على وجه اليقين ، وإن رأى «أندريه بزو» أنه ربما كانت قرية الدين ، وتقع على مقربة من ناحية الیوسفية ، وعلى مسافة ١٨ كيلاً غربى بغداد ، فيما يرى آخرون ، وأنه قد حكم ٥٦ عاماً . وأن أباه كان بسالياً ، وأنه هو كان حامل الكأس للملك «أور — زابابا» (١٢٣) .

[١٢٢] عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤١٦

[١٢٣] أندريه بزو : بلاد آشور — ترجمة حميد سنجار وسمير الشكريتي — بغداد ١٩٨٠ ص ٣٣١ ، صمد عبد القادر : السامريون في العهد البابلي القديم ص ٦٩ ، ح ١٠ ، ملاحظة : المرجع السابق ص ٢٥٠-٢٥١ ، وكذا

[١٢٤] Weidner: Der Reich Sargons Von Akkad in AfO, 16, 1952 P. ١٠٠

هذا وقد كشف في «نيدوي» عن رأس أغلب المظن أنها تمثل (سرجون) ، وهي محفوظة الآن بمتحف بغداد ، وتمثل شخصية حقيقية عاشت في النصف الثاني من الألف الثانية قبل الميلاد ، وتلفت هذه الرأس نظر مشاهدها ، على الرغم من غمياح التطعيم الخاص بالعيزين ، ولكن هذا زال على الوجه مسحة من خرم وعزم : وعلى فمه ابتسامة هادئة رقيقة ، وقد ربط شعره بعصابة عقدت عند تق رقبته بتسريحة شمع ببت بثلاث حلقات من ذهب ، وأما لحيته فتعرجا منظم في هيئة خصلات تعبر عن عظمتة وقوته ، ووضع على رأس أسرة سارت لوطنيا صفحات من المجد والفخر (١٤) .

وعلى أية حال ، فالذي لا ريب فيه أن سرجون الأول أو الأكبر ، إنما كان قائدا عظيما ، كما كان أول من فكر في نقل المعراق من نظام الاهارات أو الدويلات الصغيرة المستقلة إلى وحدة اقليمية ووظيفية ضخمة ، ومن ثم فقد اتخذت سيرته في الاجيصال التي جاءت من بعده صورة أسطورية ، وكثرت من حوله الاسعار والافغيات التي يبدو فيها : وقد تحول إلى ما يشبه شخصية عنقزة بن شداد أو أبو زيد الهلالي في الاساطير الشائعة عندنا ، وقد وردت أسماء من ذلك في بعض النقوش التي عثر عليها في بلاد آشور في شمال العراق وفي بقايا الهيكلين في تركيا وسورية ، وفي نقوش من المعاصرة في مصر (١٥) .

هذا وقد حدثنا سرجون نفسه عن نفسه : بأنه قد نشأ في بيئة متواضعة ، وأنه لم يعرف أباه ، وأن أعمامه استصوبوا حياة اجهال ، وأن أمه وضعتة خفية في مدينة «أزوبيرانو» (Azapiranu) على ضفة الفرات ، ثم وضعته في سلة من فصب ذهبي ، بالقرار ، وألقت بها في

(١٤) حمد الحميد وأبو النضر الحالك ص ٦١ ، وكذا M. Mallowat, Op. Cit., Pl. ٢٢.
(١٥) حسن طافيا : المرجع السابق ص ٣٥ ، وكذا S. Moscati, Histoire et Civilisation des Peuples Semitiques, Paris, 1955 P. 52

النهر ، فاحتمله الله حتى انتشلته فلاح مبارك يدعى «أكى» : وهو يعمل بسادونه على ضفة النهر ، فاتخذ ولدًا ، وعلمه صنعة البستاني ، ولما بلغ أشده أحبته «عشتار» فجهلت منه ملكًا ، ويبدو أن سرجون لم يقصد بهذه الرواية اظهار التواضع ، بقدر ما تعتمد تأكيد عصاميته ، ورعاية الرتبة له ، ووصوله الى العرش بفضل تاييدها .

على أن أسطورة أخرى تذهب الى أن سرجون انما كان بستانيا ، ثم أصبح ساقيا للملك «أور - زبابا» (Ur-Zababa) ، ملك كيش ، وأنه ثار ضد مولا ، واستطاع أن يخلعه ويغتلى انعرش من بعده ، ذلك لانه كان يقوم بالخدمة في معبد الاله السامي «مردوك» (مردوخ) في مدينة بابل ، وأنه قد أحسن عمله ، فتنقلبه مردوك ببولاً حسناً ، ومن ثم عقد جمعه سيداً على البلاد في مكان مولا «أور - زبابا» الذي أراد الاخلال بطقوس عبادة مردوك بتغيير قربان الشراب بمعبد^(١٦) .

على أن انتقال العرش من «أور - زبابا» ملك كيش الى سرجون ملك أكد يتعارض وما أوردته قائمة الملوك السومرية التي ذكرت خمسة ملوك بعد «أور - زبابا» (هم سيمودارا - أومسيو ثار - عشتار - موتي - ايشمي شمش - خافيا) ، ويعكس بعض الباحثين ذلك بأن «سرجون» الأكدي ، انما كان في هذه الفترة المبكرة من حياته السياسية ، مجرد متاول للسلطة الحاكمة في كيش ، وأنه لم يكن قد أقدم بعد على الانتفاض عليها واستطاعها ، على أن هناك آخرين يذهبون الى أن سرجون لم يحظ بمركز متفوق في أول عهده ، ربما لأنه شغل وقت ذاك

(١٦) عبد العزيز صانح : المرجع السابق ص ١٦ ، فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ص ٧٥ ، وكذا

G. Roux, Op. Cit., P. 145-146.

S. N. Kramer, Op. Cit., P. 324.

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 418-422.

E. A. Spenser, in ANET, 1966, P. 119.

E. Weidner, Op. Cit., P. 1-24.

وكذا

وكذا

وكذا

وكذا

ثم قارن :

J. Leway, in Hebrew Union College Annual, 19, 1946, P. 420, 480.

ببناء عاصمته الجديدة «أكده» (أجادة) والتي لم يتقل إليها إلا بعد أن غرق نفوذه على البلاد في اعتاب انحصاره على «لوجال زاجيزي» ملك الوركاء (عنى مبعدة ٩٠ كيلا من مدينة السماوة ١٢٨ كيلا شمال غرب أور) ، ثم القضاء على مقومة المدن السومرية المتناوئة .

وأيا ما كن الامر ، فالذى لا ريب فيه ، أن سرجون الأكدي هذا ، انما يعد بحق واحدا من انقادة السياسيين والعسكريين العظام في التاريخ القديم ، وأنه قد كتب له نجاحا بعيد المدى ، وفي غضون فترة قصيرة ، في أن ببسط نفوذه على كل بلاد سومر ، حتى أن أحد النصوص السومرية انما يشير إلى قوله مثبور «أنه غسل سلاحه في مياه البحر السفلى» أى في مياه الخليج العربي^(١٧) .

هذا وتشير نصوص سرجون إلى أنه قد استطاع أن يسيطر على بلاد سومر جميعها ، وأنه بدأ بالزعيم «لوجال زاجيزي» ألقبه الديتية والديتوية ثم يخلعها على نفسه ، وربما يدخل في نطاق هذا الهدف إقامة ابنه «انخدوانا» في وظيفة كبيرة كاهنات الله القمر السومري «نننا» (ننا - أو ننار) معبود مدينة أور ، وهو تقليد بدأه سرجون ثم استمر بعد ذلك كامتياز لأخوات وبنات الملوك^(١٨) . الامر الذى فعله كذلك الفراعنة المصريون عندما جعلوا من زوجاتهم ، ثم بناتهم فيما بعد ، زوجات للاله أمون^(١٩) .

(١٧) فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ص ٧٥ ، محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٤٩ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ .

A. L. Oppenheim, in ANET, P. 267.

S. N. Kramer, Op. Cit. P. 324.

18) A. L. Oppenheim, ANET, P. 267.

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 435.

W. W. Hallo and W. K. Simpson, Op. Cit., P. 59.

(١٩) أنظر التفصيلات (محمد بيومي مهران : عصر ... الجيزة الثالث ص ٩٢٦ ، ٦٤٤ ، الحضارة المصرية الجزء الثاني ص ٦٣ ، وكذلك

J. H. James, in CAH, II, Part 2, Cambridge, 1973, P. 307.

A. H. Gardner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, P. 332.

هذا وقد اتجه سرجون — بعد انقضاء على «الوجند زاجيزي» إلى الهجوم على بقية المدن السومرية الهامة — إلى أور ولجش وأوما — فأحرز عليها نصراً مؤزراً ، بل أن نصوصه إنما تشير إلى أنه قد دك هذه المدن ودمر أسوارها ، وهكذا أصبح سرجون سيداً على كل أرض سومر ، ومنحه لنيل كل المنطقة من البحر العلوي إلى البحر السفلي (٢٠) — أي من البحر المتوسط إلى الخليج العربي — وحقق له حينذاك لقبه الذي ادعاه لنفسه ، وهو لقب «ملك أرض سومر وأكد» ، وتوطدت لدولته الموحدة منذ ذلك الحين «مكانات بشرية وموارد مادية ضخمة» ، لم تنتهياً لدويلات المدن السومرية أو السامية القديمة قبل عهده ، كما توطدت لها السيطرة على شرايين التجارة في بلاد النهرين كلها (٢١) .

ولعل من الجدير بالاشارة أن سرجون إنما قام بكثير من الإصلاحات الداخلية ، ففي الناحية الإدارية ، لم يعتمد على ولاء المدن السومرية كثيراً ، بل أنه كون له أتباعاً يدينون له بالولاء ، ثم أقطعهم شتاً من الأراضي التي كانت تتبع المعابد من قبل — الأمر الذي أثار عليه المكاهن فيهما بعد ، فانضموا إلى الثأرين ضده — وفي الواقع فإن أي نتائج ما كان بمستطاع أن يطمئن على ولاء المدن المملوكة ، وأكبر الفلن أن سرجون إنما قد أنشأ حاشية خاصة به ، مستغلاً في ذلك روابط الدم والنسب بالمعنى الواسع للعصبية القبلية ، الأمر الذي يشير بوضوح إلى أن المتوكل الأكديين قد تعمقوا مبادئ العنصر الأكدي على حساب العنصر السومري ، وأسرفوا في تأكيد مظاهر سلطانهم الفردي ، بحيث أصبح من رجال حاشيتهم من يسمى ولده «سروكين إيني» بمعنى «سرجون — الوصي» ، أو أصبح أنصار «نارام — سين» هيماً بعد ، يرمزون إليه ، كما لو كان «أله أجداده ، وأله بلدته» ، وصورة بتناج الأرباب ، على حين أصبح حكام المدن في عهده يطلقون «بخدم الملك أو عبده» وكان في هذا

20) C. J. Girdle, Op. Cit., P. 421-422

S. N. Kramer, Op. Cit., P. 32-

وكذا

(٢١) عبد العزيز صانح : المرجع السابق ص ١٧٧ .

التطور ما يفسر تدمير أهل المدن السومرية ذوى الحضارة القديمة ، من حكم الأكديين ومحاولاتهم المتكررة للانسلاخ عن جسم الدولة منذ أواخر عهد سرجون نفسه (٣٣) .

هذا وقد حاول سرجون أن يكسب ولاء عامة النجوم . ومن ثم فقد عمل على ادخل اسم الملك في العقود ، مع أسماء الالوية . وكان هذا أمرا هاما من وجوبين ، الواحد : أنه يعنى طاعة الملك والتمسك بولائه . والثاني : تثبتت حقوق المتعاقدين ، ذلك لأن الذى يخل بشروط العقد — بعد أن أقسم باسم الملك — إنما يسيء الى الملك نفسه . ومن ثم فقد اتسعت صلاحية القضاة الذين كانوا قبل أيام سرجون أثبة ما يكونون بالمحكىين ، وقد صار حكمهم — منذ العهد الأكدي — الزاميا باسم الملك ، ومن ثم يكون سرجون ، بموجب هذا التعرف الجديد . قد توجد بوجه علمى مشكلة للاستئناف فى البلاد ، مستقلة عن المدن الأخرى . وعلى رأسها الملك نفسه ، وليس هناك من ريب فى أن هذه خطوة هامة فى تطور المشرائع فى العراق القديم (٣٤) .

على أن الأمر لم يقتصر على ذلك ، بل أن سرجون — رغبة منه فى توحيد الوحدة الخومية — قد أقدم تقويما موحدا لكل الدولة . وكان النجوم قبل أيامه يؤرخون الأحداث طبقا لأشهر وأعياد خاصة بكل مدينة . وأخيرا فقد كان وجود حاكم فرد يدعو نفسه «ملك الجهات الأربع» (وهو لقب كان ينطق باللغة السامية «شمار كبروات أربعيم») —

(٣٤) منه بانقر : مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة — تاريخ العراق القديم — بغداد ١٩٥٥ ص ١٣٢ ، هنرى فرانكفورت : فجر الحضارة فى الشرق الأدنى — ترجمة مبخايل خورى — بيروت ١٩٦٥ ص ١٠٠ ، عبد العزيز صاويح : المرجع السابق ص ١٢٤ ، ل. ديلاپورت : بلاد ما بين النهرين — ترجمة محرم كمال (الألف كتاب رقم ٢٤) ص ١٢٥ ، وكذا H. Frankfort, Kingship and The Gods, Chicago, 1943 P. 406.
H. Frankfort, The Birth of Civilization in The Near East. P. 74
(٣٥) طه دافر : المرجع السابق ص ١٢٤ وكذا H. Frankfort, The Birth of Civilization, P. 75.
H. Frankfort, Kingship and The Gods, P. 406. وكذا

Shar Kibrat Arbaim — وفي السومرية (Legal-ol-da Limnu-Ba-

يذكر الناس دوماً بوحدة الدولة ، وإن كان هذا اللقب قد اعتد أسلاف
سرجون من قبل ، أن يصنعوا به سلطان أربابهم الكبار — ولا سيما آمو
وانليل وشمش — فانتحلة سرجون ، وإن لم يقصد تأليه نفسه ، أو جعل
نفسه لها ، وإنما أبغى من وراء ذلك أن يفتح نفسه ، ويقتنح شعبه بأنه
نائب الأرباب على جهات الأرض كلها (٢٤) .

هذا وقد أهتم سرجون بالجيش وأسلحته كثيراً ، ومن ثم فقد
تطورت أساليب التصرب والسلاح في عهده ، فمثلاً كانت الأسلحة
السومرية ثقيلة تعوق حركة الجنود في المناورة ، فقد كانوا يستعملون
التروس الثقيلة على هيئة نظام الصف (Phalanx) مع الرماح الطويلة
والفؤوس الثقيلة ، فعمل الأكديون على تسهيل حركة الجنود في المناورة ،
مستعملين أسلحة خفيفة ثلاثون والنبال ، ذلك لأن الأقواس والسهام
سهلة الحمل ، لا تؤثر على حركة الجيش أثناء التقدم والانسحاب ، كما
هو الحال مع راجمات الأحجار ، هذا فضلاً عن أن إدخال طريقة المبارزة
— رجلاً مع رجل — إنما هي أكثر نفعا مع المشـعوب التي كانت تجعل
الأساليب المتطورة في القتال ، كما اعتمد الأكديون على الأعداد الكبيرة
في تعبئة الجيوش ، ومن ثم فقد حدثت سرجون في أحد نصوصه أنه قاد
جيشاً قوامه ٥٤ ألف جندي ، ولعل السبب في هذه الزيادة في عدد أفراد
الجيش لم يكن بسبب حاجة أساليب القتال إلى هذه الأعداد الكبيرة ،
وإنما كان بسبب حاجة الجيش إلى أن يترك في الأماكن التي يحتلها
أعداداً من جنوده في الحاميات العسكرية التي كان يقيمها في تلك الأماكن ،
وذلك لحماية طرق التجارة ، فضلاً عن توكيد هيئة السلطة الأكديّة في
تلك المواقع (٢٥) .

(٢٤) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٧ ، طه باقر :
المرجع السابق ص ١٢١ ، وكذلك

G. Roux, Op. Cit., P. 159.

(٢٥) طه باقر : المرجع السابق ص ١٢١ - ١٢٥ : فوزي رشيد :
انجيزر وأسلح - من كتاب حضارة العراق - الجزء الثاني - بغداد
١٩٨٥ ص ٤٨ - ٤٩ .

ومن البدهى أن سرجون لم ينس الاهتمام بأربابه ، ومن ثم فقد سجد لها انوعيد من المعابد في المدن المختلفة ، ففى نيبور مثلاً : أعاد بناء « آى كور » معبد انليل الكبير ، كما أن انعثور على رأسى الدبوس المشهور فى سيبار ، انما يشير الى رعايته للمعبود شمش ، كما تشير مجموعة اللوحات التى عثر عليها فى لجش الى روابط مباشرة بين أكد ولجش . وانى تبدل البضائع والمنتجات بينها وبين أنحاء الدولة ، فالذهب وقطعان النيران والماشية ترسل الى أكد ، فى مقابل الجيوب والبلعج والمتسوجات ، كما تشير اللوحات الى روابط قوية بين لجش وبقية المدن السومرية ، مثل ارك وأوما وأدب ، كما أن البضائع كانت ترسل من كيش ونيبور وأور ، بل ان بعض السلع انما كانت ترسل الى أسواق لجش من «مجان» و «ملوخا» وعيلام ، وهناك اشارات الى بيع عبيد من بلاد بعيدة ، مثل جوثيو : وأمورو (٣٦) .

بقيت الاشارة الى أن سرجون — رغم ما حققه لنفسه ولبلده — خلقد انتهت حياته السياسية على غير ما توقعه لنفسه ، وطبقاً للوحة المغمالى والأخبار ، خلقد نشبت هذه ثورات عدة : أيدتها جماهير سسل «سودارنوء» ، وقد بلغ من خوف النوار أن حاصروا العاصمة «أكد» : غير أن سرجون قاومهم بجيشه ، واستطاع أن يثبت سملهم : بل وأن ينتقم من مدتهم ، ويرجع بعض الباحثين أسباب هذه الثورات الى تشريده للزلاء والاقوياء من قومه — بل ولآل بيته — ثم نفهم وتجريدهم من املاكهم وقصمها لأملال التاج : مما اثار حسده العديد من القوى التى انتهزت أول فرصة لتثور فى وجهه ، وتحشد العداوة ضده .

على أن نصوص خلفائه ابنتت أن تجد تفسيراً للمتاعب التى واجهه الرجل فى خوانيم عمره : فردتها الى انتقام الهى : فذكرت أنه كان قد نكل بمدينة بابل ، فغضب عليه مردوك ، وابتلى قومه بالنجاعة وغرق سملهم من هولاء ، وقضى عليه بعدم الراحة فى قبره : ولا يعيننا من هذا

(٣٦) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٣٦ .

التفسير الديني ، إلا اعتباره صورة من تخیلات الشعوب القديمة عن أسباب زوال النور ، وبخاصة أن عبادة مردوك لم يكن لها شأن على أيامه ، وأن نصوصه قد صورت حريصا على التقرب من أربابه ، واعتبرته رئيس كهنة عشتار ، والكاهن المنتخب للاله «آنو» ملك الارض ، والانسى العظيم للاله انليل ، وذكرت أنه ركع ذات مرة في صلاته أمام المعبود «داجان» (٢٧) .

(٣) ريموش (٢٣١٥ - ٢٣٠٧ ق.م) :-

خلف «ريموش» (Rimush) أباه سرغون الأول : لمدة تسع سنوات ، وقد واجهته منذ مطلع أيامه ثورات عارمة في الداخل والخارج ، ومن ثم فكان من الطبيعي أن يبدأ ريموش بالقضاء على تمرد المدين المرمية ضد السيادة البابلية ، وقد كتب للرجل نجده بعيد المدى في القضاء على هذا التمرد ، وأسر زعيمه «كالكو» ملك أور ، والاستيلاء على مدينته ، وتصير سورها الحصين ، هذا ويشير ابن «اسدوانا» (Iskhedunna) — أخت ريموش ، وكبرى كائنات اله القمر السومري «ننا» أو «ننار» في أور — إلى مدى الخراب الذي حل بالمدينة. حتى أنها في وقت ما لم تقم في المكان الطيب (أي في مدينة أور — أو في معبد القمر بها) : وكانت تقام عن الفسح الناعم نهرا ، ومن ربيع الجنوب ليلا ، الأمر الذي يشير إلى عدم وجود مأوى لها ، من جراء ما أصاب المدينة من تخريب ودمار على يد ريموش ، هذا فضلا عما قلسته المدينة من سوء معاملة ريموش ، الذي قتل كثيرا من مقاتليها ، وأودع من أسرى جنودها ٥٧٠٠ أسيرا في السجون : وتقدم لنا نصوصه قوائم بأعداد القتلى من المدن المنهارة : من أور ولحش وأومسا وأوب وزابالام (٢٨) .

(٢٧) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ١١٦ وكذا

A. L. Oppenheim, in ANET, 1966, P. 266, 268.

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 433

E. Ebeling, in Alt. Texte Zum alten Testament, P. 334

(٢٨) محمد عبد الحفيظ : المرجع السابق ص ٢٧٢ ، وكذا

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 433-434

غير أن ريموش — رغم ذلك ، فلقد حرص — أسوة بأبيه سرجون — على اظهار تبجيله للاله انليل : سيد الالهة السومرية ، فأقام تمثيلاً بمعبد هذا المعبود في نيبور ، ومنها تمثال من الرصاص ، يباهي الملك به ، لان أحد لم يصنع مثله من قبل ، هذا فضلاً عن تأكيد انتسابه الى أرباب كيش ، ومن ثم فقد استمسك بلقب «شارو — كيش شاتيم» : وهو لقب وصل ببنه وبين ربا «آن» وخانسته (٢٢) .

وهناك قصة متأخرة تشير الى أنه نقي حنفيه اثر ثورة في القصر ، وربما كن لأخيه «مانيشتوسو» دور في هذه المؤامرة ، غير أن بقاء اسمه في لوحات الفل لدى البابليين المتأخرين والآشوريين ، انما هو دليل على أهميته ، وعلى أنه قلم يدرر همام في هذه المرحلة من تاريخ العراق القديم (٢٣) .

(١) مانيشتوسو (٢٣٠٦ - ٢٢٩٢ ق.م) :

خلف «مانيشتوسو» (Manishtusu) أخاه ريموش على عرش أكد . ومادة ١٥٠ غاما ، غاما تروى قائمة الملوك السومرية ، وان ذهب رأي الى أن مدة حكمه انما كانت أعواماً سبعة (٢٤) ، ولعل من أهم آثاره مسلفه المعروضة باسم «المسلة السوداء» التي سجل عليها جهوده السياسية والاقتصادية والعسكرية .

وهناك نص من عهد الملك الآشوري «شمشي أداد الاول» (١٨١٣ - ١٧٨١ ق.م) يشير الى أن «مانيشتوسو» قد بنى معبد الالهة عشتار في نينوى ، كما يشير نقش على رأسه حربة : عثر عليه بمدينة آشور — وهي

29) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 436.

S. N. Kramer, The Sumerians, 1979, P. 315.

وكذا

وكذا عهد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤١٤ .

(٣٠) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٣٩ ، وكذلك

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 437.

W. W. Hallo and W. K. Simpson, Op. Cit., P. 61.

(٣١) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٣٩ ، محمد

الطليط : المرجع السابق ص ٢٤٩ ، ٢٧٦ .

قلعة شرقاط الحالية ، على مبعدة ٩٦ كيلا جنوبى الموصل - اهداءها الى «مانيشثوسو» ملك المعالم» (٣٢) .

هذا ويشير نص أحد ألواح الفال الى اغتيال «مانيشثوسو» في مؤامرة بالقصر ، شأنه في ذلك شأن أخيه ريموش من قبل (٣٣) .

(٥) نارام - سن (٢٢٩١ - ٢٢٥٥ ق.م) :

خلف «نارام - سن» (Naram - Sin) ، ومعنى اسمه في اللغة «محبوب سين» (Beloved of Sin) أباء «مانيشثوسو» على عرش أكد ، ولدة ٥٦ عاما (٢٢٩١ - ٢٢٣٥ ق.م) فيمما تذكر قائمة الملوك السومرية ، وان ذهب البعض الى أنها لا تتجاوز ٣٧ عاما (٢٢٥٤ - ٢٢١٨ ق.م) ، على أن هناك فريقا آخر يجعل مدة الحكم ٩٦ عاما (٣٤) .

ولعل من الاهمية بمكان الإشارة الى أن «نارام - سن» إنما قد ابتدع - ولأول مرة - بدعة تأليه نفسه ، ثم وضع المخصص الدال على الاله أمام اسمه ، ولقب في نقوش بعض الاختام التي اهداها اليه رعاياه بلقب «اله أكد» ، كما نراه على لوحة النصر يلبس على رأسه التاج ذا القرون التي يسميها الملك الكاسى «أجوم كاكزين» «عصابة القيادة - علامة الالهية» (٣٥) .

ومن البدهى أن هذا إنما يمثل أسلوبا جديدا في التفكير اندينى في العراق القديم ، ذلك لأن القوم إنما كانوا يعتقدون أن الملك بشر فان ،

32) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 439.

31) Lowy, CAH, Part, 2, 1971, P. 734.

33) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 440.

(٣٤) أحمد سليم : المرجع السابق ص ٢٧٤ : وكذا

J. Bottéro, Op. Cit., P. 108.

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 441.

W. W. Hallo and W. K. Simpson, Op. Cit., P. 60.

(٣٥) ل. ديلاپورت : المرجع السابق ص ١٧٤ ، محمد عبد

الصف : المرجع السابق ص ٢٩١ ، وكذا

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 440.

يعمل في خدمة الآلهة بمثابة وكيل لها ، أو نائب عنها ، نكتة لا يرفض — بحال من الأحوال ، ومهما بلغت بطولته — إلى مصانف الآلهة . الأمر الذي يدعو إلى القول بأن تآليه «نارام سن» لفنفسه ، لم يجد قبولا حسنا من النجوم ، وربما كانت إشارة نص «لعنة أكد» إلى غضب الآلهة على المدينة والتحاق الخراب بها ، بمثابة رد فعل لدعوى التآليه هذه (٣٦) .

وعلى أية حال ، فإن الروايات المتأخرة إنما تنهى عهد يكرنة جلت بانبلاذ ، كعقاب من الآلهة ، الأمر الذي يذكرنا بما حدث مع سرجون من قبل ، وقد تكون أوجه التشابه الواردة في الروايات المتأخرة عن سرجون ونارام سن ، انعكاسا لتقدير الأجيال التالية لهذه المكين الذين عدوهم من الشخصيات العظيمة في تاريخ العراق القديم . رغم ما وقع عليهما من عقاب انهي ، كما عرفت هذه الأجيال نارام سن بابن سرجون (٣٧) .

(٥) شار كالي شاري (٢٢٥٤ - ٢٢٣٠ ق.م) :

خلف «شار كالي شاري» (Shar - Kuli - Shauri) أبناء «نارام سن» على عرش أكد : ولادة ربع قرن ، خفيضا لتقويم قائمة الملوك السومرية ، وهناك ما يشير إلى أنه حاول أن يزيل ما تركه أبوه من آثار بيثة في نفوس السومريين ، الذين استهملوا بالهتهم ، وعلى رأسها «انليل» . ومن ثم فقد نالت مدينة نيبور رعايته - غشيد بها - بمعنى «الابنية» ، بل ان هناك ما يشير إلى أنه قد بنى أقدم ما كشف عنه من معابد انليل في هذه المدينة (٣٨) .

هذا ، وطبقا لما جاء في لوحة النقال ، غلقد انتهت حياته على يد أحد أتباعه .

وسرعان ما انتشرت الفوضى بعد ذلك . ولادة ثلاث سنوات ، ارتقى

(٣٦) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٣٩٩ - ٢٩٢ .

(٣٧) نفس المرجع السابق ص ٢٧٩ - ٢٧٨ .

(٣٨) أنظر :

D. E. McCown, Excavations at Nippur, JNES. 1 1952, p. 169-171

خلالها أربعة ملوك عرش أكد ، (أيجيجي — نازيم — إيمي — الوو) ، وربما استقرت الأمور عندما اعتلى العرش «دودو» وحكم ٣٩ عاما ، ثم خلفه ولده «شودورول» ، ولده ١٥ عاما ، حيث ينتهي عصر أسرة أكد ، بوفاة هذا الأخير ، الذي اقتصرت أملاك أكد على أيامه — وربما كذلك على أيام سلفه — على المنطقة الممتدة فيما بين مدينتي أكد واشنونا ، هذا فضلا عن أن الملكين الأخيرين (دودو — شودورول) لم يكونا يسميان لقب «ملك» ، الأمر الذي قد يشير إلى أنهما كانا ، في أكبر الظن ، تابعين للملك جوتيوم .

هذا ، وطبقا لقائمة الملوك السومرية ، فإن الملكية قد انتقلت من أكد إلى الوركاء (أسرة الوركاء الرابعة) التي حكمت ثلاثين عاما ، انتقلت الملكية بعدها إلى قبائل جوتيوم^(٢٩) .

(٢٩) أنظر : محمد عبد النذيف : المرجع السابق ص ٢٩٥ ، ٢٩٦
J. Bottéro, *Op. Cit.*, P. 119.
C. J. Gadd, *Op. Cit.*, P. 457.
W. W. Hallo and W. K. Simpson *Op. Cit.*, P. 66

الفصل الثاني

السياسة الخارجية

(١) سرجون الاول :

استطاع سرجون الاكدي - كما أثرنا من قبل - أن يجعل من المدن السومرية وحدة سياسية ، غاقت كثيرا تلك التي قام بها سلفه «لوجال زاجيزي» ، كما نجح كذلك في سياسته الخارجية (وتعني بها هنا خارج منطقة سومر - أو جنوب العراق القديم) ، حتى أن النفوذ الباصي - منذ انتقال السلطة من كيش إلى أكد - إنما قد امتد من شمال بابل إلى جانب كبير من آسيا الصغرى حتى قباد وشيا (حيث نجد مستعمرة من تجار الاكديين يعملون في تجارة الصوف والفضة) وحتى البحر المتوسط .

وهكذا اتجه سرجون الاول إلى تكوين إمبراطورية كان مجالها الرئيسي جهة الشمال الغربي ، وطبقا لنص كتب في أعقاب نهاية أسرة أكد يتحدث عن خط سير حملة وجهها سرجون الاول نحو الشمال الغربي ، بدأت من مدينة «توتولي» - وهي هيت الحالية ، على مسافة ١٥٠ كيلا غربى بغداد - ثم إلى «ماري»^(١) - على مسافة ٢٠٠ كيلا شمال غرب توتولي - ثم اتجهت الحملة إلى «يارموتى» و «أبالا» ، فأما «يارموتى»

(١) ماري : كلمة سومرية من جهة الاشتقاق ، مبنية باسم البلاد «أمورو» و «مارتو» ، أي بلاد الغرب ، وهي الآن «تل الحريري» جنوب مصب نهر انخبور ، بالغرب من «دير الزور» ، على مسافة ١٢ كيلا ، غربى انقرة ، قرب بلدة أبو كمال (البوكمال) قرب الحدود العراقية السورية ، وقد قامت في ماري مملكة في الفترة (١٨٢٠ - ١٧٦٠ ق.م) هذا وقد كشف «اندريه بارو» في عام ١٩٢٣ م حوالى عشرين ألف لوحة فخارية مكتوبة بالخط المسماري في قصر الملك «مررى ليم» أخضر ملوك ماري ، وهي محفوظة الآن بمتحف اللوفر في باريس ، وقد نشرت هذه الوثائق تحت عنوان (Archives Royales de Mari) ، وقد ظهر منها حتى الآن ١٦ جزءا ، وقد شارك في هذا العمل العلمي الضخم مجموعة من الاساتذة المتخصصين (انظر :

W. F. Leemans Foreign Trade in The Old Babylonian Period, Leiden, 1960, P. 102.

M. Unger, Unger's Bible Dictionary, Chicago, 1970, P. 46. وكذا

فتقع إما في غرب البحر الميت في فلسطين ، أو في جنوب جبيل (بيبلوس) على سهل البحر المتوسط . على أن هناك من يرجح أنها تقع فيما بين ماري وأبلا . أي إلى الشمال والشمال الغربي من ماري — وأما «أبلا» فتقع في وادي نهر بلخ ، على مقربة من «أورشو» ، شمال شرق قرقيش^(٢) .

وأما ما كان الأمر ، فإن الحملة سرعان ما فتجه — بعد الاستيلاء على أبلا — إلى «غابة الأرز» إلى الغرب من أبلا ، والتي تعني على الأرجح «جبال الأمانوس» في أقصى شمال سورية ، ثم انتهت الحملة عند «جبل اللبنة» . ويذهب «بورتير» إلى أن سرجون لم يشر في نصه إلى «بارموتى» و «أبلا» كمحطتين متتاليتين في مسيرة قواته نحو الشمال الغربي . ومن ثم فالرأى عقد ، أن بارموتى إنما تمثل النصف الجنوبي للتوسع الإكدي جهة الشمال الغربي . وأن أبلا إنما تمثل النصف الشمالي^(٣) . وذلك لأن تعبير «غابة خشب الأرز» في النص ، إنما أتت عن تعبير «جبل الأرز» الذي يرد — لأول مرة — في نص حفيد «نارام سين» . ويوصف به الأمانوس ؛ بمعنى أن سرجون لم يقصد الأمانوس بالذات . وإنما قصد غابة أخشاب الأرز عامة التي تتوفر بالدرجة الأولى في لبنان . وأعطت أهمية كبيرة لميثاقها الرئيسي جبيل . وإن كان التزميل الكرمي المرحوم الأستاذ الدكتور محمد عبد الحارث يرى أنه ليس ثمة ما يدعو بالضرورة إلى أن تكون «بارموتى» هي «بارموت» ، خاصة

(٢) أحمد سليم : المرجع السابق ص ٢٦٨ ، محمد عبد الحارث : المرجع السابق ص ٢٥٩ — ٢٦٦ ، وكذا

A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 268.

M. Mallory, CAH, I, Part. 2, 1971, P. 295.

S. Smith, Early History of Assyria to 1000 B. C. London, 19٠٧, P. 373-376.

١. Bottéro, CAH, I, Part. 2, P. 559.

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 426.

٣) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 425-426

J. Bottéro, Op. Cit., P. 324-325

وكذا

وأن رسائل العمارنة^(١١) التي ذكرت هذا الاسم إنما تؤرخ بالقرن الرابع عشر قبل الميلاد : أي أنها متأخرة زمنياً عن عهد سرجون الأكدي بدو إلى ألف عام ، كما يبدو مؤكداً أن «غابة الارز» هي نفسها «الامنوس جبل الارز» : الذي أشار إليه نص «تارام - سن» بفتح ديد اسم المنطقة ووصف طبيعتها بأنها جبل^(١٢) .

وعلى أية حال فإن الهدف من الحملة ، ربما كان اقتصادياً أكثر منه سياسياً ، كما أن هناك من يزعم أن سرجون لم يتوقف عند شاطئ التبصر المتوسط ، بل عبره إلى «قبرص» التي يزعمون أنها دخلت في نطاق امبراطوريته ومع ذلك ، فإن الجزيرة ربما خضعت بطريق غير مباشر للتأثير البابلي منذ عهد بعيد : إلا أنه ليست هناك أية أدلة تشير إلى تأثير سامي مباشر على الثقافة القبرصية المحلية في ذلك العصر ، وهناك إشارة إلى وصوله إلى كريت التي وردت في النصوص المصرية تحت اسم كفتارة^(١٣) ، بل أن البعض ذهب به الخيال إلى الزعم بأن سرجون قد حكم مصر وأثيوبيا^(١٤) .

وعندما يسير إلى أن سرجون قد قد نفوذه في الشمال الغربي إلى ما بعد حدود جبال طوروس : وذلك طبقاً لما جاء في لوحة عشر عليه في العمارنة ، بصحافة المبدأ - عليها نقش غرف باسم «ملك المعركة» . وتحدث عن جماعة من نجار مدينة «بورش خافدا» (Burushanda) على مقربة من «كيل تبه» (كانش القديمة) في تبودوتيا بالأناضول ، قد شكوا إلى سرجون ، حاكم مدينتهم : واتفقوا معه النصف . وغرود بشروء كبيرة : ورغم شدة الحاشية في تحقيق رغبتهم . فإن سرجون قد أجنب سؤلهم . بل أن هناك من يرجح أن حاكم مدينة «بورش خافدا»

- (١١) انظر عن رسائل العمارنة (محمد بيومي مهراي : خناسور خصر، ودعوتها - القاهرة ١٩٧٩ ص ٢٢٢ - ٢٤٥) .
(١٢) محمد عبد النظيف : المرجع السابق ص ٢٦١ .
(١٣) سرجوب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٣٥ .
(١٤) محمد عبد القادر : المرجع السابق ص ٧١ .

قد خضع لتعاهل الاكدي ، وزفع الظلم عن التجار ، الذين اُعدوا لسرجون
ثمن مبعوثته لهم ، مما يدل على أن نفوذ سرجون امتد الى آسيا
الصغرى^(٨) .

وهذا ما يشير الى امتداد نفوذ سرجون الى «سوربارتو» في شمال
شرق العراق ، والتي تمتد من نهر بلخ غربا ، وحتى جبال زاغروس
شرقا^(٩) ، لما كانت منطقة آشور خاضعة لنفوذه ، بل ان هذا النفوذ
انما قد استمر على أيام ونحيه «ريموش» و «مانيششوسو»^(١٠) ، هذا
وتذكر نصوص سرجون أنه لقي جيوش أربعة حكام بقيادة ملك «أوان»
في جنوب غرب ايران ، وأنه قد نجح في دحرهم وقتل قائدهم ، وأنه
قد استولى على بلاد عيلام ، وعين لها حاكما من قبله ، وقد أدت
سيطرته على بلاد عيلام والاقليم الاخرى من ايران ، الى تدفق ثروات
كبيرة على أكد^(١١) .

وأما في الجنوب فقد امتد نفوذ سرجون الى رأس الخليج العربي ،
وربما تجاوز ذلك ، حيث يشار في أحد نصوصه الى أنه قد أخضع
«شريكوم» (Sherikbum) ، وهي أرض البحر العيلامية التي تقع
فيما بين جبال أنشان ورأس الخليج ، هذا فضلا عن الاشراف على
المناطق التجارية المتصلة بالخليج والقرية منه ، مثل «جزيرة دلمون»
(البحرين) وما جان وملوخاء ومن المعروف أن سرجون قد اخترق الخليج

8) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 426-427.

H. Lewy, Op. Cit., P. 207.

S. Smith, Op. Cit., P. 90-91.

W. Albright, The Epic of The King of Battle, in JSOR, VII, 1923, P. 1F

G. Roux, Op. Cit., P. 148.

9) J. Bottéro, The Near East, The Early Civilizations, London, 1967,
P. 107.

H. Lewy, Op. Cit., P. 739.

10) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 431.

(١١) فاضل عبد الواحد على : السومريون والاكديون - من كتاب -
العراق في التاريخ - بغداد ١٩٨٢ ص ٧٦ - ٧٧ .

المعربى ثلاث مرات حتى دلمون (١٢) .

وهكذا استطاع سرجون أن يحقق لنفسه ولأسرته ، فضلا عن دولته ما لم يستطع أحد قبله من الأحكام أن يحققه ، فذاعت شهرته بين معاصريه ، وحظى بتقدير الأجيال التالية في العراق القديم . فحمل اسمه اثنان من ملوك آشور (وهما سرجون الأول ، وحكم حوالي منتصف القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، سرجون الثاني ٧٢٢ - ٧٠٥ ق.م) (١٣) ، وليس هناك من ريب في أن الرجل انما يعتبر نقطة تسمول رئيسية في تاريخ بلاد النهرين لأكثر من سبب واحد ، فهو — كما رأيت ، كان أول من عمل على توحيدها كلها أو أغلبها ، تحت زعامة سياسية واحدة ، بينما لم ترد جهود أسلافه الأقربين على توحيد أرض سومر وحدها ، وهو أول من نبه دعاتهم أسرة سامية حاكمة قوية ، استمرت تحتل العرش أكثر من قرن ونصف القرن (٢٣٧٠ - ٢٣٣٠ ق.م) ، ويطلب على الظن أنه حدثت في عهده محاولة من أقدم المحاولات لتقريب أسماء الشعوب في المدن العراقية من بعضها البعض ، تمهيدا لتوحيد التقاليم فيها ، فضلا عن أنه هو ، وبعض خلفائه الأقربين ، انما كانوا أول من حققوا لبلاد النهرين تفيذا خارجيا ، سيطر به على كثير مما يجاور حدودها من مناطق وجماعات (١٤) .

وهكذا ، فإن سرجون الأكدي هذا ، رغم نشاطاته المتوسمة ، خلقد استطاع الوصول الى قمة السلطة السياسية في العراق القديم ، وبعد فترة قصيرة من تسامه الحكم ، استطاع أن يكون امبراطوريه عظيمة ، امتدت حدودها من جبال طوروس شمالا ، وحتى الخليج العربي جنوبا ، ومن جبال زاغروس وغيلان شرقا ، وحتى البحر المتوسط غربا ، ومن

(١٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ١١٨ ، وكذا W. Hinz, CAH, I. Part, 2, 1971, P. 648.

(١٣) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٧٢ ، وكذا C. J. Gadd, Op. Cit., P. 423-424.

(١٤) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ١١٨ .

ثم فقد حق له أن يقول — كما جاء في أحد نصوصه — «والآن أيا كان الملك الذي يدعى أنه تخلي لي ، فليصل الي حيث وصلت أنا»^(١٦) .

(٢) ريموش :

استطاع ريموش — كما أشرنا من قبل — أن يقضى على التمرد السومري الداخلي ، ثم يوجه عنايته إلى أعدائه في الخارج ، ومن ثم فقد اتجه إلى إخضاع المناطق الشرقية ، غزب «كاز الو» وأسر حاكمها ، فضلا عن أعداد كبيرة من مقاتليها العصاة ، ثم أوقع الدمار بمدينة «در» ، وربما أعقب ذلك القيام بحملة إلى عيلام حقق فيها نصرا مؤزرا ، وطبقا لوصف الحملة ، فإن جيوش عيلام و «زأخارا» (دويلة صغيرة على حدود عيلام) قد اتحدت ضد ريموش ، وأن المعركة دارت بين الفريقين على نهر «كابينتوم» بين أوان وسوسة ، وقد كتب للعاهل الأكدي نصرا مبينا في هذه المعركة ، وأحصت نصوصه حوالي ١٦ ألفا من القتلى ، و آلاف من الأسرى ، فضلا عن كميات كبيرة من الذهب والنحاس والآنية المرمية ، أهدى الملك جزءا منها إلى معبد أنليل في نيبور ، وقد أدى هذا النصر إلى استرداد أراضى «باراخي» وتدمير بعض المدن الغيلامية ، فضلا عن إخضاع عيلام ، ومن ثم فقد أطلقت نقوش ريموش عليه لقب «سيد عيلام»^(١٧) .

وهذا ما يشير إلى خضوع القسم الشمالي من السهل الميزوبوتامي لريموش ، فلقد كتف في آشور عن رأس صولج^(١٨) نقشته عليه عبارة «ريموش ملك العالم» ، كما نقشته نفس العبارة على رأس صولجان أخرى من أور ، هذا فضلا عن كسرة أنساء من تل البراك نقشته عليها

(١٤) فوزي رشيد : الجيش والملاح — كتاب حضارة العراق ٤٨٠٢

J. Neugayrol, RA, XLV, 1951, P. 169 F.

وكذا

G. Roux, Op. Cit., P. 148.

وكذا

(١٦) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٧٤ — ٢٧٥ ، وكذا

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 436-437.

W. Hinz, Op. Cit., P. 449.

عبارة «ريموش ملك الجميع : الذي ذبح عيلام وباراخشى» وهكذا يمتن القول أن الرجل قد حافظ على أملاكه أكد أتق ورثها عن أبيه سرجون الأول ، ومن ثم فقد أعلن : «أعلن أبوه من قبل : من أنه أخضع لملكه أفليل البحر الأعلى والبحر الأدنى وكل النواحي الجبلية ، ثم أقسام النخب التذكارية في معبد نيبور» (١٧) .

(٣) مانيشتوسو :

مرت السنوات الأولى من عهد «مانيشتوسو» في سلام . وهناك في موسسة عاصمة عيلام ، معبد الآلهة المحلية تدعى «فاروندي» عثر على تمثال صغير للملك «مانيشتوسو» نقش عليه «انسى هذه المدينة ، وخادم ملك أكد ، اعداء لهذه المعبودة المحلية : الأمر الذى يشير إلى خضوع عيلام لسيادة أكد» (١٨) .

غير أن الأمور سرعان ما تغير ، وتشب الثورات في عيلام وغيرها . حتى أن «مانيشتوسو» نفسه أنهما يقول «لأبائى ثرك أبى سرجون قد ثارت ضدى» : كما تشير قطع حجرية من لوحة بالتحف البريطانية إلى هزيمته لاثنتين وثلاثين ملكاً على جانب البحر ، ومن ثم فإن الملك الآكدى قد اضطرب — أراء هذه الاخطار — إلى أن يقسم جيشه إلى قسمين : الواحد : اتجه إلى الشرق ، حيث حارب بلدين منهم الذين في عيلام — هما أنشاشن وشريخوم — وأن يحرز عليهما نصراً سبق بموجبه ملكهما ذليلاً إلى معبد اله الشمس في سيار : ومعه هدايا تعبئة من الفنائم التى كسبها الملك الآكدى .

وأما القسم الثانى ، فقد اتجه إلى محاربة اثنين وثلاثين ملكاً على جانب البحر ، واستيلائه على المدن التى يحكمونها : لتأمين استغلال مناجم الفضة القريبة منه ، وربما اجتاحت أرض عيلام تفتك في غرد

17; C. J. Gadd. Op. Cit., P. 437

M. S. Dowler, CAH, I, Part, 2, P. 332

W. Hinz. Op. Cit., P. 649-650.

18; Ibid., P. 650.

وكذا

وكذا

مفاجئة ، وإن كان هذا لا يعنى بالضرورة احتلالا وأستقرارا ، على أية حال ، وربما أن الامر لا يمدو حملة بريئة ناجحة عادت بالمغتنايم والاسلاب ، وربما أبتهدتت توحيد السلطان أو الأشعار بالقوة^(١٩) .

وأيا ما كان الامر . فخلد النصر «مانيشتوسو» على هؤلاء الاعداء ، وأخضع منهم ما فتن خواصهم ، واحتل بلادهم حتى «مناجم انقضة» : وأرسل الاحجار من هذه المنطقة الى أكد ، حيث صنع منها تفال له ، أقيم في معبد انايل في نيبور ، كما أرسل الاخشاب لبناء معبد في سيار ، وإن كان أمر الاخشاب هنا قد يدعو الى افتراض أن فسط «مانيشتوسو» الحربى ، ربما شمل الجزء الشمانى من سورية ، أنتى أخضر منها الاخشاب ، وامتد حتى جبال طوروس ، حيث مناجم انقضة^(٢٠) .

(٤) نارام - سن :

لاريب فى أن «نارام - سن» إنما كان أبرز أفراد الاسرة الاكدية - بعد جده سرجون - وقد أكد بمقدرته العسكرية والسياسية الوحدة الاقليمية للعراق ، إذ سيطر على الاقليم كله من الخليج العربى جنوبا ، الى جبال أرمينيا شمالا ، غذا فصلا عن توسعه الخارجى ، ونكويته لامبراطورية بعيدة الاطراف ، سجل انتصاراته فى سجل تأسيسها فى لوحة المشهور باسم «نصيب النصر» : الذى روى فيه أمر حروبه وانتصاراته على القبائل الجبلية - سكان الجبال فى منددات زاجروس - وفى مائدا وعيلام ، وفى مضبة ايران^(٢١) .

وعلى أية حال . فهناك ما يشير الى أن المدن التابعة لأكد . إنما

(١٩) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٣٩ - ١٤٠ : وكذا

S. N. Kramer, Op. Cit., P. 61-62

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 437-438.

(٢٠) محمد عبد المتطيف : المرجع السابق ص ٢٧٦ - ٢٧٧ ، وكذا

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 438.

(٢١) حسن ضافا : المرجع السابق ص ٣٥ . نجيب ميخائيل :

المرجع السابق ص ١٤٠ .

قامت — كالعادة — بالنزوة ، كلها ، جنس على عرش أكد ملك جديد —
 ثمأتها في ذلك شأن الولايات الآسيوية من الإمبراطورية المصرية التي
 كانت تجد في تولية غرعون جديد فرصة للثورة ضد السيادة المصرية .
 بغية أن تظل مستقلة ، فإن نجحت فهذا ما تريد . وإن كنت الأخرى
 فإن يكون الأمر بالنسبة اليها أسوأ مما كان — وهكذا تارت المدن النبعة
 لأكد في الغرب والشمال وأنشروا ، وقد تزعمت مدينة «الكيش» خلفا من
 عشرين ، وربما — بعة عشر حاكما ، امتدت مناطقهم من الأنابزل في
 أقصى الشمال الغربي ، إلى مجان على الشاطئ العربي للخليج العربي .
 الأمر الذي قد يشير إلى أن التمرد إنما قد شمل كل الأراضي الواقعة
 غربي الفرات (٢٢) .

وهذا نص يرجع إلى بداية الألف الثانية قبل الميلاد . يشير إلى
 حمله لملك «تارام — سن» في الشمال الغربي من المسهل الميزوبوتامي ،
 بأن توغلا حتى جبل الهموس ، بل أن هناك عبارة في النص تشير إلى
 أن «تارام — سن» إنما فبر المنطقة من صفة الفرات : وحتى
 «أوليوسوم» ، وأن «داجان» قد أخضع له تمعوب هذه المنطقة : ومن ثم
 فقد أصبح عليها تأدية الخدمة لحيوده : «أب — ا» : كما تهر الهموس —
 جبل أخشاب الأرز — وأثر «ريش — أد» ملك أرميا (٢٣) .

وإذا كان ما ذهب إليه البعض صحيحا ، من أن «أوليوسوم» هذه
 إنما تقع على ساحل لبنان ، على مقربة من مدينة صور (٢٤) . فإن هذا
 يعني أن «تارام — سن» إنما قد مد حدود دولة أكد إلى مناطق جديدة
 لم يصل إليها أحد من أسلافه قبل ذلك ، وربما يزيد الأمر وضوحها

(٢٢) محمد بنومي مهران : مصر ٢٠٤٧ ، وكذا

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 440.

(٢٣) أنظر

A. L. Oppenheim, ANET, P. 286.

I. Batierra, in CAH, I. Part, 2, 1971, P. 325-326.

في J. Batierra, Op. Cit., P. 327.

C. J. Gadd Op. Cit., P. 442.

وكذا

ذهب إليه نص من العصر الميساني الكلداني يعرف بنسجم «الخبر سرجون» (٢٥) أنه استولى على مدينة «أبيشال» : «والتي يؤكد البعض أنها في الشمال السوري ، في مجاورات «أرمانوم» ، وهو رأى قد يبدو مقبولا ، إذ يرجح أن «ريش — أدد» هو ملك أرمانوم وأبيشال بمعنى أن المدينتين إنما كانتا متجاورتين وتقعان ملكا واحدا ، وربما أمتد نفوذ «نارام — سن» إلى قبادوشيا ، ذلك لأن هناك أسطورة تذهب إلى أن «بورش خاندا» إنما كانت من أملاكه» (٢٦) ، وهنا يمكن القول أن انتفوذ الآكدي إنما يكاد يستخدم بالنفوذ المصري في مواسي الشام ، لولا أن مصر قصرت نفوذها حينذاك على مجالات الثقافة والحضارة ، دون السيطرة السياسية (٢٧) .

هذا وتؤكد البقايا الأثرية في شمال العراق خضوع هذا الشمال للملك «نارام — سن» : فقد عثر له على لوح حجري قرب «ديار بكر» ، كما كشف عند «تل البراك» عن بقايا بناء كبير من الحجر ، طبع عليه اسم «نارام — سن» ، وفي معبد عشتار في نينوى عثر على لوح حجري سجل عليه نص للملك «نارام — سن» هذا فضلا عن قصر قديم في أسور ينسب إلى «نارام — سن» (٢٨) .

وتنشر «لوحة نصر نارام — سن» — وقد عثر عليها في موشة عاصمة عيلام — وتوجد الآن بمتحف اللوفر في باريس — التي انتصره على القبلات الجبلية في شمال شرق أرض أكد ، وخاصة قبائل «البولوبي»

(٢٥) انظر :

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 423-425

A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 266.

26) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 442.

J. Bottero, Op. Cit., P. 326-327

A. L. Oppenheim, The Sargon Chronicle, in ANET, 1960, P. 110.

(٢٧) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٢٠ .

28) H. Levy, Op. Cit., P. 733-734

S. M. Drewer, Op. Cit., P. 231

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 443.

وكذا

وكذا

و «انجوتيوم» ، كما يشير نقش منحوت في الصخر في ممر «درسد جاوور» بناحية «فرقة داغ» في المنطقة انجيلية : فيما بين البيانية وكركوك ، انى انتصاره هناك على «لولوبى» في منطقتهم نفسها . ويرجع البعض قيام «نارام سن» بعصبة أخرى ضد مناطق اللولوبى . غير انه باعت بالفنيل ، و طبقا لنقش «زهاب» شرقى نهر دىالى ، ان ملك لولوبى «آنو - بانينى» انما قد أحرز انتصارا ساحقاً على قوات ملك أكد (٢٠) .

على أن العلاقات بين «نارام - سن» و«عيلام - فيما يبدو - كانت ودية ، وأن هناك معاهدة عقدت بين ملك «أوان» انعيلامى و «نارام - سن» ، وثقوك على لسان الملك انعيلامى - والذي كان تابعاً لملك أكد - «أن عدو نارام - سن هو عدوى : وصديق نارام - سن هو صديقى» الامر الذى يشير الى أن الملك الاكدى انما أراد من المعاهدة أن يجعل من عيلام سنداً له في حروبه - وخاصة ضد قبائل لولوبى وجوتيوم ، الجاورة لعيلام من ناحية الشمال - ومن ثم فقد رأينا «نارام - سن» يبعث برسول له الى سوسة : مدملاً بالهدايا ، ويطلب من ملك عيلام ، إرسال بعض القوات لملك أكد ، وتشنير المعامدة الى رواح «نارام - سن» من ابنة ملك عيلام ، وأنه قد أنجب منها ولداً . وأن ملك عيلام انما أراد أن يكون هذا الطفل خليفته على عرش عيلام - وبعث من نتائج هذه العلاقات الودية بين العرتين الاكدى والعيلامى : ما أقامه الملك الاكدى في سوسة من أذنية نقش عليها اسمه ، فضلاً عن اعدائه ليا بعض تماثيله وتصبية التذكرى (٢١) .

وتدل من الاهمية بمكان الإشارة الى أن هناك اتجاه غريباً ، بعيداً عن المنطق الزمنى والمنطق التاريخي : وقد اعتمد على ما سجله الملك

(٢٩) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٨٤ - ٢٨٥ ، وكذا

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 443-444.

J. Pritchard, Op. Cit., P. 285.

300 - W. Hinz, Op. Cit., P. 650-652.

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 444-445

«نارام - سن» من أنه قبض بنفسه على «مانو - دانو» ملك «مجان» أو «مجان» ، ومن ثم فقد ذهب اليمض الى أن مجان إنما هي «مصر» ، وأن «مانو» إنما هو تحريف لاسم «منى» (ميناء) ، أول ملوك الأسرة الأولى المصرية ، حوالى عام ٣٢٠٠ ق.م.^(٣١) .

على أن هناك وجها آخر للنظر يذهب الى أن مصر إنما كانت متصلة اتصالا وثيقا ببلاد سومر في عصور فجر الأسرات وعصر الأسرة الأولى ، فإذا حدث هذا في عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد ، فلماذا لا يحدث مثيلا له في حوالى عام ٢٥٠٠ قبل الميلاد ، وقد عززوا رأيهم هذا بما حدث على الحدود المصرية الشمالية ، على أيام الملك «بني» الأول ، من الأسرة السادسة ، من نشاط معاد لمصر من العناصر المجاورة ، وأن الملك المصري قد كلف قائده «ونى» بالمهمة العامة في كل المناطق ، وأنه جمع جيشا لم تر مصر له مثيلا ، إذ تدفقت الشرق من كل ركن من أركان مصر ، وتم تدميرها وخرجت للاقاة العدو عند الحدود الشمالية الشرقية وسحقته (٣٢)

غير أنك فلاحظ أن «ونى» ، رغم أنه يشير الى انتصاره الساحق ، والى ذبحه لعشرات الآلاف من رجال عدوه ، ثم عودة جيشه منتصرا ، ومعهم الكثير من الأسرى ، إلا أنه سرعان ما يضطر الى القيام بأربع حملات — منها واحدة كانت برية وبحرية معا ، وقد حصر فيها عدوه بين عكبي الكباش — وقد كتب له فيها نجاحا يعيد المدى في تنزيب العصاة من سكن الرمال . هذا ويحدثنا «ونى» كذلك عن تمرد عدد «ألف أربعمائة» — وهو الكثير يظن أنه جبل الكرمز — وقد عند بجيوشه الى ما وراء منطقة أتلار ، حتى شمال أرض سكن الرمال ، بينما كان نصف الجيش

31) A. H. Sayce, *Menes and Narām-Sîn*, in JEA, 6, 1920, P. 29n.

S. Langdon, JEA, 7, 1921, P. 121 F.

W. Albright, JEA, 6, 1920, P. 89 F.

(٣٢) عبد المنعم أبو بكر : العراق القديم — من كتاب حصارة مصر

والشرق القديم ص ٢٩٠

يقتررب على الطريق الحدراوى : وقد عول «ونى» على النفس، على أن المتوردين (٣٣) .

وعلى أية حال ، فإن مصر : غيب ، يبدو : إنما كان عليها أن تجبه «معبويات من ناحية انتمى الشرقى : أكثر من تلك التى أتت من ناحية الجنوب ، وأثن من هو ذلك العدو : الذى سبب المتعجب لحد من ناحية الحدود الشرقية » والذى أشير إليه بمصطلح «الحدود» أو «علم هر يونس» ، ومعناه الحرفى «أونك الذين غرق الزمان» ، أن ذلك العدو فيما يرى جاردنر ، لا يمكن أن يعنى فقط أونك الذين أخرجهم شطط العيش فى شبه جزيرة سيناء ، ذلك لأن رد ملك هؤلاء لا يتطلب هزيمة من الآلاف : وما لم تخفل أمر اثنين والعنب : وذهبتهم كما جرد هذين ، فإن جزءا معينا من جنوب فلسطين : كان من غير شك داخل فى نطاق العملية ، وربما كانت أكثر المظاهرات قابلية للتسويق . وهى أن ما وصف بعبارة لطيفة : كنما هو عسبان وشرد : كان يتخذه فى الواقع أول موجة من الضغط الاسيوى ، الذى أزعج مصر بعد ذلك بأكثر من مائة عام ، وكان تهديدا دائما بها طوال تاريخها (٣٤) .

ويذهب استاذنا الدكتور عبد المنعم أبو بكر — طيب الله ثراه — الى أنه من الغريب أن اسم «مجان» (مجان) إنما هو الاسم الذى كان يفتق على مصر فى جميع النصوص البابلية المتأخرة . غير أن «نارام — سن» مصر — على أساس أنه غزا «مجان» وأمر ملكها «مانو — دانو» : وأن «مجان» هى مصر : وأن «مانو — دانو» هو الملك «مينى» (مينا) — إنما يفتقر الى اسانيد تثبتته من جانب المصريين أنفسهم (٣٥) .

هذا فضلا عن أن «فريتز هول» : إنما يذهب الى أن كلمة «مجان» لنى جاءت فى نقش «نارام — سن» إنما هو تحريف لاسم «مجان»

(٣٣) A. H. Gardner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, P. 70

(٣٤) A. H. Gardner, Op. Cit., P. 97

(٣٥) عبد المنعم أبو بكر : كفاضة الغزاة ص ٢٠ - ٢١ .

«معين» في اليمن^(٣٦) ، وأما «عوجو قنكلرا» فالرأى عنده أن مجان إنما تقع في الأقسام الشرقية من شبه الجزيرة العربية^(٣٧) ، على أن «أونيري» يرى أنها «جرها» (الجرعاء) على ساحل الأصماء^(٣٨) ، ويذهب «تشرمان» إلى أنها تقع على مقربة من المقلج العربي في موضع «محيمة» جنوب «بيرين»^(٣٩) ، وأما «جسون غلبي» فالرأى عنده أنها على مقربة من الساحل عند وادي شبة ، وهي البقعة التي نشأت فيها دولة مجان القديمة^(٤٠) .

هذا ويذهب «كيتاني» إلى أنها «مدين» وقد كانت في الألف الخامسة قبل الميلاد كثيفة الأشجار ، كما كان البابليون يأخذون منها الذهب والنحاس والاختب ، ويعرض «ألويس موسل» هذا الاتجاه ، محددا موضع مجان على ساحل الخليج العربي^(٤١) ، على أن هناك من يذهب إلى أنها منطقة عمان ، أي أنطرف الجنوبي الشرقي من شبه الجزيرة العربية^(٤٢) .

على أن هناك فريقا من الباحثين إنما يحدد موقع مجان بخط طول ٥٥ شرقا ، وخط عرض ٢٤ شمالا ، ويهوئي ٧٢٠ كيلا إلى انضمام العربي من «مسقط» ، وإن كلمة «مجان» إنما تتكون من الكلمة السومرية (ma) بمعنى ميناء أو أرض السفن ، وذلك لشهرة أهلها في ركوب

36) J. Vercoer, Op. Cit., P. 126.

A. Grohman, Arabien, München, 1953, P. 21

وكذا

I. W. King, Studies in Eastern History, 1, P. 15.

وكذا

H. Fleisch, Introduction a l'étude des Langues Semitiques, Paris, 1927, P. 90.

37) E. Schrader, Die Keilschriften und des Alte Testament, P. 15 F.

38) De Lacy D. D. O'Leary, Arabia before Muhammad, London, 1927, P. 47.

39) Major R. E. Cheesman, in Unknown Arabia, London, 1925, P. 218.

40) J. B. Philby, The Quarter, New York, 1933, P. 119 F.

41) A. Musil, The Northern Nejd, New York, 1928, P. 377.

42) W. F. Leemans, Foreign Trade in The Old Babylonian Period London, 1960, P. 12.

المسفن ، فضلا عن أن هناك نصا من عهد الملك «دونجى» (أحد ملوك أور حوالى عام ٢٤٥٠ ق.م) يتحدث عن صناع السفن في مجان ، وأن النصوص المصرية قد وصفتها بأنها «جبل النحاس» ، تدفعنا إلى أن ندخل في دائرة منطقة الجبل الأخضر في عمان ، حيث يوجد النحاس ، وهكذا يبدو واضحا أن لدينا من القرائن القوية ، ما يقرب من وضع «مجان» كمرادف «لعمان» ، لأن كل ما ذكر آنفا ، إنما هو موجود في عمان (١٢) .

وهكذا يبدو واضحا أن «مجان» التى غزاها (تلرام - سن) ما كنت أبدا ، ولن تكون هى «مصر» ، وإنما هى «عمان» الحالية ، أو على الأقل هى فى منطقة شرق شبه الجزيرة العربية (١٣) .

هذا فضلا عن الملك «منى» (مينسا) لم يذكر فى وثيقة معاصرة مدروسة ، على أنه هو الملك الذى أسس الأسرة الأولى المصرية (حوالى عام ٣٢٠٠ ق.م) ، إلا بعد انتفاء عهد الأسرة الأولى ، بنحو ألف وخمسمائة عام ، حين أوردته قائمة أبيدوس من عهد الملك «سينتى الأول» (١٣٠٩ - ١٢٩١ ق.م) من الأسرة التاسعة عشرة ، فضلا عن بادية تورين ، التى ترجع إلى أيام الملك درعسيس الثانى (١٢٩٠ - ١٢٢٤ ق.م) - إلا إذا افترضنا أن قائمة «هجر بلرمو» (من الأسرة الخامسة) قد تضمنت اسمه ، فيما غفقت من أجزائها - كما يرجح سير ألن جاردنر - الذى يرى أن الصف الثانى منها إنما يبدأ دون شك بالملك مينا ، وإن كانت الأخيرة التى ذكر بها مفقودة (١٤) .

ومع ذلك ، وحتى لو افترضنا صحة ما استنتجته جاردنر ، وأن اسم

(١٢) عبد الحميد زايد : الشرق الخالد - القاهرة ١٩٦٦ ص ١٣٢ - ١٣٣ .

(١٣) انظر : محمد بيومى مهران : تاريخ المغرب القديم ص ٢١٦ - ٢١٨ ، عصر - الجزء الثانى - ص ٢٣٧ - ٢٣٩ - ٢٤٠ .
(١٤) A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, P. 408.

الملك مينا جاء على قائمة «أحجر باترمو» ، بل حتى لو افترضنا ان اسم الملك مينا جاء على وثيقة معاصرة له ، فان الملك مينا قد أسس الأسرة الأولى حوالي عام ٣٢٠٠ قبل الميلاد ، وأن الملك «نارام - سن» - الذي يزعم الزاعمون أنه غزا مصر (مجان) وأسر ملكها مينا (مانو - دافو) إنما قد حكم في الفترة (٢٢٩٦ - ٢٢٥٥ ق.م) . أي أنه حكم بعد عهد الملك مينا بحوالي تسعة قرون ، وأن عهده ربما يعاصر عهد الثورة الاجتماعية الأولى في مصر .

وعلى أية حال . فان «نارام - سن» إنما قد بذل جهدا كبيرا في الحفاظ على إمبراطوريته الآكدية وأنه قام بمحمود حربي في جميع الجهات المجاورة لوطنه ، ككل بالنجاح ، ومن ثم فقد استحق أن يلقب نفسه بلقب جديد : هو «ملك الجهات الأربع»^(٤٧) (العالم) ، مما يعبر عن سيطرته على كل ما حوله من أرمين . وهو لقب قد أعيد مرة أخرى طوك أسرة نور الثالثة . منذ عهد الملك «نوجي» (٢٠٩٥ - ٢٠٤٨ ق.م)^(٤٧) .

(٥) شاركالي شساري :

خلف «شاركالي شساري» أباه «نارام - سن» على إمبراطورية واسعة . غير أن تعريب هذه الإمبراطورية التي اندمجت قسرا مع لواء واحد ، أخذت تهبط عن خريقتها ، فقامت ثورات التحرير في كل مناطق الإمبراطورية ، وزاد على ذلك ظهور قوة جديدة تتمثل في حصم شديد المراسي ، هو قبائل «الجوشي» التي تسكن الجبال الشمالية الشرقية^(٤٨) : هذا فضلا عن أن عيلام إنما كانت قد تحررت من سيادة أكد وانتهت

(٤٦) أنظر

- J. Bottéro, CAIL, I, Part, 2, P. 326.
C. J. Gadd, CAIL, I, Part, 2, P. 441-443.
W. W. Hallo and W. K. Simpson, Op. Cit. P. 61.
47) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 441.

(٤٨) عبد المنعم أبو بكر : العراق القديم عن ٢٩٠ -

تبعيتها لها ، وارتباطها بها ، بمقتضى المعاهدة التى عقدها «نارام - سن» ،
وزاد اللطين به أن الملك الجديد ، فيما يرى المؤرخون ، إنما كان ضعيفا ،
أو على الأقل : ثم يكن فى قوة أبيه ، حتى أنه تخلى عن لقب «ملك
الجهات الأربع» الذى ابتدعه أبوه «نارام - سن» ، واكتفى باللقب
الأكثر تواضعا «ملك أكد» (٤٩) .

وعلى أية حال ، فلقد بدأت الاضطرابات ، حين قامت جيوش عيلام
وزنجر بغزو أرض بابل ، وسرعان ما احتل الغزاة مدينة أكناك ، وإن
شجع «تساركاي شارى» فى احتياط الغزو ، وأجبر المحدثين على العودة
الى بلادهم ، غير أن هذا العدوان - رغم فشله - فإنها يمثل فى حد
ذاته استخفافا بقوة اللقى آلت الى انتدھور ، الأمر الذى شجع
العيلاميين على «هجمة ملك أكد فى أرض بابل نفسها» (٥٠) ، فضلا عن
اللقاب التى أسبغها ملك عيلام على نفسه ، عندما انتحل لقب «ملك
أوان القوى» ، ثم لقب «ملك الجهات الأربع» الذى زعم أن الإله «ابن
شوشينال» قد منحه إياه (٥١) .

وهناك ما يشير الى أن «أكد» إنما لم تعرضت لغزو آشورى فى
العام التالى لغزو العيلامى ، عند «بامصار» - وهو اسم مكان يضم
مجموعة من التلال فى الصحراء السورية العربية ، وتسمى الآن «جبل
بشرى» وتقع الى الجنوب الغربى من مصب نهر بلخ فى الفرات ، فى
غرب دير الرور الحامية (٥٢) - ويرجح الباحثون أن الملك الأكدي ، رغم

49) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 455.

وكذا

J. Butero, The Near East, The Early Civilization, London, 1967, P. 309.

W. Hinz, CAH, 1, Part, 2, Cambridge, 1971, P. 653.

(٤٠) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٩٣ - ٢٩٤ ، وكذا

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 455.

51) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 455.

W. Hinz, Op. Cit., P. 653.

وكذا

(٥٢) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٩٢ ، وكذا

J. Butero, Op. Cit., P. 327.

أنه قد انتصر على الاموريين ، غير أن نصره لم يكن أكثر من نصر دفاعي ؛
فليس هناك ما يشير إلى متابعة الدخلة إلى مناطق أبعد في الشمال
الغربي . وإنما كان كل همه صد هذا الخطر السامي الاموري ، الذي
أراد الاستفادة من ضعف الدولة الآشورية ، والتزحزح إلى السهل الميزوبوتامي
لتحقيق حياة أفضل^(٥٢) .

وهناك ما يشير إلى أن الملك «ناركاالي شاري» قد وجه حملة ضد
الجوتيين (جوتيوم) ، وأنه قد أسر ملكهم «أسر سارلاك»^(٥٣) ، غير أنه
من المعروف أن هذه القبائل الجبلية هي التي أنهت حكم أسرة أكد ، ثم
حكمت البلاد في أعقابها .

— — — — —

(٥٢) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٩٤

(٥٣) C. J. Gadd, *The Last Kings of Agade and The Gutian Supremacy*,
in *CAH*, I, Part. 2, Cambridge, 1971, P. 455

الباب الرابع

العراق فيما بين نهاية

امرة أكد وقيام الدولة البابلية الاولى

الفصل الأول

العراق فيما بين نهاية
أسرة أكد وقيام أسرة أور الثالثة

(١) الجوتيون (٢٢٣٠ - ٢١٢٠ ق.م)

لا ريب في أن معلوماتنا عن الجوتيين هؤلاء إنما هي جرد قليلة . خاتمة تاريخ لا يعرف عنهم سوى أنهم من أهل الجبال ، وربما كانوا من أهل الجبل الشرقية أو الشمالية الشرقية ، وقد ذهبوا إلى إقليم تشيرزور الذي ارتبط فيما بعد باسم «الأواريين» ، أو هم من القبائل الهمجية التي كانت تستوطن أواسط زاجروس في منطقة همدان . كما أن معلوماتنا عن حكم الجوتيين إنما هو جرد قليل أيضا . وصيغ ذلك جاء في قائمة الملوك السومريين ، فقد دام حكمهم أكثر من قرن من الزمان (حوالي ٢٢٣٠ - ٢١٢٠ ق.م) ، وأن عدد ملوكهم قد بلغ واحدا وعشرين ملكا ، وقد أطلق أحدهم ، وهو «أريذو جيزير» على نفسه ، لقب «ملك اتجاهات الأربع»^(١) .

وعلى أية حال ، فالذي لا شك فيه أن فترة حكم الجوتيين (الجوتيين) إنما تمثل من وجهة النظر التاريخية أحدى الفترات انظمة في تاريخ وادي الرافدين . فهي فترة تتميز بندرة المصادر في الكتابات التاريخية . وبمعرض يكتنفه الاوضاع السياسية ، هذا فضلا عن أنها من الفترات التي توقفت فيها عجلة التقدم الحضاري في كافة المجالات تقريبا^(٢) .

ومع هذا المعرض والظلام الذي يكتنف هذه المرحلة ، نستطيع أن نلمح بعض المدن وقد اتفقت من هول الضربة ، وانسطاعت أن تطور الأمور في انداخل ، وربما قضيت بدفع الضرائب الثقيلة تسرع لتتوحد .

-
- (١) فاضل عبد الواحد : المشرق في التاريخ ص ٧٨ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٤٦ ، وكذا :
 CAH, I, Part, 2, 1971, P. 995-999.
 C. J. Gadd, Op. Cit., P. 444.
 (٢) فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ص ٨٧ .

ومثالنا على ذلك ، مدينة «أومما» التي استولت في عهد الإيشاكو
«لوجال أنادو» بعدد استغرق خمسة وثلاثين عاماً (١٢) .

هذا وتصف النصوص السومرية الجوتيين هؤلاء ، بأنهم «المنعبد
الذي لا يخضع ، والارض التي ليس لأهلها عدد من كثرتهم ، جوتيوم ،
الارض التي لا تطبق أي حكم عليها : والتي اقروها فيهم الانسان ، وأما
نكولهم وثلاثة ألسنتهم فمثل الكلب» .

ثم تصف حكمهم السيء ، وما ألحقه بأهل البلاد من أذى ، بأنهم
«وحوش الجبال ، الذين رغبوا أذرعهم ضد الآلهة : ونقلوا ملكة سومر
اليأ رخين أجنبية ، وملأوا أرض سومر بالعداوة - الذين فتكروا
بالكنن ، واغتصبوا النساء من أزواجهم ، وسلبوا الأطفال من أمهاتهم ،
وعملوا على فساد الحكم» (١٣) .

وعلى أية حال ، فن الجوتيين - فيما يبدو - لم يستطيعوا أن
يسيطروا على البلاد سيطرة كاملة ، وأن مركز حكمهم الممساك في
الشمال - في أراج - مكن كركوك الحالية - وأن سيطرتهم إنما قد
تركزت في المدن الاكديّة ، ولم يستطيعوا أن يسيطروا سيطرتهم على
الجنوب ، فكان من أثر ذلك أن اكتفوا بالجزية يتسلمونها ، وتركين تسليح
دفع الامور للحكام المحليين . ومن ثم فقد بقيت المدن السومرية تتمتع
بشيء من الحرية السياسية والتجارية ، الامر الذي أدى الى تطور كبير
في كثير من مدائن الجنوب ، كان على رأسها جش ، ثم اللوكاء (١٤) .

ومع توالي الزمن ، حقت هذه الجوتيين وخشونتهم رويدا رويدا :

(١٢) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٤١٩ .

(١٣) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٢٥ ، عبد المذم
يوسر : المرجع السابق ص ٢٩٦ وكذا

S. N. Kramer, The Sumerians, Chicago, 1930, P. 325

١٤) W. Hirtz, Op. Cit., P. 664.

J. Bottero, Op. Cit., P. 120.

ولا كانت حالتهم الحضارية أضعف من السومريين والأكاديين ، فلوهم - حسب - سنة تتكرر في تاريخ البشر - قد خضعوا لحقارة الأماة - المعنوية على أمرها ، وأخذوها حقارة لهم^(٦) ، وهكذا بدلوا منذ النصف الثاني من حكمهم يحملون الأسماء السامية ، ويكتبون باللغة الأكادية والخط المسماري ، ويتعبدون - إلى جانب أربابهم - إلى بعض المعبودات السامية كعشتار وسين^(٧) .

(٢) أسرة لجش الثانية (٢٢٣٠ - ٢١١٣ ق م)

عاصرت أسرة لجش الثانية هذه ، أخريات عصر الجوتيين ، وقد حقق حكامها المواطنين كيانا مستقلا لدينتهم ، كما تدل على ذلك - من تاريخ وثائق معاملات لجش ، التي أصبحت أعوام تسجيلها تعرف بـ «اختلافات الدينية» التي يقوم بها حكم لجش^(٨) .

غير أن استعمال حكام لجش لقب «إيشاج» ، وعدم ذكر لقب «ملك» ، مما يوحي بلون من ألوان التبعية ، وبأن لجش لم تمارس استقلالاً فعلياً ، وقد يدعم هذا الاتجاه أن اللوحات التجارية لا تشير إلى أية أحداث حربية ، حتى عهد جوديا ، وربما مارست لجش لوتاً من الاستقلال الذاتي النسبي ، ورضيت أن تبقى في داخل حدودها لا تفكر في توسع أو اعتداء ، وإنما تسعى إلى تطوير شؤونها الداخلية ، وزيادة مواردها^(٩) .

هذا لم يرد ذكر «أسرة لجش الثانية» هذه في قائمة الملوك السومرية ، نسوة بأسرة لجش الأولى ، حتى أن دورها البارز إنما يبدأ في الظهور منذ عهد حاكمها «أور - نارا» Daba - ur ، الذي كان

(٦) حسن ظاهراً : المرجع السابق ص ٣٥ .

(٧) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 457.

(٨) Montero, Op. Cit., P. 120.

وكذا

(٩) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 459.

(١٠) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٥٢ .

نه من الاستقلال والسيادة ما يمكنه من أن يبتقى قنوات الري ، وأن يقيم المعابد والمجاريب للمعبودات — تنجرسو ونفخور وساج وانانا وانكى وغيرها من معبودات لجنس — كما يشير الى ذلك نص على تعنان صغير لأور — بابا في معبد تنجرسو^(١٠) . هذا فضلا عن أن ابنة «أور — بابا» انما كانت كبرى كعزلات «ننانا» (ننار) إله القمر ومعبود أور : «لأمر انذى قد يشير أن للرجل نفوذا» من نوع ما في مدينة أور^(١١) .

وجاء بعد «أور — بابا» شهر «جوديا» (Gudea) ، أشهر حكام أسرة لجنس النخبة قاطبة ، وقد كشفت الحفريات عن عدة تماثيل حجرية لجوديا ، وقد نقش على بعضها نصوص مسمارية وهي الآن تزين كثيرا من المتاحف العالمية : كالمتحف العراقي في بغداد ، والمتحف البريطاني في لندن ، ومتحف التومر في باريس . وقد خصصت بقسم الآثار الشرقية بمتحف التومر ، قاعة عرضت فيها تماثيل جوديا ، واسطوانتان الكتابيتان الخشبية^(١٢) . ولعل مما تجدر الانتباه اليه أن تماثيل جوديا : انما قد اُخذت بالأسلوب الواقعي الذي بدأ يفرضه من قبل في العصر الآكدي : وغابت على ما تلمح صاحبها وهبائه روح التقوى والتواضع الكريم : وبدو أن اعتبار أهل عصره نكبة الجوثيين على أرضهم غلبا من الارباب ، كان أثره في تمليب روح التقوى هذه في حينهم إبان سعيهم للتخلص من غمزاتهم^(١٣) .

هذا وقد عثر بجوديا على اعداد كبيرة من مخاريط طينية وكتابات

10) J. Bottéro, Op. Cit. U. 124.

S. N. Kramer, The Sumerians, P. 326-327.

C. J. Gadd, Op. Cit. P. 438

11) W. W. Hallo and W. K. Simpson, Op. Cit. P. 62.

12) H. Frankfort, The Art and Architecture of The Ancient Orient 1970, P. 94-97.

(١٣) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٢٧ .

مطلوه على أسطوانات ، دونت بأسلوب أدبي رقيق ، وعلى تتحدث عن أعماله المعمارية ، وجهوده في بناء وصيانة ما لا يقل عن خمسين معبد من معابد الآلهة ، أبرزها ، دونما ريب ، معبد «أي - نورو» (معبد الخمسين) الحامي بالمعبود «نجرسو» (في جرسو) تلك المدينة لجش (١٤) .

هذا وقد كرس خوديا تبهاء معبد لجش الرئيسي ، وتزويده بالاحتياجات اللازمة ، كثيرا من الجهد والثروة ، وطبقا لأحد نصوصه ، أنه أحضر الأخشاب من ماجن وعلوخا في الجنوب ، ومن جبل «لايز (جبل أمالوس) في الشمال ، ونقلها عن طريق الفرات ، مع اقتنار ، وأنه أحضر الأحجار الضخمة من مناطق لم يطرأها أحد من قبل ، كما ، ولت القوارب كميات ضخمة من الفار والجيش من مجامرات كركوت ، والنحاس من جبال زاجروس ، وأحجار المرمر والأحجار الملونة من سوريا ، ونراب الذهب من أرمينيا ، ونجس هناك أية إشارة إلى أن «جوديا» كان له نفوذ في تلك الجهات ، الأمر الذي يدل على أنه جاءته عن طريق التجارة (١٥) .

هذاو ليست هناك أية إشارة إلى أن «جوديا» قد خاض حروب ، باستثناء نقش يشير إلى أنه هزم أنشان وويلام بالأسلحة (١٦) . الأمر الذي ساعده على استخدام الصانع من سوريا وويلام ، هذا فضلا عن الإشارة إلى المدبرية في التصرف الدربي ، وإن كانت لا تعني تومس ، وربما كانت غارة مفاجئة ، أو حملة تآديبية ، قدمت على امر اعتد ، على رجاله المسالمين ، وهو أمر لا يمكن الجزم به على أية حال .

14) J. Bouder, Op. Cit., P. 236.

S. N. Kramer, Op. Cit., P. 46-47.

وكذا

15) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 439-440.

A. L. Oppenheim, ANET, P. 268-269.

وكذا

16) W. Hinz, Op. Cit., P. 634.

ومن ثم فيمكن القول أن جهود «الجوديا» إنما تشير إلى توسع تجارى ،
وتكديها لا تقوم دليلا على أى توسع حربى أو سياسى^(١٧) .

هذا وقد تهتعت لجيش على أيام جوديا: يعصر من الرخاء والحدير
الموغير ، وقد غنى جوديا بشق القنوات ، حتى أطلق على واحدة منها
اسم العام الجديد ، وهى قناة كان الغرض منها توفير الماء فى لجش
ومقاطعاتها ، وقد نسبت هذه القناة إلى رب لجش ، وسميت «نين
جيسو» (ننجرسو) - أو «سومجال» Ningsou - Ousoungal
ولابد أنه جوديا أبهى القنوات التى كانت موجودة قبل عصره فى حالة
صالحة للملاحة ، ذلك لأن نقل مواد البناء ، من أخشاب وأحجار ومعادن ،
إنما كان يتم عن طريق الماء ، وأن أنزالها إلى البحر إنما كان يتطلب إقامة
رصيف على مقربة من إحدى يوابات المدينة^(١٨) .

وأما وغرة المحاصيل ، فتنضج من فوائهم القرابين التى ذكرها جوديا
وازيادها ، وهو يتم مثلا فى يوم العام الجديد ، فى عيد «بساو»
— زهرة العبود ننجرسو — بعد اعتد بناء المعبد ، إلى إضافة زيادات
جديدة على هبات الزواج التى كانت من حقها ، وقد تملت هذه
الاضافات عددا من الثيران والماشية والحمائل وسلال البطح وأوانى
الزبد والخبز والكمك والطيور والاسماك والأخشاب الثمينة وغيرها ، هذا
علا عن هبة خاصة من الملابس والصوف ليا ، إلى جانب هبات
تفاحة للمعبودين «ننجرسو» و «ميناء» ولأنك فى أن مثل هذه الهبات
إنما تعنى وفرة فى الإنتاج ، وزيادة فى الموارد ، تسهم فى نصيبها منها
المعبودات ، كما يستمتع بها الناس ، ومع ذلك ، فيبدو أن هذا لم يتم
على حساب الشعب ، فقد كان «جوديا» يحرص على تطبيق الف. انزون
والنظام وانعدالة وحماية الضعيف^(١٩) .

(١٧) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٥٥ ، وكذا

A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 268.

(١٨) ل. دىلابورث : بلاد ما بين النهرين ص ١٢٨ .

(١٩) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٤٥٨ - ٤٥٩ .

وجاء على عرش لجش بعد «جودينا» ولده «أور» فنحرسو (Ur-Ningsur) ؛ انذى كتفت هفتائر لجش عن بعض تماثيل له وجدت مع تماثيل أبيه ؛ وهى تماثيل صغيرة ممثلة تنبيه تماثيل أبيه . سورر بمذها حليق الشارب والالهة ؛ على عادة الكوان . بمذها سورر بمذها الآخر بنهر حويل ولحية . وقد استغن الففن بعض قواعد هذه التماثيل لتعش سورر عند من المتعبدين بقدمة-ون فرايينوم . وهه جتتة (٢٠) .

وجاء بعد «أور فنحرسو» ولده «أوجمي» (Ugme) ؛ ثم خلفه «أورجار» (Urgar) ، ثم «نامخني» (Namakhi) ؛ آخر ملوك الاسرة ؛ وانذى ربما كان معاصرا ملك الوركاء «أوبوحيال» (أسرة الوركاء الخامسة) و «أور» فهو «مؤسس أسرة أور ثالثة» (٢١) .

(٣) أسرة الوركاء الخامسة (٢١٢٠ - ٢١١٣ ق م)

عاصرت أسرة لجش الثانية فى هفتتا تة من الوركاء وأور . ويرفع عرباء ألتافح المصلح خدم انغزة الجوريين على اقتاف الوركاء (أورك) . واستندقت بذلك نوعا من اعتزاة كلاب المافن السومرية . هذه نزع حرب التحرير ضد الجوريين ملك الوركاء «أوتو خيجال» (Utahegal) . وقد كتب له نجها بعد المدى فى هزيمة تيسك الجورير . وتخليص البلاد من شرورهم . وبنقة لقائمة الملوك السومرية . غير المت الوحيد فى أسرة الوركاء الخامسة (٢١٢٠ - ٢١١٣ ق م) (٢٢) .

هذا وقد ترك «أوتو خيجال» (أوتو خيكل) نصسا تاريخيا غريدا باللغة السومرية : تدخ على لوح كتابى يؤرخ ببداية الالف الثانية قبل

(٢٠) عبد العزيز صالح ؛ المرجع السابق ص ٤٢١ .

(٢١) S. N. Kramer, Op. Cit., P. 67.

CAH. I. Part 2, P. 998

وكذا

(٢٢) محمد عبد المنطيف ؛ المرجع السابق ص ٢٥٠ - ٢٥١ وكذا

CAH. I. Part 2, P. 998.

البلاد^(١٣) . يتحدث فيه عن قصة الانتصار العظيم الذي حققه على أعدائه . وكيف أنه استطاع إلحاق هزيمة ساحقة بهديوش الملك الجوثي تريجن الذي فر من أرض المعركة ؛ وكيف أن المراكشن قد طاردوا ملك الجزوم حتى قبضوا عليه ؛ ثم جاءوا به ليتركع عند قدمي الملك سومري «أوتوخيجال» .

وهناك ، يشير إلى أن انتصار «أوتوخيجال» إنما قد اقترن بحدوث كسوف للقمر في البلاد ؛ وأن هذا الكسوف إنما قد حدث في اليوم الرابع عشر من شهر تموز (يوليو) ؛ ومن ثم فقد اتخذ المذمومون والعراةون من هذا اليوم غالا دونوه في كتب المرأة ، حيث يقول الخاف : «إذا خسف القمر في اليوم الرابع عشر من شهر تموز ؛ فهو نذير لملك الجوثي ؛ سوف يقطع الجوثيون في المعركة ؛ وتنتحر البلاد» .

ونقرأ في نص أوتوخيجال «فوق» الإله أنلين ملك البلاد ؛ أترجل العظيم أوتوخيجال (أوتو خسكال) ملك الموركاء ؛ ملك جهات العالم الأربع ، الملك الذي لا يخالفه أحد ؛ أمره (إدليل) أن يحطم اسم الجوثي (الكوني) ؛ أفعى وعقرب الجبال الذي رفع يده ضد الإلهة ؛ الذي نقل ملكية سومر إلى بلاد أجنبية ؛ وهلا بلاد سومر بالمداوة ؛ الذي أبعد الزوجة عن كانت له زوجته ؛ وأبعد الطفل عن كان له طفلا ؛ والذي أقلم المداوة والمحصان في البلاد» .

ومن ثم فقد ذهب أوتوخيجال إلى ملكته الإلهة «إن» وابتهل إليها قائلا : أي ملكتي ، لقد عهد إلى أنلين بأن اسمعيد المأكية إلى سومر . فكوني عوسي ؛ أن «تريجان» ملك جوثيوم ؛ لم يسر إليه أحد بتوابعه لخرجه . غاستولي على الفرات ومساحت البحر ؛ ثم سار «أوتوخيجال» الملك الذي وهبها طيل القوة ، ووضعته أنا في قلبها ؛ أترجل القوي . قد أتجه قدما من الموركاء ليخوض المعركة ضد تريجن

(١٣) J. Bottler, Op. Cit., P. 125

... وعندئذ غمر السورور أهالي اللوركا وأهلكى كرولاب ، وتبعه رجال مدينته ، وكانهم رجل واحد » .

« وفي اليوم الخامس من مسيرته من اللوركا أسر «أوتو خيجال» و «نابو أنليل» قائدي «تريجان» اللذين أرسلهما إلى سومر كسفراء ، ووضع «أوتو خيجال» قيودا خشبية في أيديهما ، وفي اليوم السادس وصل «أوتو خيجال» إلى «كاركار» ووقف أمام الآلهة لشكور وعذاه :
أيها الآلهة لشكور ، لقد أعطاني الآلهة أنليل السلاح ، فكان عوني في مهمتي ... كان الجوثيون قد جمعوا قواتهم في ذلك المكان ... غير أن «أوتو خيجال» : الرجل العظيم : تمكن من دحرهم وإسر عيدهم .
وعندئذ غمر «تريجان» والتهب إلى مدينته «ديروم» وعامله الناس بعطف ، ولكن عندما علم رجال ديروم أن أوتو خيجال هو الملك الذي منه أنليل القوة ، لم يطلقوا سراح تريجان : وجاء رجل أوتو خيجال وأخذوا تريجان وأمرته أسرى ، ووضعوا القيود الخشبية في يديه ، وغطوا عينييه ، ولما أحضروه أمام أوتو خيجال ألقي بنفسه على قدميه ، فوضع أوتو خيجال قدمه على رقبته ... وهكذا عادت الملكية إلى سومر » (٢٤) .

هذا ورغم أن المعركة الحاسمة بين «أوتو خيجال» والجوثيين كانت في مجاورات مدينته «ديروم» التي لبنا فيها «تريجان» بعد هزيمة ، والذي يقترح البعض أن تكون «تل جدر» الحالية : فيما بين أوما وأدب .
أي أنها لم تتجاوز نطاق أرض سومر ، غسر لنا لم نسمع عن معارك أخرى بين «أوتو خيجال» والجوثيين الذين انتهى مفوذهم عقب هذا

(٢٤) : فاضل عبد الواحد : السومريون والاكديون - كتاب الحرز في التاريخ من ٧٠ - ٨٠ ، أقدم حرب للتحرير عرفها التاريخ - مجلد سومر - العدد ٣٠ لسنة ١٩٧٤ من ٥٦ - ٥٧ ، محمد عبد اللطيف : المرجع السابق من ٣٠٣ - ٣٠٥ وكذا
S. N. Kramer, The Sumerians, Chicago, 1970, P. 125-126.

النصر الذي حرّره «أوتو خيجال» ضدّهم (٢٥) .

وهكذا نجح «أوتو خيجال» في تحرير البلاد من الاحتلال اليوناني .
ومن ثم فقد حظي بمكانة ممتازة في سومر : أهله إلى أن يتدخل في نفس
النزاع على الحدود بين مدينتي لجش وأور ، في صالح لجش . ثم فرغوا
سيادته على مدينة أور التي كان حاكمها «أور - نامو» تابعاً له (٢٦) .

غير أن «أوتو خيجال» لم ينعم طويلاً بهذا الفوز . وسرعان ما
انتهكت السيادة على سومر — بعد وفاته — مني أمرة أور الثالثة : التي
حققت للـ «أور الميزوبوتامي» وحدة سياسية دائمة في ذلك شأن أسرة
أكاد (٢٧) .

(٢٥) محمد عبد الظرف : المرجع السابق ص ٥٠ - ٥١ .

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 462.

وكذا

في C. J. Gadd, CAH. I, Part, 2, P. 595.

(٢٦) محمد عبد الظرف : المرجع السابق ص ٣٠٥ .

الفصل الثاني

أسرة أور الثالثة

(٢١١٣ - ٢٠٠٦ ق.م)

أنهى حكم الملك «أوتو خيجال» في انوركاء بقيام أسرة جديدة في مدينة أور ، عرفت في التاريخ باسم «أسرة أور الثالثة» . وهي آخر أسرة سومرية حكمت في التاريخ ، ويسمى هذا العصر عند كثير من الباحثين باسم «عصر الأحياء السومري» (Sumerian Renaissance) . وقد حكم فيه خمسة ملوك لمدة مائة وثمانية أعوام (٢١١٣ - ٢٠٠٦ ق.م)^(١) .

ولعل من الأهمية مكان الإشارة إلى أن أسرة أور الثالثة قد تجذبت إلى حد ما الموائل النخيلية التي نشأت في كيان الدولة الأكادية من قبلها ، نتيجة للفرقة بين السومريين والسنةيين ، وشعر أهل البلاد الواحد بظلمين ، فاستعانت بالعنصرين في بعثتها وفي مناصب الإدارة . وجمعت بين العنصرين السومرية والأكادية في بعض الوثائق الرسمية والأدبية ، وتسمى بعض ملوكها بأسماء سامية الصيغة مثل «نوسين» و «أبي سين» ، ولو أن هذه السياسة لم تمنع ملوكها من مركزة الحكم في عاصمتهم ، فظلت هذه العاصمة تشرف على كل كبيرة وصغيرة من شؤون المدن والأقاليم ، ويبدو أنها استعانت على ذلك باستحداث نظام ينسجه نظام الوزارة ، والعناية بنظام العدائين لتبليغ أوامرها إلى ولاءة تقاليمها ، واعتبرت أولئك الولاة مجرد موظفين كبار ، يخضعون للنقل من إقليم إلى إقليم^(٢) .

(١) أور - نامو (٢١١٣ - ٢٠٠٦ ق.م) :

أسس أسرة أور الثالثة الملك «أور - نامو» (Ur-Nammu) . الذي تمرد على «أوتو خيجال» ملك انوركاء ، وأنهى حكمه . ثم أقام

(١) فاضل عبد الواحد : العراق في التاريخ ص ٨١ ، وكذا CAH Butler, Op. Cit., P. 136.

(٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٣٣ .

ولدا له في كهانة المعبودة «انشا» — معبودة «لوركاء» — كما بعد «أور — نامو» وولده «شولجي» (Shulgi) ، أشهر ملوك الأسرة^(١٣) : وقد خضعت لهما كثيرا من المدن السومرية والآشورية ، الأمر الذي سمح لملوك أور بأن يتلقبوا بمثل لقبى «سرجون الآشوري» أى «ملك سومر وأكد» و «ملك الجهات الأربع» ، وأن ظل هذا اللقب الأخير بخاصة لقباً شريفاً ، أكثر منه لقباً فعلياً ، إذ أنه على الرغم من جهود الملوك وبعض خزانتهما في سبيل توسيع الحدود ، واعتراف أور في الشمال بحدود ما أسامي ، بحيث أقام أهل «أشتونا» معبداً في مدينتهم نسبة إلى ملك أور «شوسين» ، وبحيث أرسل أحد ملوك أور هدية ثمينة إلى «برسين» ملك أور القوي ، ملك الأقاليم الأربعة ، إلا أن حجم المملكة ظل أقل بكثير مما كان عليه في العصر الآشوري^(١٤) .

هذا وقد أهتم «أورنامو» بالعمارة والبناء كثيرا ، فتمثلت أعماله العمرانية — إلى جانب العاصمة أور — كثيرا من المدن السومرية ، مثل لارسا ، وإشى وبفر وأريكو ، ولعل من أشهر إنجازاته العمرانية بناؤه «زاقورة» في معبد إله القمر «نانا» (Nanna) — وهو المقابل للإله سين البابلي — وتتكون هذه الزاقورة من ثلاث طبقات (بينما أصبحت الزاقورة تتكون بعد ذلك من سبع طبقات) ، وعلى المستوى الثالث من الزاقورة الضاحقة الارتفاع — والتي تمثل أحسن زاقورة حفظت لنا من بلاد الآشورين — يوجد المبد الصغير المبني من اللبن ، وكسوة طبقة زجاجية زرقاء ، وكان هذا المبد هو غرغرة زواج المعبودين «نانا» و«نينجال» ، وكسوة الطبقة السفلى من الزاقورة مبنية بالذهب المختوم باسم «أورنامو» ، وقد سجل ذكرى بناء هذا المبد على هيئة من حجر بنى اللون ، وجدت في أور ، ومحفوطة الآن بمتحف بنسلفانيا بالولايات المتحدة الأمريكية ، والمناظر التي عليه تمثل الملك «أور — نامو» واقفاً

١٣) J. Bottéro, Op. Cit., p. 136

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 597

وكذا

(١٤) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٣١ — ٤٣٢ ، وانظر :

S. Moscati, The Face of The Ancient Orient, 1960, P. 26.

أمام «الاله» الجائس على العرش . ويكعب الملك الماء المقدس على
سجرة موشوعه في أثناء ، ويذكر هذا المظهر أمام الآلهة «نيدجل» زوجة
«انانا» انجالسة على العرش ، وفي المظهر الثاني يشاهد «أور» - نمو ،
وقد حمل على كتفه عدة آنية ، ليضع الحجر الاساسي لبنية المعبد^(٥) .

هذا وقد اهتم «أور» - نامو «كثيرا» بمصنعة «أور» ذات الطبيعة
البيئية ، فأعيد تسيير هذه المدينة التي أملاك على ظهر «الفرات» بميت ،
في أرضه واسعة ، والتي حمها الماء من ثلاث جهات ، وبلغت مساحتها
نيفا ونصف ميل طولا ، وربيع ميل عرضا ، وارتى امتدت حولها
حواضرها ، وشملت معها مساحة قدرها نحو أربعة أميال طولا ، وميت
ونصف الميل عرضا ، وقد أمكن مرور المدينة من داخلها على مساحة منسعة
(بلغت مساحتها ٤٠٠ × ٢٠٠ ياردة) قامت فيها معابد المدينة الكبرى
المخصصة للمعبود «انانا» (ننر) وزوجته «ننجالا» وحاشيتهم . وقد
بقيت أجزاء لبعض هذه المعادن حتى الآن بحاله لا بأس بها^(٦) . هذا
ونظرا لأهمية سور أور عند «أور» - نامو فقد سمي المعتم الذي أقام
فيه السور : «بالعام الذي بنى فيه سور أور»^(٧) .

هذا وتشير إحدى النقوش المبكرة من عهد «أورنمو» إلى عاتقه
«سفن هاجن ومزينا إلى يدي نانا : معبود أور»^(٨) . الأمر الذي يدل
على أن أسوار الثالثة بناها كان لها مكانة خاصة لدى الآلهة من نفوذ
ومصالح تجارية فيها وراء الخليج جنوب . كما تشير بعض النقوش التي

(٥) محمد عبد القادر : المرجع السابق ص ٧٨ ، والنشر

G. Roux, Op. Cit., P. 136-137

H. Frankfort, Op. Cit., P. 102-103.

J. Bottaro, Op. Cit., P. 128-139

L. Woolley, Ur Excavations, V, The Ziggurat and its Surroundings, 1939.

L. Woolley, Excavations at Ur, London, 1963, P. 125-133.

(٦) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٢٢ .

(٧) J. Gadd, Op. Cit., P. 897.

(٨) J. Bottaro, Op. Cit., P. 136.

عشر عليها في أور والوركاء ولارسا ونيبور ، إلى حرص «أور - نامو» على تثبيت حدود هذه المدن ، والتي يبدو أنها لم تكن مستقرة على أيام اللجوتيين : بل إن الأمر لم يكن مقصوداً على المدن السومرية ، وإنما امتد أيضاً إلى المدن الأكادية في شمال نيبور ، حيث قام «أورنامو» بتثبيت أملاك آلهمتا ، كحدود لهذه المدن^(٩) .

هذا وقد أهتم «أور - نامو» بشق القنوات ، وهو عمل لا شك في أهميته القصوى في جنوب العراق القديم ، لتطهير هذه المجاري المائية من الترسبات الطينية ، حتى لا تفقد قيمتها كوسيلة ري ومواصلات في آن واحد ، وطبقاً لما جاء على لوح حجري من أور فتلقد أمر «أور - نامو» بحفر القنوات على حدود عاصمته أور ، وقد ربطت إحدى هذه القنوات مدينة أور بالبحر ، حتى يتيسر لسفن تجارة الخليج أن تفرغ ممتلكاتها في أور^(١٠) .

على أن الأمر الذي لا ريب فيه أن أهم أعمال «أور - نامو» إنما كان قانونه الشهير^(١١) ، والذي يعد الأسس وثيقة قانونية في العالم اقتضت حتى الآن - بعد تنظيمات أوروكاجينا - الأمر الذي قد ينبغي في المستقبل ، مع احتمال العثور على قوانين تسبقه ، ما تزال في بيان الأمراض لطبية في العراق ، وعلى أية حال ، ففي المتن السومري المكتوب في قرآن مخرقة في الشمس ، والذي يمثل النصورة الأولى للأمير

9) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 594-599.

J. Kallero, Op. Cit., P. 126-138.

W. W. Hallo and W. K. Simpson, Op. Cit., P. 78-79.

(١٠) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٩-٢ ، وكذا

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 559-560.

(١١) أنظر عن قانون أور - نامو :

S. N. Kramer, in Bull. Imp. Museum, 12, 1952.

F. H. W. Lecher, Le Code d'Ur-Nammu, in RA, XLIX, 1955, P. 169-172.

J. I. Finkelstein, The Laws of Ur-Nammu, in JCS, 22, 1966-1967, P. 177-187.

S. N. Kramer and A. Falkenstein, Ur-Nammu Law Code, Orientalia, 23, 1954, P. 40-51.

القانوني في العراق القديم ، وقد تمكن الباحثون من تشخيص مقدمته وخاتمته ، مما يعني أن المفسانون مهوب بموجب الأسلوب الصحيح للقانون ، غير أن عدد المواد التي أمكن ترجمتها لا تزيد على اثنين وعشرين مادة ، وذلك لأن النسخ المكتشفة إنما كانت مدونة على ألواح من الخطين ، يرجح أنها قد نسخت عن الأصل .. ربما جزئياً .. بين عامي ١٨٠٠ و ١٧٠٠ ق.م — والتي كان مدوناً على الحجر . وأن الأنواع الطينية قد تكسرت : ونظف معظم أقسامها ، ومن ثم فقد نادر التعرف على الصيغة الكاملة للقانون .

وعلى أية حال ، فإن القانون قد كتب باللغة السومرية . وأن بداية المقدمة إنما تشير إلى أن المعبود «ننار» قد فوض «أور» — نامو ، في حكم المدينة ، وأنه قد رسمه بالملك التي العدل للورع . وأن مجيئه إنما كان أيذاً بالقضاء على الفساد والفسوق وسوء الإدارة ، واجور على حقوق الآخرين ، من ثم فقد تمتع الناس بحقوقهم ، ونالوا حريتهم . وأم المواد القانونية السابقة التي أمكن ترجمتها : غلبت معالجة الأدوار الشخصية ، من زواج وحساق ، فضلاً عن النظر في بعض المخلفات وتحديد العقوبة الملائمة لكل حالة (١٢) .

هذا وقد أخذ قانون أور — نامو بمبدأ التعويض . باستثناء حالات نادرة ، كالتي تعاقب فيها الزوجة الخائفة بالزبح ، والتي تعاقب فيها الجارية التي تتناول على سيدها أو سيدها بدعك فيما بالبح (١٣) . وربما كان مبدأ التعويض هذا يتفق مع الاهتمام السومري بالتجارة ، وذلك على خلاف قانون همورابي ، الذي يعتمد على التعاقب : وهكذا استن قانون أورنامو مبدأ دفع الدية على الجروح التي لا تقضي إلى الوفاة ، فجعل دية جرح القدم عشرة شواقل من الفضة ، ودية كسر العظام «منا» من الفضة ، ودية قطع الأنف ثلثي منا من الفضة ، وأتسر إلى

(١٢) رضا جواد : المرجع السابق ص ٧٢ - ٧٣ .

(١٣) J. J. Finkelstein, Op. Cit., P. 524-525

الاداة التي تستعمل في كل حالة ، مما يعنى انه أراد بذلك الاعتداء
 المجتمع - وأجاز التشريع انجاز البيضة عن طريق الامتحان بالقاء المتهم
 في النهر - (ويبدو أن الحكمة من ذلك هي ان كان أمره الى انه انهر ،
 اذا عجز القضى عن اثبات التهمة عليه ، فان شاء أنقذه ومراه ، وان شاء
 أغرقه بذنبه) - وأمر بتسليم العبد لأيق الى سيده (٥٨) .

هذا وقد تضمنت العبارات الباقية من التشريع بسمى صاحبه الى
 توحيد الاوزان والمكاييل ، ورغبته في تخليص المواطنين ممن يستغلون
 مائتهم وأغنامهم ودوابهم ، وانى أن يمنع وقوع اليتيم فريسة للشرى ،
 ووقوع الارملة ضحية للتقوى . وأن لا يصبح الرجل الذي يملك شاةقلا ،
 فريسة لذلك الذي يملك مائة ، كما ومنعت بعض المواد خلوهاط العمل
 القضاة الى سحر الخصام ، وخاصة ما يتعلق منها بشتمادة الزور
 وتبعثه (٥٩) .

(٢) شولجى (٢٠٤٥ - ٢٠٤٨ ق م) :

جاء «شولجى» (Shulgi) على عرش أور : بعد أبيه «أور -
 نامو» : الذى قضى في ميدان القتال ، وطبقا لما جاء في نص على لوح
 كتابي فقد «جاء في ميدان القتال مدحما» : وتسبب قائمة الماسوك
 النورية الى الملك انجديد (شولجى) فترة حكم قدرها ٤٨ عاما ، وقد
 امضى الرجل الشطر الاول منها في الاعمال البنائية - وخاصة في بناء
 المعابد - فأكمل زهرة أور التى تيدها أبوه «أور - نامو» : كما أعاد
 بناء معبد الالهة «انسا» في نيبور ، فضلا عن إعادة بناء معبد الالهة
 «نليل» في نيبور . أيضا بعد تيدمه للمرة الرابعة ، وربما كان هذا

--- --

(١٤٠) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٣٢ -

(١٤١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٣٢ ، رضا حويّد
 لهنسى : القانون والاحوال الشخصية ص ٧٣ -

الاهتمام بالثئون الدينية هو ما دعا شولجى الى تأليه نفسه . انسابه
بنارم - سن ، ملك اككد (١٦) .

والواقع أن حكام أور انما قد استمسكوا بالالوية المقدسة التي
اكتسبتها منذ أيام الدولة الاكدية : وكان (شولجى) هذا (وكان اسمه
يقراً «دونجى» ، ثم ظهر رأى جديد يقرأ «ساج - جى») أكثرهم
استمساكاً ، وقد اختير كاعضا أكبر للمعبودة «اننا» في الموكاء (أوروك)
في حياة أبيه ، وذكرت نصوصه أن الآله قد اختاره بنفسه . وقد أخذ
اسمه بعد توليه العرش على أحد تسمير دولته : ورغمه أهل ملاحه الى
مرشبة اترينية : أو ما هو قريب منها : ورضى هو بتأيمه انحل ، غمر
بعضهم أولاده باسم «شمولجى ابلى» بمعنى «شولجى نعى» .
و «ساجى بانى» بمعنى «شمولجى الخالق» : فضلاً عن «شولجى
أبى» (١٧) .

وقد أقيمت لهذا الملك المؤله (شولجى) هياك العبادة . وقدمت له
القرابين : كما أقيمت عبادته في بعض المدن السومرية . كما يشير إلى
ذلك تعبير «شولجى معبود أوما» ، وربما أصبحت هذه العبادة قومية .
وفذا لما يثبن عن تعبير «شولجى حياة أرض سور» (١٨) . بل أن الرجل
انما حاول أن يظهر نفسه كربانى يتمتع بمقدرة فائقة في العدو . كيف
جبل . بحيث يمكنه قطع المسافة عدواً من نيجور الى أور ويانكس في
يوم واحد (١٩) .

16. L. Wauley, Op. Cit., P. 128-129.

S. N. Kramer, The Sumerians, P. 47, 68, 130.

W. W. Hallo and W. K. Simpson, Op. Cit., P. 80.

I. Bohrer, Op. Cit., P. 141.

(١٧) عبد العزيز صابح : المرجع السابق ص ٤٣٢ ، وانظر :

T. Jacobsen, BASOR, 1947, P. 16 F.

(١٨) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٣١٣ .

(١٩) نفس المرجع السابق ص ٣١٣ ، وكذا

S. N. Kramer, The King at The Road, in ANET, P. 585-586.

هذا ، وقد عبر كاتب سوري عن رأي شولجي في نفسه ، فكتب ، على
اسمائه يقول : «أنا الملك : كنت بطلا في بطن أمي . أنا شولجي صاحب
لباس منذ مولدي . أنا أمد فاقب ، أنصر . أنا صارو . أنا ملك أركان
دنيا الأربعة . أنا حامي السومريين وراعيتهم : أنا بطل ، رب البلاد
ذاتي . أحب الخير وأبغض الشر . وأحب الثعالب لأدواة . أنا شولجي
الملك المقنن ، أخصم ، إلى الأبد الشر . وفدت الأمل إلى شعبتي ...
شولجي الذي ترفع به بأس السماء والأرض ، ولم يكن له مثيل ،
شولجي الذي وعده رب السماء» (٢١) .

هذا وقد أهتم «شولجي» بمدينة أور — التي على شاطئ البحر (٢٢)
— وإن ذكر كتاب هذه أنه استولى على ذخائر معبد «إساچيان» ، ومعبد
بنوا . فكتب عليه «بن» ولم يرفض عن جنته (٢٣) ، وعلى أية حال ،
ذلكم أهتم «شولجي» كذلك بمدينة «كوشي» ، فأنشأ هناك المعبد الكبير
لمعبود «نرجال» رب كوشي ، كما بنى الموركاة حفظا من رعايته كذلك .
حيث أنشأ معبد «آي أن» معبد «ننا» ، وأما معابد أخرى ، فلعلها
أكثر المراكز السومرية حفظا في عهد «شولجي» فلقد عثر على عدد من
اللوحات في «تلو» من ذلك العصر ، تشير إلى فوائهم بطعام الأثامية
والحمير التي يمتلكها المعبد ، والأرضين الغنية التي في حوزته (٢٤) .

هذا وكان «شولجي» فاسد الاهتمام أيضا بطرق المواصلات .
وبراحة المسافرين على هذه الطرق : ومن ثم فهو يفاخر في شمس له بأنه
«... الطريق وجعلها مستقيمة» ، وأمن طريق السفر . وثقاهم عليه
لأنه أذن كنزة زرع من حولها أنحلتهم وأمن غيبا من يثيرون على
خدمة المسافرين نهارا ، ويحققون لهم الأمن والأمان نهارا (٢٥) ، عذا فضلا

- (٢٠) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٣٣ ، انظر
S. Moscati, The Face of The Ancient Orient, 1964, P. 38
(٢١) انظر :
A. L. Oppenheim, in ANET, P. 259
(٢٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٣٤ .
(٢٣) سجب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٦٨ .
(٢٤) S. N. Kramer, Op. Cit., P. 585

عن ربط الالهة اليم بعضها ببعض الآخر ، عن طريق تنظيم معنى اليرد
من الدلائل ، الذين حيرت لهم محطت زفمان وحسرون تعليمته فرد .
الالهة اليم : كما عني بتظيم جميع الشرائع من مذلات الاشليم . وتحت
ذلك كله عني لودت حفظت في دور المخطوطات (٢٥) . وحين غلقه شن
هذا الملك المسمري من الميتمين بالادب والمعرفة . وأنه ابدى عناية كبيرة
بالمدارس : حتى أنه لمعذر بتدعيم العلم في المدرسة في أيام الطفولة .
وأنت قد أدت عنوان الكتابة المسمارية (٢٦) .

وهذا استطاع «شولجي» أن يقوم حكما قوي في البلاد . وأن عجز
عدة حملات تأديبية ضد القبائل في زاجروس . وأن بشرق سيطرته عبر
بلاد عراق : وأن يرتبط بعلاقات مصاهرة بهكم وباراخشي «غلق زوجة
من احدى بناته في العام الثامن عشر من الحكم (حوالي عام ٢٠٧٧
ق م) ، كما زوج بنتا ثالثة من حاكم «أسور» في العام الثاني والثلاثين
من الحكم (حوالي عام ٢٠٦٣ ق م) . الامر الذي يبرهن على علاقة
ودية مع عيلام : وثقته روابط المصاهرة . وان كان ذلك ، يشير الى
حملة تأديبية وجهها شولجي الى انسان بعد غرة قصيرة من زواج ابنة
من حاكمهم هذا فضلا عن اشارة عن عام عرف بأنه «العام الذي دمرت
فيه انسان مرة أخرى» : كما قام شولجي بتدعيم سبل «سوزبات» في العام
الثامن والعشرين من الحكم (حوالي عام ٢٠٦٧ ق م) (٢٧) .

هذا وقد كشفت انصريات عن آثار النشاط المسمري الضخم الذي
قام به شولجي في سوسة : كما يبدو هذا واضح في معبد «ابن
نوسيناك» المعبد المحلي لهذه المدينة : فضلا عن استخداما لتسعين

(٢٥) نحبب : يخانييل : المرحع السابق ص ١٦٦ .
(٢٦) فضل عبد الواحد علي : مجلة أور لسان : من كتاب :
العراق في التاريخ - بغداد ١٩٨٣ ص ٨١ .
(٢٧) فضل عبد الواحد : المرحع السابق ص ٨١ ، فوزي رشيد :
نصوص أدبية من العصر المسمري الحديث - مجلة سمر - العدد ٢٤
لسنة ١٩٦٨ ص ٧١ - ٧٣ : ٧٦ - ٨٢ ، وكذا
W. Hung, CAH, I, Part. 2, Cambridge, 1971, P. 655-663

عشرميين لتجمع تمرد القبائل الجبينية في الشمال الشرقي (٢٨) .

ولواقع أن جهود شولجي في ميدان تعامل الثقافة السومرية في عيلام بالغ الأثر ، ورغم أن هذه الثقافة كانت قد انتقلت إلى عيلام قبل عهده ، غير أن جهوده لم تقف عند حد الفترات التي تستهدف الاحتلال ، بل تعدتها إلى إبراز السيادة والحكم من الحكومة المركزية في أور ، وهناك كثير من الوثائق تشير إلى تموين عمال الملك لأذين بهرون بمدينة لجش في طريقهم من أور إلى عيلام ، تعدد كميات الحبوب والشراب والزيوت التي تصرف لهم ، ومن الأسماء التي وردت للمدائن التي عين بها هؤلاء الموظفون ، نستطيع أن نؤكد أن السلطان الملكي امتد إلى كافة المدن الهامة هناك ، وربما كان أبرزها جميعا سوسة ، وأما مهام هؤلاء الموظفين فكان من بينها جمع مواد التموين والبناء ، فضلا عن العمل ، أداء الأعمال الملكية ونقلها حيث يريد الملك .

وهناك ما يشير إلى أن شولجي إنما قد خلع الدكائم اللوطينيين ، وأحل غيرهم من المرغبات البابليين محلهم ، وهو أمر تابعه فيه خاضعائه من بعده ، مستهدفين جميعا صيانة إدارة الإقليم من أن تلقى أثرها في أيدي لا يطمأن إليها ، ومع ذلك فتردد قيام الثورات في الأقاليم العيلامية دحض ما بأن الأهالي لم يخضعوا تماما للغزو ، بل أنهم تناهوا يسعون دائما إلى التخلص من نيره ، كلما سنحت لهم الفرصة ، وقد منح العلف والتسوية أرضا ، لا في إخضاع البلاد ، بل في إحياء الأمل في الاستقلال ، مما أدى إلى سقوط أسرة أور ، فيما بعد ، كما سنرى (٢٩) .

وأما «سوبارتو» في شمال سهل الميزوبوتامي ، غلقت أبواب شولجي وتمردت عليه ، الأمر الذي يبدو واضحا من الرسائل المتبادلة بين

(٢٨) محمد عبد التلطيغ : المرسع السابق ص ٣١٥ - ٣١٦ وكذا

W. Hinz, Op. Cit., P. 674.

(٢٩) نجيب مصطفى : مصر والشرق الأدنى القديم - الجزء الخامس - الإسكندرية ١٩٦٣ ص ١٦٧ - ١٦٨ .

للطرفين : وان لم تمثل العلاقات بينهما الى مرحلة الحرب (٣٠) .

وعلى أية حال ، فليس هناك ما يشير الى حملات حربية ضد الغرب ، وان تحدثت النصوص عن «هزيمة أمورو» ، كما ذكرت نصوص سولجي «العلم الذي بني فيه منط البازد» في اقليم سينار ، والذي يرجع انه كان سوراً دفاعياً لتأمين حدود سولجي ضد الخطر الاموري (٣١) .

(٢) «أمار - سين» (٢٠٤٧ - ٢٠٣٩ ق م) :

جاء «أمار - سين» (Amar-Sin) على عرش أور ، بعد أبيه «شولجي» ، ومدة سنوات تسع ، فيها تروى قائمة الملوك «السومرية» . وقد تركز نشاطه المعماري في نيبور وأور ، وان «هتم كثير» : كما فعل أبوه من قبل ، بمدينة أريدو ، التي أنشأ فيها معبداً يعبدونها الخدلي «النسي» (إله الماء العذب) ما تزال بقايا قائمة حتى اليوم . كما أضاف في الخدبة ما يعبر عن تاليهه ، وتفصيل الآله «الذليل» (٣٢) . و«ابن لأحد نصوص الفال ، فقد لقي حتفه» (بسبب فرصة هذاء) . ودعى بـ «سوار سولجي وأور - نامو» (٣٣) .

هذا وقد تركزت هروب «أمار - سين» في التشرق والنسمل الترقى . فوجه عدة حملات الى «أمار سين» ويعرف «لعمان» : الاول والثاني . من الحكم (حوالي عام ٢٠٤٧ : ٢٠٤٦ ق م) كل منهما ينسب «العلم الذي

.....

30) A. A. Fadhil, Three Sumerian Letters, in Sumer, 26, 1971, P. 149-151.

31) N. Kramer, The Sumerians, Chicago, 1971, P. 321-322.

32) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 602.

J. Bottéro, CAH, I, Part, 2, 1971, P. 341.

W. W. Hallo and W. K. Simpson, The Ancient Near East, 1971, P. 81.

32) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 607-608.

W. W. Hallo and W. K. Simpson, Op. Cit., P. 81.

33) G. Roux, Ancient Iraq, 1966, P. 162.

A. Goetze, JCS, I, 1947, P. 261.

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 608.

غريب غيه أمارسين ، مدينة أوربيلوم ، وفي انعامين : السادس والسابع :
من انحكم (حوالي ٢٠٤١ : ٢٠٤٠ ق.م) وجه عدة حملات الى المواقع
الشرقية : الى «شاور» (شمشور) و «خيرخ نوري» - التي وسعت
بناها «مزلاج أرض أنشان» : ونقع الى الشرق من سوسة ، هذا فضلا
عن بعض المواقع الاخرى التي لم يتسن تحديد أماكنها^(٣٥) .

وعلى أية حال ، فنقد كن أمارسين حريصا على أن يحكم هذه المناطق
الشرقية حكما مبنيا عن طريق اتباعه المخلصين اللذين أقامهم في سوسة
وخمزي وبار أخشي ، ومن ثم فقد ظل «أرييقوم» - والذي كان حاكما
على أنشور منذ العام قبل الاخير من عهد أبيه شواجي ، ولدة سنوات
سب من بعده - ليصبح حاكما على سوسة ، ولدة سنوات ثمان^(٣٦) .

(٤) شوسين (٢٠٢٨ - ٢٠٣٠ ق.م) :

جاء «شوسين» Shu - Sin على عرش أور ، بعد أبيه
«أمارسين»^(٣٧) ، وادة سبع سنوات ، فيما تذكر قائمة الملوك السومرية ،
وقد سار على سنة أبيه شواجي في الاستمرار بهالة الملك المزدكية ،
وأثبت كرامة من كرامات «نوكور» على مولاها «شوسين» على ما أولاها
إياه من هدايا ونعم ، وصاغت مديعها في نشيد بدأت بهوسف الملك
بالتحير : وامتنحت أمه «أبيمتي» لولادتها إياه ، ثم عدت عطاياه لها
- بعد أن أنزله بنشيدعا - وذكرت منها ثلاثة ذهبية ، وختمين من
الباروررد ، وخادما ذهبيا ، وآخر من الفضة : وأكدت أن تدلح المثلث
لها ، كان تمن لديها من هداياه ، وأضافت أن عاصمته تجزو لدى إديسه
كالميل الصغير ، وترفع كفتها تفرعا إليه ، ثم وصفته بأنه ربها وحبيبها ،

-- --

(٣٤) فوزي رشيد : المرجع السابق ص ٨٢ - ٨٤ ، أو ك

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 467.

35) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 469.

W. H. A. Op. Cit., P. 655-656.

(٣٦) أنظر :

S. N. Kramer, Op. Cit., P. 496, No. 7.

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 468.

ورب بلده ، ومحبوب أنليل ، هذا وقد حرص أحد النسخ المتأخرين عندما أراد أن يسجل هذه القصيدة ، أن يسبق اسم «شوسين» بمخصص الازدواج (٣٧) .

هذا وقد واجهت «شوسين» بعض المتاعب من القبائل الجبلية في الشمال الشرقي ، ومن ثم فقد وجه إليها حملتين : الواحدة إلى «سيمانوم» التي قام بتدميرها في العام الثاني من حكمه (حوالي عام ٢٠٣٦ ق.م) ، والاخرى إلى «زابسالي» التي دمرها في العام السابع من الحكم (حوالي عام ٢٠٣٦ ق.م) (٣٨) ، وهذا وتصور نقوش «شوسين» أسرى الحرب من «سيمانوم» ، وقد هجروا من بلادهم إلى معسكر أقاله «شوسين» على مقربة من نيور ، كما تصوره وهو يضا رقبة «انداسو» — حاكم زابسالي — وقد صور خلفه عشرة من أمراء المنطقة المتحالفتين معه ، وقد تفلوا جميعا كسرى إلى أور ، عاصمة شوسين ، كما غنم «شوسين» من زابسالي ومجاوراتها ثروة من المعادن ، وخاصة من النحاس والرصاص والبرونز ، فضلا عن الذهب الذي صاغ منه شوسين تمثالا له ، أقيم بمعبد أنليل في نيور (٣٩) .

على أن علاقة «شوسين» بميلام ، إنما كانت ترتبط — كما فعل أبوه شولجي — برباط المصاهرة ، فنقد زوج ابنته من حاكم أنشان ، الذي أرسل نائبه ليرافق الأميرة في رحلتها من أور إلى أنشان ، كما أقام عدة مبان في سوسة لعبدته ، ومن ثم فقد أغنت الألوان الحجرية التي عثر عليها هناك ذكر «ابن شوشيناك» معبود سوسة ، بينما تهددت من قايه

(٣٧) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٢١ ، صويل كريم : من الواح سومر ص ٣٦٦ - ٣٦٩ ، وكذا ANET, P 426.

(٣٨) فوزي رشيد : المرجع السابق ص ٢٤ - ٧٥ ، محمد عز : التلخيص : المرجع السابق ص ٣٢١ ، وكذا

C. J. Gadd, Op. Cit., P 608.

(٣٩) W. Hinz, Op. Cit., P. 657.

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 609.

شوسين : وانتحاله لقب «ملك الجهات الاربع»^(٤٠) ، كما عبرت نصوص أخرى عن استلام كمية من الشعير . مهداة كندور : وقد أرخت بالعام الاول من المهكم (حوالي عام ٢٠٣٨ ق.م) والذي عرف باسم «العام الذي أصبح فيه شوسين : المؤنة . ملكا»^(٤١) .

وهناك ما يشير الى أن «شوسين» انما عهد بأمن المنطقة الشخصية الى المدعو «أورد نانا» (ايرنانا) وقد أسند اليه عدة مناصب هامة ، منها «سوكال مآخ» (الوزير الاعظم) و «انسى لجنى» و «سانجا الاله انكى في اريدوا» و «انسى أرض جوتوبوم» وغيرها . هذا فضلا عن تعيينه حاكما عسكريا على مدن الشمال الشرقي والشرق وسبع عسرة (وهم قوم من السومريين كانوا يعيشون شرقي مدينة الموصل الحالية) . وامتد نفوذهم من مدينة اربيل الى الخليج العربي^(٤٢) ، وربما المسبب في كل ذلك ، ازدياد خطر الاموريين ، واضطرار «شوسين» للتفرغ لمقاومتهم ، وبناء حائط أمور : على مقربة من بغداد الحالية ، فيما بين دجلة والفرات^(٤٣) .

(٥) ايبى - سين (٢٠٢٩ - ٢٠٠٦ ق.م) :

جاء «ايبى - سين» (Ibbi - Sin) على عرش أور : بعد أبيه «شوسين» ، ولدة ٢٤ عاما ، طبقا لما جاء في قائمة الملوك السومرية ، وهو على أية حال ، انما يمثل آخر ملوك أسرة أور الثالثة : والتي قدر لها أن تكون نيايه آخر الاسرات السومرية في التاريخ ، والواقع أن خلاصم الضعف في كيان أسرة أور الثالثة انما قد بدأت في وقت مبكر من حكم «ايبى - سين» . فقد توقف كثير من المدن السومرية عن إرسال البنادق المسماة بدسنى هذا الملك ، كما توقف بعضها الآخر عن إرسال

40) W. Hanz, Op. Cit., P. 657

41) J. J. Meek, Mesopotamian Legal Documents, et ANET, P. 217

42) J. Bottéro, Op. Cit., P. 157-158.

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 609

43) Ibid., P. 609-610.

النذور الى معبد اله القمر في العاصمة أور ؛ هذا فضلا عن ارتباطك
 الاوضاع الاقتصادية ، وقلة المواد الغذائية الاساسية — كالنخطة
 مثلا — وزاد الطين بلة تردى الاوضاع بصفة عامة ، بسبب هجوم
 القبائل الامورية من الغرب ، وهجوم العيلاميين من الشرق ، مما أدى
 في نهاية الامر الى سقوط اسرة أور الثالثة ، وأسر الملك «ايبي سين»
 نفسه (١٤) .

وعلى أية حال ، فلقد مرت السنون الخمس الاولى من حكم «ايبي
 سين» بدون منازع ، حتى نشهد أنه خلال الثلاث سنوات الاولى من
 حكمه كانت الوثائق الاقتصادية في سوسة ، تؤرخ الوثائق في أور ؛ الامر
 الذي مكنه من اصلاح أسوار التحصين في أور ونينور (١٥) ، وفي العام
 السادس (حوالي عام ٢٠٢٣ ق.م) زوج «ايبي سين» ابنته من حكم
 «زابلالي» لاقامة تحالف تدعمه المصاهرة ؛ غير أن هذا التحالف لم يأت
 بالنتيجة المرجوة منه ، فقد كن على «ايبي سين» أن يواجه وحده
 — وفي العام العاشر من الحكم — تمرد قامت به العاصمة العيلامية سوسة ،
 فضلا عن مدينتي «أدامدوم» و «أوان» في شمال سهل سوزيانا ، غير أن
 الاقدار انما كتبت له نجاة بعيد المدى — عن طريق حملة خاطفة ، ولادة
 يوم واحد — في أن يخضع النائرين ، وأن يقتل زعيمهم (ملك سبها
 شكلي) مكبلا في الاغلاك التي أور (١٦) ؛ وان اضطر بعد ذلك — وفي العام
 الرابع عشر ، من الحكم (حوالي ٢٠١٥ ق.م) — أن يخرج على رأس
 جيش ضخم ضد «خوخ نوري» وأن يكتسحها كطوفان (١٧) .

على أن الاهور «مرعن» ما تنذر بالخطر ، عندما انتهر العيلاميون

(١٤) فاضل عبد الواحد على : السومريون والاكديون — من كتاب —
 العراق في التاريخ ص ٨٢ .

(١٥) C. J. Gadd, CAH, I, Part. 2, Cambridge, 1971, P. 611.

(١٦) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 611-612.

W. Hinz, Op. Cit., P. 658.

(١٧) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 612.

W. Hinz, Op. Cit., P. 658.

وخلالهم من القبائل الجبلية الشرقية فرمة ضعف الاميريين في المغرب ،
فهاجموا أرض سومر ، وحاصروا «ايبي - سين» في المعصمة أور . في
نفس الوقت الذي كان عليه أن يصد زحف العناصر الاميرية نحو
الجنوب ، وهنا طلب «ايبي - سين» من تابعيه «ايشي ارا» حاكم ماري
المعون (٤٨) .

غير أن «ايشي ارا» سرعان ما انتول هذه الفرصة ، التي أدت الى
تدهور السلطة المركزية في أور ، ولقد يعمل لصالحه الشخص ، فخرج
عن طاعة سيده ، ونقل نشاطه الى مدينة نيبور ، ثم الى مدينة «ايشي»
— الى الجنوب منها بنحو ٣٠ كيلا — وهناك استقل بالحقكم ، وأسس
أسرة حاكمة خاصة به هي «أسرة ايشي» في السنة الثانية عشرة من حكم
«ايبي سين» . ذلك لأن حكمه انما يؤرخ بعد هذه السنة (٤٩) .

ولم يكتف «ايشي ارا» بذلك بل عتلى امضاء سلالته الى
مناطق نفوذ سيده «ايبي - سين» . ويؤكد أن تتبع ذلك من نفس
رسالتين متبادلتين بين «بوزور نيموشدا» (أو - بوزور تيرلوجي) حاكم
«كازالو» في الشرق ، وبين «ايبي - سين» ملك أور ، الذي رد له باب
المحنة التي القضا والتفرد ، فضلا عن اعادة الأبواب ومساد الدولة ،
يقول «كازالو» . «قضى القليل بالشر على سومر ، وهبط عتوها
من أرضي ... وأعطي القليل الملكية لرجل وضعي : الى «ايشي ارا» .
الذي ليس من بذرة سومرية لقد انداست سومر في مجمع الآلهة ، وقضى
انليل أنه طالما بقي أهل السوء فيها - غاشرة - يدمر ايشي ارا . رجل
ماري ، بنيانها ويكنسح أرضها» (٥٠) .

(٤٨) محمد عبد الصفي : المرجع السابق ص ٢٢٣ - ٢٢٤ . و (٥٠)

W. F. A. H. I. Part. 2, Cambridge, 1971, P. 658

(٤٩) محمد بيومي مهران : بلاد الشام - الامكندرية ١٩٩٠م ص

٦٢ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٤٧ ، وكذا

C. J. Gadd, Babylonia, 2135-1830 B. C., in CAH, I, Part. 2, 190-1, P. 612

and S. N. Kramer : letter of King Ishbi-Sipr, in CAH, I, Part. 2, P. 613

عدا' وقد تكلف العميلانيون بالقضاء على أسرة أور الكلدانية ، حيث أخذوا
 هدمهم «إيبى - سين» ، بعد مقاومة طويلة ، يرجح أنها دخلت السنوات
 الخمس الأخيرة من عهده ، وادّعت بادتلال العاصمة أور ، بعد أن أصابها
 الخراب . ودلّ بها المجاعة ، ثم وضع الذوم خصاميه عيلامية في أور ،
 واقتادوا «إيبى - سين» أسيرا إلى عيلانم ، حيث قضى هناك في
 المنفى^(٥١) .

وقد أرجع السومريون - كعادتهم في ضد-ير الكوارث التي تتل
 بيلادهم - أسباب زوال دولتهم ، وتدمير عاصمتهم أور ، غضلا عن
 تطعيم معابد آلهتهم وسلب كنوزها ، أرجعوه إلى غضب الآلهة ونقضها .
 وبخاصة نينل^(٥٢) ، وإن كان القضاء على أسرة أور الثالثة - إذ يمثل
 كثرته حفيظة ، في تاريخ السومريين : ومن ثم فقد تركت هذه الكثرة
 أثرا كبيرا في آدابهم : يبدو واضحا في هذا إلقاء ، الذي جاء فيه : -

«لقد توثق القانون والنظم عن الوجود ، والتهمة العاصفة كل
 شيء ، حتى قاتل ما بقانا قد اجتاحا لقد دمرت المدن ، وهدمت
 المنازل ولم يعد قوم أور يسكنون مساكنها وهذا تعب
 «سو» والعميلانيون في مساكن أور ... وحيء بملك «إيبى - سين» التي
 أرض عيلانم أسيرا ... لقد أُنقلب «نانا» على سمعه وكان ملك
 أور حزينا في قصره الرائع ، لقد مرّ الهم قلب «إيبى - سين»
 وذرف الدمع غزيرا»^(٥٣) .

وعلى أية حال ، فلم يستمر العيلانيون على أرض سومر طويلا ، ذلك

51) S. N. Kramer, Lipit-Ishtar Law Code, in ANET, P. 159-161.

52) S. N. Kramer, The Sumerians Chicago, 1970, P. 323-325

53) A. A. Fadhil, Three Sumerian Letters, in Sumer, 36, 1970, P. 160-169

54) S. N. Kramer, in ANET, P. 612-613, The Sumerians, 1973, P. 71
 W. Hinz, CAH, 1, Part 2, P. 689

55) S. N. Kramer, ANET, P. 613, 617.

56) S. N. Kramer, ANET, P. 612-613.

لأن «أيشي أرا» - ملك هاري - إنما يحددنا في نص له ، يرجع إلى عام ١٠٩٠ ق.م ، أي بعد سقوط أسرة أور الثالثة بحوالي ثلاثة عشر عامًا ، بأنه «ضرب عيلام بالأسلحة»^(٥٤) .

وعلى أية حال ، فإن انتهاء حكم «أبيي - سين» في عام ٢٠٠٦ ق.م ، وبالتالي سقوط أسرة أور الثالثة ، إنما يعني انتهاء المحاولات الأخيرة للسيادة السومرية في العراق القديم ، ذلك لأن نهاية أسرة أور الثالثة ، إنما كانت بمثابة نهاية لحياة السومريين السياسية ، إذ لم تنشأ منهم بعدها أسر حاكمة ، بل اندمجوا في الساميين ، وإن ظلت لختهم وآدابهم تؤثر في العراق القديم حتى آخر عصور حضارته ، وبخسبه فيما بعد حضرات أخرى - كالبابلية والآشورية - تبرز بحيث تستطيع التواحدة منهما أن تطغى في مظهرها على الحضارة السومرية ، ولكن يجب ألا يفوتنا أن هذه الحضارات التي نشأت - أول ما نشأت في العهد الأكدي - تفلت بذورها الأولى عن الحضارة السومرية ، ثم تطورت منها بعد أن انهارت^(٥٥) .

54) W. Hinz, Op. Cit., P. 659.

(٥٥) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٧١ - ١٧٢ ، وانظر L. Le Grain, Business Documents of The Third Dynasty of Ur, London, 1947, P. 223 F.

الفصل الثالث

ايسين ولارسا واشفونا

كان انهيار أسرة أور الثالثة ، وأسر آخر ملوكها «إيبي - سين» في عام ٢٠٠٦ قبل الميلاد ، مؤذنا بنكسة ترجع بنا الى نظام دويلات المدن . ذلك أن الكارثة التي أودت بمعبد «إيبي - سين» تسببت مختلف المدن على إعلان استقلالها ، بحيث اصطلم حكامها الجدد القابا خضمة ترحى بالسيادة المطلقة ، لأعلى مدنهم فحسب ؛ بل على البلاد جميعا .

ومعذذا أصبحنا في هذه المرحلة من الفوضى تلفقى بالكثيرين يحاولون الاستقلال أو يسعون الى تدعيمه - ان استطاعوا أن يصلوا اليه - فهذا «بوهيا» يسجل بـ«لاكدي» في «مورثيتوم» قصة بناء معمر له . وهذا أمير في «دير» يسجل في إحدى النواحي بالسومرية ترميم المدينة . وتشيد معبد بها ؛ وهذا «كيساري» في «جانصار» يسجل اسمه على حاتم أسطواني^(١) .

وهكذا تسببت الكارثة التي حلت بأور كثيرا من المدن على إعلان استقلالها ؛ ومن ثم فقد ظهرت عدة أسر حاكمة ؛ كان أبرزها دون شك ، أسرة إيسين والارسا في الجنوب . وأشور واشوينا في الشمال^(٢) . ولنتحدث الآن عن هذه الأسر .

(١) أسرة إيسين

أسس الاموريون هذه الأسرة في «إيسين» (Isin) ، كبرى عواصم الاموريين - وهي الآن إيشان بخریات ، جنوب عك الحالية ، على مبعده ٣٠ كملا جنوب نيبور (نفر) - واصطلم ملوكها لقب «ملك سومر وكدا». كما اصطلموا الحفقات الالهة فقاموا بأعمال عمرانية في أنحاء البلاد التي خضعت لهم ؛ ورعموا كثيرا مما خرب على اثر سقوط أسرة أور الثالثة .

(١) نجيب ميخائيل ؛ المرحم السابق ص ١٧٢ .

(٢) G. Roux, Op. Cit., p. 169.

هذا ومتتبع «لويحة شال» آسورية إلى أن «ايشي أرا» ، ليس له مناصبون ، وهو تعبير مبهم على أنه حال ، ولكنه مع ذلك ، إنما يشير إلى سمعته الطيبة في المعمور اللاحقة : التي تعتمد على ما قام به من إصلاحات ، وما بذل من جهود موهبة في اغلاء شأن مدينته «ايسن» وبنيادتها .

على أننا لا نملك الكثير من الوثائق عن تفصيلات الأحداث في عصر أسرة ايسن ، فالجزء الأكبر من معلوماتنا مستقى من «قائمة نيور» التي تشير إلى أن الأسرة قد حكمت ٢٢٥ سنة ، ٦ شهور ^(٢) ، وقد حكم فيها ١٥ ملكاً أولهم «ايشي أرا» ، وآخرهم «دمق ايليشيو» ^(٣) .

هذا وقد حكم «ايشي أرا» لمدة ٢٣ عاماً (٢٠١٧ - ١٩٨٥ ق.م) . وتلقب بلقب «ملك سومر وأكد» ، واتخذ لنفسه صفات الألوهية ، ثم

(٣) محمد بيومي مهران : بلاد الشام ص ٦٤ - ٦٥ ، نقيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٧٨ - ١٧٩ .
(٤) انظر أسماء ملوك أسرة ايسن وفترات حكمهم (نقيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٧٦ ، نو اوسهايم : بلاد ما بين النهرين ، ترجمة سعد فيض - بغداد ١٩٨١ ص ٤٤٤ - ٤٤٥ ، وكدا (CAH, I, Part, 2, P. 1003.

وهي طبقا للمرجع الأخير كالتالي :

- ١ - ايشي أرا (٢٠١٧ - ١٩٨٥ ق.م) .
- ٢ - شو ايليشو (١٩٨٤ - ١٩٧٥ ق.م) .
- ٣ - ايشي داجان (١٩٧٤ - ١٩٥٤ ق.م) .
- ٤ - ايشي داجان (١٩٥٢ - ١٩٣٥ ق.م) .
- ٥ - ليت عشتار (١٩٣٤ - ١٩٢٤ ق.م) .
- ٦ - أور - ديلوزت (١٩٢٣ - ١٨٩٦ ق.م) .
- ٧ - بورس (١٨٩٥ - ١٨٧٥ ق.م) .
- ٨ - ليت - انليل (١٨٧٤ - ١٨٧٠ ق.م) .
- ٩ - ايرا - ايمني (١٨٦٩ - ١٨٦٢ ق.م) .
- ١٠ - انليل - ناني (١٨٦١ - ١٨٢٨ ق.م) .
- ١١ - زامبيا (١٨٣٧ - ١٨٣٥ ق.م) .
- ١٢ - انتر - بيتا (١٨٣٤ - ١٨٣١ ق.م) .
- ١٣ - أور - دوكوخا (١٨٣٠ - ١٨٢٨ ق.م) .
- ١٤ - سن - تلج (١٨٢٧ - ١٨١٧ ق.م) .
- ١٥ - دمو ايليشو (١٨١٦ - ١٧٩٤ ق.م) .

خلفه أربعة من أسرته ، انتقل العبرتي من بعدهم إلى أسرة ثانية ، كما دخل في خصام مع العيلاميين الذين كمنوا يحتلون مدينة أور ، منذ سقوطها في أيديهم (عام ٢٠٠٦ ق.م) ، حتى استطاع أن يسترجعها منهم : حوالي عام ١٩٩٣ ق.م — أي بعد سقوطها بحوالي ١٣ عامًا — في حرب لم تعرف تفاصيلها ، اندمر فيها العيلاميون اندحاراً بلغت شدته حدا جعلهم لا يتعرضون بمدن العراق الجنوبية لفترة طويلة .

وهناك ما يشير إلى قيام «ايشي أرا» بتعزيز وسائل الدفاع عن عاصمته إيسن ، فضلا عن علاقاته التجارية بمدن الفرات الأعلى ، والمناطق الشمالية الشرقية ، وعن شغفه الشديد بتقانة السومرية ، وكانت اللغة السومرية ما تزال هي اللغة الرسمية في البلاط^(٦) .

و جاء بعد «ايشي أرا» ولده «شوايليشو» (Shu - Ilshu) (١٩٨٤) — (١٩٧٥ ق.م)^(٧) ، ويشار إليه في بعض النصوص ، أنه قد أعاد تعمير المعبود «نار» من أنشان إلى أور ، وأن كنا لا ندرى على وجه اليقين ، أنهم هذا بطريق سلمى أم في حرب انكسرت أنشان فيها .

و جاء بعد ذلك «ايدين داجان» (Iddin - Dagan) (١٩٧٤) — (١٩٥٤)^(٨) ، وقد أحفل سيار : وأعلن نفسه ملكاً على سومر وأكد . وأكبر الخان أن استحالة هذا اللقب ، لم يبال الأمر الجديد في «إسن» فلقده خلف ملقاء (أبوه وجده) نصوصاً أو نقوشاً نلتقى فيها بلقب «ملك سومر وأكد» ، وعلى أية حال ، فإن خليفة «ايشي داجان» Ishme - Dagan (١٩٥٣ — ١٩٣٥ ق.م) ذهب إلى أبعد من ذلك ، فلقد عثر في أور (المقر) على بعض قوائم جنوب البناء ، وعليها لقب «سيد الوركاء» — فضلا عن لقب «ملك إيسن» ، و «ملك سومر وأكد» — كما

(٦) سامي سعيد الاحمد : العصر البابلي القديم — عن كتاب العراق في التاريخ ص ٨٢ .

٦) CAH, I, Part, 2, 1971, P. 1001.

7) Ibid, P. 1000.

بسرور في عبارات طنانة ما أسداه اني مدن نيبور واريديو وأور - مما يؤكد
إماداد سلطانته على هذه النواحي : وقد ذكرت هذه المدن : كما سجلت
نفس الالفاظ في عصر ولده وخليفته «ليت عشتار» (Lipi - Ishar)
(١٩٣٤ - ١٩٣٤ ق.م)^(٨) .

وينسب الي «ليت - عشتار» هذا : رادد من أهم التشريعات في
العراق القديم : ويؤرخ بالعام الحادي عشر من حكمه (حوالي عام ١٩٣٤
ق.م) ، وبعد «تشرع افسنونا» بنصف قرن : وقبل تشرع همورابي
بثلاثين ونصف تقريباً ، ولم يبق من تشرع ليت عشتار : سوى ثمانين
وثلثين مادة : يهتمل أنها كانت تؤلف نحو نصف مواد التشرع : فضلاً
عن مقدمة وخاتمة^(٩) .

هذا وقد كتبت تشريعات ليت عشتار باللغة السومرية (وربما كانت
هناك نسخة أخرى باللغة الاكدية)^(١٠) وقد حفظت لنا في نسخة الواح ،
عشر على ستة منها في نيبور : وهي محفوظة الآن بمتحف الجيزة في
لندن ، أما السابعة - ومصدرها غير معروف - فمحفوظة الآن بمتحف
اللوهر في باريس : ومن المؤكد أن هذه النسخ الطينية (لكنها هي
نسخة من القانون الأصلي)^(١١) : يدل على ذلك : كثرة الاخطاء المدوية ،
وسوء ترتيب المواد فلقد جرت العادة أن يستنسخ الطلبة القوانين أو

(٨) نجيب عبداً : المرجع السابق ص ١٧٩ ، وكذا

(٩) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٥٢ .

(١٠) C. J. Gadd, Op Cit, P. 625.

(١١) انظر عن قانون ليت عشتار (نجيب عبداً : المرجع
السابق ٤٩/٦ - ٥٣ ، طه باقر : قانون ليت عشتار - مجلة مومر -
بغداد ١٩٤٨ ، فوري رابند : الترائع العرفية القديمة - بغداد ١٩٧٣ ،
عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٤٤ - ٤٤٥ ، رضا جواد
الحامدي : المرجع السابق ص ٧٣ - ٧٤ ، وكذا

S. N. Kramer, Lipi - Ishar Law Code, in ANET, 1966, P. 159-161

E. R. Steele, The Code of Lipi - Ishar, in AJA, LII, 1948, P. 423-426

F. Schickel, in RA, LII, 1957, P. 57-62, 177-196, LII, 1959, P. 74-80

F. R. Steele in AJA, LI, 1947, P. 155-160.

بعض المصومن الدينية بغية تعليمهم وتدريبهم على الكتابة والبراهن .
ومن ثم فمن المرجح أن هذه النصوص المكتشفة إنما هي من قبيل هذه
النصوص المكتشفة إنما هي من قبيل هذه النصوص التعليمية ، أما الأصل
فقد دون على مسألة أو نسب مميز ، لم يعثر عليه بعد . الأمر الذي تنبئ
اليه الفقرة التي وردت في مقدمة القانون ، والتي تقول — على لسان أبت
— عشتار — «عندما وغرت الرغبة لبلاد — ومز وأكد . أقمت هذه
المسألة» (١٢) .

هذا وقد اتخذ «أبت — عشتار» في مقدمة قانونه لقب «ملك سومر
وأكد» ، واعتبر نفسه ولدا للإله الأكبر «أنليل» ، ووصف نفسه بأنه
الأرعى الحكيم . ولكنه سرعان ما عذب غنى ذلك بقوله : أنه راع مواضع
وأنة مزارع : وأكد رعايته لتمدن العتيقة بيور وأريدو وأور وأوروك .
وافتخر بأن ربه وهبه إمارة البلاد . يُدعى الحق فيها . وليعلم على
اسماء السومريين والأكديين : سواء بسواء : ونيفوم الفساد والقتال
وقوة السلاح : ثم أكد أنه استوحى تسريعه من «أوتو» — رب
الشمس — و «أنليل» وأقر كلماتهما المقدسة ، وأنه ابتغى أن يحرر أبت
مدن سومر وأكد وبناتها من الرق الذي فرض عليهم (١٣) .

وإن مواد القانون التي سلمت من آثار الذي أصاب الأنواح — وقد
أمكن ترجمتها ، فإنها تعالج شؤون الأراضي الزراعية : وشؤون الميراث
في البساتين ، أو في دار مجاورة لأرض زراعية مجاورة . فضلا عن شؤون
الحييد في حالات هربهم : أو إيواء الجارين منهم أو عقبتهم ، كما تناولت
مواد أخرى حالات الاعتداء على الآخرين . وتنظيم شؤون الضرائب .
وقد اهتمت كثيرا بقانون الأحوال الشخصية . وخاصة فيما يتعلق بشؤون
الإنشاء ، فضلا عن لحقوق المالية والاجتماعية وشؤون الأرض (١٤) .

- (١٢) رعا جواد الهشمي : المرجع السابق ص ٧٢ - ٧٥ .
(١٣) عبد العزيز مسلح : المرجع السابق ص ١٥٢ .
(١٤) رضا جواد الهشمي : المرجع السابق ص ٧١ .

وهناك ترجمة لأهم مواد القانون الباقية كاملة :

مادة ١٨ : إذا ستم رجل أرضا بورا الى آخر ، ليقوم فيها بسنانا ، ولم يكمل الاخير اصلاح الارض البور لعمل البستان ، فانه يسلم الرجل الذي أقام البستان الارض البور التي أهلها ، كجزء من نصيبه .

مادة ١١ : اذا جاورت أرض بور منزلا عامرا ، وأنذر صاحب المنزل صاحب الارض البور بخوفه من أن يتسلل رجل الى بيته ، فان صاحب الارض البور (انقصاء) مسئول أمام صاحب المنزل عما يضيع من مقتنياته .

مادة ١٢ : اذا هربت أمة أو عبد الى قلب المدينة ، وثبت أنها — أو أنه — يعيش في بيت رجل آخر مدى تسهر ، فانه يرد أمة أو عبدا ، مقابل الأمانة أو العبد .

مادة ١٣ : اذا لم يكن له عبيد ، فانه يدفع ١٥ شاقلا من الفضة

مادة ١٤ : اذا عوض عبيد عن عبوديته لولاه ، وثبت أنه عوضه تمويضا مضاعفا ، فانه يعتق (وهذا يعني أن القانون قد أباح للعبد أن يحرر نفسه اذا دفع لسيده ضعف ما اشتراه به) .

مادة ١٨ : اذا عجز ، أو تأخر ، صاحب ضيعة — أو صاحبة ضيعة — عن دفع ضريبة الضيعة ، ونقلت الى شخص غريب ، لسان صاحب الضيعة يظل فيها ثلاث سنوات ، دون أن يطرد ، ثم تنقل ملكيتها بعد ذلك الى من تحمل دفع الضريبة عن الضيعة ، وليس لصاحبها الاول أي دعوى قبلها .

مادة ٢٢ : اذا كان الأب حيا ، فمن حق ابنه — سواء أكانت «انتو» (طبقة من الكاهنات) أو «ناتيتو» (طبقة أخرى من الكاهنات) — أن يعيش في بيته ، كورثة له .

مادة ٢٤ : إذا همت الزوجة الثانية بأطفال (وهذا يعني أن القانون يقر مسيئرا تعدد الزوجات) فإن البائنة التي أتت بها من بيت أبيها . إنما هي حق لأطفالها : ولكن أطفال الزوجة الاولى والثانية إنما يأخذون أنصبتهم من ممتلكات أبيهم بالتساوي (١٥٥) .

مادة ٢٥ : إذا تزوج رجل بأمرأة ، ثم رزق منها بأطفال : ثم رزق أيضا من أمة له بأطفال كذلك ، فإن الألامه والأطفالها يحررون . غير أن أبناء الأمة لا يشاركون أطفال أبعهم الآخرين في نصيبته .

مادة ٢٦ : : إذا همت الزوجة الاولى . ثم اتخذ زوجها من بعدها أمة له كزوجة : فإن وريثته إنما هم أبناء الزوجة الاولى

مادة ٢٧ : إذا كانت الزوجة عقيما ، ثم اتخذ لنفسه مخفية من البدان العامة (ربما بمعنى عامرة) ورزق منها بطفل أو أطفال : وجب عليه أن ينفق على حظيته : وأن يورث أولاده منها ، ولكن ليس له أن يسكنها في داره ، ما دامت زوجته حية (وفي ذلك بعض انتقيد لكرامة الزوجة الشرعية ، ومراعاة مشاعرها كعاقرة حرمت هبة الانتجاب) .

مادة ٢٨ : إذا أدار الرجل وجوه من زوجته الاولى (بمعنى مخرجها) : ونكحها لم تغادر البيت . ثم بنى باخرى ، فإن هذه الزوجة الثانية -- كأيمة عنده -- تصبح زوجته الثانية : ولكنه يسمر في الاتفاق على الزوجة الاولى .

مادة ٢٩ : إذا دخل خطيب الابنة مسن حمية المقبل . وذاك بمرايسيم الخطبة : ثم طرد بعد ذلك : وأعطي خطيبته أرغيفه . فإن جميع هدايا الخطوبة ترد له ، كما أن الفتاة لا تتزوج من رقيقه .

(١٥) قانون ذلك يفانون «البكورية» عند بني اسرائيل (مصحح
بيومي مهران : اسرائيل - الجزء الاول - الاسكندرية ١٩٧٨ حتى ١٩٠ -
١٩٤) .

مادة ٢٤ : إذا أجز رجل ثورا ، وجرح جلدُه عند خِزامة الألف ،
بِنه يدفع ثلث ثمنه .

مادة ٢٥ : إذا أجز رجل ثورا ، وفقاً عينه أو أصابها : فإنه يدفع
نصف ثمنه .

مادة ٢٦ : إذا أجز رجل ثورا ، وكسر قرنه : فإنه يدفع ربع ثمنه .

مادة ٢٧ : إذا أجز رجل ثورا ، وأصاب ذيله : فإنه يدفع ربع ثمنه .

رجل من الأهمية يمكن الإشارة إلى أن «أبت - عشقار» - رغم
دفعه بالتسريح - فقد قام بتسييد عدة مبان في أور . غير أن معادير
جوجو نوم (Gugugunu) (١٩٣٣ - ١٩٥٦ ق.م) ملك لارسا ،
سرعن ما انتزع منه عدة مدن هامة : مثل أور ولجنش ، وغرض حكمه
على مناطق واسعة في جنوب العراق . مكنته من التحكم في تجارة البلاد
الخارجية . ومع ذلك فإن «جوجو نوم» لم يتعرض لأسرة أبسن : أو
أنها ، عندما يبدو ، قد استطاعت أن تستعيد قراها .

وهكذا تشير قوائم الملوك إلى أن خليفة «أبت عشقار» إنما كان
«أور نورتا» (١٩٢٤ - ١٨٩٩ ق.م) وتصفه النصوص كتبت على قوائم
من ملين ، ومع يحمل الألقاب التقديدية «ملك أبسن : ملك سومر وأكد» :
من ويظهر في بعض النصوص بوصفه - إلى جانب الألقاب السابقة -
سيد اللرك . و «حامى نيبور وأور وأريدو» وبعد حكم دام ٢٨ عاماً ،
تري أبس (البورسن) يخلقه وهو يحمل نفس الألقاب التي كان يحملها
أبوه . ثم جاء بعد «بورسن» (١٨٩٥ - ١٨٧٥ ق.م) «أبت أنليل»
(١٨٧٤ - ١٨٧٠ ق.م) .

و جاء «أيرا - نيميني» (١٨٦٩ - ١٨٦٢ ق.م) ، وقد وضع في عهد
حدب غرب لا تعرف تفاصيله : فلقد تم اختيار ملك بديلاً له : حسب
العادة المعروفة آنذاك ، ليحكم مدة معينة ، عندما يشعر الكهنة أن شخص

الملك الحقيقي معرض للخطر ، وعندئذ يحكم الملك البديل عوضاً عنه ، ثم يفتل في نهاية الفترة المحددة ، ويمضي في مركب عظيم ، وهكذا أخشبر البستاني «أنليل – باني» ليكون الملك البديل ، غير أن الملك «ايرا – ايميني» سرعان ما قتل أثناء تناوله حساء ، وربما كانت هناك مؤامرة ضده ، وبالتالي فقد مات مسموماً ، وربما كان «أنليل – باني» من وراء هذه المؤامرة ، وأياً ما كان الأمر ، غلبت أصبح «أنليل – باني» هو الملك الجديد ، وحكم البلاد ٢٣ عاماً (١٨٦١ – ١٨٣٨ ق.م) .

وكان الملوك الثلاثة الذين أتوا بعد «أنليل – باني» (زاعبيا – ايتربيسا – أور – نوكونج) والتذين حكموا البلاد فترة لا تتجاوز عقداً من الزمان (١٨٣٨ – ١٨٢٨ ق.م) لا تربطهم مع بعض أي صلة من قرابة ، الأمر الذي يشير إلى مدى الاضطراب الداخلي الذي ساد البلاد غير أن الفترة الأخيرة من عهد الأسرة ، والتي حكم فيها «سن – ماجير» (١٨٣٧ – ١٨١٧ ق.م) و «دمق ايليشو» (١٨١٩ – ٢٧٩٤ ق.م) إنما كانت أكثر استقراراً ، وقد عثر لنملك «سن – ماجير» على نقش نحدي مكرس له بوصفه سيد المدينة ، بل أنه ظل متمسك في نص آخر بلقب «ملك سومر وأكد» ، وكان ولده «دمق ايليشو» يصطحب نفس اللقب ، بل إن هناك ما يشير إلى أن سيار وبابل قد خضعتا لحكمه فترة من الزمن ، فكان – كما يبدو – ملك على سومر وأكد ، غير أن الأمور سرعان ما تغيرت حتى استطاع «ريم سين» ملك لارسا أن يقضي على سلطان «دمق ايليشو» ، ويحتل العاصمة «ايسين» ، وإن بنهي حكم أسرة ايسين تماماً .

ونعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن ملوك أسرة ايسين – رغم أنهم كانوا من أصل أموري سامي – إنما قد تذكروا كثيراً بالثقافة السومرية ، ومن ثم فقد استعملوا اللغة السومرية في تدوين مكاتباتهم الرسمية ، وكتبوا النصوص الأدبية السومرية ، واستخدموا ألقاب الملوك السومريين والاكديين ، كلقب «ملك سومر وأكد» ، وأخيراً غنقوا

ملوك أسرة تور الثالثة في امصاره علامة التاليه (النجمة) الى اسمائهم :
بغية أن يصفوا على أنفسهم مسحة من القديسة (١٦) .

(٢) امرة لارسبا

أمن هذه الاسرة «بابالانوم» (Naplanum) (٢٠٢٥ - ٢٠٠٥ ق.م.)
وهو أموري الاصل - في مدينة «لارسبا» - وهي مثل
سكرة الحالية ، على بعد ٣٠ كيلومتر شمال غرب الناصرية - ثم تلاه
ثلاثة من الملوك الضعاف .

وكان خليفته الرابع «جونجونوم» (Gungunum) (١٩٣٢ -
١٩٠٦ ق.م.) ملكاً قوياً . استطاع أن يقف في وجه أسرة ايسن ، والتي
كانت حتى ذلك الوقت تتمتع برفوذ سياسي كبير في البلاد ؛ وهناك ما
يشير الى أنه وجه جينسا نحر عيلام ؛ وهما نجم مدينتي (باتنيمي).

(١٦) سمي سعيد الاحمد : المرجع السابق ص ٨٤ - ٨٦ ؛ نجيب
مخائيل : المرجع السابق ص ١٨٠ - ١٨٤ ؛ وكذا

G. Roux, Op. Cit., P. 171.

(١٧) انظر ملوك أسرة لارسا وفترات حكمهم (نجيب مخائيل :
المرجع السابق ص ١٧٦ ، ليو اوبنهايم : المرجع السابق ص ٤٤٥ وكذا
CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1972, P. 1000.

وهي طبعا للمرجع الأخير كالتالي :

- ١ - نابالانوم (٢٠٢٥ - ٢٠٠٥ ق.م.) .
- ٢ - نيسوم (٢٠٠٤ - ١٩٧٧ ق.م.) .
- ٣ - ساميوم (١٩٧٦ - ١٩٤٢ ق.م.) .
- ٤ - زابايا (١٩٤١ - ١٩٣٢ ق.م.) .
- ٥ - جونجونوم (١٩٣٢ - ١٩٠٦ ق.م.) .
- ٦ - نبي - مبار (١٩٠٥ - ١٨٩٤ ق.م.) .
- ٧ - مسو - ايل (١٨٩٤ - ١٨٦٦ ق.م.) .
- ٨ - مور - اداد (١٨٦٥ - ١٨٥٠ ق.م.) .
- ٩ - سن - اديشة (١٨٤٩ - ١٨٤٣ ق.م.) .
- ١٠ - سن - اربشاه (١٨٤٢ - ١٨٤١ ق.م.) .
- ١١ - سن - اكشنام (١٨٤٠ - ١٨٣٦ ق.م.) .
- ١٢ - صلي - اداد (١٨٣٥ ق.م.) .
- ١٣ - ورد - سن (١٨٣٤ - ١٨٢٣ ق.م.) .
- ١٤ - ربه - سن (١٨٢٢ - ١٧٩٢ ق.م.) .

و «أنشان» ، أما في الداخل فلقد هاجم مملكة إيسين ، واستولى على أور ، وزعم أن سلطانه قد شمل سومر وأكد ، وبعد سنوات قليلة ، استولى على لجش وسوسة ، وربما أوروك ، وأصبحت لارسا على أياها تمتلك نصف جنوب العراق ، وباب البحر السفلى (الخليج العربي) ، ومن ثم فقد اتخذ لقب «ملك سومر وأكد» .

وهكذا استقرت «لارسا» في التوسع ، في حين بدأ نفوذ «إيسين» في الانحسار ؛ ابتداء من عهد «ليت عشتار» (١٩٣٤ – ١٩٢٤ ق.م) ، غير أن «جونجونوم» – كما أثرنا من قبل – لم يتعرض لأسرة إيسين ، أو أن أسرة إيسين استطاعت أن تستعيد قواها .

وعن أية حال ؛ فلقد خلف «أبي – سارة» (Ahi-Sart) .. (١٩٠٥ – ١٨٩٥ ق.م) «جونجونوم» على عرش لارسا ، وقام بشق القنوات ، وتزيين معابد الآلهة ، ومن ثم فقد تلقى «ننار» – معبود أور – تمثالين : توأحد من الفضة ، والآخر من العقيق واللآلئ ، وفي سنته التاسعة (حوالي عام ١٨٩٥ ق.م) حارب قوات إيسين ، على إيسام الملك «بورسين» (١٨٩٥ – ١٨٧٤ ق.م) ، غير أن «بورسين» إنما قد نجح في أن يستعيد «أور» من «لارسا» (Larsa) ، محسلاً عن لقب «ملك سومر وأكد» .

وجاء «سمو – أبي» (Sumuel) (١٨٩٤ – ١٨٦٦ ق.م) – بعد أبي – «سارة» ؛ وأعلن نفسه «ملكاً على أور» و «ملكاً على سومر وأكد» ؛ بعد أن استولى على لجش ، وأهدي إلى الآلهة «نن إيسين» تكلبا ندريا من حجر السيتيائية ، ثم حارب «كازالمو» و «كايدا» وكيش ، وانتصر عليهم جميعا ؛ ثم شق القنوات ، وأهدي المعبود شمش تمثالا من الفضة .

ولعل من اللاهية بمكان الإشارة هنا إلى أنه في العام التالي محكم سمو – أبي ملك لارسا ، و «بورسين» ملك إيسين ، أعلن «سمو –

أبوم» (Sumuabum) نفسه ملكاً على بابل (١٨٩٤ - ١٨٨٦ ق.م) وكان لظهور أسرة بابل هذه تأثير خطير على الأحداث ، ليس في العراق القديم فحسب ، بل في تاريخ الشرق الأدنى القديم كله : من السواح السياسية والثقافية والعمرانية ، وجدير بالذكر هنا أن القبائل الآشورية التي كن ينزعها «سومو - . أبوم» إنما تعال الموجة الآشورية الثانية التي دخلت بلاد النهرين ، بينما تمثل أسرة إيسين والآرام الموجة الأولى .

وعلى أية حال ، فلقد أخذ نفوذ أسرة بابل هذه يزداد شيئاً فشيئاً : الأمر الذي أدى إلى أن تستعك في حرب مع ملك لارسا «أدادي - Adad» (Silli - Adad) (١٨٣٥ ق.م) انتهت بقتله، الأمر الذي أدى إلى أن ينتهز الملك «نعيلاي» (نودور ماسك) الفرصة في أن يتدخل في شؤون لارسا ، وأن يتصب ولده «ورد - سين» (Warad - Sin) (١٨٣٤ - ١٨٢٣ ق.م) ملكاً على لارسا ، ثم خلفه أخوه «ريم سين» (Rim - Sin) (١٨٢٢ - ١٧٩٣ ق.م) الذي قضى نهائياً على أسرة إيسين المعاصرة تماماً في عام ١٧٩٣ ق.م .

وعلى أية حال ، فلقد كان سقوط أسرة إيسين سبباً في أن يصبح الجو السياسي مهيئاً أكثر من أي وقت مضى لتفraz مرتقب بين القوتين القويتين - إيسين وبابل - الأمر الذي تم في عام ١٧٩٣ ق.م . على يد الملك البابلي الشهير حمورابي الذي حقق نصراً ساحقاً على «ريم سين» ، وبذا انتهت أسرة إيسين إلى الأبد (١٨) .

(١٨) ل. ديلايورت : المرجع السابق ص ٤٢ - ٤٤ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٨٠ - ١٨٣ ، عبد العزيز خالص : المرجع السابق ص ٤٥٤ ، عبد الحميد زايد : المرجع السابق ص ٧٤ - ٧٥ ، أنستاسيم : المرجع السابق ص ٢٩٥ ، وكذا

C. J. Gird, Op. Cit., P. 636-637

(٣) مملكة اشنونا

سميت مملكة اشنونا (تل أسمر الحالية) على أرضين تقع ضمن
محافظة بغداد وديالى ، بعاصمتها المثلثة في تل أسمر . وقد كان يتبعها
عدة مدن ، يمثلها الآن تل حرمل وخفنجي وتل الضباعي وشيخان ، وكان
تل حرمل — وبمق على مبعده ٩ كيلا نرقي بغداد — يمثل ضاحية من
ضواحي اشنونا تسمى «شادوبم» ، ومركزا إداريا لمملكة اشنونا بعد
استقلالها في أخريات عهد أسرة أور الثالثة . وقد عثر فيه على مجموعة
من الألواح تتضمن نصوصا تمثل نواحي المعرفة ، فضلا عن كتابون
لا نعرف مديته ، وإن نسبته «له باقر» و «جونزة» إلى ملك ديموه
«باللام» ، ثم عدل الأخير عن رأيه ، واكتفى بنسبته للتشريع إلى مدينته
«اشنونا»^(١٩) .

هذا ويعبر تشريع اشنونا هو التشريع الثاني من نوعه . بعد المحاولة
التي قلم بها «أور - ناده» مؤسس أسرة أور الثالثة ؛ أو هو الثالث
بعد المحاولة الإدارية التي علم بها «أوركاجينا» في لجش . وهو بعد أول
القوانين التي كتب باللغة الأكادية . وقد كشف عنه خلال حفريات مديرية
الأنبار العراقية في موقع أثري يقع في منطقة بغداد الجديدة ؛ المكتشفة في
ضواحي العاصمة بغداد ، اسمه تل حرمل . غير أن النسخ المكتشفة
ليست هي القانون الأصلي ، وإنما هي نصوص استخدمت في أغراض
تعليمية ، ومن ثم فهي — شأنها في ذلك شأن قانون لبت عشتار مثلا —
عرضة للأخطاء النحوية ، وعدم الدقة في تبويب أبوابها .

هذا وقد بقيت من قانون اشنونا هذا ؛ إحدى وستون مادة ؛ عالجتها
أهم جوانب الحياة في عصرها . وسهلت بالكفاءة التشريعية لأصحابها .

(١٩) عبد العزيز صايج : المرجع السابق ج ١٥ ، طه باقر :
السابق ص ٢٨٨ ؛ نجيب ميخائيل المرجع السابق ص ٩٤ ، وكذا
A. Guter ANET, P. 161.
G Roux, Op. Cit. P. 175.

غير أنه - على غير العادة في القوانين السابقة - غاب المواد الاحدى عشرة الاولى ، انما تتعلق بتحديد الاسعار والاجور ، مما ستر الشك في صحة تبويب هذه المواد ، كما أنها لا تبدأ بأداة الشرط «إذا» ، على غرار المواد القانونية (٢٠) .

وعلى أية حال ، فلقد اهتمت مواد القانون بأسعار الكثير من المواد الضرورية ، كالشعير والزيت والملح والنحاس وتأجير العربات والقوارب والعمال الزراعيين والاجراء ، كما اهتمت كذلك بالعبيد وبالنزواج والطلاق والافراض والدين والتبني والارث والبيع والشراء والتعدي ، فضلا عن تحديد العقوبات على جرائم عصرها ، وعلى الاضرار التي تلحق بالغير ، وقد جمعت في ذلك بين القصاص والمادية .

وهذا تناولت تشريعات اشنونا أغلب مشكلات الحياة في عصرها ، وأدى المنور على ما بقي منها الى تعديل الفكرة الشائعة التي اعتبرت تشريعات حمورابي أقدم تشريعات مكتوبة في العراق القديم ، وعلى أية حال ، لا يمكن تقسيم تشريعات اشنونا الى مجموعات : اهتمت مجموعة آخرى بتحديد أسعار الاقوات الضرورية كالشعير والزيت والملح ، فجعلت كور الشعير بسبيل فضة ، وسعر الثلاث «كا» من الزيت الممتاز بسبيل فضة ، وكذا كوري الشعير ، وأما «كا» زيت السمسم الفاخر فبثلاث سيكات من الشعير (المواد ٢٤١) .

و اهتمت مجموعة أخرى بتحديد أجور العربات والقوارب ، ومن بعد لون عليها ، فضلا عن أجور العمال الزراعيين ، فجعلت أجرة العربة بيرة أو وستاقها طوال اليوم ، «يانا» ، ٤ سيكات شعير ، أو ثلث تسبيل فضة (مادة ٣) ، وجعلت أجرة نقل حمولة كور بالقرب ٢ فو (كو) شعير ، وأجرة المراكبي طوال اليوم ، سبه وفو من الشعير ، (مادة ٤) ،

(٢٠) رضا جيسوان الهاشمي : المرجع السابق ص ٧٥ - ٧٦ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٥٠ ، وكذا : Tabo Bagir, Tell-Harmal, Samer, II, 1946, P 23-30, IV, 1948, P 157-173.

على أن يدفع ثمن ما أقرقه ، إذا ما تسبب بإهماله في غرق المركب
(مادة ٥) : وأما إذا استولى مراكبي على مركب لا يملكه ، فإنه يدفع
عشرة شواقل من الفضة (مادة ٦) . كما جعلت أجره الحمار والأحمال
طوال اليوم سيئين من الشعير ، وجعلت أجره الخلاح في موسم الحصاد
سيئين من الشعير ، أو وزن ١٢ حبة من الفضة ، وأما أجره الأجير في
الشهر فكانت ثقيلا من الفضة ، وبأنه من الشعير ، وجعلت أجر مذياب
الصبوب سيئا من الشعير ، على أنه اشترطت أن يدفع الأجير عشرة
دراهم من الفضة لمن استأجره لأحد ، ولم يدفع له تحت تصرفه ،
ولم يكل له العمل الذي استأجر من أجله (المواد ٧ - ١١) .

واهتمت مجموعة ثالثة بالعقوبات ، فجمعت بين القتل والنية ،
ومن ثم عقد رضيت بالقتل عقابا للقتل ، وبأنها أقرت مبدأ الذي على
الجروح التي لا تؤدي إلى الوفاة ، فقصت على من عض أنف شخص
أو اقتلع عينه ، بأن يدفع دية قدرها «منا» من الفضة ، وقصت على من
كسر سنا لآخر ، بأن يدفع له عشرة شواقل من الفضة ، وأبقت مسؤولية
م يائنه تعبد أو انفصل أو الكاب على كاهل صاحبه (المواد ١٢ - ٤٨) ،
٥٣ - ٥٧) .

وعنت مجموعة رابعة بتنظيم العلاقات الأسرية ، والمعاملات
الخاصة ، فاشتراطت رضا الوالدين على زواج ابنتهما ، وقررت أن من
أعوى فتاة على معاصرتها ، دون أن يعتقد عليها أمام والديها ، أو أحدهما ،
أن تصبح نه زوجة ، حتى وإن أقامت في داره حولا كاملا ، ولكنه من
ناحية أخرى ، إذا عمل عقد زواج مع أبيها أو أمها وعائسب ، فإنها
تصبح زوجة بيت ، وإن وجدت مع رجل آخر نقتل إنوا لا نخرج
حبة ، كما نصت على أنه إذا ما تمأقده رجل مع سائب على ترويجه ابنته ،
ثم زوجها لغيره ، وجب عليه أن يرد له ضعف ما أخذ منه منه كما نصت ،
على أنه إذا أعطى رجل مال العرس لابنة رجل آخر ، ثم اغتصبه رجل
ثالث ، دون استئذان أبيها ، أو أمها ، واقتل بكارتها ، فإن هذه جريمة
كبيرة ، عقوبتها الموت (المواد ٢٥ - ٢٨) .

ونصت على حق المحارب الذي يؤسر — مداماً أو غارياً — وينقل إلى ديار أعدائه ، في أن يسترد زوجته حين عودته ، ولو تزوجت غيره : خلال غيابها عنها ، أو لكتها حرمت هذا الحق على من فارق بلده كارها لها : أو أمناً من سيده ، كما جعلت القتل عقاباً على الزوجة الزانية ، وأما من يفتن بكارة جارية رجل آخر : فإنه يدفع ثلثي «ممتا» من الفضة ، وتظل المكارية ملكاً لسيدها (المواد ٣٩ — ٣١) .

ونصت على أن من طلق زوجته ذات الأولاد ، وتزوج غيرها ، عليه أن يفيق : إرهاباً وما فيها هو ، ومن أراد أن ينضم من أهل داره (مادة ٥٩) ، ونصت على أن من سلم ابنه للحضانة والتربية ، ولم يعط المأخضة تمويلاً من التعمير والزيت والصوف مدى ثلاث سنوات ، فإنه يدفع ١٠ منا من الفضة ، في مقابل تنشئته ، حتى يمكنه أن يسترد ولده ، وأما إذا سلمت جارية طفلها لابنة رجل آخر ، وشهد سيده حين يكبر ، فإنه يستطيع أن يسترده (المواد ٣٢ — ٣٣) .

وبسنتت شريعة السنود مبدأ الفسخ ، فأنزلت حق الأخوة في شراء ذصيب أخيه من الميراث ، إذا أراد بيعه ، وأن من باع داراً ، فهو أحق بشرائها بنفسه ، أو باعها مشتريها : (المواد ٣٨ ، ٣٩) ، ونصت على أنه إذا اشترى رجل عبد أو أمة أو ثوراً أو بضاعة معينة ، ولكنه لم يستطيع أن يحدد البائع له ، فهو لص (مادة ٤٠) ، كما حددت أرباح القروض — المدنية أو عينية — فجعلت ربح التسهل من الفضة سديس وست حبات ، وجعلت ربح كور الشعير ، «بانتا» وأربع سيات من نفس نوعه (المواد ١٩ — ٢١) .

ونصت على أن من يسترهن جارية رجل ، ليس له دعوى قبضه ، ويقدم الرجل على ذلك ، فإن يدفع له خصة كاملة عن الجارية ، فإذا ما فتنها يدفع له مقابلها جارتين ، وأما من احتجز زوجة «هونكينوم» (عضو في هيئة تتصل بالقصر أو المعبد) أو طفلاً له وقتلها ، فإنه يقتل (المواد ٢٢ — ٢٤) ، ونصت على أنه إن كان هناك حائط يهدد بالانهيار ،

ووصل الى السطات نبأ علم صاحبه بذلك ، وتم يقيم بتدعيمه ثم انهار
الحائط فقتل واحدا من طبقة الأحرار ، فان هذه جريمة كبرى يفصل
فيها الملك (مادة ٥٨) .

هذا وقد حرصت مجموعة خامسة من التشريعات نفسها على تأكيد
حقوق النصوص الملكية والمعابد والسدة فيما يمتلكون من العبيد والجواري
والعقارات ، فحرمت على الرقيق والامه الموسومين بأسماء سادتهم ان
يجتازوا بوابة اتسونا ، دون اذن من سادتهم ، وأكدت حقوق السدة
في امتلاك أبناء جواريتهم ، ولو رباهم غيرهم ، وحرمت على العبد أو
النجارية ان يتاجر لحسابه ، وتوعدت من يتعامل معه ، أي أنها اعتبرت
العبد لا يملك شيئا ، وعو وما يملكه ملك لسيده ، «لا يجوز للتاجر أو
بئعة انخر من عبد أو أمة فضة أو حبوبا أو صوغا أو زيت
كراس مال للمتاجرة» ، وقد فرضت عشرة شواقل من الفضة على من
يفضد نهارا في حقل رجل من «موسكيوم» أو في داره ، والقتل على من
يفضد ليلا (المواد ١٢ - ١٦) (٣١) .

وأما عن الانهاية السياسية في «ملكة اتسونا» فان أول حاكم استقل
بها كان «ايلشو - ايليا» حوالي عام ٢٠٢٥ ق.م ، والمعروف أن ضعفها
خل بشنونه جعلها تابعة لآسين ثم الدين وكيش ، ثم جاء بعد ذلك
ملوك نهضوا بالملكية : منهم «أبي أداد الأول» التي تطلعت في أيامه
واتخذ لقب ملك أنشور ، ويرجح أنه الملك المعروف بنفس الاسم في نيت
اتسونا من السيطرة الخارجية، ثم خلفه «نارام سين» الذي وسع المملكة

(٢١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٥٠ - ٤٥١ ، نجيب
مختاريل : المرجع السابق ص ٤٤ - ٤٩ ، طه باقر : المرجع السابق ص
٢٨٨ - ٢٩٠ ، رضا جواد الهاشمي : المرجع السابق ص ٧٥ - ٧٦ ، وكذا
T. Bagir, Sumer, ٤, P. 151-152.
A. Goetze, The Laws of Esharra, in ANET, 1966, P. 161-163.
A. Goetze, Sumer, 4, 19٤٤, P. 63-102, JAOI, 69, 1949, P. 115-120.
A. Pohl, Orientalia, 8, 1949, P. 124-128.
G. Roux, Op. Cit., P. 173.
M. S. Nicolo, Orientis, 15, P. 258-262.

واتخذ لقب «ملك آشور» نو يرجع أنه الملك المعروف في بيت
الملوك الآشوري ، ثم جاء بعده «داد وشه» الذي ساعد «زهرى ليم»
ملك ماري (من الصيرى) على استرجاع عرشه من الآشوريين ، ثم
قوضت دعائم المملكة بحيث لم تقو على الصمود أمام «حمورابى» الذى
استولى عليها فى عام ١٧٩١ قبل الميلاد .

وعلى أية حال ، فلقد كان لآشور دور كبير فى عصرها ، ربما بسبب
ثرائها الذى كان نتيجة امتلاكها لأرضين خصبة ، تفيض بها شبكة من
القنوات وغروع الأنهار ، فضلاً عن موقعها الجغرافى المتوسط . الأمر
الذى كان له أكبر الأثر فى تجارتها^(٢٢) .

بقيت الإشارة إلى قيام أسرة مملكة أيضا فى «أشور» — كما نثرنا
من قبل استقرت بعد انقراض أسرة أور الثالثة ، وظلت كذلك حتى أيام
حمورابى ، وأما أول ملوك أسرة آشور هذه : غيو «ايلى — شه-وما» :
وكان معاصر لمؤسس أسرة بابل الأولى (سومر — أبوم) : وكان من
أشور ملوكها «ابر — يشوم» و «مرجون الأول» (الآشورى) ، ولعل
مما تجدر ملاحظته هنا أن أسماء هذه المملكة الآشورية : أسماء سامية ،
فمثلا اسم «ابر — يشوم» مثل اسم «الحارث» بالعربية^(٢٣) .

(٢٢) سامى سعيد : لائحة : المراجع السابق ص ٨٧ — ٨٨ .
(٢٣) طه باقر : المراجع السابق ص ١٤٤ .

ابواب الخماس

البابليون

الفصل الأول

أسرة يابل الآلى

(١) بابل :

مدينة قديمة تقع على الفرات : على بعد ٩٠ كيلا جنوبى بغداد . ويقوم على أنقاضها حاليا : تل بابل والقصر وعمران بن علي والمرسى وقرى أخرى مثل عفانة وكويرش وجمجمة واندسار ، ورغم أن النقشيات في بابل لم تتقدم بسبب ارتفاع مستوى المياه الجوفية ، الى أكثر من طبقة العصر البابلي القديم : إلا أنه يجوز الافتراض أن المدينة كانت قبل وصول الآموريين — أو الساميين الغربيين — إليها ، مجرد بلدة عادية ، عرعا السومريون باسم «كندجيرا» : فأصلها الآموريون الى حضرة كبيرة ، وأحسنوا استغلال موقعها التجارى والزراعى في أخيق منطقة خصبة يتقارب فيها نهر دجلة والفرات ، وأطلقوا عليها اسم «بابل» ، وهو اسم ليس هناك ما يمكن تأكيده عن معناه : وإن كن السائح هو ترجمته بمعنى (باب ليلوا) أى «باب الاله» ، ويذهب أصحاب هذه الترجمة الى أنها قريبة مما تدل عليه التسمية السومرية «كندجيرا» التى استمرت تستخدم لى جانبها ، مع مترادفات أخرى مسندقة^(١) .

وأما معنى اسم «بابل» فى التوراة : فبقدمه لنا سفر التكوين فى قصة أو أسطورة لطيفة تقول : إن الله — تعانى عن ذلك علوا كبيرا — قد رأى سلالة النجسين من الطوفان يبنون برجاً بعية الوصول اليه — سبحانه وتعالى — فى غياء سمائه ، وكانوا يحميون السماء أنسه بأوح زجاجى يدار على الأرض بضح مكات من الامتار : غطى شهرهم واعتاط انفسه : فهبط الأرض ولبل السنتهم : ففترقوا شذر مذر ، ومن ثم فقد «كفوا» عن ببناء المدينة : لذلك دعى اسمها بابل : لأن الرب

(١) عند العزيز صانع : المرجع السابق ص ٤٤٨ . قاموس الكتاب المقدس ١٥٢/١ : محمد بيومى مهران : بلاد الشام ص ٦٦ — ١٦٧ وكذا M. F. Unger, Unger's Bible Dictionary, Chicago, 1970, P. 125-118.

هناك، بابل تسان كل الأرض : ومن هناك يهدم الرب علي وجهه كل الأرض»^(٢٧) .

وعلى أية حال ، فإن «برج بابل» هذا ، ربما كان هو «زاقورة بابل» وقد شاعده الكتاب الاغريق بعد أن خرب : وطبقا لرواية «هيرودوت» فقد كان يتكون من ثماني طابقت يمكن الوصول اليها عن طريق درج خارجي^(٢٨) ، ويذهب «سترابو» و «ديودور» الى أن برج بابل إنما كان على شكل هرم : مربع القاعدة ، وهو على أية حال يشكل جزءا من معبد مردوك ، ويدعى في النصوص السومرية «أي - تمين - ان - كي» أي المعبد الذي أساسه السماء والأرض : ويتكون من صحن كبير في داخله وعلى مقربة من النهر زاقورة (برج) بابل ، والتي يبلغ ارتفاعها ٩١ مترا ، ومساحة قاعدتها ٩١×٩١ مترا مربعا : وقد هدم برج بابل في عام ١٧٩ ق.م ، على يد الملك الفارسي «نكرسيس الاول» (٤٨٤ - ٤٦٥ ق.م)^(٢٩) .

هذا ورغم أن هناك من يرجح أن بابل قد أنشأها الأكديون ، فذلك أمر لم يثبت بعد : وعلى أية حال : خلقت ذكرت منذ العصر الأكدي عبر أن دورها السبسي لم يبرز إلا في مطلع الألف الثانية قبل الميلاد . بعد أن اختارها الآشوريون الساميون عاصمة لهم (أسرة بابل الآشورية) ، وإن كان كتاب العهد القديم والمؤرخون اليوناني لم يذكروا إلى ذكرها ، إلا منذ عهد «نبوخذ نصر الثاني» (٦٠٥ - ٥٦٢ ق.م) ، وكانت وقت

.....

(٢) تكوين ١١/١ - ٩ ، محمد بيومي مهران : إسرائيل - الكتاب انشأت من ٢٩٠ ، وكذا

J. Gray, Near Eastern Mythology, London, 1967, P. 104-105.

(٣) يذهب الدكتور مؤيد سعيد إلى أن الزاقورة يفترض أنها من سبع طابقات ، تعلوها غرفة الآلهة ، وأما ارتفاع الزاقورة فكان ينقسم على طريق ثلاث سلالم متعامدة : اثنتان منها تلاصق الشطآن الجنوبية للزاقورة وأما الثالثة فهو عمودي عليها (كتاب حضارة العراق ١٨٠/٢ ... بعد ١٩٨٥) .

(٤) حنري عبودي : تعجم الحضارات السامية - بيروت ١٩٨٨ من ١٩٦ - ١٩٣ ، مؤيد سعيد : المرجع السابق من ١٧٩ .

ذاك في أوج عظمتها ، وإلى هذا الملك الكداني تنسب حدائق بابل المعلقة التي أقامها لزوجته المأذية «إميثيس» في التزاوية الشمالية الشرقية من النقطة الجنوبية ، فيما يرى العلماء الآن ، فضلا عن قصره الكبير ، والمكون من ١٧٢ غرفة ، وزاوية من اللبن^(٥) ، أحيطت بسور من الإجر

وتشير النصوص القديمة إلى أنه كان في بابل ٥٣ معبدا رئيسيا ، ٣٩ مجاربا ثانويا ، أشهرها ، دون شك ، معبد مردوك ، كما كان للمدينة ثمانية أبواب رئيسية ، أحدها باب عشتار ، آلهة الخصب ، ويقع في الجهة الشمالية ، بلبه رواق طوله ٣٠ مترا ، يفضي إلى صالة الاحتفالات ومعبد مردوك^(٦) .

وليس هناك من ريب في أن اختيار الاموريين بابل عاصمة لملكهم إنما كان اختيارا موفقا ، لأسباب كثيرة ، منها أنها تقع وسط العراق بصفة عامة ، فضلا عن وقوعها وسط المناطق التي يتركز فيها العمران والسكن ، هذا إلى جانب منعتها الجغرافية ، وصفاً طريقته الري الضعالة للأرضين الصالحة للزراعة في بابل ومجاوراتها ، ومنها أنها تقع على الفرات ، وهو نهر صائح لملاحة ، الأمر الذي عد بمثابة كبيرة على التجارة والملاحة في آن واحد ، وقد أدى ذلك كله إلى ازدهار المدينة في القرنين التاسع عشر والعاشر قبل الميلاد ، وخاصة على أيام أسرة بابل الأولى

(٥) جاء اسم أشهر «زافورات بابل» أي - تسمى - أن - كي (U - Tennen - an - Ki) بمعنى «المعبد الذي أساسه السماء والأرض» أو «بيت أساسات السماء والأرض» في نص عدون على حشمير من عهد «نيبولاسر» (٦٢٦ - ٦٠٥ ق.م) بناءً فيه «أن مردوك أمرني أن أضع أساسه في جوف الأرض ، وأن أرفع رأسه في السماء» وهناك من من مهور مخاطب برج المعبد قائلا : «أيها الجبل العظيم لأنايل ، الذي - من - رأسه إلى السماء : ولذي وصفت أنسانه في الأصناف الجديدة» : معبد عند الحادر : أنسانيون في الدور القديمة ص ١١٩ - ١٢٠ - ١٢١ .
(٦) أندرية بارو : بلاد النور : بغداد ١٩٨١ ص ٣٢٤ (منظر: ١) مؤيد سعيد : المرجع السابق ص ١٧٦ - ١٧٩ ، هنري عبودي : المرجع السابق ص ١٩١ - ١٩٢ ، وكذا

M. J. Unger, Op. Cit., P. 115-116.

(١٨٩٤ - ١٥٩٥ ق.م) التي شهدت فيها البلاد نهضة تاريخية شاملة :
 بسبب توحيد البلاد - ومركزية الحكومة : وعديتها بنشر الأمن والعدل -
 وقد أثبتت الحفريات أنه كانت توجد منذ ذلك العهد قواعد لتخطيط
 مدينة بابل ، وقد اتبعت هذه القواعد حتى نهاية عصر الامبراطورية
 الجديدة ، وأهل أهم ما يميز هذا التخطيط أن الطرق الكبيرة كانت موازية
 جميعها للطريق الرئيسي : وتتقاطع متعامدة مع الطرق الأخرى : في حين
 أن بيوت المدن السومرية القديمة إما كانت مجمعة حولما أي نظام : كما
 لم يكن للطرق اتجاه ثابت^(٧) .

(٣) قيام الأسرة البابلية الأولى :

كان مؤسس الأسرة البابلية الأولى (دونة بابل الأولى) هو «سمو
 - أبروم» (Sema-abum) (١٨٩٤ - ١٨٨٦ ق.م) ، وكان يحكم في
 بادئ الأمر ، رقعة صغيرة في جنوب العراق ، ثم سرعان ما بدأ في
 توحيد نفوذه بين أمراء المدن الجنوبية ، ثم أعلن نفسه ملكاً على بابل -
 بعد أن بسط نفوذه على سومر وأكد . وكان الرجل قد بدأ جهوده بأن
 ضم إليه «شليات» في السنة الثالثة من حكمه ، ثم غزا «سييار» التي
 اعترفت بسيادته ، فتمنحها استقلالاً نسبياً ، ثم تحالف مع «لارسا»
 لاختطاع «كيش» : والتي ظلت تقاوم مدى ثمانى سنوات ، حتى تم
 إخضاعها في السنة العاشرة ، ثم رغباً ببصره نحو «كازاللو» التي كانت
 آخر المطنف في عهده الذي لم يمتد أكثر من سنوات لا تزيد عن ثلاثة ،
 خذرة .

وكان «سمو لا ايل» (Sumulaeli) (١٨٨٠ - ١٨٤٥ ق.م) هو
 الملك الثاني في الأسرة ، ولم يكن أبناً لسلفه ، وتقدم كرسى سنى حكمه
 بتقوية مملكته ، وصد هجمات مناغسبه : وهو يعتبر المؤسس الحقيقي

(٧) - حسن محمد لاحمد : المعجم البابلي القديم - كتاب المعجم
 في التاريخ من ١٠٠٠ - ١٠٠٢ ، محمد عبد القادر : المراجع السابق ، ص
 ١٠٧ ، ١٠٨ .

لبدء الدولة البابلية ، وظلت ذكراء خالدة عند خلفائه ، وقد اشتهر بتحمير المعابد ، وشق القنوات ؛ وقد أخبرنا عن نشره بلاءدالة ، الامر الذي قد يشير الى فانون لم تصلنا احكامه ؛ كما ينسب اليه بناء سور لبابل ، كما نجح هذا الملك في اخضاع عدة ثورات في عدد من المدن ، فقد نارت في عهده «كازاللو» ؛ ثم تقدم ملكها «بيزير ألوم» نحو بابل - بعد أن أغرى كيش في أن تنضم اليه ضد بابل - غير أن «سمو لابل» سرعان ما سيطر على الموقف ؛ ورد المعتدين ، وتقدم إلى «كازاللو» فاجتاحها ودمر أسوارها ؛ وقبض على ملكها الذي عيش بعد ذلك خمس سنوات ؛ وبعد عامين أخضع قوته ، ثم انتجه إلى سومر ، حيث استولى على حصن «دورزكار» ؛ وانذى بعد واحدًا من المواقع الحربية ذات الأهمية الاستراتيجية في نيبور عاصمة سومر الدينية ؛ كما بسط نفوذه على بارسا (برسي نمرود ؛ قرب الحلة) ، فضلا عن تقوية قوى خط دفاع مملكة أكد الشمالي ، وذلك بتشييد أربع قلاع هناك .

وجاء بعده ولده «سابيوم» (Sabiur) (١٨٤٤ - ١٨٣١ ق.م) ، الذي لم يسع طوال عهده إلى توسيع دولته ، بل لا نكاد نعرف له سوى حملة واحدة ضد «كازاللو» دمر فيها أسوارها ؛ ولكنه تابع أسلافه في رعاية المعبودات ، فضلا عن الاهتمام ببناء المعابد ، وتدعيم الحصون ، وشق القنوات .

وجاء بعده «ابل سن» الذي رمم أسوار بابل ، وشيد بها المعابد ، وحفر القنوات ، كما قدم عرشا فاخرا للمعبود «شمش» ، وقد حكم ثمانى عشرة سنة (١٨٣٠ - ١٨١٣ ق.م) .

وخلفه ولده «سن موباليت» (Sin - Muballit) (١٨١٢ - ١٧٩٣ ق.م) ، وقد حارب أور ولارسا ؛ كما استولى على ايسن - غير أن «ابيم سن» ملك لارسا سرعان ما عصف بها في العام التالي في يوم واحد ، واستولى على أشهر مدنها «دونوم» ، وهكذا ضمت ايسن إلى رسا ؛

وظلت كذلك حتى موت «إس موبالدت»^(٨) .

(٣) حمورابي :

إس هناك من سبيل إلى زوب في أن «حمورابي» (١٧٩٣ - ١٧٥٠ ق.م) أو (١٧٢٨ - ١٦٨٦ ق.م)^(٩) . إنما هو أعظم ملوك هذه الأسرة قاطبة : ومعنى اسم «حمورابي» : الإله حمو (Hammu) عظيم أو مكتر ، و «الحرا» من أرباب الساميين الغربيين . وقد يكون اسمه «حمورابي»^(١٠) وبرى «أمنجاد» أن اسمه يقرأ في البابلية «خمر نيج» أي «خمر + نيج» . فالجزء الأول من الاسم «خمر» هو الإله «عم» الذي نجده أيضا في النقوش العربية الجنوبية القديمة ، أما الجزء الثاني «نيج» : فلهذه

(٨) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٨٤ - ١٨٦ ، سامي سعد الأحمد : المرجع السابق ص ٨٨ ، ن. ديلاپورت : المرجع السابق ص ٤٣ - ٤٧ ، وكذا

C. J. Gadd, CAH, I, Part, I, 1971, P. 636-638.

J. R. Kupper, Les Nomades en Mésopotamie au Temps des Rois de Mari Paris, 1957, P. 106 F.

(٩) في الواقع أن هناك خلافا كبيرا بين العلماء حول تاريخ حمورابي ، بل حول الفترة التي تسبق عام ١٥٠٠ ق.م ، بصفتها عام ، ومن هنا فقد قدم لنا العلماء عدة تواريخ لعهد حمورابي ، منها (٢١٢٢ - ٢٠٨١ ق.م) ومنها (٢٠٠٣ - ١٩٦١ ق.م) ومنها (١٩٥٥ - ١٩١٣ ق.م) ومنها (١٩٤٨ - ١٨٩١ ق.م) ومنها (١٨٤٨ - ١٨٠٦ ق.م) ومنها (١٩٧٣ - ١٧٥١ ق.م) ومنها (١٧٩٢ - ١٧٥٠ ق.م) ومنها (١٧١١ - ١٦٤٩ ق.م) ومنها (١٧٤٢ - ١٦٨٦ ق.م) ومنها (١٧٣٠ - ١٦٨١ ق.م) ومنها (١٧٢٨ - ١٦٨٦ ق.م) ومنها (١٧٢٤ - ١٦٨٢ ق.م) (انظر : محمد عبد القادر : التاريخ السابق ص ٢٥١ ، جورج سارثون : تاريخ العالم ص ١٩٤ ، جيمس هنري برستد : انقصار الحضارة ص ١٨٧ ، ديلاپورت : المرجع السابق ص ٤٧ ، أحمد فخري : المرجع السابق ص ٥٤ ، وكذا

G. Roux, Op. Cit., P. 184.

ANET, 1966, P. 165.

W. F. Albright, in BASOR, 77, 1940.

L. Delaporte, Le Proche Orient Asiatique, 1948, P. 120.

Scharff - Moorjatt, Aegypten und Vorderasien in Altertum, München, 1946, P. 493.

(١٠) سامي سعد الأحمد : المرجع السابق ص ٨٨ ، وكذا

G. Roux, Op. Cit., P. 184.

يقابل في العربية مادة «رفع» - فيكون معنى الاسم «اعم ربيع» - أو مادة «رفع» التي تدل على السعة والخصب^(١١).

وعنى أية حال - خلقت من عهد حمورابي إلى ثلاثة وأربعين عمداً - قدر له فيها أن ينهض بابل من قسرية - أو حتى مدينة صغيرة - وعاصمة دويلة لا تزيد مساحتها على دائرة قطرها ثمانون كيلاً - إلى عاصمة دولة كبرى ذات إمكانات متعددة - وأمالك واسعة - وشهرة عريضة - بل أن مساحة دويلة بابل التي ورثها حمورابي رغم ضئيلتها - فإنها لم تكن محكمة النسيج - وإنما هي عرضة للتفكك من جميع جهاتها وللهدومات من كل جانب - فهناك الحيلاميون الذين يهددون من الشرق - ويكادون يفتكون بها - وهناك الآشوريون المعاصرون لهم يتنصرون على نفوذها - بحيث يمكن الاطمئنان إلى ما يجري فيها - بل إن هناك عقداً يرجع إلى سنة حمورابي العشرة - يذكر فيه اسم الملك الآشوري «شيشي أداد» - الأهر الذي قد يشير إلى أن حمورابي ربما كان في العقد الأول من حكمه خاضعاً لهذا الملك الآشوري^(١٢).

هذا وقد بدأ حمورابي عهده بإعادة تنظيم عاصمته (بابل) (باب إياو ... باب الله) - على نحو ما سبق له مثله في هذه البلاد - حتى استطاعت أمام بورتها وفخامتها كل العواصم الآشورية في غرب آسيا - وأصبحت في كل منطقة الشرق الأدنى القديم - حديث الأمم والشعوب وموضع اهتمامهم - بل تسربت عظمتها إلى الأساطير - فأصبحت المدينة الساحرة - والمدينة الخرافية - والمدينة الهشة - يهبط الخيال والنثر - ومبيرة العمار والدهار - وموطن الغر والذل جميعاً^(١٣).

(١١) سابينو موسكسي : المرجع السابق ص ٢٤٢ - وكذا A. Ungnad, Miscellen, in ZA, 22, 1906, P. 6-16 (II, Annuaire, P. 7-13)
(١٢) سني سعيد الأحمدي : المرجع السابق ص ٨٨ - ٨٩ - و
(١٣) C. J. Gadd, Hammurabi and The End of his Dynasty in CAB, II, Part 1, Cambridge, 1973, P. 177.

(١٤) حسن حافظ : المرجع السابق ص ٢٨

وكن من أهم أهداف حمورابي «توحيد العراق» ، وقد تمكن من تحقيق وحدته السياسية ضمن حدود آمنة ، يسهل الدفاع عنها ، ومن ثم فقد عمل على تثبيت دعائم هذا الانجاز السياسي واستكماله من جميع النواحي السياسية والادارية والقانونية والاجتماعية والثقافية .

١ - من الناحية السياسية :

فلقد أراد حمورابي أن يثبت دعائم حكمه ، وأن يقضي على جميع الميؤوس الحاكمة المعاصرة له ، فضلا عن اقضاء النفوذ فيه العميل على عن جنوب العراق ، ومن المعروف أن العراق كان في تلك الفترة من أوائل حكم حمورابي مقسما بين زعامات متعددة ، وطبقا لرسالة التي نازمى ليم» ملك مارى ، فليس هناك زعيم يمكن أن يقال عنه - أو يقول هو عن نفسه - أنه أقوى الجميع .

«فان عشرة أو خمسة عشر حاكما (أو ملكا) يتبعون حمورابي ملك بابل ، ومثلهم يتبعون «ريم سين» ملك لارسا . ومثلهم يتبعون «ايمل - بي - ايل» ملك اشغونا ، ومثلهم يتبعون «أموت - بي - ايل» ملك قنطنة ، وعشرين ملكا يتبعون «يريم ليم» ملك يمدد» (١١) .

هذا وقد أبقى حمورابي حتى سنة حكمه الخامسة على هذا الوضع ، ثم بدأ تحركه الاول في عام حكمه السادس وذلك حين اتجه الى «ايسين» واستولى عليها ، وفي عامه السابع استولى على «ايهوتيا» (Enutha) - بين الفرات ولسطة راجروس - وفي السنة العاشرة استولى على «مانجوم» (Malgum) ، وفي انعام الحادي عشر استولى على

(١١) محمد بيومي مهران : حركات التحرير في مصر القديمة ص ١١٣ - ١١٤ ، أحمد فخري : عصر الفرعونية ص ٢١٢ ، وكذا

S. Smith, Akkad and Chronology, P. 11.

T. Save - Soderbergh, JEA, 37, 1951, P. 34.

G. Dossion, Les Archives epistolaires du Palais de Mari, in Syria, 19 1938, P. 117 F.

«رابيكوم» (Rapišum) و «سيبار» ، ثم قضى الفترة الأخيرة - ولادة عشرين عاماً - في إقامة المعابد ، وتحصين المدن (١٥) .

ولعل حمورابي أراد من وراء انتصاراته هذه أن يجد من منصف أعنف من الحشية «ريم سين» ذي لاهل العيلامي ، وآخر ملوك لارسا . حتى يتفرغ له ، وكان «ريم سين» تكفوا مشاكله هذه ، بحيث هل يندى حمورابي حتى المعلم الثلاثين من حكمه ، ونيف ذنوباً لضمان حمورابي إلى مثانة موقفه وسلامة ظهره ، ومن ثم فقد تفرغ لك لارسا وحضنه ، غداة آل ميزان القوى إلى جانبه منذ انعدم الثلاثين من حكمه ، حتى غر «ريم سين» إلى منطقة «موتبان» : مسقط رأس أسرته ، وقبعت اجنوبي انجاذية اليها . ثم واصلت الانتصارات فيما يليها من أرض عيلام . وسيطرت على جزء منها (١٦) ، وكان نصر حمورابي هذا موضع فخر القوم وزهوهم . حتى انشدوا الانشيد : ورتلوا النصوص ، وانعموا المقائد - زهوا بهذا النصر الذي أراح عدوة بابل العتيدة من حربه . وهكذا قضى حمورابي على «ريم سين» ملك «لارسا» في عام حكمه السادس والثلاثين ، وآلت إليه بذلك السيادة على أرض سومر وأكد . ولم يعد يباذره أحد (١٧) .

وهناك ما يشير إلى أن حمورابي إنما قد طاقى في حربه هذه من اشغولنا . وربما من هاري ، حيث نعرف أنه طلب مساعدة عسكرية من «الزمرى ليم» ملك هاري ، قبل أن ينشأ هذه الحرب . ويبدو أن «ريم سين» إنما كان يتخوف من حمورابي ، خفي إلهدي رسائله لحمورابي يطالب تكوين حلف دفاعي هجومي بينهما ، وقد كانت العلاقة بينهما طيبة في أول الأمر ، وقد أثارت إلهدي الرسائل إلى وصول أربعة مندوبين

(١٥) G. Rux, Op. Cit., P. 183.

A. Ungnad in RLA, II, P. 178-182.

ANET, 1951, P. 269-271.

(١٦) عبد العزيز صالح : الترحح المسمي ص ٤٦ .

A. L. Oppenheim, in ANET, P. 271

(١٧)

من لارسا ، مع وكيلين لعمورابي يسكنان منطقة لارسا ، الامر الذي يدل على أن عمورابي انما كان يبعث العيون في المنطقة التي كان يحكمها (تريم سين) ، وعلى أن عملاءه انما كانوا يقتصرون بالمواضع هناك ، وقد كتباً مندوب «زمرى ليم» في بلاط عمورابي بتقرب الحرب بين بابل ولارسا ، كما أخبر سيده بأن عمورابي قد أرسل رسالة إلى (تريم سين) — قبل غزوه المفاجئ — تحذره — يهينه فيها بما يمكنه له من حب عميق (١٨) .

وكانت خطة عمورابي التالية — بالانسداد مع ملك ماري ، بل مع حلفه ثلاثي يضم بابل وماري وحلب — ضد اشنونا وحليفاتها عيلام ، فخان عن موريقو والجوتيين ومالاجوم (ومتقع على نهر دجلة ، جنوب مسبب نهر ديان) ، وكانوا جميعاً يتحركون ضد بابل ، غير أن عمورابي سرعان ما حقق نصراً عليهم ، ومع ذلك فقد بدأ خطر اشنونا يستعد ضد عمورابي ، وطبقاً لرسالة ملك ماري إلى عمورابي ، فان ملك اشنونا قد جمع قوته واتجه إلى «شوشوام» (ربما قرب الفالوجة) ، ومن ثم فقد أرسل عمورابي إلى (زمرى ليم) ملك ماري ، أن يضم قواته إلى قوات بابل ، وقد فصّح الأخير بأن يحمل عمورابي على شمال العراق ، حتى يضم أمراءه إليه (١٩) .

وعلم عمورابي بأن ملك عيلام سوف يعدد الأمور لاشنونا ، الامر الذي أغضبته كثيراً ، وتقرأ في رسالة من ملك ماري أن عمورابي سوف يفتح علاقاته بملك عيلام ، وعلى أية حال ، ففي العام الثامن والثلاثين من الحكم ، وطبقاً لرواية الاخبار السنوية ، غلق دهر عمورابي «توبلياشي» Tupilash (ويعني هنا اشنونا) بكميات هائلة من

(١٨) سامي سعيد الاحمد : المرجع السابق ص ٨٩ ، عند العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٦٠ ، هورست كلنجل : عمورابي ملك بابل ونصرة - ترجمة غزوي تريف - بغداد ١٩٨٧ ص ٤٢ - ٤٣ ، وكذا C. Jean, Archives royales de Mari, II, No. 22.
W. F. Albright, in ANET, P. 482.

(١٩) سامي سعيد الاحمد : المرجع السابق ، هورست كلنجل : المرجع السابق ص ٤٤ - ٤٥ .

المياه بأمر من مردوك ، الامر الذي يشير الى أن غيضا مصطنع قد حدث بسبب تدمير السدود ، فحرب اشنونا ، ومع ذلك فذلك من يذهب الى أن حمورابي لم يضم اليه اشنونا ، وانما ترك ذلك لى ما بعد فضائه على «زمرى ليم»^(٢٠) ، ولكن الأرجح أن حمورابي اذما قضى على اشنونا في عام حكمه الثاني والثلاثين^(٢١) — بعد أن كان قد قهرها وحلفاءها في عام حكمه التاسع والعشرين — ثم قضى نهائيا على ماري في عام حكمه الخامس والثلاثين .

وعلى أية حال ، فلقد اتجه حمورابي بعد ذلك الى ماري مدينة صديقه القديم «زمرى ليم» ، رغم العلاقات الودية بين الطرفين . ومساعدة كل منهما للآخر ، بل كان لكل منهما مندوبون لدى بلاط الآخر . غير أن حمورابي انما كان يخشى قوة ماري بسبب ثرائها الواسع ، وبسبب علاقاتها القوية مع مملكة حلب ، وهكذا . و «بامر من أنور والليل دمر حمورابي سور ماري» ، ثم عاجم المدينة وأحرق قصر ملكها «زمرى ليم» ، واستولى على المناطق التابعة لها ، وكانت مملكة ماري تتكون أساسا من وادي الفرات الأوسط ، ليم بين مصب هر بلخ شمالا و «توتول» (خيت الحانية) جنوبا ، وقد عمل «زمرى ليم» على ضم معظم أملاك «سمى أداد» الاشوري في الغرب ، والتي امتدت حتى النخبة الكبرى للفرات غربا ، وشملت الجزء الأكبر من «ميزوبوتاميا العليا» : وحوض الخابور وبلخ حتى ثنية الفرات . وربما امتد نفوذه الى «وليم» (أيدمارار) الذي يتاخم أعلى الفرات ، كما تنسب الى ذلك نسوس ماري^(٢٢) ، ومن البدهي أن هذا الانساع انما يدل على مكانة

(٢٠) سامي عبد الاحمد : المرجع السابق ص ٩٠ ، وكذا G. Roux, Op. Cit., P. 187-188.
H. Frankfort and The Jacobsen, The Girsian Temple and The Palace of The Rulers at Tell-Asmar, in OIP, XLIII, 1940, P. 196-201.
21) A. L. Oppenheim, in ANET, P. 270.
22) J. R. Kupper, Archives Royal de Mari, 6, Paris, 1954, No. 76.
J. R. Kupper, Northern Mesopotamia and Syria, in CAH, II, Part. I, P. 9.

متميزة لمملكة ماري في عهد (زمرى ليم) كقوة صارية في المشرق الأدنى القديم ، حتى انتصر عليها حمورابي في ميدان القتال في عام ١٧٦٠ منه ذلك والثلاثين (٢٣) .

وكان مجرم حمورابي على «زمرى ليم» (Zimriam) مفاجئاً ، فليس هناك في سجلات ماري ما يشير عن أسباب أو مقدمات هذا القتال الذي أعقبته فترة احتلال بابلي لماري ، ترك أثره في شكل تسجيلات وبطانات تخص قوة الاحتلال (٢٤) : غير أن هذه العزيمة لم تكن نهائية على مقنونة «زمرى ليم» ، فقد كان الرجل ما يزال يملك القوة لا لثأر شعبه ضد (حمورابي) (Hammurabi) الأمر الذي دعى الملك البابلي إلى القيام في عام حكمه الخامس والثلاثين بتدمير أنوار ماري بطلوعاً لأمر آنو والليل (٢٥) — ونهب معبد عشتار والتدر المتكى ، وأفرام النيران في المدينة التي لم تقم نها بعد ذلك قائمه ، وبذا أصبحت سيادة حمورابي تشمل مجال نموذ مملكة ماري في شمال بلاد النهرين وصفني القرات (٢٦) .

وكان حمورابي قبل ذلك في عامي الحكم السادس والثلاثين - وفي العام الثامن والثلاثين - قد اتجه إلى «سوبارتو» (Subartu) وهي المنطقة التي تضم أعالي الأرمنين وآشور : وإذا كان حمورابي قبل ذلك قد خرب قوت آشورية مع خصومه ، فقد حقق النجاح في القطاع الآشوري نفسه ، وإن لم يتضح إلى أي مدى كان زحفه : وإن كان وجود مسألة بابل في «أמידا» (ديار بكر) إنما تدل على وصوله إلى هناك ، غير أن ذكر آشور وتينو على أنهما من المدن الواقعة تحت سيطرة

23) A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 270.

24) J. R. Kupper, Op. Cit., P. 28.

25) A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 270.

26) F. Thureau-Dangin, Textes de Mari, in R.A., 53 (1936), P. 177.

F. M. The Bohl, King Khammurabi of Babylon at The Setting of His Time, in Opera Minora, Groningen - Djakarta, 1950, P. 347.

A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 270.

دمورابي في مقدمة شريعته المشهورة ، ليس دليلاً مؤكداً على حضورهما
لله (٢٧) .

وعلى أية حال ، فليس هناك من ريب في أن دمورابي إنما قد كتب
إلى في تخريب أباته ، نوحاً بعيد المدى في السيطرة على كل بلاد النهرين ،
وفي أن يطلق على نفسه القاب : «ملك القوى ، ملك سابل ، ملك كل
بلاد أمورو ، ملك سومر وأكد ، ملك الجهات الأربع» (٢٨) ، كما ذكر في
حطب في أور - بعد أن استولى عليها من ريم سين - انتصاره على
العيلاميين والنجوتيين ، الذين كانوا يستوطنون أواسط راجروس في
منطقة همدان ، وإن بقيت عيلام وسورية مستقلتين (٢٩) .

وهناك نص باللغتين السومرية والأكادية يتحدثان فيه دمورابي ملكاً
«فتلت المداين لي ، وحطمت أسلحتهم وخرمت ديارهم ، وأخذت سكانها
أسرى ، ودمرت قواتها ، وركع تحت تدمي أولئك الذين لم يقدموا لي
فروض الطاعة ، أما أنا الذي نفذ رغبة الآله مردوك (مردوخ) في
القتال ، والذي وهبه القوة المدمرة لمعدو ، لقد طردت المعتدين ،
واقطعت بذور الشر من البلاد ، وحطت الناس بنعمون بالرجاء ، ولم
أدع للقومي ما يفرعون عنه» (٣٠) .

وهذا كتب للرجل العظيم أن ينجح في فرض نفوذه على بلاد
نرافدين ، كما نجح مؤلفوه في السيطرة على طرق القوافل ، ونفذ
النفوذ من جبال طوروس في الشمال ، وحتى الخليج العربي في الجنوب ،
حتى بدا وكأن إمبراطورية سرجون الأكدي قد عذت ثانية ، وليس هناك

(٢٧) هورست كلنجل : المرجع السابق ص ١٧ ، وكذا
G. Roux, Op. Cit., P. 189.
A. T. Clay, The Empire of The Amorites, New Haven, 1939, P. 97.
28: G. Roux, Ancient Iraq, 1980, P. 139.
(٢٨) سامي سعيد الأحمد : المرجع السابق ص ٩٠ ، وكذا
G. Roux, Op. Cit., P. 188.
(٢٩) هورست كلنجل : المرجع السابق ص ١٧ - ٨ -

من ربيب في أن وراء ذلك تنظيماً دمية ، وقيادة سليمة لرجل قوي ، وتمة
تعارات ، وان كانت غامضة ، إلى أن جيوش همورابي انما قد وصلت
إلى البحر المتوسط (٢١) ، وان ظلت سورية مستقلة ، كما أشرنا من قبل .

ولعل من الاعمية يمكن الاستدالة على أن نصوص همورابي ، انما تكلمت
عن جانب من سياسته الحربية في عهده ، وقد كان منها هدم أسوار المدن
التي يحشى بأسرها ، وتقوية أسوار المدن الموالية له في المناطق
الاستراتيجية الحساسة ، وقد سميت بعض هذه الأسوار باسماء أرباب
مدنها ، فضلاً عن الأمن على رعاية تماثيل أربابها بعد الاستيلاء عليها ،
«تشي تكين سببلا لاستمالة مناعر أتباعها» ، وكان من ذلك أن ذكرت
نصوصه أنه أغلى كئله الرببة «انانا» في غينوى ، وأعاد أديبه أسوار
حصانها ، أو لخدمتها جيوشه معها باعتبارها موالية أجا ، حين «أريد غزو
منطقها فتيسر لها مهمتها» ، وكنت راية هذه التماثيل تستجيب رعاية
كهانتها من الأسرى ، وأحياء أعبدتها في معابد بابل نفسها (٢٢) .

٢ - من الناحية الادارية والاقتصادية والدينية :

اتبع همورابي في الناحية الادارية نظاماً مركزياً ، وربط جميع ولاياته
به وبالعاصمة بابل ، وحدد صلاحية الكهنة ، وبالتالي أم نعد نسمع من
عده من ((محدث الكهنة)) : ومن ثم فيمكن القول بأن همورابي انما جهد
في أن يجعل دولته علمانية بما يتفق وظروف عصره ، ولعل هذا انما يفسر
لنا انضمام لال منصب «الانسي» الذي كان يجمع بين السلطات الدينية
والمدنية في حكم منطقته ، وأصبح موظفا يستمد أوامره من موظف آخر
بعد الملك (٢٣) .

(٢١) محمد عبد القادر : المرجع السابق ص ٩٧ .

(٢٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٦٠ ، وانظر :

F. J. Meek, ANET, P. 165.

W. F. Albright, ANET, P. 482.

L. W. King, The Letters and Inscriptions of Hammurabi, No. 33, 45.

C. Jean, Archives royales de Mari, II, No. 22.

(٢٣) أنسى سعيد الاحمد : المرجع السابق ص ٩١ .

هذا وتعتبر الرسائل من عهد حمورابي بوضوح إلى حرمه على معرفة كل حادثة وكيفية في البلاد ، فضلا عن حصر السلطة في شخصه . وجعل عمله في البلاد مستمدون أو مرعوم منه . بل إنه شجع المرء لاوى - كما يقول برستد - صورة هبة للأعمال اليومية والمسؤوليات الدائمة لواحد من ملوك الشرق القديم الكبير : فهي مقدمة لنا جلالاً في ديوانه بمدينة بابل ، يملئ على واحد من كتبه : في جمل قصيرة وأصححة رسائل مختصرة تصل بها أوامره إلى الحكومات المحلية . في المدن السومرية الأريفة التي أصبح حمورابي فيها السيد المطلق⁽³⁴⁾ .

وبنتى إرسال إلى الملك بخطبات مماثلة ، يتتبعها كاتم أسر الذي يثق فيه سدد ، فيعكس الاغلفة أمام الملك . ويقرأ بصوت مرتفع ما يبعث به مرعاوه من جميع أنحاء الدولة . ويملئ الملك ردوده في الحال . فمثلا لقد غاض نوسر الثرات وسحب بعض الخسائر ، وترقت الملاحاة بين مدينتي «أيرا» و «لارسا» . ووقف عفا طموح من السنن لا يستطيع لمفر ، غيبت الملك برده توا : أمرا حاكم لارسا بتطهير المجري في نادن لنواهل السفن سيرهسا⁽³⁵⁾ ويسدو أن الحكومة المركزية كانت تستخدم السخرة في مثل تلك الأمور ، ومن ثم فقد رأينا الملك يأمر هذا الحاكم (« بن أدينام) باستدعاء كل من كان في هورث ، يقول على ضغاث قنذ «د'مانوم» (Damenoum) لتطهيرها ، وأنه يجب الانتهاء من تطهير هذه القنذة عند نهاية الشهر . وفي رسالة أخرى يأمر الملك نفس الموظف (« بن أدينام) بالانتهاء في مدى ثلاثة أيام من تنوير القنذ الذي كانت تصل حتى «أوروك» : وأنتى لم تكن قد أصاحت حتى حدود هذه القنذة⁽³⁶⁾ .

وهذا رسالة من حمورابي إلى « بن أدينام » يطلب منه أن يرسل

34) J. H. Breasted, La Conquête de la Civilisation, Paris, 1945, P. 136-137.

35) Ibid., P. 137.

(36) ل. ديلابورت : المرجع السابق ص ١٢٩ .

موقفاً يحسبه في جولة انتقائية على القطعان التي دعت إشرافه ، مما يسير إلى أن حمورابي إنما كن يعوم بجولات تفتيشية في مناطق حكم الإقليم ، ليتف بنفسه على مجريات الأمور فيها ، وفي رسالة أخرى يأمر حمورابي بتزويد عمال التعدين بأحدى المدن بنوع من الخشب ، مبيناً مقايير الأحجام التي يجب أن تقطع بها هذه الأخشاب ، هذا فضلاً عن رسائل أخرى تشير إلى اهتمام الملك باستصلاح الأراضي والمعمارية بالقبائل وفتح الحديد منها ، وأثرانه بنفسه على نشر العدالة بين المواطنين .

و هناك ما يشير إلى اهتمام الملك بقطاعه الخاصة ، عيأمر الموظفين بالمجيء إلى بابل للاحتفال بقص أصواف الأغنام في فصل الربيع ، كأنما هذا الحادث من الأعياد الهامة ، وربما لأن القصر الملكي كان يستخدم كمية من هذه الأصواف ، فضلاً عما يستخدم منها في التجارة ، خاصة إذا كان هذا الصوف من النوع الجيد ، الذي ذكر «كصوف متين ناعم الألوان» فقد كان الطلب عليه كثيراً خارج بلاد بابل ، فضلاً عن داخل البلاد ، ومن المعروف أن الملابس الصوفية كانت منتشرة الاستعمال بين سكان غربي آسيا ، وأخيراً فقد كان لاهم حصة في الصوف كضريبة (٣٧) .

وهناك رسالة من أحد موظفي القصر ، جاء فيها «كتبت عدة مرات إلى رئيس تجار «سينار» «ياخوروم» لأرسل المستحق عليه من صوف أنزع إلى بابل ، غير أنه لم يرسل ما عليه من صوف الماعز» ، وهناك ما يشير إلى أن حمورابي قد أملاك الكثير من قطعان الخنسية والأغنام ، والتي كانت — مما يبدو — من المراتب العينية التي يدفعها الأفراد (٣٨) .

وهذا ما يشير إلى أن الملك قد كتب إلى جميع حكام الإقليم بتقديم

(٣٧) سامي سعيد الأحمد : المرجع السابق ص ٩٢ ، وكذا J. H. Breasted, Op. Cit., P. 137.

(٣٨) هورست كينجل : المرجع السابق ص ١٢٢ ، سامي سعيد : ص ١٠٦ : المرجع السابق ص ٩١ .

المقويم شهراً كاملاً عن الموسم المعتاد ، وذلك لشهر أيلول عداً في
ثلاثة ، فاحتسبوا الشهر الذي يبدأ الآن أنه شهر أيلول العاشر ، وقد
يلفت نظر الحكام الى أن جميع الضرائب التي تكون عتقة في شهر
أكتوبر ، يجب أن تحصل ولا توجه الى الشهر الذي يتبعه ، لأن شهر
الشهر يجب أن لا يتسبب عنه أي تأخير في الضرائب ، ثم يجب أن
تظر جامعي الضرائب المتأخرين في التحصيل ، ويذكرهم بهذه
ضرورة تأدية واجبهم ، والالتناء عنها دونما أي تأخير (١٦٩) .

• وهناك رسالة يقول فيها ديمورابي لوكال يدعى ناسين أديما ،
«بقية الفضة التي عند «شبيب - سين» كبير تجار ، وخمسة أجرة من
كبار التجار الذين يأمرهم بأمره ، يجب أن يأخذ «شبيب سين» والتجار
الخمسة الفضة ، ويحضرونها الى بابل» : ويبدو أن «شبيب سين» هذا ،
قد تورط في وضع مالي صريح ، فطالبه القصر بمبلغ كبير ، بعينه
المسروق من جمع الضرائب ، مما اضطر الى دفعها ، دون أن يمتنع
جمعه من اثباته الذين قد عرضت عليهم .

وهذه رسالة من الملك ابي المدعو «الشماس - هاسر» يقول فيها :
«اعط شبيب سين كبير تجار لاربا مزرعة من أجل خففت معينة» ، ثم
أمره أن يعطى هؤلاء لتبخر تجار أور ناسين - موندان » ، وربما كان ذلك
بسبب قيمتها بجمع الضرائب في لاربا وأور (١٧٠) .

هذا وثان ديمورابي بتدبير العناية برعايه عواطينه ، ويحكم من هتفه
بأن يأتي الى الملك اذا أعياه نيل دفعه على أحدى النخاسة في عدينته ، فكان
هؤلاء المتظاهرون يأتون الى ديمورابي وهم وانفون من حسن معاملته ، لا
يرد أحدهم خائفاً ، وها هو رئيس خبزي المبد ، مصدر اليه الآوامر
المنكية بأن يسافر ابي مدينة أور ، لبعضى بأمر أحد الأعباد الدينية .

.....

(١٦٩) J. B. Breasted, Op. Cit., P. 137.

والترجمة العربية من ١٩٨٩ -
١٩٩١ ديمورابي كنج : المرجع السابق ص ١٢٤ - ١٢٥

ولكنه ينظم من هذا السفر : لأنه سيحرره عن وجوده في بابل عند نظر قضية له ، ويرى حمورابي أن الرجل على حق ، فيأمر بتأجيل القضية. وهناك الكثير من الرسائل التي تهتم بأمور المواطنين : فمثلا هناك رسالة من حمورابي إلى «سين أدينام» : يأمره بالنظر في شكوى شخص ادعى بأن أحدهم سرى خبويه ، وفي رسالة أخرى يطلب اجبار الحاكم «سين — ماجير» على رد ما اقترض من صوب من تاجر ، وفي رسالة ثالثة يطلب ترويض بعض الرجال بزيث الاشارة ، وفي رسالة رابعة إلى «سين أدينام» يطلب فيها المحقق في قضية موقف اتهم بالرشوة : ثم ارسل الاطراف جميعا بعد ذلك إلى بابل ، وفي إحدى المحاسبات تصدر حمورابي مذكرة أقام فيها الدعوة تاجر ضد أحد رؤساء الوحدات الادارية ، وكانت نتيجة المحاكمة لمصلحة التاجر ، وقد أكد حمورابي على «سين أدينام» أن يضرب بكل شدة على المرتشين من القضاة ، إذا ما ثبت عليهم ذلك (٤٦) .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة إلى أن حمورابي انما كان شديد العناية بربط البلاد بعضها ببعض بشبكة من المواصلات ، ومن هنا كان اهتمامه بنظام البريد السريع ، بغية ايصال أوامره إلى كافة أنحاء البلاد بالسرعة المطلوبة ، وهكذا استخدم الرجال العدائين حيث كانت الطرق تقسم إلى مراحل يقف عندها هؤلاء العدائون لا يبدل ما يتسلمون بالسرعة إلى ساعي المرحلة التالية وهكذا ، وكانوا يحملون الرسائل مضمومة مغلفة ، وكان كاتب سر الملك يفض الاجوبة وينقلها إلى الملك ، ثم يملأ الملك أجوبته التي تكتب وترسل في الغلاف (٤٧) .

هذا وقد احتفظت حويلات حمورابي باسم نهر صغير تسقه رجاله ،

(٤٦) - سيني سعيد الاحمدى : المرجع السابق ص ٩٢ - ٩٣ ، وكذا I. H. Breasted, La Conquête de la Civilisation. Paris. 1915, P. 178

وفي الترخمة العربية ص ١٨٤ .

(٤٧) - سيني سعيد الاحمدى : المرجع السابق ص ٩٣ .

أو زادوا في اتساعه وامتداده ، وقالت عنه : **ينهر حمورابي وأعب الخير للناس ، حبيب آذو وأليل ، الذي غذي نيبور وإريدو وأور ولارسا وأوروك ويسن بمرور رى دائم ، وكان يبدأ من الفرات لسط كينس ويهتد حتى الخليج العربي** (٤٣) .

وقد اهتم القوم كثيرا بالتجارة ، حتى تحول الاهتمام من المطيع المردى إلى المطيع المجمع على النظام الذي تشرع عليه الدولة ، وبلغت رعاية واحتشام الزعماء والمالوك ، الأمر الذي دفع بعض الملوك إلى إرسال الدبلوماسية العسكرية لضمان سلامة التجارة ، ونهضة أسباب تدفق المواد الأولية إلى العراق القديم ، وكان النحاس والذهب والفضة والاحجار المصونة الجيدة وأنواع الاخشاب المختلفة في مقدمة المواد التي استوردوها القوم وقت ذلك . وكانت وسائل النقل المائي التي كانت تتميز باستيعابها الكبير ، ورخص تكاليفها ، متوفرة في أنهار العراق وغروخه ، وشبكة الفرات التي خدمت أغراض الري والملاحة النهرية : مما ساعد كثيرا على ازدهار التجارة في العراق القديم (٤٤) .

وليس هناك من ريب في أن التجارة على أيام حمورابي إنما كانت ردهة ، كما كانت مصدر ثراء كان له أثر على الحياة في حين ، وقد كثرت الحفريات هناك عن شوارع منتظم المساكن على جانبيها ، ويبدو أن أسسها إنما كانوا يمارسون نوعا من الحياة المستقرة المصطنعة الرغدة في ظل القوانين التي كتبت لهم حياة أفضل بكثير من أسلافهم : وقد أدى النشاط التجاري لبدا في عصر أورتيا الأولى إلى نمو ملحوظ في حجم المدن الكبرى التي لم تعد مجرد مراكز لتوزيع ، وانما بدأت تتحول إلى أقاليم أبعد ، فبقت ففتحت غزوات حمورابي من ناحية الغرب المجال لأقاليم جديدة ، ولم يعد يعوق الطريق التجاري الكبير إلى

(٤٣) ل - غيلابورت : المرجع السابق ص ١٦٦ . د. د. أنور د. د. : المرجع السابق ص ٤٦١ .
(٤٤) رضا جواد الهادي : التجارة - حضارة العراق - الجزء الثاني - بغداد ١٩٨٥ ص ١٩٦ - ١٩٧ .

سورية وأعلى: يعرف عائق من نهضت ونهض حراسه حدود نتمتع عزو
 التهاك الامورية ، ولدنا ما يفسر الى أن كبار التجار كانوا يعيشون في
 بابل ، ويستخدمون طبقة من «التجارين» يهملون بضائعهم اجتروا لهم
 عن طريق القوافل المنتظمة وهكذا كانت قوافل الحمير التي كانت تحمل
 تجارة البابليين تذهب من مدينة إلى أخرى ، ومن قزوم إلى آخرين ،
 وهي آمنة مطمئنة ، وكانت هذه الاسفار أمرا عديدا في بلاد الفرات
 الأعلى ، نشأت مراكز للتجارة مثل «خران» أو «خران» (وهي مشتقة
 من الكلمة البابلية «خرانو» بمعنى «رحلة») ، وكثيرا ما كانت بضائع
 التجار تملأ الاحواش مكدسة في الغرائر ، وقد عجزوا كل حمل منها بلوحة
 صغيرة من الطين عليها اسم صاحبها ، وكانوا يقفون بهذه العلامات
 التجارية عند فتح الغرائر ، وقد عثر المحملون على الكثير منها في خرائب
 المدن القديمة ، ونرى على أحد وجهيها اسم النجر ، وعلى الوجه الآخر
 طبعة الحبل الذي كان يحزم الغرائر ،

هذا وقد وصلت هذه العلامات التجارية ، وكشف الحاسب التي
 كانت تصحب الاحمال إلى مناطق بعيدة ، وكان يقرؤها التجار المندوبون
 في المدن السورية ، وفي البلاد الواقعة خلف ممرات الجبل في الشمال ،
 وهكذا أخذت الكتابة السامرية البابلية طريقها تدريجيا في غربى آسيا ،
 وبدأ تجار سورية وقيلوتيا في آسيا الصغرى ، يكتبون كشوف
 انصار ، والمطالبات التجارية وخطباتهم على الرقيم ، كما كان يفعل
 البابليون ، وانتشر نفوذ حورابى التجارى في غربى آسيا ، وظلت ذكراه
 بعد موته بأكثر من ألف سنة ، بردها سكان سورية وفلسطين على أنهم
 انعبرانيين ، الذين عرفوه تحت اسم «أمرافل» - وهو في أكثر الظن
 تحريف لاسم حورابى ، كما نطق به أهل غربى آسيا (٢٥) .

هذا وقد أصبحت التجارة للمرأة ، خلال الألف الثانية قبل الميلاد ،
 لونا من الاستقلال لا تفتقده عادة في حياتها ، حين تعتمد البلاد على

(٢٥) جيمس هيرى برست : «التجارة الحضارة» ص ١٤١ - ١٤٢ .

الزراعة وحدها ، ويبدو أن اندماجها في الادب التجارية وممارستها لبعض الاعمال ، إنما قد ساعد على أن تظل قسما كبيرا من الحرية لم يذله غيرها في عصرها^(٤٦) - باستثناء المرأة المصرية^(٤٧) - فقد كان في استطاعت المرأة أن تمارس التجارة لتساعدا الخاضع ، وكان من بين أنفسهم من احترقت بهذه الكتابة ، كما كتبت النكات بذهين إلى تلقى العلم في المدارس جنباً إلى جنب مع انصيبة^(٤٨) .

وكان حمورابي يشرف انشراحاً مباشراً على رجل الدين ، كما كان له السلطان الاوّل على القضاء ، ولقد كان الخطر يهدد بعض المخصصات الملكية في عهد السومريين عن طريق رجال الدين ، وقد زال هذا الخطر على أجام «مورابي» بسبب اشرافه المباشر وقوانينه المصروفة الصلابة ، ولقد كان من أثر هذا الانشراح أن وضعت أملاك المعابد تحت رعايته المباشرة ، بما فيها من أدهام ومراعي ، كما كان المشرفون على أملاك التاج وأملاك المعابد يرسلون تقاريرهم إلى الملك مباشرة .

وأما في المجال الديني ، فلقد ذهبت النصوص الدينية إلى مطابقة لمذاهب من المعبودات البابلية القائمة مع مردوخ واعتبرتها أوجها له ، فالعاصمة بابل لأبد أن يكون إله رب هو الاسمى بين الآلهة ، يتناسب وعلمه الإمبراطورية التي حصر مركزها بابل ، ومن ثم فقد انتقل مردوخ (مردوك) إله بابل من معبود مدينة إلى مركز الحضارة ، وانتقل بالتالي صفات «الليل»^(٤٩) المعبود السومري الأول ، ودخل في ميدان أساطيره

(٤٦) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٤٧ - ١٤٨ .
(٤٧) انظر (محمد بيوعن سحران : الحضارة المصرية القديمة - الجزء الثاني - الاسكندرية ١٩٨٩ ص ٥٢ - ٧١ .
(٤٨) جيمس هفري برستد - انتشار الحضارة - ترجمة محمد فخري - القاهرة ١٩٦٦ ص ١٩١ .
(٤٩) إيل (Eli) أو «الليل» (Eli) هو أكبر آلهة السومريين ومعنى اسمه المركب «إل - ليل» (Eli-lil) «سيد الليل» ، ونظراً لأن الرياح تهب في اعتقادهم من الليل فقد سمي «الليل» الكبير في اللغة السومرية (Ku-bil) ، كما سمي سيد الجبال وهو لقب حاكم في

— وخاصة أسطورة الخلق^(٥٠) التي أعاد كهنة بابل كتابتها من أجل هذا الهدف . وربما قد حدث هذا بعد هزيمة «ريم سين» ملك لارسا ، والاستيلاء على «نيبور» . المركز العتيق للعبادة السومرية . وكان معبد مردوك (Marduk) في بابل .. ويدعى لسجل (E-Sag-il) بمعنى : أعيت العالي الرأس — مركزا تشتمع منه علوم الدين والسحر : وله «زاتورة» (مرج المعبد) وتدعى «تمنا نكي» (أي — تمين — أن — كي (E-Tem-en-an-Ki)) أي المعبد أو البيت السدي لـ «إله السماء والأرض» وتتكون من سبع طوابق ضخمة : يبلغ ارتفاعها ٩٦ مقرا ، وقاعدتها مربعة الجوانب : يبلغ ارتفاع ضلعها ٨٦ م . ولعلها برج بابل المذكور في التوراة : وفي الواقع فلو قد ارتبط مردوك ببابل ، حتى أن النبي العبراني إرميا (٦٢٦ — ٥٨٠ ق.م) إنما يقول عند سقوط بابل : «عولوا أخذت بابل — خزي بيل — انسحق مردوخ» . مما يشير إلى أن إله مردوك قد شارك المدينة في مصيرها التمس .

ومضاف لنا مقدمة قانون حمورابي كيف وصل مردوك إلى مكانته العليا في امبراطورية بابل ، وذلك حين تقول : ان انو (إله السماء) وانليل (إله الأرض) قررا لمردوك الابن تبكر لـ «نكي» (أنو .. أي ..

للصوص السومرية واحتفال به في نفوش بابل واشور : وهو «نكي» ونونو على الناس جميعا ، ويسكن في شيكته الكبيرة من يهودون أنور ، وهو محارب عتيق يلقب بالنفسور أنيحي ، وزوجته هي «ننليل» (Nin-lil) واسمها مأخوذ من اسمه ، يوضح (Nin) بمعنى «يد» ، في مكان (En) بمعنى «يد» . وكانت مدينة نينور (نور الحالية) مركز عبادتهما في سومر (سومرو موسكاش : المرجع السابق ص ٢٥٣ : وكذا E. Dhorme, Les Religions de Babylonie et d'Assyrie, P. 2٥-31, 48-5٥).

(٥٠) انظر قصة الخلق :

S. G. F. Brandon, Creation Legends in The Ancient Near East, London, 1963.

A. Heidel, The Babylonian Genesis, Chicago, 1931.

انظر انظر عن أثر قصة الخلق البابلية في قصة العهد اليهودية (سعد . بن يوسي يهوان : إسرائيل .. الجزء الثالث — لاسكندرية ١٩٧٩ ص ٢٢٣ — ٢٣١) .

إله الماء) السيادة على الناس جميعا ، وجعله عظيمًا بين الأحياء (Jag) (آلهة السماء) : ثم جعل مدينة بابل المسيحية في العالم ، وأقاما مردوك فيها ملكا دائما : له أسس راسخة رسوخ السماء والأرض : وفي قصيدة خلق السماء والأرض (الكون) تقول آلهة السماء لمردوك : لقد أعطيناك الملك على انعام بآله .

ولما كان مردوك ابن أنكي انكير ، فقد ورث عنه العلم والسحر ، وصار مثله المعوذ بين الآلهة ، كما أن أساطير حين يزيل سحره انما يعمل باسم مردوك ، وكما كان «يا» إله الحكمة والفكر ، وتفهم ، فقد كان مردوك إله «ألم الحكماء» ، والخبير بين الآلهة ، وتحتضن قصيدة الخلق البابلية خمسين اسما لمردوك . أعطيتا آلهة السماء . أولها مردوك . وآخرها سيد البلاد ، ويذهب «ادوروم» إلى أن نسبة هذه الأوصاف جميعا إلى إله واحد انما يعد اتجاه إلى التوحيد : وقد استشرت هذه الأوصاف على أيام الدولة الآشورية ، حتى صارت الآلهة الأخرى مجرد حواري ، من شخص مردوك ، فخرجل هو مردوك إله الحرب ، واسليل هو مردوك . إله السيادة والفصل في الأمور ، و«نور» هو مردوك . إله العدل ، وسين هو مردوك . منير الليل : ونمش هو مردوك . إله العدل و (أدد) هو مردوك إله المطر ، وهكذا — كما تركزت في عشر الآلهات جميعا — استوعب مردوك في ذاته الآلهة جميعا : ويقول الملك (أشور بانييت) (٦٦٦ - ٦٦٦ ق م) في ترنيته لمردوك : أنه يجمع بين عظمة «آن» وعظمة انليل ، وعظمة «إيا» ، وهكذا تتحد في شخص مردوك الآلهة الثلاثة التي تهيمن على السماء والأرض والماء ، كما أن لعب «السيد» الذي يخلق على مردوك انما يدل على أنه سيد الآلهة والبشر ، ويجعله نظيرا للإله «نليل» الذي يلقب «أدد بهذا اللقب» .

وأما زوجة مردوك فهي «رربانيتم» أو «سربانقيم» (Sarpantim) بمعنى «الفضية» أو «الأمعة كالفضة» : وقد ارتبطت مكانتهم بابل . كما

فلا ميجلين على أيام الآشوريين والمكانيين والفرس والسوقيين^(٥١) .

(٤) قسانون حمورابي :

لا ريب في أن شهرة حمورابي في التاريخ ، إنما تعتمد في الدرجة الأولى على مآثره التشريعية — المكتوب باللغة الآرامية — أكثر مما تعتمد على فتراته وتدينه وإصابته باقتضابات دولته ورغبته في توحيد العراق ، وغير ذلك من نشاطات داخلية وخارجية يتميز بها بعض الملوك من الذي يليه الآخر ، وقد بدأ حمورابي في إصدار تشريعاته منذ العام الثاني من الحكم ، وسجلها رجاله على نصب كثيرة ، أشهرها نصب كبير من الديوريت (طوله ٢٢٥ سم ، وقطره ٦٠ سم) نقشوه في السنوات الأخيرة من حكمه (ربما في العام ٣٨/٣٧ : وربما في العام ٤٠ من الحكم) ، وصوروه في جزئه العلوي يتلقى الآن بإصدار تشريعاته من «شمش»^(٥٢) رب العدالة ورب الشمس ، المترفع على عرشه ، ويقف

(٥١) سبتيو موسكاتي : المرجع السابق ص ٢٦٠ - ٢٦٢ : وكذا

E. Dhorme, Op. Cit., P. 129-156, 168-170.

S. Lloyd, Foundations in The Dust, (Penguin Books), 1955, p. 14 & 5.

A. Heidel, The Babylonian Genesis, Chicago, 1951, P. 61.

(٥٢) شمش : يأتي شمش هذا (إله الشمس) في المرتبة الثانية بعد إله القمر ، وكان الآشوريون يسمونه «أوتو» Utu ، كما كانوا يسمونه اسم «ببر» (Babbar) على الشمس ، وهي تشرق ، أما الآشوريون فقد أطلقوا على إله الشمس اسم الشمس نفسها (شمش) ، وهذا وكان السورب الآشوريون في قتيان وحضرموت وسبا يدعونه «شمش» ، أما الآشوريون والآراميون فيسمونه «شمش» وأهل أوجاريت يدعونه «شمش» ، وكان العرب الجوبيون وأهل أوجاريت يدعونه الشمس إله مؤنثة ، كما جاءت كذلك في إحدى رسائل العمارنة عن عمارتي (رقم ٢١٢) ، بينما كان المصريون والآشوريون والآراميون يدعونه إلهاً ذكراً ، ولعل هذه الصلات القديمة إنما تؤيد أن كثيراً من التشابهات في التشعيب السامية إنما كن يتوقف بعضها على البعض الآخر . «إله» وكان يرمز لإله الشمس في بلاد آشور ومورية وأرض الفريز (أرض جناب) ، أي بصورة شمس في مصر ، ومن القلب في أرض الفريز ، نور العالم ، ونور الأعصاب ، ونور السموات والأرضين ، وإله الليل ، وهو الذي يطارد الظلمات ، ويقصر النهار ويطول الليل ضياءً ، وهو الذي يهب تحبة وحبوب القوت ، وهو الذي يثير الكون

أما أنه صوري، فهي وثيقة لا تعتمد يستلزم منه الحب وحمل القيس - وبعد من رموز وشارات السلطة والحكم في الممرات القديمة - ومن المرجح - بسبب صورة اله الشمس التي تعلو المسلة - أن هذه المسلة المختلفة من طائفة صوريين ، إنما هي نسخة مدينة «السيبار» - الموقع المفضل للصوريين وربما كان يقيم بها - بينما تعد نسخة مدينة بابل - والتي كانت تحمل صورة الآله مردوك ، مفقودة - الأمر الذي يؤكد وجود نسخة أخرى للقسون اكتشفت بين أكتاف المدينة القديمة على هيئة حجر من حجارة مسلات أخرى⁵⁴ .

على أية حال ، فالتنصص الحالي إنما كشف عنه في العاصمة العيلامية «سوسة» ، وقد كشفت عنه في شتاء عام ١٩٠١/١٩٠٢م بعثة فرنسية برئاسة «جست دي مورجان» ، ثم نقل إلى متحف اللوفر في باريس . ولعل ذلك العيلامي الذي نقل للنصب إلى سوسة هو «شرك تختته» (Shutuk-Nakik-mate) في بداية القرن الثامن عشر قبل الميلاد (ربما حوالي عام ١١٥٠ ق.م)⁵⁵ . ويدهي أن هذا لم يكن بسبب المسلة نفسها ، وإنما كان - فيما يرى Hurst Klengel - أن العدو العيلامي كان يأمل في نفس الوقت إضعاف الخصم بطريقة سحرية ، إذا

=
وسمى الحرفات ، هي والنتيجة ، وهو «شعل» (Qaradun) في قاهر نسر والوث ، وهو اله النسل ، وهو الذي على حد وراي الحكم قبيلته ، وعية «تخفرق» السرار «تستقبل» ، فهو سيد التنبؤ Bel-Biri مثل «شعل» (شعل = شعل) اله أنبؤ والمرعب ، وكانت مدينة «السيبار» من سومر ، ومدينة «السيبار» (سبار) في أكد مركزين أساسيين لعبادة نسر منذ أقدم الأزمان . وروحتهم هو «أيا» Aya (سبار) موكلتي : المرجع السابق ص ٢٥٥ - ٢٥٦ ، وكذا : محمد بنومي مؤلف : الحصرة العبرية القديمة ص ٢٤٤ ، وكذا .

(٥٣) عبد العزيز صابح : المرجع السابق ص ١٦١ . هذا التنصص : المرجع السابق ص ٧٦ - ٨٧ : شورت كلفيل : المرجع السابق ص ١١٣ .
54) H. Schottke, Geschichte des Auen Vorderasien, Leiden: 1957 p. III

55) I. Meek, ANET p. ١١٣: 264

اعتقد أنه بواسطة المسلة ربما يمكن جلب الازدحام والقوة التي كانت في بابل على أيام حمورابي ، الى عيلام^(٥٤) .

هذا وكانت المسلة - أو النصب - يتكون في الأصل من ٤٤ حقلًا من كتبة السامرية ، فيما عدا بعض الأجزاء التالية عمداً في أسفل الأعمدة الكتابية ، ويرجح أن الملك العيلامي الذي نقله الى سوسة (تسوتن في التوراة) إنما كان من وراء هذا المذبح ، حيث أراد تسجيل اسمه ، وتخليد ذكره ، ولكنه ربما خاف من اللعنات الشديدة الواردة في الخاتمة ، والتي يستلزم على من تسول له نفسه أن يطمس معالم هذا الفنون ، فعزل عما اعتزمه ، وبقي مكان المواد الأخيرة ، فيما بعد المادة (٢٠٣) خالياً ، حيث يرجح أن المواد الكاملة للفنون تكاد تبلغ ٣٠٠ مادة^(٥٥) .

هذا ويتقنون قانون حمورابي من مقدمة ، بعد غيرها حمورابي ألفابه وأعماله ، ووصف نفسه بما اعتاد الملوك أن يسبقوا به أنفسهم ، من حيث صائغتهم بالأرباب وتوابعهم في الوقت نفسه ، ومن حيث ظهورهم بمظهر المتفضل حيناً ، ومظهر القدر لواجبه حيناً آخر ، هادعي البتة الممجدود «سين»^(٥٦) الله القمر ، ووصف نفسه بأنه اله بين الملوك ، وأنه

(٥٥) هيرسك كنهل : المرجع السابق ص ١١٢ .

(٥٦) رضا الهاشمي : المرجع السابق ص ٧٨ .

(٥٧) سين : هو الله القمر ، وسين : اسم سومري غير سامي ، نقله الأكديون عن السومريين ، ونظيره السامية هي «و» عند العرب الجنوب ، و «بهر» عند الآراميين ، و «رخ» عند الآموريين ، كما أن «ن» عند السومريين اسم آخر هو «Na» (Na - nu - Na = Nauna) بمعنى «رجل السماء» ، وقد حرقه الأكديون الى «ننر» أو «ننار» (Nannar) بمعنى «القمر» ، ويرمز اليه في أحايين كثيرة بالهلال ، وبجانبه قرص الشمس رمزاً لاله الشمس ، ونجمة في وسط دائرة رمزاً لكوكب الزهرة ، وسين هو «سيد الشهر» ينظم أيام الشهر والسنة ، وكان لحركات القمر دور هام في عالم التنجيم ، وكان خسوف القمر أهول الظواهر واشدها رجوعاً ، وكان يسبب الي هجوم على بسين من سبع أرواح شريرة في السماء ، وزوجة سين هي «ننجل» (Nin - gal) «السيدة الكبيرة» ،

أول الملوك وزعمهم ، والخالد بينهم ، وأنه محارب لا مثيل له ، وأنه الملك الحكيم ، والملك الكامل ، وأنه منقذ شعبه من اليأس ، وأنه طرق جهات المملوك الأربع ، وأنه ختاج ، وأنه الأمير النقي ، وأن الأرباب تخبروه لأملاح أحوال الناس ، وأنه المنطبع للاله شمش ، وأنه كثير الدعاء للأرباب ، وأن ربه مردوك أمره بأن يرشد الناس إلى الطريق المستقيم ، وأن يحق الحق والعدالة ويدونها بلغة البلاد ، ثم يلي ذلك مجموعة القوانين ، ثم تأتي الخاتمة فيمجد الملك نفسه مرة أخرى ، ويرجو أن يحدد المفسهون في قانونه كلمات عزاء وعدل .

ثم يشير على الأجيال اللاحقة أن تعتبر أحكام قانونه وإنسير بموجبها لأنها ستكون لهم العدل والطمأنينة إلى آخر الأيام ، إلى أبد الأبد ، وعلى الملك الذي يعتلي العرش أن يحفظ كلمات العدل التي سجلها في نصبه هذا ، فهي حق البلاد ، ثم يقول : أن قرارات البلاد التي دونتها لا يجب أن يدعها جانباً ، وأن ما دونته هذا لا يحق له الاستئانة به ، إذا كن هذا الرجل الذي يعتلي تعرش «شيدا» ، يعني حكم البلاد بالعدل ، فعليه أن يحرر كلماتي التي سجلتها على هذا النصب . ثم دعا كل مظلوم أن يذهب بنفسه إلى نصب تنريعاته ، ويقرأها بعناية حتى تتبين به قضيته . ثم استعدي أربابه أي كل من يعمو هذه التنريعات أو يغير فيها . ثم بعد ذلك يحدد للعنايت الشديدة التي ستتزنها الآلهة بمن يحاول تخريف هذا القانون أو محوه (٥٨) .

وإذا أنجبا الابن من مصر وعنتر ، وكان «نكو» (Nusku) له انار ، أبنا لهما في بعض الأحيان ، وكانت مدينة «أور» مركز عبادة شين وروحته نجل . Nin - gal ، وكذا وندهما «نكو» وزوجته «مدرنكا» (Su - da - Nun - Na) ثم انتقلت عبادتهم جميعاً إلى حران ، ومنها إلى سوزة وقينقيا ، وربما كان لاسم سيفا علاقة بلك الفهر سين (إسمعيل بنو سبيزان) الحضارة العربية القديمة من ٢٢٨ ، بوسكاني : المرجع السابق ص ٢٥٤ ، وكذا

U Dhorme Op. Cit., P. ٥4-61, 83-86.

(٥٨) رضا الهشيمي : المرجع السابق ص ٧٩ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٦٧ - ٤٦٨ ، سبنتو بوسكاني : المرجع السابق ص ٩٥ .

هذا وقد حاول بعض الباحثين - طبقاً لترتيب مواد القانون - أن يقدمها إلى ثلاث مجموعات : مجموعة تتضمن البقود (١ - ٥) وتعلق بأدور القضاء والمتقاضى ، ومجموعة ثانية تتألف من البقود (٦ - ١٢٦) وتتضمن قانون الأحوال أو المعاملات ، ومجموعة ثالثة تتألف من البقود (١٢٧ - ٢٨٢) وتتضمن قوانين الأسرة ، غير أن هذا التقسيم يصعب تتبعه حرفياً في بنود التشريع .

على أن هناك من يقسمها إلى ثلاثة أبواب رئيسية : انطلق فيها مع التقسيم الأول ، في المبادئ الأولى والثاني ، غير أنه قسم المجموعة الثالثة (البقود ١٢٧ - ٢٨٢) إلى ثلاثة أقسام : الأول : ويتضمن قوانين الأحوال الشخصية (المواد ١٢٧ - ٢١٤) والثاني عن الأجور (٢١٥ - ٢٧٧) والثالث عن العميد (٢٧٨ - ٢٨٢) . على أن الدكتور طه باقر ، إنما يربط مواد قانون حوزة رابى - حسب تسلسلها - على الترتيب التالي : ١ - المضالقات والجرائم الخاصة بأصول المرافعات (شخص : زنا) وتتناول المتهم الباطلة وشهادة الزور ، ونقطة الاحتكام التي يصدرها القضاء ، ٢ - الجرائم الخاصة بالأموال (٦ - ٢٥) وتتناول السرقة وتسليم مال مسروق واختطاف الأطفال وإيذاء الأرقاء ، الاتيين والسطو على الدور ، والسرقات الأخرى بوجه عام ، ونسب بيت يهترق . ٣ - أحكام خاصة بالأراضي والعقار (٢٦ - ٦٠) وفيها التزام الأراضي وواجبات الزراعة والفلاحين وديون الفلاحين ، ومضالقات الري ، والأضرار الناتجة عن الملكية ، وجرائم قطع الأشجار وشئون التذليل . ٤ - المعاملات التجارية (٦١ - ١٢٦) وتتناول القروض والتوكيلات التجارية ، وانظم الضمانات والرهنات والتودائع والامانات . ٥ - الأحوال الشخصية (١٢٧ - ١٩٤) وتتناول طلاق كاهنه أو امرأة محدثة بالزنا ، والزواج مرة أخرى أثناء غياب الزوج ، وأحكام الطلاق وانتسرى وأهله زوجة متوفى وهذا إما الزوج لزوجته ، ومثوليات الزوجين عن الديون وقتل الزوج وانزاع بالمهرات وأولادة هذا الزواج بعد موت الزوجة واليهات للأولاد في قيد الحياة ، وترتيب نصيب الأولاد

في التركة ، وحرمان الأولاد من الإرث ، والاعتراف الشرعي بالبنوة ومان
الارطلة ورواجها وزواج الحرة من عبد وأحكام نساء المعبد وتبني
الاطفال : ٦ - تتناول المواد (٢١٤ - ٢١٥) وتتناول الاعتداء على الاب
وعلى الرجال والاسقاط ، ٧ - المواد (٢١٦ - ٢٤٠) وتتناول أحكام
البحر ، حث ، والمخلاق والمعماريين وبناء السفن والبيطريين ، ٨ - تتناول
المواد (٢٤١ - ٢٧٣) الشئون الزراعية كحيوانات المزارع والآلات
الزراعية وتأجير الرعاة وواجباتهم ، وكذا عمال الزراعة والميراثات
والعربات ، ٩ - وتتناول المواد (٢٧٤ - ٢٧٧) أجور الصغار والسفن .
١٠ - وتتناول المواد (٢٧٨ - ٢٨٢) ضمانات بيع المرقيق ونرائه من
الخارج (٥٩) .

وعلى أية حال - وقبل أن نقدم ترجمة لقانون حمورابي - لعل من
الافضل هنا أن نشير إلى عدة نقاط :

أولاً : ينقسم قانون حمورابي المجتمع العراقي القديم إلى ثلاث
طبقات هي :

أ - الطبقة العليا : - ويسمى الواحد منها «أويل» أو «أوبليوم»
(awelu أو awelu) وهم الأشراف ، ويتمتعون بحرية كاملة ،
وبجميع حقوق الرعية وامتيازاتها .

ب - الطبقة الوسطى : ويسمى الواحد منهم «مشكينو»
(Mushkenu) أو «مشكينوم» (Mushkurum) وربما يمكن أن
نسميهم العامة أو المسكين ، لأن كلمة «مشكينو» ، فيما يرى البعض ،
تقابل كلمة مسكين العربي ، وهي على أية حال : طبقة لا يمكن تحديدها
وضعا على وجه اليقين ، وربما كانوا على صلة بالمعابد ، ولكنهم ليسوا

.....

(٥٥) طه باقر : المرجع السابق ص ٢٩٤ - ٢٩٦ ، عبد العزيز
صالح : المرجع السابق ص ٤٦٢ ، رضا جواد الهشمي : المرجع السابق
ص ٧٩ .

من الأرقاء ، كما أنهم ليسوا من السادة . ومن ثم يطلق صفة الطبقة الوسطى عليهم إنما هو أمر مجازي : وقد كانوا يخضعون لقيود قانونية معينة ، ولا سيما فيما يتعلق بتحويل الملكية المنقولة .

ج - طبقة العبيد : ويسمى الواحد منهم «وردو» (Wardu) أو «وردوم» (Wardum) ، ولم يكونوا ينظر إليهم كبشر لهم شخصية ، وإنما كالمتاع يعرفون بأسماء أصحابهم : وإن وقع عليهم ضرر يدفع المضيف للكم ، ويعرفون بفصل نسر رؤوسهم ، ودمغهم بمسم العبيد ، وعلوهم لوحا طينيا يشهد لى عبوديتهم وإلى اسم مالكهم ، وينحى بهذه الطبقة أسرى الحروب ومن يذرمهم الملك بعد انتصاره في حملاته الحربية .

وكان الفرد من الطبقة الوسطى يمكن أن يتحول إلى طبقة الأرقاء في حالة العجز عن سداده الدين . كما أن تكرار التبعي لمن يثبناه ينقله إلى طبقة الأرقاء ، والزواج أن يسترق زوجته ، أن أنكرته أو تفكرت كما (٦٠) .

وعلى أية حال ، فإن العدالة التي نادى بها قانون حمورابي إنما اشترط لها الاتفاق بين الطبقات الاجتماعية ، أنه عن نفس الجرم إنما تختلف العقوبة والاضرار : طبقا للطبقة الاجتماعية التي ينتمى إليها الفرد الذي وقع منه وغلبه الجرم — كما تنص المواد (١٩٦ — ٢٠٤) — ومن ثم فقد طبقت مبدأ «العين بالعين» ، ولكنها قصرت تطبيقه أمثاله على أفراد الطبقة الواحدة ، وهذا الحقيقة إنما نفسر لنا ما دفع بعض المؤرخين إلى القول بأن ما أخلفته المدينة البابلية إلى ارتثا الخلف في غربى آسيا قليل جدا (٦١) .

٦٠) E. A. Speiser, *Mushkenum. Orientalia*, 27, 1933, P. 15-18.

٦١) Roux, *Op. Cit.*, P. 191.

٦١) J. H. Breasted, *The Dawn of Conscience*, New York, 1933, P. 221-222.

وفي الواقع أننا نوجد رجعت إلى قانون حمورابي لوجدنا أن كثيرا من مبادئه لا تعترف بالمساواة بين الناس ، وإنما تتعامل معهم على حسب مراكزهم الاجتماعية ، فمثلا المادة (١٩٦) تنص على أن من ينسب في ائتلاف عين عضو من جماعة اللهباء تقطع عينه ، بينما تنص المادة (١٩٨) على أن من يفتق عين رجل من العامة يدفع ميتا من الفضة ، وتنص المادة (١٩٩) على أن من يفتق عين رجل من الأرية يدفع نصف القيمة^(٦٢) .

وهكذا بينما يعرف القانون العراقي القديم (قانون حمورابي) بأن الناس غير متساويين في أقدارهم أمام القانون ، وأن العقوبة إنما تختلف طبقا للطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها الفرد الذي وقع منه الجرم ، فضلا عن الذي وقع عليه . نرى مظهر الفرعوية تعلن في وثائق الدولة الرسمية ، وفي توجيهات الخراعيين لوزرائهم عندما يندلمون موسم مناصبهم — كما في خطاب الملك تحوزنمس الثالث الذي وجهه إلى وزيره رخصي رع عندما قلده منصب الوزارة^(٦٣) — أنما مثل هذه الوثائق الاجتماعية ، وأن الناس — كل الناس أمام القانون سواء ، لا فرق بين غني وفقير ، وبين كبير وصغير^(٦٤) بل أن مصر إنما قد ردت — منذ عصر الثورود الاجتماعية ، وقبل عصر حمورابي بعدة قرون — بأمداء التزم على الوثائق الاجتماعية بين البشر جميعا — كما جاء على نص من هتوتن النوابيت التي ترجع إلى تلك الفترة ، ومن هنا كان عصر التسوية الاجتماعية هذا — فيما يرى كثير من الباحثين — من أهم العصور

(٦٢) T. J. Meek, The Code of Hammurabi, in ANET, 1956, P. 175

(٦٣) انظر :

J. H. Breasted Op. Cit., P. 269-270, ARB. II, P. 266-281.

R. D. Faulkner, JEA, II, 1955, P. 18-20.

Urk. IV, 1091 F.

A. H. Gardner, Egypt at The Pharaohs, Oxford, 1961, P. 196.

(٦٤) محمد بيومي ميرزا : السيرة الاجتماعية الأولى في مصر

الفرعونية — الإلكترونية ١٩٦٦ ص ١٦٨ — ١٧١ .

التاريخية في مصر القديمة ، لأنه نادى بانقضاء عبي الفوارق بين الناس جميعاً (٦٥) .

ولعل الفيلسوف اليوناني «أفلاطون» (حوالي ٤٢٧ - ٣٤٧ ق.م) عندما قتل مقالته عن السياسة «الدولة تجسيم العدالة المنظم» ربما لم يعلم الا قليلا ، أن مصر كانت قد اتخذت منذ ألف وخمسمائة سنة خلت - قبل مقالته - هذا المثل الاعلى ، وحاولت أن تجعله حقيقة واقعة . أو أن هذا دليلا آخر على أن «أفلاطون» كان في مصر ، وأن ذلك رأى استحوذ عليه هنا في أرض الكنانة (٦٦) .

ثانيا : أن تشريعات حمورابي - رغم أنها مكتوبة باللغة الاكدية - فهي مشقة جزئيا من التشريع السومري الذي نسخته هذا القانون أحيانا ، وسار عليه أحيانا أخرى ، ومن ثم فإن هذه التشريعات لم تكن كلها بنت عهدها ، كما أنها لم تكن كلها جديدة ، وإنما تضمنت كثيرا من التشريعات التي سبقتها (تشريعات أوركاخينا - أورنامو - إشنونا) فضلا عن تصويص العرف والتقاليد ، فأبقت بعضها على حاله ، وعدلت بعضها الآخر ، وزادت عليه ، فمثلا هناك مادة في قانون العائلة السومري نصت على سلطة الأب المطلقة وصلاحيته في طرد ولده وحرمانه من الميراث ، ثم جاء قانون حمورابي فوضع حدا لسلطة الأب المطلقة ، حيث أحال الأب إلى المحاكم ، وإذا ثبت بالأدلة أن الأب متهق في عمله : حكمت له ، أو أن يخسر لولده ذنبه في حالة اقترافه للمرة الأولى : كما وضع حمورابي في قانونه هذا سلطة الزوج في الطلاق ، ف القانون العائلي السومري أعطى الزوج الحق في طلاق امرأته متى يشاء ، ودرنما سبيته ومساواة أعضائها أم لا : ثم جاء حمورابي فوضع غرقا بين حالتين ، الواحدة تصل بالروجة ذات الأضفال ، والآخرى : الزوجة التي لا أطفال

65) J. A. Wilson, Creation and Myths of Origins, All Men Created Equal to Opportunity, in ANET, 1966, P. 7-8.

(٦٦) جيمس هنري برنسند : تطور الفكر والدين في مصر القديمة ترجمه زكي سوس - القاهرة ١٩٦١ ص ٢٣٨ .

لها ، وفي الحالة الاولى تأخذ الزوجة صداقتها وحفظا يتدنى لتربية أطفالها ، وعندما يكبر أطفالها يكون لها نصيب في أملاك زوجها الذي «ألقها» ، وإنما انتهى لا أطفال لها فتأخذ صداقتها ، وما أنت به من بيت أبيها عند زواجها ، فغلا عن هبة زوجها لها عند الزواج (٦٧) .

ثالثا : سائر قانون حمورابي على مبدأ «الدين بالدين» ، ولنعين «بالمعين» ، ورغم عدالة هذا الجدا ، إلا أنه طين في هذا القانون طبعا سيئا في بعض الاحوال ، عكس سببا في بعض الاحايين في ظلم الاجرياء ، فمثلا اذا أتهار منزل وقتل ابن السنتين فيه ، فإن عقوبة ذلك قتل ابن المهندس الذي بنى البيت ، فيذهب ضحية ذلك شخص بريء : هو الابن المستكين ، هذا فضلا عن التفرقة بين المواطنين ، ذلك لان اجراءات التقاضي — كما أشرنا آنفا — إنما تتطرق الانفاق بين الطبقات الاجتماعية ، فمثلا فإن الاساءة الى العامة عقوبتها أقل تسود الى حد كبير من عقوبة الاساءة الى الأشراف ، أو يعاقب عليها تعبا ابدأ مختلفا ، هذا فضلا عن التفرقة بين زوجات الرجل الواحد وأبنائهن : تبعا لمركز الزوجة ، رغم أن الأبناء جميعا من صلب رجل واحد (٦٨) — كما سنرى .

رابعا : اصطفت آداب مواد تشريعات حمورابي بالامانة في مواجهة الاعتداء على النفس والمال ، وليس من المستبعد أن تكون قد تضمنت ذلك لاجراء التخفيف ومردع الجريمة قبل وقوعها ، أو لتقييدها بتعاضيم دينية متشددة ، أو لتسبوع العقاب في مجتمعيها ، ونعير قبل عيدها : فجعلت الاعدام عقوبة للاثم على مصالح الدولة وأمنها والتوقوف في سبيل تنفيذ أوامرها ، كنيواء شائر أو مجرم هارب أو التكتيم على مؤامرات قطاع الطرق ، أو الثمرب من خدمة الجبتي أو الاعتداء على أملاك المعابد .

(٦٧) جورج سارانون : تاريخ العلم ص ١٩٥ . — ابن سبعة : لاحمد : المرجع السابق ص ٩٦ .
(٦٨) ان ديلابورت : المرجع السابق ص ٩٢ ، حبس حموري : ١٩٠٠ : منشور الحضارة ص ١٩٠ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٦٣ ، وكذا
Paul Dhorme, Choix des Textes religieux assyriens - Babylon etc., N° XII

يتقبلها المطلق في كل عصر ، ومن ذلك مثلا : - أولية الدولة عن ضلوع
الامن : ومن ثم غاذا سرق مواطن ولم يتيسر القبض على سارقته
واسترجاع المروقات وعرضته مدينته كذا اقليمه عما سرق منه ، بعد
أن يعلنه وينت حصة دعواه أمام تمثال الآله ورجال الإدارة في مدينته ،
وكذا إذ قتل مواطن وأم يتيسر معرفة قاتله ، والاقتصاص منه ، تعاونت
مدينته وحاكم إقليمه على دفع دية التي أدله عقارها «منا» عن الغصة

ومن ذلك أيضا حقوق الحاربين ومسئولياتهم ، ومن ثم فاذا اقتدى
محول محارب أو متعهد بالجهش من الأمر ، وأعطاه على العودة إلى
بلده ، رد المحارب غنيته من أمواله المنقولة ، فإن عجز عن ذلك تولي رب
مدينته دفع الغدية عنه ، فإن لم يتيسر ذلك نزلت الدولة سداده عنه ،
حتى لا يضطر إلى تنصحية بأملاته المتعاقبة التي تقطعها الدولة له في
سنتين ابتداء نفسه (٧٢) .

وعلى أية حال ، فإن بعض التناقضات الموجودة في القانون ربما
ترجع إلى أن حمورابي قد فنن لنسب مكون من شعوب كثيرة ، ورغم
توحيد الظاهري ، ومن ثم فقد اضطر إلى الجمع والنوحيق بين تقليد
مختلفة ، لكننا إذا أخذنا مكرشي ، بعين الاعتبار - حتى الرغبة الهدائية
في لغة العصاب ولجدا باختلاف الرغبة الاجتماعية للمجنى عليهم - نقول
لو أخذنا بكل ذلك ، لوجدنا أن الملك - أو مستشاره القانوني - قد
يعمله خبر قديم ، وأن قانون حمورابي أحد المعالم البارزة في التاريخ
البشري (٧٣) ، كما أنه - رغم قدمه - أبعد من أن يكون أربعة بدائيه ،
لذا يتم عن تطور طويل لتفكر القانوني ، ويصور لنا الناحية القانونية من
العبقرية البشرية تصويرا باعرا ، وهي ناحية لا يمكن الاستغناء عنها في

(٧٢) ابن خلدون : المرجع السابق ص ١٦٣ ، وكذلك : ...

T. J. MacK. Op. Cit., P. 167

(٧٣) جورج سارمون : المرجع السابق ص ١٩٩ -

بناء أية حضارة : ومؤرخ المعلوم جدير بتوجيه انتباه من اهتمامه الى هذه الناحية ، مهما حاول الاختصار على ميدانه الدقيق (٧٤) .

وهاك ترجمة كاملة لمواد قانون حمورابي ، وعددها ٢٨٢ مادة :

مادة (١) : اذا اتهم سيد سيذا آخز بجريمة قتل : ولم يقيم عليه البيئة قتل .

مادة (٢) : اذا اتهم سيد سيذا آخز بالسحر ، ولم يقيم عليه البيئة ، فعلى المدعى عليه ان يلقى بنفسه في النهر ، فان غلبه النهر ، على امره وغرق ، فليأخذ من اتهمه بالسحر خبيثته : أما اذا برأه النهر وخرج سالما ، فيقتل من اتهمه بالسحر ، ويأخذ هو (أي المدعى عليه) خبيثته .

مادة (٣) : اذا أدلى سيد بشهادة زور في قضية ما ، ولم يستطع أثبت صحة كلماته التي نطق بها ، فان كانت تلك الدعوى تتعلق بحياة (شخص) قتل .

مادة (٤) : أما ان كانت شهادة الزور تتعلق بالحبوب أو المال ، فانه سوي يتحسب جزاء شهادته .

مادة (٥) : اذا حكم قاضي حكمه واصدر قرارا : رحدث التصديق على رقيم مخطوم ، تم تعديل في حكمه بعد ذلك : فعليه ان يشبثوا ان ذلك القاضي قد غير الحكم الذي أصدره ، وشبهه ان يدافع اثنا عشر مرة قيمة الشكوى التي رفعت في تلك القضية : خلا عن ان يطردوه أمام الجميع من فوق كرسيه للافشاء ، وسوف لا يجلس ثانية أبدا مع القضاء في دعوى .

مادة (٦) : اذا سرق سيد مئاع اله أو مئاع الدوتة ، فانه يقتل : كما ان كل من وضع يده على مئاع مسروق يقتل .

... ..

(٧٤) نفس المرجع السابق ص ١٩٢ - ١٩٤ .

مادة (٧) : إذا اشترى سيد ، أو استلم ، كرامة ذهباً أو عبداً أو جارية أو ثورا أو نعجة أو جحشا أو أى شيء آخر من يد رجل آخر أو عبده ، بغير شهود أو عقود ، فهو لص ويقتل .

مادة (٨) : إذا سرق سيد ثورا أو نعجة أو جحشا أو حظيرا أو قاربا ٠٠٠٠ ان كانت النعجة أو الدولة يدفع ثلاثين مسرة قيمة الشيء المسروق ، وإن كانت لمواطن (Mushkenum) (٧٥) يدفع عشر أمثال قيمته . وإن لم يكن لديه ما يكفى لدفع التعويض يقتل .

مادة (٩) . إذا عثر على بضاعة مسروقة من سيد في حيزه آخر ، وأقدم هذا الأخير «أن بائعا باعني أياها» واستريتها في حضرة شهود ، وأعلن صاحب المسروقات «سأقدم الشهود على أنها بضاعتى المسروقة» فإن المشتري ما دام قد قدم البائع والشهود الذين تمت الصفقة أمامهم ، ومن صاحب البضاعة قد قدم الشهود أيضا على ملكيتها لها ، فإن القضية هم الذين يفصلون في النزاع ، وعلى الشهود الذين تم الشراء بهم رسم ، والشهود الآخرين الذين يشهدون بملكيتها لصاحبها ، فليشهود بذلك في حضرة الآله ، فإذا ثبت أن البائع لص يقتل ، ويسترد صاحب البضاعة بضاعته ، ويأخذ المشتري من أملاك البائع المثل الذي دفعه .

مادة (١٠) : إذا لم يرشد المشتري عن البائع الذى سراه البضاعة ،

(٧٥) كلمة «مشنكوم» (Mushkenum) تستعمل عادة في المادة (٨) بمعنى رجل من طبقة الوسطى (T. J. Meek, ANET, 1966, P. 165.) أو من العامة ، ويكتفى في المواد ١٦، ١٧، ١٧٥، ١٧٦ ، تشير إلى مواطن له صلة بالمعد أو الدولة ، وبشرق القانون بين اثنين ، حيث يعطى من به صلة بالمعد أو الدولة حماية أكثر ، وهذا فضلا عن أن المذنب أيضا يتقاضى وتلك التكاليف التي يوليغ فيها في المعركة من أن هذا التسرع ، أيضا جاءت لتعديف الفقراء والضعفاء ، ومن ثم فهي هنا ليست ضد عدم فحسب ، ولكنها أيضا تهدف في تعويض ما يسرق من المعد أو الدولة ، حتى أنها جعلت التعويض يعادل ثلاثين مرة من قيمة الشيء المسروق .

وعن التسهود المذنب تم الثراء ألعهم ، بئذا قدم صاحب البضاعة
شهوده ، فالمشتري له يقتل ، ويسرد صاحب المتاع متاعه .

مادة (١١) : إذا لم يقدم صاحب المتاع المسروق شهوده على ملكيته
للْبضاعة المسروقة ، فهو مخادع نخساش ويقتل .

مادة (١٢) : إذا مات البائع ، فلمشتري الحق في أن يأخذ من
أماله خمسة أمثال قيمة الدعوى في القضية .

مادة (١٣) : إذا لم يستطع سيد تقديم شهوده ، فللعاني الحق في
منحه أجل مدة شهر ستة : فإذا لم يخضر شهوده خلال الشهر الستة ،
فهو مخادع ، وسوف يذلل العتاب المحدد لهذه الحالة .

مادة (١٤) : إذا سرق سيد ابنا صغيرا لسيد آخر يقتل (١٧) .

مادة (١٥) : إذا علون سيد عبدا للدولة أو أمة لدولة ، أو عبدا أو
أمة لوطن على الهرب من بوابة المدينة يقتل .

مادة (١٦) : إذا أوى سيد في بيته عبدا آتقا أو أمة هاربة ، تابعها
للدولة أو ملكا لوطن ، ولم يقدمهم عند استدعاء الشرطة ، فإن صاحب
البيت يقتل .

مادة (١٧) : إذا أمسك سيد بعبد آبق أو أمة هاربة في العراق ،
وأخذه كملك له ، فإن صاحب العبد يدفع له عشرة شواقل من الفضة .

مادة (١٨) : إذا تم بيع العبد اسم صاحبه يأخذه الى القصر حتى
يتم التعرف عليه ، ثم يرد الى صاحبه .

(١٩) غارب خسر سفر التكوين من النوراة وبصه "من سري سنا
وأنه : أو وجد في بدء : اقلل فنلا" (تكوين ١٦/٢١) ونظر : نميمة
٧/٢١

مادة (١٩) : إذا احتفظ بهذا العبد في بيته ، ثم وجد غيباً بعد أن
العبد بقي في حوزته ، قتل ذلك السيد .

مادة (٢٠) : إذا هرب العبد من يد أسرته ، يؤكد السيد ذلك بقسم
أمام رب صاحب العبد ، ويطلق سراحه .

مادة (٢١) : إذا أحدث سيد حذاء في منزل يقتل أمام المذبح
ويحشر بداخله ويمسك عليه .

مادة (٢٢) : إذا سرق سيد وقبض عليه منجيباً ، يقتل .

مادة (٢٣) : إذا لم يضبط السارق ، يقدم صاحب المروقات
تفصيلات بها في حضرة الاله : وعزائد تعوضه المدينة التي وقعت السرقة
فيها ، وحاكمها ، عن مثاعه السروق .

مادة (٢٤) : إذا ما كان المروق «هيباد» (بمعنى شخص قتل)
تدفع ابنته والحاكم^(٧٧) مينا من اللذنة لأنه .

مادة (٢٥) : إذا شئت نار في بيت سيد ، وجاء آخر لاطفئها ، ثم
رنا معينيه إلى أموال صاحب البيت ، وأخذ سداً منها ، فإن هذا الرجل
بأقرب به في هذه النار .

مادة (٢٦) : إذا كلف جندي خاض أو مبعوث مهمة للملك ، ولم
يدهب أو استأجر بديلاً عنه ، يقتل ذلك الجندي أو المبعوث ، ثم نسلم
أمواله ليديله .

مادة (٢٧) : إذا أسر جندي أو مبعوث ، وهو في الخدمة العامة
للملك ، وسلمت أرضه وبساتينه إلى آخر ، يربط بغيرأمنته لأقطاعية .

(٧٧) المين (Minu) = ٥٠٠ جرام ، وشاكل (Shekels) = ٨
جرام ، وينقسم الدين إلى ٦٠ شاكل (ANE ١٩٦١: ١٦٦)

فله حق استرجاعها عند عودته إلى المدينة ؛ ليرعى نفسه التزاماته
الاقتصادية .

مادة (٢٨) : إذا كان الجندي الخاص أو المبعوث الذي أسر وهو في
الخدمة العامة لملك له ابن يستطيع أن يرعى التزاماته الاقتصادية ؛ فإن
التحقت والبنات يعطيان له ؛ ليرعى الالتزامات الاقتصادية لأبيه .

مادة (٢٩) . إذا كان الابن صغيرا لا يستطيع التزامات أبيه
الاقتصادية ؛ تولت أمه ادارتها نيابة عنه ؛ ان استخافت ، ورثه من ريعها
نظير استغناها بثلت إيراداتها .

مادة (٣٠) : إذا سلم جندي خاص أو مبعوث حقه وبستانه وبيته
بسبب الالتزام الاقتصادي ثم غاب ، وبعد دخوله أخذ آخر حقه
وبستانه وبيته ، وأدى الالتزامات الاقتصادية مدى سنوات ثلاث ؛ ثم
عاد وطلب حقه وبستانه وبيته ؛ فلا يعطى له ؛ أنها تصبح من
من أخذها ويرعى التزاماتها الاقتصادية .

مادة (٣١) : أما إذا غاب لمدة عام واحد فقط ؛ ثم عاد يريد له بيته
وبستانه ويرعى التزاماته الاقتصادية (٣٨) .

مادة (٣٢) : إذا اقتدى بموّل جنديا خاصا أو مبعوثا أسر في حملة
للملك ، ومكنه من الوصول إلى مدينته ؛ رد المفتدي قديته من أملاكه
المنزولة ؛ فإن عجز عن ذلك ؛ يقتدى من أملاكه إلى المدينة ؛ فإذا لم
يتيسر ذلك ، فإن الدولة تتقديه ؛ وأما حقه وبستانه وبيته فلا يصح
بها في مقابل القدية .

(٧٨) : أقطاع المخابر يسمى «كر» ، وقد يتكون من حفل أو بستان
أو دار ، أو بنيم الثلاثة جميعها ، ويدفع عنه صاحبه ضريبة سنوية ،
ويورث حق الانتفاع به لوئده الأكبر ؛ ولش لا يحق له أن يبيع ، أو يرهنه
أو يورث لمزوجه أو لابنه ؛ ويمكن أن يزرع منه هذا الأقطاع باسم ملكي ،
ويؤخذ لشخص آخر (عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ١٤٦) .

مادة (٣٣) : إذا تملك جاريش أو ضابط جندي ، وقيل أن يذهب مستأجرا كجديل في حفلة لأمك فأنهما بقتالين .

مادة (٣٤) : إذا اغتصب جاريش أو ضابط متزوج جندي ، أو أناء أحدهما إلى جندي أو استأجر أحدهم جندي ، أو أصدر حكم خذم مصلحة من هو أعلى منه رتبة ، أو اغتصابا منحة مدني إيه الملك . فمن من فعل ذلك (استدويش أو الضابط) يقتل .

مادة (٣٥) : إذا اشترى سيد من يد جندي ماشية أو غنما ، كان ذلك قد أعطاهما للجندي فإنه يدفع ماله غرامة .

مادة (٣٦) : حقل الجندي أو بستانه أو ممتلكات بيته — هو أو المبعوث أو الاقطاعي — لا تتبع .

مادة (٣٧) : إذا اشترى سيد حقل أو بستانا أو شيئا من ممتلكات بيت جندي أو مبعوث أو اقطاعي ، فإن لوحة التعاقد تكسر . ثم يدفع ماله غرامة ، مع إعادة الحقوق والبستان والبيت إلى صاحبها .

مادة (٣٨) : ليس من حق جندي أو مبعوث أو اقطاعي أن يتخلى عن حقله أو بستانه أو بيت اقطاعيته لزوجته أو ابنته . كما أنه ليس من حقه — بأي حال من الأحوال — أن يتنازل عنها مثل التزام عليه .

مادة (٣٩) : يجوز له أن يتنازل لزوجته أو ابنته عن أي حقل أو بستان أو بيت اشتراه ثم تملكه كنتيجة لذلك : كما يستطيع أن يعينهم لالتزام خاص به .

مادة (٤٠) : ينطبق النادسوم (Naditum) (طبقة من الكهنة) أو التاجر أو الاقطاعي الخاص أن يبيع حقله أو بستانه أو بيته ، على أن تثقل المشاري التزام ما اشتراه .

مادة (٤١) : إذا تملك سيد : عن طريق المايقة ، حقل أو بستانا

أو بيتا يخص جديداً أو مبعوثاً أو اقطاعي : تم دفع ثمنها اضمالياً ، فإن
الجندى أو المبعوث أو الاقطاعي يستطيع أن يستعيد ملكية حقله أو
بيئته أو بيته ، وأن يحتفظ بما دفع اضمالياً *

مادة (٤٢) : إذا استأجر سيد حقلاً للزراعة : ولم ينتج منه حبوباً ،
فإن هذا يدل على أنه لم يقوم بعمل في الحقل ، ومن ثم فعليه أن يعطى
مالك الحقل حبوباً تقدر على أساس انتاج الأرض المجاورة *

مادة (٤٣) : إذا أحمل الحقل ولم يقوم بزراعته فعليه أن يدفع لمالك
الحقل حبوباً تقدر على أساس انتاج الحقل المجاور : وأن يقوم بخرانة
الحقل الذي أحمله ، وأن يعيده الى صاحبه *

مادة (٤٤) : إذا استأجر سيد حقلاً بوراً لفصيته — على مدى
سنوات ثلاث — ، غير أن كسبه أدى الى عدم تحصينه ، فعليه في السنة
الرابعة ، أن يحرث أرضه ، ويكسر كتله ، ثم يعيده الى صاحبه ، بل
وعليه أن يكبل له عشرة «كورو» (Kur) من الحبوب ، لكل ١٨ «ايكو»
(Iku) (١٧٩) *

مادة (٤٥) : إذا أجر مالك حقله لاستأجر وتسلم ايجار حقله ، ثم
أغرق «أدد» (اله الامطار والترعد والفيضان) ذيباً بعد الحقل أو اجتاحه
فيضان ، فإن الخسارة إنما تقع على المستأجر *

مادة (٤٦) : أما إذا لم يكن قد تسلم الايجار — سواء كان الايجار
في مقابل نصف أو ثلث المحصول — فإن المستأجر والمالك يقاسمان
محصول الحقل من الحبوب *

مادة (٤٧) : إذا طالب المستأجر من رجل آخر أن يزرع الحقل ،

(٧٩) الكورو (Kur) مقياس يعادل أقل قليلاً من ٧ بوشل
(Thushela) - وينقسم الى ٣٠٠ والاكو (Eku) مقياس للأراضي
يعادل سبعة أشران اكر (Acre) (ANET, P. 168) *

لأنه لم يستطع استغلاله في العسائم الماضية ، فليس لمالك الأرض أن يعترض ، وعلى المستأجر الجديد أن يزرع حقله ، وفي موسم الحصاد يأخذ الحبوب بما يتفق والمعتود المبرمة .

مادة (٤٨) : إذا كان على شخص دين ، لم أغرق الإله أد حقله أو اجتاحه فيضان ، أو أن الحقل لم ينتج غله لنفاذ الماء ، فسوف يعطى ذلك الشخص المدين في تلك السنة من تسديد الحبوب لذائمه ، بل وتلقى لوحة اعتقد ، ولا يدفع لفائدة عن تلك السنة .

مادة (٤٩) : إذا اقترض سيد مالا من تاجر ، ورهن له حقلًا معدًا للحبوب أو السمسم ، وقاتل له : أزرع الحقل ثم أجمع المحصول وأخذ الحبوب أو السمسم الذي تنتجه ، وإذا كان المستأجر قد أنتج حبوبًا أو سمسمًا في الحقل ، فإن صاحب الحقل نفسه يأخذ في موسم الحصاد الحبوب أو السمسم التي أنتجوا الحقل ، ويعطى التاجر الحبوب في وقت ما له الذي استدانته منه مع الفوائد ، وما يقابل تكاليف الزراعة .

مادة (٥٠) : إذا رهن حقلًا مزروعهًا بالحبوب أو حقلًا استتبت به السمسم ، فإن صاحب الحقل يأخذ الحبوب أو السمسم الذي أنتجه الحقل ، ثم يرد المال والفائدة إلى التاجر .

مادة (٥١) : إذا لم يكن لديه المال ليرده ، فإنه يعطى التاجر مقابل ماله حبوبًا أو سمسمًا بسعر السوق الذي يحدده لذلك ذلك المال الذي استدانته التاجر مع فائدته .

مادة (٥٢) : إذا كان المستأجر لم ينتج حبوبًا أو سمسمًا في الحقل: فليس من حقه أن يغير العقد .

مادة (٥٣) : إذا لم يقرب سيد مزارعًا سبب ثقاعس منه : وأدى ذلك إلى انبيار الدم وأغرق أرض مزروعة ، فإن الرجل الذي أئتمعه الدم في أرضه يعوض عن الحبوب التي أصابها الدمار .

مادة (٥٤) : إذا لم يكن قادراً على التعويض ، يباع هو ومقتاته ،
ويقتسم الفلاحون الذين اتلف الماء مخصصهم ماله .

مادة (٥٥) : إذا أهمل رجل عند فتح قناته للمري ، واجتراح الماء
حقلاً مجاوراً لحقله ، غابه يكيل تعويضاً بمقدار ما أصابه التلف .

مادة (٥٦) : إذا فتح رجل الماء ثم تركه غائفاً ما تم من عمل في
حقل مجاور ، فعليه أن يدفع ١٠ «كورا» في مقابل كل ١٨ «ايكو» .

مادة (٥٧) : إذا لم يتفق راع مع صاحب حقل لترعى أغنامه في
الحشائش ثم تركها ترعى في الحقل دون موافقة صاحبة ، فعندما يجمع
صاحب الحقل محصوله ، فعلى الراعي الذي رعى غنمه في الحقل دون
موافقة صاحب الحقل ، أن يدفع له ٢٠ «كورا» من الحبوب ، لكل ١٨
«ايكو» .

مادة (٥٨) : إذا ساق الراعي الأغنام — بعد أن تركت المرعى ،
واحتجز انقطيعها داخل بوابة المدينة — إلى حقل ثم رعت فيه ، فعليه
أن يرعى الحقل الذي رعت فيه الأغنام ، وأن يدفع في موسم الحصاد
لصاحب الحقل ، ٦٠ «كورا» لكل ١٨ «ايكو» .

مادة (٥٩) : إذا قطع بيد شجرة من بستان سيد آخر ، دون
موافقته يدفع نصف قيمتها من القطة .

مادة (٦٠) : إذا سلم سيد بستان لبستاني لينتقي له بستاناً ، فإن
من حق البستاني أن يرعاه لمدة سنوات أربع ، وفي السنة الخامسة
يتقاسمه نصفه مع صاحب الأرض ، ومن حق صاحب البستان أن
يعمل على التحسين الأفضل .

مادة (٦١) : إذا لم يقيم البستاني برعية الحقل كله ، وترك جزءاً
بوراً ، يتكون هذا الجزء البور من نصيبه .

مادة (٦٢) : إذا كانت الأرض مزروعة ، ولم يقم البستاني بتحويلها جميعاً إلى بستان ، فعليه أن يدفع لمالك الأرض أيجار الحقل عن السنوات التي أهمل فيها ، على أساس إنتاج الأرض المجاورة ، كما يقوم بالعمل اللازم في الحقل واعادته إلى صاحبه .

مادة (٦٣) : إذا كانت الأرض بوراً ، فإنه يقوم بالعمل اللازم في الحقل ، ويعيده إلى صاحبه ، ثم يكيل ١٠ «كؤراً» من الحبوب ، لكل ١٨ «ايكور» عن كل سنة .

مادة (٦٤) : إذا سئم سيد بستانا لبستاني لكي يلقحه ، فإن البستاني يعطى لمالك البستان ثلثي محصول البستان كإيجار بيلة استثماره له ، ويأخذ هو الثلث .

مادة (٦٥) : إذا لم يقم البستاني بتلقيح البستان فتدهور المحصول ، فإن البستاني يدفع أيجار البستان بما يعادل أيجار المثل المجاور .

مادة (٦٦) : إذا استعد سيد من تاجر ، ثم ضيق عليه التاجر ، ولم يكن على ميسرة ليدفع ما عليه ، وإذا أهله البستاني بعد التلقيح وقال له : خذ ملك ثمر ، بقدر ما أنتج البستان ، فلا يسمح للتاجر بذلك ، لأن صاحب البستان أن يأخذ ما أنتج البستان من ثمر ، ويدفع للتاجر مقابل ما نه وعائده ، طبقاً لنص اللوحة (المعقد) ، كما لمالك البستان بدوره أن يأخذ بقية الثمر الذي أنتجه البستان .

مادة (٦٧) ، (٦٨) ، (٦٩) : (٧٠) تالفة .

مادة (٧١) : إذا كان يعطى حيواً أو مالا أو بضائع لقطاعية ولاية مجاورة يريد شراءها ، فإنه يدفع غرامة ما سبق أن دفعه ، ونموذج الضيعة إلى صاحبها ، وإذا لم يكن للضيعة التزامات القطاعية ، فله أن يشتريها ما دام يدفع مثل عدد انضيعة حيواً أو مالا أو بضائع .

مادة (٧٢) الى مادة (٧٧) فائقة *

مادة (٧٨) : اذا اجر سيد بيتا لرجل لمدة عام ، ودفع المستاجر الاجر لصاحب البيت ، ثم قال المالك للمستاجر - وعنده ما يزال قائما - اترك المنزل ، فان صاحب المنزل يدفع المال الذي دفعه المستاجر ، لأنه طلب اليه ترك المنزل ، وعنده ما زال نافذ المفعول *

مادة (٧٩) - الى مادة (٨٧) فائقة *

مادة (٨٨) : اذا اقترض تاجر حبوبا بفائدة ، غيأخذ (٦٠ قو) من الحبوب نقل «كور» كفايدة، ويأخذ سدس ساقل ، ٦ سيات ، لكل شافل من المفضة ، كفائدة (٨٠) *

مادة (٨٩) : اذا لم يجد سيد ما يسد به الدين ، وعنده حبوب ، يأخذ التاجر حبويا ، مقابل مائه مع فائدة تتفق وما يحدده الملك من سعر *

مادة (٩٠) : اذا زاد تاجر ربيع كور الغلة عن ٦٠ قو ، وفائدة شافل الفضة عن سدس شافل وست سيات ، فانه يدفع غرامة تعادل ما اقترضه *

مادة (٩١) : اذا اقترض تاجر حبوبا بفائدة ، ثم أخذ ماله بفائدة كاملة من الحبوب ، فان الحبوب مع المال قد لا *

١٨٠٤ كانت بعض نوحات القروض من نفس العصر على زيادة اقراض القروض ونقصاتها عن هذه النسبة في بعض الحالات فقد بيع سعر الفائدة لقرض من الفضة ٢٥٪ ، ونفعت قروض المعابد والادارات الحكومية الى ١٢٪ ، وكان معدل تاجر محبوب سبار يفرض الشعب بفائدة ٢٠٪ ، وبعد سنوات اقترض الفضة بفائدة ١٦/١ من رأس المال ، أي بفائدة نعل عن ثلث السعر المقرري للفائدة ، وفي عصر اور كان السعر المعاد للقرض عن الفضة ٣٢ وسبب في الفضة ، أي ثلث رأس المال ، وفي هذا العصر فائدا في عصر حمورابي ، ثم أخذ في الانخفاض (ال- ديلايورت : المرجع السابق ص ١٥٣ - ١٥٤) *

مادة (٩٣) نالفة .

مادة (٩٣) : إذا كان التاجر أو لم يستزل القدر الثاني من الحبوب الذي تسلمه ، ولم يكتب عقدا جديداً ، أو كان قد أضاف الفائدة إلى رأس المال ، فإن التاجر يرد ضعف القدر الذي تسلمه من الحبوب .

مادة (٩٤) : إذا أقرض تاجر بفائدة حبوباً أو مالا ، وعند التسليم دفع المال بالوزن الصغير والصغير والحبوب بالمكيال الصغير ، ولكنه استرد ذلك بالوزن الكبير والمكيال الكبير ، فإنه يدفع غرامة تعادل ما أقرضه .

مادة (٩٥) : إذا أقرض تاجر بفائدة حبوباً أو مالا ، وأعطي فإنه يدفع غرامة تعادل ما أقرضه .

مادة (٩٦) : إذا استدان سيد حبوباً أو مالا من تاجر ، ولم يكن لديه حبوباً أو مالا ليرده ، ولكن لديه بضائع أخرى ، فإنه يعطي لتاجره ما يملكه أمام شهود ، وعلى التاجر أن يقبل ذلك دون اعتراض .

مادة (٩٧) نالفة .

مادة (٩٨) : إذا سلم سيد مالا لأخر لمعنى شريكة بينهما ، فإنهما يقتسمان منافعة الربح والخسارة أمام الآفة .

مادة (٩٩) : إذا أقرض تاجر مالا بفائدة لتاجر متجول بفقدان التجارة ، وأرسله إلى الطريق ، فإن التاجر المتجول على الطريق المال الذي عهد به إليه .

مادة (١٠٠) : إذا كن قد حقق ربحاً حيث حل ، فإنه يسجل الفائدة على المبلغ بالكامل الذي تسدته ، ثم يحسب الأرباح عليه ، ويرد لتاجر .

مادة (١٠١) : عندما لا يحقق التاجر المتجول (Sahamā'ilun)

ربحاً ، بحرف النظر عن المكان الذي ذهب إليه ، فإنه يدفع للتاجر ضعف ما اقترضه من ماله .

مادة (١٠٢) : إذا أقرض تاجر تاجراً متجولاً قرضاً مجاملة وتحققت خسارته ، حيث سافر ، فإنه يعيد رأس المال للتاجر .

مادة (١٠٣) : إذا هاجمه عدو في الطريق جعله يسلم له كل ما يحمل ، فإن التاجر المتجول يقسم بالاله ، ويطلق سراحه .

مادة (١٠٤) : إذا أقرض تاجر غلة أو صوغاً أو زيتاً أو بضاعة ما إلى تاجر متجول ، فعلى التاجر المتجول أن يسجل الثمن ، وأن يدفعه للتاجر ، وأن يستلم التاجر (أو البائع) المتجول ، وصلاً مختوماً بالدرهم التي دفعها للتاجر .

مادة (١٠٥) : إذا كن البائع المتجول مهملاً ، ولم يحصل على وصل مختوم بالمال الذي دفعه للتاجر ، فإن المال الذي لم يصر به وصل مختوم لا يمكن اعتباره عند اعتماد الحساب .

مادة (١٠٦) : إذا استدان بائع متجول مبلغاً من تاجر ثم حدث نزاع ، فإن التاجر عليه أن يثبت في حضرة الآله والسجود أن البائع المتجول استدان المبلغ ، وعندئذ يدفع البائع المتجول إلى التاجر ثلثه أمثال المبلغ موضوع الدين .

مادة (١٠٧) : إذا عهد تاجر بشيء إلى بائع متجول ، ثم أعاد هذا إليه ما أعطاه ، فإنه في حالة نزاع بينهما : وانكار التاجر المتجول أنه تسلم شيئاً ، فإنه على التاجر المتجول أن يثبت ذلك بالتقدم ضد التاجر في حضرة الآله والسجود ، وعندئذ يدفع التاجر ستة أمثال الشيء موضوع هذا النزاع .

مادة (١٠٨) : إذا لم تستلم صاحبة حانة الصبوب أمناً للشرب ،

وثقلت نفودا بالوزن الكبير ؛ وبذا جعلت سعر المشراب أقل من قيمة
الحبوب ، فانهم يبتغون ذلك ضدها ، ويتقون بها في ماء المذهب .

مادة (١٠٩) : اذا تجمهر بعض المشردين في حانة ، ولم يقبض
عليهم صاحبة الحانة ولم تأخذهم انى القصر فانها تقتل .

مادة (١١٠) : اذا كانت «ناديتسوم» (من طبقة الكاهنات) أو
«انديوم» (Entium) (من طبقة الراهبات) ممن لا يعيشون في
دير ، يفتتحون حانة أو يدخلون حانة لشراب ، فالمعتوبة المحرق .

مادة (١١١) : اذا أعطت بائعة قنية من شراب «بيخوم» (Pihum)
نسيئة ، فانها تأخذ ٥٠ شو من الحبوب عند جمع المحصول .

مادة (١١٢) : اذا كان سيد في رحلة تجارية ، وأعطى فضة وزهبا
وأهجارا كريمة أو آية بضائع من متعلقاته الى سيد آخر ، أو عبد اليه
ببقلها ، فان هذا الرجل اذا لم يسلم ما كان يجب نقله الى حيث كان
يجب أن ينقل ، بل أحذه لنفسه ، فان صاحب البضائع اننى كان مفروضا
أن تنقل يجب أن يثبت الاتهام ضد الرجل الاخير ، وعند دفع الرجل
الى صاحب البضاعة المتى كان يجب أن تنقل خمسة أمثال ما سلم اليه .

مادة (١١٣) : اذا كان لرجل دين من حبوب أو مال غني آخر ، ثم
أخذ حبوبا من الشوفة أو ساحة التذرية بغير موافقة صاحب الحبوب ،
فعليه أن يعيد كمية الحبوب انى أخذها ، ثم يدفع كذلك غرامة كل شئ
آخر كان قد اقترضه .

مادة (١١٤) : اذا لم يكن لرجل حبوب أو مال ، لدى آخر ، ثم
احتجزه كرهينة ، فانه يدفع ثلث مينا من الفضة عند كل احتجاز .

مادة (١١٥) : اذا كان لسيد دين حبوب أو مال لدى آخر ثم احتجز
شخصا كرهينة ، ثم مات الرهينة ميتة طبيعية في بيت المحتجز ، فليس
هناك وجه لاغامة الدعوى .

مادة (١١٦) : إذا كان موت الرهينة بسبب ضرب أو إساءة في بيت المحتجز ، فإن صاحب الرهن عليه أن يثبت ذلك ضد تاجر ، فإن كان ابنه لرجل مثل الابن ، وإن كان عبده دفع ثلث مينا من الفضة ، وغرامه عن كل ما أنخرجه .

مادة (١١٧) : إذا كان وقت استحقاق دين على سيد وكان قد باع (خدمات) زوجته أو ابنه أو ابنته أو ارتبط (هر نفسه) بالخدمة ، فيجب عليهم أن يهملوا في بيت من اشتراهم أو المدينين له مدة ثلاث سنوات ، ثم تصدقهم حريتهم في السنة الرابعة^(٨١) .

مادة (١١٨) : إذا سخر عبد أو أمة الخدمة : ثم أراد التاجر اشهار البيع ، فله أن يبيع ، دون وجه لإقامة الدعوى ضده .

مادة (١١٩) : إذا قام التزام على سيد أدى إلى أن يبيع خدمات أمته التي وادت أطفالا ، فإن صاحب الأمة يستطيع أن يسترد أمته ، بعد أن يدفع ما كان للتاجر قد دفعه .

مادة (١٢٠) : إذا أودع سيد حبويه في بيت سيد آخر ، فخيرها وحدث تلف في التربة ، أو أن صاحب البيت فتح المخزن وأخذ حبويها ، أو أنكر تماما أنه سلم حبويها لتخزينها في بيته ، فعلى صاحبها أن يبين تغيبات حبويه في حضرة الآله : وعند دفع صاحب البيت إلى مالك حبوب ضعف ما أخذ من حبوب .

مادة (١٢١) : إذا أودع سيد حبويها في بيت آخر ، فعليه أن يدفع ٥ قو من الحبوب لكل كور : مغبل تخزينها لمدة عام .

مادة (١٢٢) : إذا أودع سيد لدى آخر غصة أو ذهباً أو أي شيء ،

— — — — —

(٨١) قارن شريعة النوراة (خروج ٢/١٢ - ١١ تثنية ١٥/١٢ - ١٨ : حيث تطلب لرجل في السنة الرابعة .

آخر لحظه كأمانة ، فيجب أن يبين بالتشديد ، مقدار ما أودعه ، ثم يحرر عقدا ، وعندئذ تتم عملية الحفظ (الايداع) •

مادة (١٢٠) : إذا أودع شيئا لحفظه بغير شهود أو عقود ، ثم أنكر من تسلمها ، فلا تقام الدعوى •

مادة (١٢١) : إذا أعطى سيد سيدها آخر هبة أو ذبا أو شيئا آخر ، كأمانة في حضرة شهود ، ثم أنكر المواقعة فيجب إثباتها حده ، وعندئذ يدفع نصف ما أنكر •

مادة (١٢٥) : إذا أودع سيد متاعه كأمانة ثم اختفى المتاع حيث أودعه ، كما اختفى متاع صاحب البيت بسبب دخول اللصوص أو عن طريق نهب الدخائل ، فإن صاحب البيت الذي كان إعماله سببا في تبديد الأمانة ، يجب أن يعرض صاحب البضائع ، وعليه أن يبحث جديا بحثا كاملا عن متاعه المصاع ، ويأخذ من اللص الذي سرقه •

مادة (١٢٦) : إذا لم يكن متاع الرجل قد سرق ولكنه أعلن «أن متاعي قد سرق» ، وبذا يحاول خديعة مجلس مدينته ، فإن مجلس المدينة يستعرض الحقائق في حضرة الآله ، وأن متاعه لم يسرق ، وعندئذ يدفع لمجلس مدينته نصف ما ادعى به •

مادة (١٢٧) : إذا أسار سيد أنى كاهن معبد أو إلى زوجة سيد آخر بسوء ، ولكنه لم يستطع إثبات شيء ضدها ، فإن هذا السيد يؤخذ إلى حضرة القضاة ، ويقسمون أيضا نصف نسره •

مادة (١٢٨) : إذا كان لسيد زوجة ، ولكنه لم يحرر معها عقدا ، فإن هذه المرأة ليست زوجته •

مادة (١٢٩) : إذا ضطبت زوجة سيد مضطجعة مع رجل آخر ، فيجب عليهم أن يوثقوا الاثنين وثقا ، بما في ماء النهر ، وإذا أراد الزوج

الابتناء على حياة زوجته ، غنى هذه الحالة يستطيع الملك أن يبقى على حياة أحد رعاياه .

مادة (١٣٠) : إذا اتصل سيد بخطيبة آخر ، ولم يكن قد واتعها رجل من قبل ، وكانت لا تزال في بيت أبيها ، ثم رقد في صدرها وأمسك بها ، فإنه يقتل ، أما المرأة فتطلق حرة .

عادة (١٣١) : إذا اتهم سيد زوجته ولم تضبط متلبسة مع آخر ، ثبتت دعواها بقسم أمم الآله ، ثم تعود الى بيتها .

مادة (١٣٢) : إذا شهر سيد بزوجة سيد آخر ، ولكنها لم تضبط متلبسة في حالة اضطجاع مع رجل آخر ، فأنها تلقى بنفسها في النهر من أجل زوجها .

مادة (١٣٣) : إذا أسر رجل وكان في بيته ما يكفي ، فيتحتتم على زوجته ألا تترك منزله ، وعليها أن تصون نفسها ، وذلك بأن لا تدخل منزل شخص آخر ، أما إذا لم تكن هذه المرأة نفسها ودخلت منزل شخص آخر ، فأنهم يثبتون ذلك على هذه المرأة ، ويلقونها في الماء .

مادة (١٣٤) : إذا أسر رجل ، ولم يكن هناك في بيته ما يحفظ عليهم الحياة ، فلزوجته أن تدخل بيت رجل آخر ، ولا لوم عليها .

مادة (١٣٥) : إذا لم يكن في بيت الأسير ما يكفي للآلة ، ساق على أسرته ، ثم دخلت زوجته الى بيت رجل آخر قبل عودته ، وولدت له أطفالا ، ثم عاد زوجها ووصل الى مدينته ، فإن هذه المرأة تعاد الى زوجها الاول ، ويبقى الاولاد مع أبيهم .

مادة (١٣٦) : إذا هجر سيد مدينته وعرب ثم دخلت زوجته بيت رجل آخر بعد رحيله ، فاذ عاد ورغب في استعادة زوجته ، فلا تعود الزوجة الى زوجها الهارب ، لانه احتقر مدينته وفر عاريا .

مادة (١٣٧) : إذا غول سيد أن يطلق (التسوجيتوم) (Su - Ge - Junn) رزقت منه بأطفال ، أو «تاديتوم» جاءت بأطفال ، ترد إلى هذه المرأة بأثنتها ، كما تعطى نصف الخسول واليستان حتى ترمى أولادها ، ثم تعطى : بعد تربية أولادها ، نصيباً مماثل لأى وريث مما يوزع على أولادها ، حتى يستطيع الرجل الذى يخطرها أن يتزوجها .

مادة (١٣٨) : إذا أراد سيد أن يطلق زوجته التى لم تنجب منه أطفالاً ، فعليه أن يدفع لها كل تكاليف زواجها ، وأن يعوضها عن المهر (البائنة) التى جاءت بها من بيت أبيها ، ثم بعد ذلك يطلقها .

مادة (١٣٩) : إذا لم يكن هناك تكاليف زواج ، فعليه أن يعطيها ميئاً من القنصة ، ثم يطلقها .

مادة (١٤٠) : إذا كان مزارعاً يعطيها ثلث ميئاً من القنصة .

مادة (١٤١) : إذا كانت زوجة رجل تعيش فى بيته ، ثم أرادت أن تترك البيت لتعمل ، وبالتالي تعمل بميتها ، ويستشعر زوجها المهانة ، فيجب أنيت ذلك قسداً ، وإن أراد زوجها أن يطلقها من أجل ذلك ، فإنه يطلقها دون إعطائها أى شئ ، لاتمام الطلاق عند رحيلها ، وإذا لم يرد أن يطلقها ، عنه أن يتزوج من غيرها ، ويبقى الزوجة الأولى فى بيت زوجها كخادمة .

مادة (١٤٢) : إذا كرمعت امرأة زوجها ، حتى قالت له : لا تقربنى فوجب دراسة قضيتها فى مجلس مدينتها . فإذا كانت امرأة حريصة ولم ترتكب خطأ : رغم أن زوجها يخرج ويدهم من قدرها كثيراً ، أنيبس لهذه المرأة ذنب ، ويجب أن تأخذ حقها المتأخر ، وتذهب إلى بيت أبيها .

مادة (١٤٣) : إذا لم تكن حريصة . وقذرت دائمة الخروج للزيارات ، وإذا تعمل بميتها ، ويستشعر زوجها المهانة ، يدق بها فى ماء التهر .

مادة (١٤٤) : إذا تزوج رجل من «ناديتوم» ثم سلمت جاريته
لزوجها ثم رزق منها بأطفال ، ثم أراد الزواج من كاهنة ، فليس له أن
يفعل ، لأن ليس من حقه الزواج من كاهنة .

مادة (١٤٥) : إذا تزوج رجل من «ناديتوم» ولم يرزق منها بأطفال ،
فله الحق ، أن أراد : أن يتزوج من كاهنة ، وبأني بها إلى بيته ولكن
هذه الكاهنة لا ترتفع إلى مرتبة الـ «ناديتوم» .

مادة (١٤٦) : إذا تزوج رجل من «ناديتوم» وأعطته جارية لها
فحصلت منه وجعته بأطفال ، فإذا طالبت بالمساواة بسيدتها لأنها أنجبت
أطفالاً : فليس لسيدتها أن تبيعها : ولكن لها أن تتمتعها بهيتم الأماء .
وأن تعدها من بين عبيدها .

مادة (١٤٧) : إذا لم ترزق بأطفال - فمن حق سيدتها أن تبيعها .

مادة (١٤٨) : إذا تزوج سيد بامرأة وأصيب بمرض ، وأراد أن
يتزوج مرة ثانية ، فمن حقه أن يتزوج ، ولكن لا يطلق زوجته التي
أصبحت بارخص ، إنما تسكن في البيت الذي بنه ، وعليه أن يقوم
بإنعاشها ما لم تكن على قيد الحياة .

مادة (١٤٩) : إذا رخصت هذه المرأة أن تعيش في بيت زوجها يرد
لها ما بنتها التي جاءت بها من بيت أبيها وعندها لها أن تترك البيت .

مادة (١٥٠) : إذا هرب رجل عقداً مفتوماً عند أهله زوجته حقلاً
أو بستاناً أو بيتاً أو متاعاً ، فإن أولاده لا يستطيعون الدخول في دعوى
ضده بعد وفاة زوجها ، ما دامت الأم تستطيع أن تمنح ابنها ابنها
الذي يحب ، ولكنها لا تستطيع أن تعليه لعرب .

مادة (١٥١) : إذا نصت امرأة في عقد رواجيا أن دائي زوجها لا
يستطيعون ارتدائها بمقتضى إبراز وثيقة مكتوبة . ثم حدث أن كان الرجل
٧/٧٦

مدينة قبل الزواج من تلك المرأة : من دائيه لا يستطيعون احتجازها .
كما أنها : من كانت هي مدينة قبل دخولها الى بيت زوجها : غسان دائيتها
لا يستطيعون كذلك احتجاز زوجها .

مادة (١٥٢) : اذا حدث الدين بعد دخول المرأة بيت زوجها : فعلى
الافنين تكون 'المساءلة أمام التاجر (يعنى الدائن) ' .

عادة (١٥٣) : اذا تسببت امرأة في موت زوجها بسبب رجل آخر :
توضع على الخزوق .

مادة (١٥٤) : اذا زنا رجل بابنته فعليه أن يترك المدينة .

مادة (١٥٥) : اذا اختار الرجل عروسا لابنه ثم واتعجا ابنه ثم
ضبط هو بعد ذلك متلبسا معها يربط ويأقي به في الزهر .

مادة (١٥٦) : اذا اختار سيد عروسا لولده ولم يواقعها ابنه . لكن
الاب ضاجعها : فإنه يدفع لها نصف مينا من الفضة : ثم يرد لها كل ما
جاءت به من بيت أبيها : حتى يستطيع الرجل الذي تصاراه أن يتزوجها .

مادة (١٥٧) : اذا ضاجع رجل أمه بعد موت أبيه يحرق كلاهما .

مادة (١٥٨) : اذا ضبط رجل بعد موت أبيه متلبسا بمضاجعة
مرفعته التي كانت حاملا أطفال : فإنه يقطع من بيت أبيه .

مادة (١٥٩) : اذا جاء خاطب البنت الى بيت حميه ليقبل بهدية
الخطبة ، ودفع المهر : ثم أحب امرأة أخرى وتناى لحميه المقتل . سوف
لا تزوج من ابنتك : فان والد الفتاة يحتفظ بكل ما جيء به له .

مادة (١٦٠) : اذا جاء خاطب البنت الى بيت حميه ليقبل بهدية
الخطبة ، ودفع المهر : ثم شين له والد الفتاة : سوف لا تزوجك من
ابنتي : فإنه يرد ضعف ما جيء به له .

مادة (١٦١) : اذا جاء خطيب البنت الى بيت حميه المقبل بهدية
الخطبة ، ودفع المهر ، وأساء صديق له بأن قال ان حماء المقبل قال :
سوف لا تتزوج من ابنتي ، فانه يرد ضعف ما جرى له به ، ولايتزوج
صديقه من خطيبته السابقة .

مادة (١٦٢) : اذا تزوج رجل من امرأة ، ورزق منها بأطفال ، ثم
ماتت ، فليس لأبيها أن يسترد بائنتها لأن هذه البائنة أصبحت ملكا
للأولادها .

مادة (١٦٣) : اذا تزوج رجل من امرأة ، ولم يرزق منها بأطفال ،
وأعاد له حموه المهر الذي أن قدمه الى بيت حميه ، فليس لزوجها ان
يدعى حقا في بائنتها ، لأن هذه البائنة أصبحت من حق بيت أبيها .

مادة (١٦٤) : اذا تم مرد حموه المهر ، فان المهر يستقر بأنكاه من
بائنتها ، وترد بقية البائنة الى بيت أبيها .

مادة (١٦٥) : اذا أهدى رجل نتي بكر أولاده المحبوب في عينة حفلا
أو مستانا وكتب له بذلك وثيقة مضمومة ، ثم جاء أخوته للتقسيم بعد
وفاة أبيهم ، فانه يحتفظ بالهدية التي أعطاه اياها أبوه ، ثم تقسم ضيعة
الاب بينهم بالتساوي .

مادة (١٦٦) : اذا مات رجل دون أن يتزوج أصغر ابنائه ، أفرد له
أخوته قيمة مهر تناسب مهر الزواج من ضيعة أبيهم ، قيل أن يقتسموا
تركته بعد موته ، حتى يتمكنوا الاخ الأصغر من الحصول على زوجة .

مادة (١٦٧) : اذا تزوج رجل من امرأة ورزق منها بأطفال ثم ماتت ،
فتزوج من بعدها بأمرأة أخرى ، ورزق منها بأطفال كذلك ، فعند موته
لا يقتسم الاطفال التركة تبعا لأمهاتهم ، وانما تأخذ كل مجموعة بائنة
أمهم ، ثم تقسم تركة الرجل بعد ذلك بينهم بالتساوي .

مادة (١٦٨) : إذا أراد رجل حرمان أحد أبنائه من تركته ، وقال للقضاة : أريد حرمان ابني من الأثر ، فإنهم يتصرفون حالته ، فإذا لم يكن الابن قد ارتكب ذنباً عظيماً يحرمه حقه في المبنوة ، فليس للاب الحق في أن يحرمه حقه في المبنوة .

مادة (١٦٩) : إذا كان قد ارتكب اثماً عظيماً يكفي لحرمانه من المبنوة ، فيجب العفو عن ذنبه الأول ، فإن عاد فارتكب ذنباً عظيماً مرة ثانية ، فلا بد أن يحرمه .

مادة (١٧٠) : إذا رزق رجل من زوجته الأولى بأطفال ، ثم جاءت جاريته أيضاً بأطفال ، واعترف الزوج بهم في حياته ، وقال «أطفالي» فعدهم كأطفال الزوجة الأولى ، فإن تركته تقسم بعد موته بالتساوي بين أطفال الزوجة الأولى وأطفال الجارية ، على أن يكون لولده الأكبر من الزوجة الأولى نصيب مفضل .

مادة (١٧١) : إذا لم يعترف الأب في حياته بهم ويقول : أطفالي ، لم جاءت بهم الجارية ، فإن أبناء الجارية لا يشاركون أبناء الزوجة الأولى في منافع الأب بعد وفاته ، ولكن تحرر الجارية أولادها ، وليس لأبناء الزوجة الأولى عليهم حق الخدمة ، وتأخذ الزوجة الأولى بائنتها وهدية الزواج التي كتبها زوجها لها على لوحة ، وتعيش في بيت زوجها ضالة حياتها ، دون أن يكون لها حق بيعه ، لأنه ميراث يخص أولادها .

مادة (١٧٢) : إذا لم يكن زوجها قد أعطها هدية زواج ، عتد لها بائنتها ، وتأخذ من ثروة زوجها على ميراث يعدل أحد الانصباء ، وأن ضايقها أولادها بترك المهر يتحرى القضاة الأمر ، ثم يلحقون باللائمة على أولادها ، ولا تترك المرأة البيت ، وأما إن أرادت ترك البيت ، فعندئذ تتدارل لأولادها عن هدية زواجها التي أعطها إياها زوجها ، ولكن تأخذ بائنتها التي جاءت بها من بيت أميها ، حتى يتزوجها الرجل الذي تختاره .

مادة (١٧٣) : إذا رزقت تلك المرأة بأطفال من زوجها الأخير في

المكان الذي دخلت اليه ، فعند وفاتها تقسم بائنتها بين أطفالها من زوجها الاول والثاني .

مادة (١٧٤) : اذا لم ترزق بأطفال من زوجها الثاني فان بائنتها تقسم بين أطفالها من زوجها الاول فقط .

مادة (١٧٥) : اذا تزوج عبد للقصر أو لمواطن من ابنة رجل حر ، ورزقت منه بأطفال ، هليس لسيّد العبد حق الخدمة على أطفال عبده من ابنة السيد .

مادة (١٧٦) : اذا تزوج عبد للقصر أو لمواطن من ابنة رجل حر ، ثم دخلت الى بيت زوجها — عبد القصر أو عبد لمواطن — ببائنتها وارتبطا ببعضهما ثم أسما بيتا ، وجعلوا غية أنافا ، ثم مات العبد ، فان ابنة السيد تأخذ بائنتها ، وأما ما انتزكت في شرائه مع زوجها ، بعد ارتباطهما ، فيقسم الى قسمين ، يأخذ صاحب العبد النصف ، وتأخذ هي لأبنتها النصف الثاني .

مادة (١٧٦) مكرر : أما اذا لم يكن لأبنة السيد بائنة ، فان ما انتزكت في شرائه مع زوجها — بعد ارتباطهما — الى قسمين ، يأخذ صاحب العبد نصفا ، وتأخذ هي لأولاده النصف الثاني .

مادة (١٧٧) : اذا كان لأرملة أطفال قصر ، وأرادت دخول بيت رجل ، فليس لها ذلك الا بموافقة القضاة ثم يتحرون تركه زوجها السابق ، ثم يعدون الى زوجها الثاني برعاية تركه زوجها السابق ، وتصر وثيقة بينهم وبين المرأة بهدف رعاية التركة وتربية الأطفال القصر ، وعدم بيع متاع البيت ، ذلك لأن من يشتري متاع بيت أطفال أرملة يخسر ماله ، ويعاد المتاع الى أصحابه .

مادة (١٧٨) : في حصاله الزاهية أو آل «ناديتوم» أو المذورة

{زيكروم} = (Zi - Ik - Ru - Im) التي كذب لها أبوها وثيقة عند تقديمه لباثنتها ، فإذا لم يكن الأب قد سمح لها بتوريثها لمن تشاء ، ولم يعطها مطلق التصرف بعد موته ، فإن أخوتها يأخذون حقلها وبستانها ، ولكن عليهم إعطائها ، وكذا إعطائها زيتا وملابس مناسبة تعدل قيمة نصيبها ، بحيث تبدو راضية ، فإذا لم يفعلوا ، فلها أن تحطب حقلها وبستانها إلى أي مستأجر تختاره ، وعلى المستأجر أن يرعاها ، ما دامت تستولى على ثمر الحقل والبستان أو ما منها أبوها طيلة حياتها ، دون حق التصرف بالبائع أو التوصية للغير ، لأن نصيبها يخص أخوتها من بعدها .

مادة (١٧٩) : في حالة المراجعة أو «ناديتوم» أو المنذورة ، التي كتب لها أبوها عند تقديم البائنة صكا مختوما ، وسجل في اللوحة التي كتبها موافقتها على أن تنصرف في ميراثها كما تشاء ، فلها — بعد وفاته — أن تسلم ميراثها لمن تشاء ، وليس لأخوتها حق الدعوى ضدها .

مادة (١٨٠) : إذا لم يقدم لابنته «ناديتوم» في دير أو منذورة ، فمن حقها بعد وفاته أن تأخذ من متاعه نصيبا مما كان لآي وريث : على أن تستمتع باستثماره طيلة حياتها فقط ، لأن نصيبها في الميراث إنما ملك لأخوتها بعد وفاتها .

مادة (١٨١) : إذا كرس الأب ابنته على أن تكون «ناديتوم» أو «مهره مقدسه» أو «كول شيتوم» (مقعدة) ولم يقدم لها بائنة ، فبعد موته تأخذ نصيبا من تركته ، بمقدار الثلث، على أن تستمره طوال حياتها فقط ، لأنه يخص أخوتها .

مادة (١٨٢) : إذا كان الأب لم يقدم بائنة لابنته التي نعتل «ناديتوم» في معبد مردوك في بابل ، ولم يسجل لها ونيفه مخزومه ، فلها بعد وفاة أبيها ثلث تركته ، على أن لا تترك أية حقوق إقطاعية ولكن لها حق منح ميراثها لمن تشاء .

مادة (١٨٣) : إذا حرر الأب وثيقة مختومة لابنته الكسافنة عند تقديم بانيئتها ، فمن حقها بعد موت أبيها أن تأخذ نصيبها في تركته .

مادة (١٨٤) : إذا لم يقدم الأب بانيئة لابنته الكسافنة لأنه لم يزوجه ، فعلى أخوتها - بعد موت الأب - أن يقدموا لها هدية تتناسب مع قيمة المركة التي خفيها الأب ، ويقدمونها لزوجها .

مادة (١٨٥) : إذا تبني رجل ولدا باسمه ورياء ، فإن الطفل المتبني لا يسترجع إطلاقا .

مادة (١٨٦) : إذا تبني رجل ولدا عرف أباه وأمه عند تبنيه ، فللطف أن يعود إلى بيت أبيه .

مادة (١٨٧) : الابن المتبني لموظف أو خادم في القصر أو مندور ، لا يرد إطلاقا .

مادة (١٨٨) : إذا أخذ عضو من طبقة الصناع ولدا متبني وعلمه حرفته ، فمن حقه ألا يرده أبدا .

مادة (١٨٩) : إذا لم يكن قد علمه حرفته ، فيمكن أن يعود الطفل المتبني إلى بيت أبيه .

مادة (١٩٠) : إذا لم يعتبر رجل الطفل الذي تنزه ورياء من بين أولاده ، فمن حق الطفل المتبني أن يعود إلى بيت أبيه .

مادة (١٩١) : إذا تبني رجل ولدا ثم أقام له أسرة ، ثم رزق بأولاد فيم بعد ، ورغب في إبعاد المتبني ، فلا يرد إلى أهله صسر اليدين ، وإنما يهبه ما يساوي ثلث ما يملك ، وله أن يرحه بعد ذلك ما دام لم يبعه حقل أو بستانا أو بيتا .

مادة (١٩٢) : إذا قتل متبني موظف القصر أو المتذور زأبيه أو أمه بالتبني : لست أبى أو لست أُمى ، يقطع نسائه .

مادة (١٩٣) : إذا وجد متبني القصر أو المتذور أبويه ، وكره أباه وأمه بالتبني ، ثم ذهب إلى بيت أبويه ، تنقل عيناه .

مادة (١٩٤) : إذا أعطى سيد ولده المربية ثم مات وهو تحت رعايتها ، غانته في حالة تعاقد المربية مع ابن آخر ، دون علم الأب والأم ، فعليهما أن يشتا ذلك ضدهما ، ثم يقطعان ندييهما لأنها تعاقدت مع ابن آخر دون أبيه وأمه .

مادة (١٩٥) : إذا ضرب ولد أباه نطق يده .

مادة (١٩٦) : من تسبب في إتلاف عين عضو من جماعة تبيلاء ، تنقل عينه .

مادة (١٩٧) : من كسر عظمة رجل آخر تكسر عظمته .

مادة (١٩٨) : إذا فتن سيد عين رجل من العصابة أو كسر إحدى عظامه ، يدفع له مينا من الفضة .

مادة (١٩٩) : من أفقد عبدا عينه أو إحدى عظامه يدفع نصف مينا من الفضة .

مادة (٢٠٠) : من يسقط من رجل من طبقته تكسر سنه .

مادة (٢٠١) : من يسقط من رجل من العامة يدفع ثلث مينا من الفضة .

مادة (٢٠٢) : من يلطم خد آخر أعلى منه مرتبة يجلد سنين جلدة بسوط من جلد الثور علنا .

مادة (٢٠٣) : إذا لطم نبيذ نبيذ آخر يدفع مينا من الفضة .

مادة (٢٠٤) : إذا لطم رجل من العامة خد آخر من طبقة يدفع
١٠ نواقل من الفضة .

مادة (٢٠٥) : إذا لطم عبد خد نبيذ تصلم أذنه .

مادة (٢٠٦) : إذا ضرب رجل في معركة رجلا آخر فأسابه : فعليه
أن يقسم ثلاثا : أنا لم أضربه عمدا ، وعليه أيضا أن يدفع أجر الطبيب .

مادة (٢٠٧) : إذا مات بسبب الضربة فيقسم بحسن القسم : فإذا
كان من النبلاء يدفع نصف مينا من الفضة .

مادة (٢٠٨) : إذا كان من العامة يدفع نصف مينا من الفضة .

مادة (٢٠٩) : إذا ضرب رجل ابنة رجل آخر وأجهضت يدفع ١٠
نواقل من الفضة بسبب إجهاضها .

مادة (٢١٠) : إذا ماتت المرأة قتلت ابنته .

مادة (٢١١) : إذا وقعت الإصابة على ابنة رجل من العامة يدفع
٥ نواقل من الفضة .

مادة (٢١٢) : إذا ماتت هذه المرأة يدفع نصف مينا من الفضة .

مادة (٢١٣) : إذا ضرب أمة فأجهضها يدفع ثلثين من الفضة .

مادة (٢١٤) : إذا ماتت الجارية يدفع ثلث مينا من الفضة .

مادة (٢١٥) : إذا بشر مبيع عملية كبيرة نرجس بسلاح من البرونز
فأفقد حياته . ثم فنج خراجها بعين رجل بسلاح من البرونز فأفقد
العين . فأجره عشرة نواقل من الفضة .

مادة (٢١٦) : إذا كان من انعامه يأخذ ٥ شواقل •

مادة (٢١٧) : إذا كان عبداً فإن صاحب العبد يعطي شاتلين للصليب •

مادة (٢١٨) : إذا أجرى طبيب عملية كبيرة لسيد بآلة برونزية وسبب وفاة السيد : أو فتح خراجاً في عينه فأنفها : تقطع يده •

مادة (٢١٩) : إذا أجرى طبيب عملية كبيرة لعبد بآلة برونزية : وسبب وفاته : يدفع التعويض عبداً بعبد •

مادة (٢٢٠) : إذا أجرى العمية على عين العبد بآلة برونزية : فأنفها : يدفع نصف ثمنه بالفضة •

مادة (٢٢١) : إذا أصاب طبيب عظمة مكسورة أو شفى تمزقاً عصبياً : يدفع المريض ٥ شواقل للطبيب •

مادة (٢٢٢) : إذا كن ابن شخص من الانعام يدفع ثلاثة شواقل من الفضة للطبيب •

مادة (٢٢٣) : إذا كن عبداً دفع صاحبه شاتلين من الفضة للطبيب •

مادة (٢٢٤) : إذا قام طبيب بيطري بإجراء عتبة كبيرة لثور أو حمار : وأنقذ حياته : يدفع صاحبه الطبيب البيطري سدس ثمنه من نفسه •

مادة (٢٢٥) : إذا أجرى عملية كبيرة لثور أو حمار وتسبب في موته يعطي صاحب الثور أو الحمار سدس ثمنه •

مادة (٢٢٦) : إذا مما رجل ممن يقومون بالوشم علامة عبداً لرجل آخر : دون موافقة صاحب العبد : تقطع يده •

مادة (٢٢٧) : إذا خادع رجل أحد المختصين بتوشم بحيث أزاله علامة العبد من عبد لرجل آخر ، يقتل ذلك الرجل ، ويعلق على باب بيته ، ويقسم المختص بالتوشم قائلا : أنا لم أقم بأزالة الله عن علم ، ثم يطلق سراحه .

مادة (٢٢٨) : إذا بنى بقاء لرجل بيتا وأنجزه له ، يعطيه شياطين من الفضة لكل «سار» Sar من البيت (والسار $\frac{1}{2}$ ٤٢ ياردة مربعة) أجر له .

مادة (٢٢٩) : إذا قام ببناء بتشييد البيت ، ولكنه لم يقم بعمه جيدا ، فانهار البيت الذي بناه ، وتسبب في وفاة صاحب المنزل ، يعدم البناء .

مادة (٢٣٠) : إذا تسبب في وفاة ابن صاحب البيت ، يعدم ابن البناء .

مادة (٢٣١) : إذا تسبب في موت عبده ، يعرضه بعيد لصاحب البيت .

مادة (٢٣٢) : إذا تسبب في ائتلاف متاع فيعوض كل ما ألتف ، وإذا لم يقم البيت مدينا فانهار ، يعيد البناء البيت الذي انهار على نفقته .

مادة (٢٣٣) : إذا بنى بقاء بيتا لرجل ، ولم يكن عمله مأمورا بحيث أصبح الحائط خطرا وغير مأهون ، يدعم الحائط على نفقته .

مادة (٢٣٤) : إذا صنع مراكبي مركبا لرجل سعته ٦٠ كورا ، فأجره شياطين من الفضة .

مادة (٢٣٥) : إذا صنع المراكبي المركب ولم يقم بعمه جيدا بحيث تنكك أحد أقواله في نفس السنة ، ثم ظهر أن هذا العيب من المراكبي ، ففك المراكبي القارب وبقوه على نفقته ، ويسلمه لصاحبه .

مادة (٢٣٦) : إذا أجز سيد مركبه مراكبي وأعمل المراكبي بهيئ
تغرق أو غاص ، يعرض صاحب المركب بآخر .

مادة (٢٣٧) : إذا استأجر سيد مركباً وجعلها بالحبوب والمصوف
والزيت والفلج أو أي نوع من أصوله : ثم أهمل المراكبي حتى غاصت
المركب وخافت هولته : يعرض المراكبي صاحب الحموله بمقدار
ما غصى ولم يغرق .

مادة (٢٣٨) : إذا أغرق مراكبي مركب رجل آخر : ثم أعاد تعويمها
بدفع نصف قيمتها فضة .

مادة (٢٣٩) : إذا أجز سيد مراكبياً : يدفع له ٦ كور من الحبوب
في السنة .

مادة (٢٤٠) : إذا اصطدم قارب تجوف بمركب شراعي وأغرقها :
فعلى صاحب المركب المخارطة أن يقدم التفصيلات في حفرة لاله بما فقد
من المركب : وعلى صاحب قارب التجديف أن يعرض صاحب المركب عن
بصاعده المفقوده .

مادة (٢٤١) : إذا احتجز سيد ثورا كرهينة بدفع ثلث مبنا من
الفضة .

مادة (٢٤٢ - ٢٤٣) : إذا استأجره رجل لثور عام : يعطى صاحبه
٤ كور من الحبوب كالجار ثور انجر : ٣ كور من الحبوب كالجار ثور
لثد الصغير .

مادة (٢٤٤) : إذا استأجر سيد ثورا : ثم قتله أحد في اللحد :
فن الإشارة تعود على صاحبه .

مادة (٢٤٥) : إذا استأجر سيد ثورا : ونسب في موته بهماله بآء
أو صريه : يعرض صاحب الثور بثور آخر .

مادة (٢٤٦) : إذا استأجر سيد ثورا ، ثم كسر قدمه أو أحدث
تطوعا في غصلة رقبعته ، يعوض صاحب الثور بثور آخر .

مادة (٢٤٧) : إذا استأجر سيد ثورا ، ثم تلف عينه ، يدفع
لصاحب الثور نصف قيمته فضة .

مادة (٢٤٨) : إذا استأجر سيد ثورا ، ثم كسر قرنيه أو قطع ذيله
أو أصاب لحم ظهره ، يدفع ربع قيمته فضة .

مادة (٢٤٩) : إذا استأجر سيد ثورا ، ثم ضربه الآلهة غمات ،
غمشجر الثور يثبت ذلك عن طريق الآلهة ثم يطلق حرا .

مادة (٢٥٠) : إذا نطح ثور رجلا أثناء سيره في الشارع ، غمت
الرجل ، فلبس الأمر موضوع دعوى .

مادة (٢٥١) : إذا كان هناك ثور لرجل معروغ بالنطح ، وأخطره
مجلس مدينته بذلك ، ولكنه لم يخفف قرنيه أو يربطه ، ثم نطح الثور
نيلا فمات ، يدفع نصف ميثا من الفضة .

مادة (٢٥٢) : إذا كان المقتول عبدا ، يدفع ثلث ميثا من الفضة .

مادة (٢٥٣) : إذا استأجر سيد رجلا لبشره على حقوله ، وأقرضه
حبوبا ، وعهد إليه بالنمير ، وتعاقد معه على زراعة الحقل ، ثم سرق
الرجل الحبوب أو العلف ، ثم وجدت مع متعلقاته ، يعطى يده .

مادة (٢٥٤) : إذا اختلس حبوب الاطعام فجاعت البيران ، يعوض
بمقدار ضعف ما أخذ من حبوب .

مادة (٢٥٥) : إذا أضر تيران الرجل أو سرق حبوب البذر ، وباتتالي
ثم يزرع الحقل ، يثبت الأمر ضده ، وفي موسم الحصاد يكيل ٦ كورا
من الحبوب لكل ١٨ ايكو .

مادة (٢٥٦) : إذا لم يكن قادرا على الوفاء بالتزاماته ، يؤخذ به إلى الحبس ، حيث تجره اللوائح .

مادة (٢٥٧) : إذا استأجر سيد مزارعا ، يعطيه ٨ كورا من الحبوب كل عام .

مادة (٢٥٨) : إذا استأجر راعي غنم ، يعطيه ٦ كورا من الحبوب كل عام .

مادة (٢٥٩) : إذا سرق رجل مهرانا من حقل ، يدفع ٥ شواقل فسخ لصاحب المحراث .

مادة (٢٦٠) : إذا سرق ثداه بذر ، أو تقلب أرض ، يدفع ٣ شواقل من الفضة .

مادة (٢٦١) : إذا استأجر رجل راعيا لرعي غنمه أو معزاه ، يعطيه ٨ كورا من الحبوب كل عام .

مادة (٢٦٢) : ١٠٠٠ تالفة .

مادة (٢٦٣) : إذا كان قد فقد ثورا أو معزة ، يعرض الثور بالثور والمعز بالمعز لصاحبها .

مادة (٢٦٤) : إذا كان الراعي الذي عود إليه بالماشية أو النعاج متزعم قد سلب ثجره كاملا ، وبقي وضه ، ثم ترك الماشية والنعاج متناقص . فقلل بذلك النسل ، يعطى لصاحبها زيادة وربحها طبقا لشروط العقد .

مادة (٢٦٥) : إذا كان الراعي الذي عهد إليه بالماشية أو النعاج متزعم قد أصبح غير أمين ، ثم غير علامات الماشية أو باعها ، يثبت ذلك ضده ، ويعرض الماشية أو النعاج لصاحبها عشرة أمثاله .

مادة (٢٦٦) : إذا حدثت زيادة أنه لقطيع ، أو فنن أسد بعضه ،
يبرئ الراعي نفسه في حضرة الآله ، ولكن صاحب الماشية يأخذ منه جثة
الحيوان الذي ضرب من بين أفراد القطيع .

مادة (٢٦٧) : إذا أهمل راع بحيث ترك العرج يدب في القطيع ،
يعوز صاحبيا بمقدار الخسارة عن طريق العرج .

مادة (٢٦٨) : إذا استأجر سيد ثورا للدرس والمثلية يدفع ٣٠ قو
من الحبوب .

مادة (٢٦٩) : إذا استأجر سيد حمرا للدرس والمثلية يدفع ١٠ قو
من الحبوب .

مادة (٢٧٠) : إذا استأجر سيد نعجة للدرس والمثلية يدفع ١ قو
من الحبوب .

مادة (٢٧١) : إذا استأجر شيرانا أو عربة ومثقا للعربة يدفع ١٨٠ قو
عن اليوم الواحد .

مادة (٢٧٢) : إذا استأجر سيد عربة وحدها يدفع ٤٠ قو عن اليوم
الواحد .

مادة (٢٧٣) : إذا استأجر سيد عاملا ويعطيه مائة من الفضة عن
اليوم الواحد منذ بداية السنة حتى الشهر الخامس ، ومن الشهر
الخامس إلى نهاية السنة يدفع مائة من الفضة عن اليوم الواحد .

مادة (٢٧٤) : إذا استأجر سيد صائغا يدفع له يوميا كأجر :
٠٠٠ مائة من الفضة ، وكأجر لصانع الطوب مائة من الفضة ، وكأجر
للنجاج مائة من الفضة ، وكأجر لصانع الاختام مائة من الفضة ،
من الفضة ، وكأجر للجوهري مائة من الفضة مائة من الفضة (الاجور
غير مبنية) .

مادة (٢٧٥) : إذا استأجر سيد قارباً طويلاً : يدفع ٣ سيات من
الفضة عن اليوم الواحد *

مادة (٢٧٦) : إذا استأجر سيد قارب تجديف يدفع $2\frac{1}{4}$ سيات من
الفضة عن اليوم الواحد *

مادة (٢٧٧) : إذا استأجر سيد مركباً سمته ٦٠ كورا ، يدفع سدس
ثاقل من انقضة عن اليوم الواحد *

مادة (٢٧٨) : إذا اشترى سيد عبداً أو أمة ، ولم يمض شهر ثم
أصيب بمرض ، يعيده إلى بائعه ، ويسترد مثله الذي دفعه *

مادة (٢٧٩) : إذا اشترى سيد عبداً أو أمة : ثم تلقى دعوى ضد
أحدهما ، فالبايع هو المسئول عن الدعوى *

مادة (٢٨٠) : إذا اشترى سيد في بلد أجنبي عبداً أو أمة : ثم عاد
إلى بلده ، فتعرف صاحب العبد أو الامة على عبده أو أمته ، فإذا كان
العبد أو الامة من أهل البلد ، يحرران دون مال *

مادة (٢٨١) : إذا كانا من أهل بلد آخر ، يقرر المشتري أمام الاله
مبلغ ما دفعه ، ثم يعطى صاحب العبد أو الامة للتاجر ما دفعه من
مال ، وهكذا يشتري حرية عبده أو أمته *

مادة (٢٨٢) : إذا قال عبد لسيده : لست سيدي ، يثبت سيده أنه
عبد ، وعنفذ تحلم أذنه (٨٢) *

(٨٢) انظر : نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٥٢ - ٨١ (وقد
اعتمدنا عليه كثيراً) ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٦١ - ٤٦٨
طه باقر : المرجع السابق ص ٢٩١ - ٢٩٩ ، أحمد فخري : المرجع السابق
ص ٢٥ - ٤٠ ، عبد الحبيب زاهد : المرجع السابق ص ١٨٢ - ١٨٤ ، جورج
ساربون : المرجع السابق ص ١٩٨ - ١٩٩ ، سينيئو موسكني : المرجع
السابق ص ١٠٩٦ ، هورست فوجل : المرجع السابق ص ١٣٩ - ١٩٣ ،
=

(٥) خلفاء حمورابي :

جاء بعد حمورابي وابنه «سمو ايلا» (Samsi-luna) ، وقد آتت الرمال من عصره أنه كان يشرف اشراقا مباشرا على الموظفين الاداريين والقضائيين في المدن البعيدة عن العاصمة بابل ، ويبدو أن السنوات الثمسانية الاولى من عهده مرت بسلام ، فلم تتر فيها القلاقل ، ولم تبد في الافق خلالها معالم اضطراب ، فجنح الى التعمير بشق قناتين في عام حكمه الثالث والرابع ، وفي غنى الوقت اعتنى كثيرا بتجميل المعابد الكبرى وترتيبها ، وخاصة في بابل وسيعار .

هذا وينسب اليه أيضا أنه أعفى سومر وأكد من الضرائب في العلم لتأني لحكمه ، وقد يعنى ذلك أنه أعفى المولدين من متأثرات الضرائب بمناسبة اعتلائه العرش ، كما عمل على اعادة سلطان بابل على الطريق التجري الى سورية ، عن طريق الفرات ، وذلك ليعرض مصائره في الجنوب ، حتى ايشار — في نص من عام حكمه السادس والعشرين — لى أنه قد أضر كتلة من الحجر ، يرجح البعض أنها من لبنان ، وغد ثقلها على صول الطريق البري الى الفرات حتى بابل .

-
- وكذا :
 Th. J. Meek, The Code of Hammurabi, ANET, P. 161-166.
 G. R. Driver and T. C. Miles, The Babylonian Laws, I, Legal Commentary, I, II, Oxford 1933-1956.
 R. F. Harper, The Code of Hammurabi, London, 1934.
 J. Nougayrol, in RA, XLV, 1951, P. 67-79.
 W. Eilers, in Der Alte Orient, 31, 1931.
 A. Deimel, Codex Hammurabi, 1929 (2nd ed by R. Bigman 1953).
 T. J. Meek, The Agydston Clause in The Code of Hammurabi, JNES, 5, 1946, P. 64-72.
 G. Roux, Op. Cit., P. 189-194.
 D. J. Wiseman, The Laws of Hammurabi again, in ISL, 7, 1962.

ولعل من الأهمية بمكان الالتفات إلى أنه كان على «سمو إيلونا» أن يواجه المتاعب التي قامت في دولته في أعقاب موت أبيه حمورابي ، وهي المتاعب التي لم تهدد عرشه فحسب ، بل حددت كيان الأسرة والدولة معاً ، غلمرة الأولى نسمع عن الكاشيين أو الكاسيين (The Kassites) يغيرون التلطل على حدوده الشرقية ، ثم سرعان ما هاجموا بلاد بابل بعد وفاة حمورابي بغرة وجيزة ، بقيادة ملكهم ((جنداش)) (Gandash) ، ورغم أنه أوقع الهزيمة بهم ، فيما يزعم — غير أن بروزهم من سفوح مرتفعات عيلام الغربية ، ثم وصولهم إلى إقليم بابل ، إنما يمثل نذير شؤم يضياع الامبراطورية ، فقد بدأوا يتسربون على مدى قرنين كعمال ، حتى استطاعوا آخر الأمر أن يكونوا أصحاب السلطة في بابل .

على أن الأمر لم يقتصر على ذلك وإنما كان على «السمو — إيلونا» أن يواجه ملك لارسا «ريم سين» حشم أبيه المعيد (أو من ادعى أنه ريم سين) ، والمحرخ على الثورة في منطقة «ايموتيسال» (Imutisal) — منطقته الأصلية — وقد انتهز فرصة تقدم الكاشيين ليثير الفاضل في جنوب بابل ، وقد نجح . كما يتبين — في الاستيلاء على اللوكاء وايسين ، كما يبدو كذلك أن الحامية البابلية في لارسا غلبت على أمرها ، ومن ثم فقد استعادت الأخيرة استقلالها . وهكذا كان على «سمو — إيلونا» أن يستعيد لارسا ، وأن يقبض على عدوه ، بل أنه إنما ذهب بعيداً حيث أحرق «ريم سين» في قصره القديم .

ولعل أبرز المتاعب التي واجهت «سمو — إيلونا» إنما كانت ثورة القطر البحري «نزع» (نابوما اليوم) (Numa - Num) الذي أعلن استقلاله في إقليمه الواقع حول الخليج العربي ، وخروجه على

سلطان بابل ، وقد حاربه جيوش «سمسو - ايونبا» ، ولكن دون نتيجة حاسمة (٨٢) .

٢ - وجاء بعد «سمسو - ايونبا» ولده «ابي - ايشو» (Ibi - Esbu) الذي سمى على وضع نهاية لأسرة القطر البحري ، ولكنه لم يفلح ، ولم تحك أية وثيقة من «مدينة أور» تحمل اسمه ، مما يدل على استمرار انحصار أور عنه ، كما أنه فقد منطقة الفرات الأوسط إلى ظهور «هانة» (Hana) - وهي عانة الحالية على الفرات - على بعد ٣٢٠ كيلا من بابل - كما عاود الكاسيون الغزو دون جدوى ، ومن ثم فقد كثفوا تغلبهم السينى في البلاد كمناع وأصحاب حرف (٨٣) .

٣ - وجاء بعده ولده «امي ديتانا» (Amiditana) الذي بذل جهده في تحصين مرافق البلاد ، غشقت قناة أسماها باسمه ، وسيد حصونا وقوى أسوار المدن ، وبنى قصورا في ضواحي بابل ، وأتته ضد جيوش القطر البحري التي هدها ضد معاصره الملك «دامق ايلينسو» ، كما استعاد مدينتي نمر وايسين ، بل إن هناك وثيقة ترجع إلى عام حكمه السابع والثلاثين تتحدث عن تدمير أسوار ايسين ، وقد يعنى ذلك اختراقه الاتليم إلى جنوب نيبور ، ومن ثم فقد أصطفح لقب «ملك

(٨٢) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٩٩ - ٢٠٠ ، وكذا

G. Roux, Op. Cit., P. 224-225.

C. J. Gadd, Hammurabi and The End of His Dynasty, in CAH. II, Part, I, Cambridge, 1973, P. 220-223.

L. W. King, Chronicles Concerning Early Babylonian Kings, II, London, 1907, P. 210.

A. Ungnad, in RLA, II, P. 182-192.

S. I. Feigin, and L. Berger, in JNES, 14, 1955, P. 146 F.

(٨٤) سامي سعيد الاحمد : العصر البابلي القديم - كتاب العراق

في التاريخ - بغداد ١٩٨٣ ص ٩٨ ، وكذا

Georges Roux, Ancient Iraq, (Penguin Books), 1980, P. 225.

سومر وأكد» ، مجددا ذلك التلقب القديم - مما يرجح أنه قد استعاد مؤقتا بعض السلطان الذي كان يذوب ويضمحل .

٤ - وجاء بعده وبنده «أمي - صادوقا» (Ammi - Saduqa) :
وقد أهتم بأحوال السكان : وخاصة الأشراف ، وأعضاء بعض مواطنيه من الديسون : كما دون نسا شروق وأنول كوكب الزهرة التي كانوا يستعملونها في تفسير الأفال ، وربما في التقويم لضبط أوقات الأعياد والمناسبات الدينية : وهناك رسالة إلى «أمي - صادوقا» من أحد موظفيه الكبار في «سيير» : يبدو أنها في أكبر الظن ، كانت اجابة على رسالة بعث بها اذك نفسه ، تتحدث بالصعوبات التي كانت تلاقيها الادارة في جمع الضرائب .

٥ - وكان «سوسو - ديتانا» (Samsu - Ditana) : آخر ملوك أسرة نبيل الاولى : والذي «لث أخبار عهده ، ما عدا هدايا السخبة إلى المعابد البابلية التي تسجلها عدة نصوص» (٨٥) .

وعلى أية حال ، فلقد صرف حلفاء حمورابي مهمهم - بمهمة عامة - إلى رعاية المعابد والمعبودات : أكثر من اهتمامهم بالانصروب شأن أسلافهم . وهذا إلى عبادة ديواتهم . وإلى تأليه شخص الملك : ووضع تماثيل له في معابد الآلهة في بابل وسينار وغيرهما : فضلا عن تقديم البهائم السحابة المعبودات : ولا ريب في أن هذا كله إنما يسير إلى تروية بابل الطائفة ، التي لا ترجع إلى ممتلكاتها الواسعة التي اختزلت ، يفكر ما ترجع إلى قوسها المتجذري : وتجارتها النشطة في هذا البدين ، فعبلا من ناحية : وسورية من ناحية أخرى : إنما كانتا مصدر وإردات من الاحجار الكريمة والمعادن والاشغال : وقد انعكس هذا البراء على

(٨٥) منعى بعد الاحمد : المرجع السابق ص ٩٨ - ٩٩ : وكذا
F. Thureau - Dangin, R.A. 39, P. 10 F.
S. Perin and B. Landberger, in JNES, 14, 1955, P. 146 F.
G. Reux, Op. Cit., P. 225

الاعمال والمنافع العامة من شق القنوات والتمهيد ، خاصة فيما يتعلق
بمعابد الآلهة^(٨٦) .

(٦) نهاية أسرة بابل الاولى :

تسلم ملك الحيثيين «موسيليس الاول» (١٦٢٠ - ١٥٩٠ ق.م) بالهجوم على مملكة «يمخد» (Yamhad) وعاصمتها «حلب» (Aleppo) التي كانت في ذلك الوقت تسيطر على شمال سورية ، ثم اتجه جنوبا على انهرات وانتقل على مملكة بابل الآشورية العظيمة ، فانهارت أمامه ، وتصف الاسفار البابلية هذا الحدث - نهاية الأسرة البابلية الاولى - بهذه الكلمات «أنى سمعو ديتانا ، زحف رجال حاتى ، وزحفوا الى بلاد أكد»^(٨٧) و قد ربط هذا الانتصار العظيم ، ثبت التاريخى الحثى ربطا وثيقا بالثبوت التاريخى البابلى ، وان كان هذا الأخير مازال موضع خلاف ، وقد يكون أرجح الآراء أن فتح الحيثيين لمدينة بابل ، إنما كان بعد عام ١٦٠٠ قبل الميلاد بقليل ، ومع ذلك فإن البعض إنما يقدمون أو يؤخرون هذا التاريخ قرابة ستين عاما^(٨٨) .

وأيا ما كان الامر ، فما يزال الباحثون لا يعرفون الاسباب التي أدت الى أن - بين الحديثين أكثر من ٨٠٠ كيلا على طول انهرات ، دونما أية مقاومة تذكر ، وأن يحتلوا بابل - إحدى أكبر مدن العالم وقت ذاك - وربما دعا الكاشيون الحيثيين لمعاونتهم في الهجوم على بابل والمشاركة في المنزعم ، وقد ذهب البعض الى أن هدف الملك الحيثى إنما كان مدافعة الكاشيين لايقات الزحف انحورى ، وربما كان الهجوم الحيثى على بابل لا يعمدو أن تكون غايته السلب والنهب .

على أن المؤرخين ثم يتوصلوا بعد الى الطريقة التي سقطت بها بابل سرا لا المتخرفة التي استغرقها بقاء الغزاة الجدد في بابل ، هذا الى أن

(٨٦) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

(٨٧) O. R. Gurney, The Hittites. (Penguin Books), 1969. P. 22-24.

الآثر المعروف باسم «أسد بابل» - وغد عثر عليه في الطبقة التي تتصل بعصر نبوخذ نصر الثاني (٦٠٥ - ٥٦٢ ق.م) في بابل - ربما تركه الحيثيون كرمز يصورهم على هيئة أسد راسخ على رجل آخر سفل المدينة المنحوبة على أمرها بابل ، ولعل في مشابهة هذا الأسد لغنوم نحت التي تركها الحيثيون في مواقعهم بآسيا الصغرى ، ما يؤيد وجهة النظر هذه .

هذا وقد حاول الحيثيون أن يتوسعوا في جنوب بلاد الفيرين . ولكن وقفت في سبيل ذلك دولة البصر الناشئة ، وكسرت نهمهم : (أسيد) وقد بعدت الشقة الارضية بينهم وبين مواقعهم في آسد الصغرى . ولهذا لم يجد التاريخ بأسا في أن يصفى لدولة البصر بذكرى طيبة . فالدق على أسرتها المحكمة اصطلاحا اسم «أسرة بابل الثانية» .

وعلى أية حال ، علم بين «هورميسس الأول» (Mursilis I) في بابل طويلا ، فسرعان ما رجع إلى بلاده حين علم بنبأ ثورة شمت خنزه في عاصمته (بوغاز كوى) : وقد حمل معه تمثالى الآله مردوك وبروجنه الآلهة «سربانيتوم» (Sarpantimo) : التدين تركهما عند مدينة «عانة» على الفرات : وترك بابل فريسة سهلة للتكسعين الذين سرعان ما احتلواها في عام ١٥٩٥ ق.م ، وبالقلى فقد «اسموا» ديتاما» غنسه . وربما حياته .

(٨٨) سامى سعيد الاصمط : المرجع السابق ص ٩٩ - ١٠٠ ، وكذا
 Sam. J. J. Finkelstein in R.A. LXIII, 1969, P. 45-64.
 F. Thureau-Dangin, Op. Cit., P. 3 F.
 G. Roux Op. Cit., P. 223-226.
 U. R. Garey Op. Cit. P. 24.
 وكذا
 وكذا
 وكذا

الفصل الثاني

المسرات الباطنية من الثانية الى الرابعة

أولاً : أسرة بابل الثانية (أسرة القطر البحري الأولى)

نشأت أسرة القطر البحري في السواطيء الشمالية للخليج العربي ، وحكم ملوكها «نمساك» مدى ٣٦٨ عاماً ، وقد جسدت أسماؤهم في بعض القوائم كعشر ملوك ، وفي بعض القوائم الأخرى كأحد عشر ملكاً^(١) . ولعل هذا تجدد الإشارة إليه أن الأسماء الثلاثة الأولى - وكذا الاسم الحادي عشر - أسماء سامية ، وأما ما عداها فأسماء سومرية ، وقد يكون لهذا دلالة : أن تبدأ الأسرة بملوك ساميين ، وتنتهي بملك سامي ، وفيما بينهم ملوك سومريون يرتبطون ببعضهم البعض من غير شك . وقد يوحى ذلك بأن النشأين - السامي والسومري - قد اتسما في تكوين الأسرة واستمرارها على هذه الصورة ، بل ربما قد يشير ذلك إلى أن الملوك إنما كانوا خليطاً من زدهرى السومريين ، ومن قبائل أمورية مهاجرة . وعلى أية حال ، فإن الأسرة إنما قد عرفت باسم أسرة «ثنى كوء» ، وهو اسم سومري حاول بعض المؤرخين أن يربطه بالوركاء ، وداول البعض الآخر أن يربطوه ببابل^(٢) .

وكان أول ملوك الأسرة «أيلوما نيو» (Ilu-ma-Nu) ، الذي أعلن انفصاله عن دولة حمورابي مكونة دولة في الأجزاء التي استقل بها . وهذا ابن حمورابي وخليفته «شمسو أيلونا» في زواجه إلى حفيدة الدولة ، لأن الحملة التي قادها ضد هذا الثغر باءت بالفشل ، ولم يهتم «شمسو أيلونا» بالعودة مرة أخرى لإجبار الثور على الطاعة ، فضلاً عن

(١) ملوك أسرة القطر البحري الأولى هم : ١ - إيسوء - نيو
٢ - ننى - نينى - ٣ - دمتى أيلينو - ٤ - شكيل - ٥ - موبى
٦ - جوجيشور (كوليتشور) - ٧ - بشكالدارماس - ٨ - دوز - ٩ - كذات
١٠ - أكورولنا - ١١ - ملاكوركوزا - ١٢ - أيا - كاميل - ١٣ - حاصل
أبو أوبنهم : بلاد ما بين النهرين ص ١٤٤
(٢) شبيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٠٣ - ٢٠٤ ، عند التعزيز
صالح : المرجع السابق ص ٤٨٢

وتفوق عدة ثورات في أعقاب موت حمورابي ، كما حدث في لارسا وأور والوركاء ، الى جانب المتمردين الذي ظهروا في ذلك في المناطق النائية ، بل ان هناك ما يشير الى ثورة قامت في بابل نفسها ، استهدفت تنصيب غيره على العرش في العام الرابع عشر من الحكم ، وان نجح في القضاء عليها * .

وهناك نص يرجع الى العام العشرين من حكم «سمسو البونسا» يفاخر فيه بأنه أخضع «الأرض الثائرة» (إقليم البصرة في الأغلب) ، الأمر الذي يدل على أن حملة أرسلت الى هناك ، وربما كان النصر حليفه فيها ، وان لم يكتب له فيها نصرا مؤزرا ، غطت المنطقة في إقليم القطر البحري ، بمستقعاتها وظروف سكانها ، انما تجعل الحاكم في بابل يرضى بمظهر التمر والخضوع الاسمي ما دام لا يستطيع أن يباشر سلطانا فعلي عليها ، وحتى تحقيق ذلك الامر لم يتم على الصورة المرجوة * .

ولما ما كان الامر ، غلقت نجح «أيلوما اليو» في أن يقود ثورة جديدة ناجحة ، استطاع بعدها أن يقيم دولة مستقلة في هذه الأرجاء — هي دولة القطر البحري — وأن يضم اليها لارسا ، فضلا عن «نيبور» العاصمة الدينية القديمة (٣) * .

وجاء بعد ذلك «أني — أيلي — نيبى» : ثم «دمقى إيليشو» ، وفي عهد حاول الملك البابلي «دمى — ديتانا» استرجاع الجنوب ، فقام بحملة استعاد فيها مدينتي «تفر» و «أيسين» : بعد أن دمر أسوار المدينة الأخيرة ، غير أن «دمقى إيليشو» سرعان ما استعادها مرة ثانية * .

ولمنا نعرف شيئا بعد هذه المرحلة عن سير الأمور في القطر البحري : وكل ما وصل إلينا أن انهيار الأسرة انما قد تم في انصر الكاسي ، ويبدو أن «أيا — جميل» لم يكن أول حاكم الكاسيين ،

(٣) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٠١ - ٢٠٢ ، ص ١٤٧ .
الدمقى : المرجع السابق ص ٩٧ .

وقد نسبت إليه الحوليات مهاجمة صيلاهم : ومع ذلك ففسد استمر الكاسيون بوجهين عجمائيم انى دولة القطر البحرى : حتى قضا على استقلالها على أيام ملكهم «أجوم» الذى نجح فى الاستيلاء على «دوربا» - «أبا» وعلى أهم المدن هناك - ان لم تكن هى العاصمة - وتدمير معبد «ايا» المعبود الرئيسى على الاغلب *

وعلى أية حال ، فقد عاصرت أسرة القطر البحرى ، أسرة بابل الاولى ، منذ عهد ملكها السابع - وربما الثامن - كما عاصرت الأسرة الكاسية فى قرابة نصف عهدها الاول ، ولعل مما تجدر الإشارة إليه أن هناك من يذهب الى أن أسرة القطر البحرى هذه : ليست أسرة بابلية : رغم أنها تعرف أحيانا باسم «أسرة بابل الثانية» - ونشطت القول - كما نرى من قبل - أن جنبا من شعب أرض البحر ، إنما كان ساميا : وأن الجانب الآخر كان سومريا ، وأن ذلك الامتزاج بين الفريقين إنما تم قبل قيام الأسرة بزمن طويل ، وفى أكبر النظم أن السومريين - بعد انهيارهم -- إنما قد تحركوا الى هذه المنطقة فى جنوب العراق القديم ، حيث جمعوا قواعم ، وهددوا الأسرة الامورية *

وهناك ما يشير الى أن «أينوما البو» إنما كان يزعم أنه من سلالة «دمى اينيشو» - آخر ملوك أسرة امين ، ولعل الاحتفاظ بهذه الفكرة - فضلا عن الاصرار عليها - إنما يعدو واضحا فى أن نال ملوك أسرة القطر البحرى ، قد أطلق على نفسه نفس الاسم الذى يزعمون أنهم من سلالة (دمى اينيشو) ⁽¹⁾ *

٤١ : محبب مسخنتين : المرجع السابق ص ٢٠٦ - ٢٠٧ ، ساسى
الاحمدى : المرجع السابق ص ٩٨ : عهد تعزيز صالح : المرجع السابق
ص ٤٨٢ - ٤٨٣ ، وكذا

A. L. Oppenheim, in ANET, 1966, P. 267.
L. W. King, Op. Cit., P. 21-22.

ثانيا : أسرة يابل الثالثة - أو العولة الكاشية

(١) تقديم :

شهد القرن الثامن عشر قبل الميلاد هجرات واسعة من أواسط آسيا ، فاندحرت قبائل كثيرة في أوقات متفولة ، كانت كلها قبائل غير متقدمة في حضارتها ، بدوا رحلا من الجنس «الهندو - أوربي» أو الآري ، نزلوا بنسبهم وأطفالهم وأمتعتهم وحيواناتهم ليستقروا في البلاد التي تفيض بالخير إلى الجنوب منهم ، في مناطق آسيا الصغرى وشمال بلاد النهرين وفي سورية وسهل مصر ، وقد عرفت هذه القبائل بعد استقرارها في كل قطر ، من هذه الاقطار باسم خاص ، فعرفوا في آسيا الصغرى باسم «الخشنيين» ، ثم باسم «الحيتيين» ، وعرفوا في المناطق الشمالية الغربية من نهر الفرات باسم «الأوريين» أو «الخوريين» ، وعرفوا في مرتفعات بلاد النهرين باسم «الكابيين» أو «الكناسيين» ، بل ان فريقا من هذه القبائل وصلت إلى البلقان ، أما عن طريق الدوران حول البحر الاسود : وأما عن طريق البسغور والدرجديل ، فأحدثت كثيرا من عدم الاستقرار هناك ، ولم يقف أمر تلك الهجرات عند هذا الحد ، بل نزل بعضها في مناطق سورية وفلسطين ، وبعد أن استقروا فيها بعض الوقت وامتزجوا بأهلها ، اتخذ هذا الخليط من الناس طريقه غربا إلى مصر ، فاستولوا على الدلتا ، وعرفوا باسم «الهكسوس»^(٥) .

وهكذا انتشرت الاضطرابات في غربى آسيا ، وزاد الطين بلة بالنسبة إلى بلاد النورين ومجاوراتها غربا ، أنها كانت تمر بفترة عصيبة ، وتقدم لنا سجلات مدينة «مارى» الشهيرة بعض الاقصاء على التاريخ السينى للمنطقة في منتصف القرن الثامن عشر قبل الميلاد ، فلو قد جاء في رسالة إلى «زعرى ليم» حاكم مارى من أحد أعوانه - وقد أشرنا إليها من قبل - .

(٥) انظر عن الهكسوس (محمد بيومى مهران : حركات التحرير في عصر القديمة - القاهرة ١٨٧٦ ص ١٠١ - ٢٢٣) .

«ليس هناك ملك بقادر على أن يقول أنه أقوى الملوك ، ذلك لأن عشرة أو خمسة عشر ملكا يتبعون حمورابي ملك بابل ، ومثل هذا العدد يتبعون «يريم سين» ملك لارسا ، ومثل هذا العدد يتبعون «ايال بي ايل» (اييل) ملك اشنونا ، ومثل هذا العدد يتبعون «أموت بي ايل» ملك خلفة ، وعشرين ملكا يتبعون «يريم ليم» ملك يمشد»^(٦) .

غير أن هذا التوازن بين قوى تتكون من عدد صغير من الدول بصورة ما ، لم يستمر طويلا ، وذلك حين نجح حمورابي في هزيمة لارسا وملرى ، وربما قد حكم آشور لفترة قصيرة ، ثم سرعان ما يتغير الموقف حين يهيئ الكاشيون إلى المسهل من الجبال الشرقية ، ويدعمون حكمهم في الجانب الشرقي من بابل ، ويجيء الحوريون إلى آشور ، ولم يمض طويل وقت حتى يصبحوا غصرا سياسيا هاما هناك ، وسرعان ما اتجهوا نحو الجنوب الشرقي ، وهاجموا «ألااخ» عاصمة يمشد ، ومن ثم فقد بدأت الاضطرابات تنتشر في سورية من جراء هذه الهجرات التي تدفقت عليها من الشرق ، وهكذا عمت الفوضى المنطقة بأسرها^(٧) .

وعلى أية حال ، فنقد بدأت بابل تصمم بتسللات الكاشيين (Kassites) ، فضلا عن الحوريين والخاتيين ، ولكن الأمر الذي لا ريب فيه ، أن الكاشيين انما كانوا أقربهم خطرا عليها ، حيث قاموا بدور الجوثيين القدامى في مرتفعات العراق القديم ، وإن استطاع حمورابي — كما استطاع خلفه سمسو ايلونسا ، وولده ابي شوج — أن يردوا الخطر ، فانكسرت حدة الكاشيين إلى حد ما ، واكتفوا بالتسلل المسمى «نبطي» إلى مدن العراق المتحضرة وعملوا فيها أجراء ومرزقة ، بينما

(٦) أحمد فخري : مصر الفرعونية ص ٢٤٢ ، وكذا

G. Dossin, in Syria 19, 1938, P. 117 P.

S. Smith, Aialakh and Chronology, P. 11.

(٧) T. Save - Soderbergh, JEA, 37, 1951, P. 54.

S. Smith, Op. Cit., P. 35.

وكذا

ظلت قبائلهم الكثيفة الظلمة في البخيرات والسيطرة فخرىص بدولة بابل
المؤثر (٨) *

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى أنه ليس هناك اتفاق بين
المؤرخين على أصل الكاشيين هؤلاء : فهناك من يردعهم إلى المرتفعات
الشرقية وينسب اسمهم إلى اسم صيودهم «كاشو» ويربط بينهم وبين
جماعات متأخرة عنهم في الزمن ذكرها بطليموس الجغرافي باسم
(Kossaeus) ، وذكرهم غيره باسم (Kassians) ، ويرجح البعض
أنهم من منطقة لورستان الجبلية *

وعلى أية حال ، فالكاشيون أو الكاشيون كالكوريين — من العناصر
الآشورية ، التي امتزجت في النصف الأول من الألف الثانية قبل الميلاد
بالعناصر «الهندو - أوروبية» ، وبها اكتسب الكاشيون اسمهم من القليم
في شمال عيلام يدعى «كاش شن» جاء ذكره في نص لـ «إوزور
انشوشاك» ويدعوهم اليونانيون «كاسيوي» (Kassaii) ويرون أن
بلادهم تقع في شرق بابل وشمالها الشرقى ، ومن ثم فإنه يبدو أنه عند
نزولهم لنسب خلال الألف الثانية ق.م إنما كانوا يتقدمون من سلسلة
زاجروس الوسطى ، والمعروفة الآن باسم «لورستان» (Luristan)
إلى الجنوب من همدان ، باصرة — ومن ثم فهو محط إقامة فيها حيثما
من الدهر ، وليست وطناً أصلياً لهم ، كما ظن البعض ، ويرجح البعض
أنهم آريون ، وربما كانوا من أقرباء الحكام الميديين فيما بعد ، الذين
فرضوا أنفسهم على العناصر غير الآرية في «سوبارتو» في شمال بلاد
الفيرين (٩) *

(٢) المظاهر العامة للعصر الكاشي :

لا ريب في أن غشوة الحكم الكاشي — رغم طولها ، والذي امتد

(٨) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٨٢ .

(٩) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٠٩ : ٢١١ ، عبد العزيز
صالح : المرجع السابق ص ٤٨٢ ، وكذا

هو إلى ٤٣٨ عاماً (١٥٩٥ - ١١٥٧ ق.م) - إنما هي من أئد غترات التاريخ العراقي القديم غموضاً ، وأكثرها طبة ؛ وذلك بسبب قلة الآثار ، فضلاً عن الوثائق ، التي تتصل بهذه الفترة ، هذا فضلاً عن أن المغارة الجدد لم يكن لهم أي أثر جنس أو لغوي بدرجة ملحوظة في تاريخ بلاد النهرين ، بل إن الكاشيين ، رغم اهتمامهم الطويلة في بلاد النهرين . ورغم أن المؤرخين يسمون أسرهم بالأسرة البابلية الفتحة - على الرغم من أنهم كانوا أغراباً في بابل وعن محيطها كله - فإن أمر العراق القديم لم يخلص لهم أبداً ، فضلاً عن دولة القطر البحري الأول التي نازعهم السائدة على المناطق الجنوبية في بداية عصرهم حتى تغلبوا عليها ، تحكم الآشوريين في المناطق الشمالية والشمالية الشرقية ، من نهر دجلة ؛ وتحكم الحوريين في المناطق الغربية والشمالية الغربية من نهر الشرات ، بغير حدود صريحة فاصلة بين امتداد هؤلاء أو هؤلاء^(١٠) .

هذا ويذهب البعض إلى أن اللغة الكشية إنما ترجع إلى مجموعة اللغات التي تأخذ بطريقة الالتاق (Agglutination) مثل المجموعة الآشورية ، وإن كنا على غير يقين من ذلك ، إذ لم ترد إلينا حتى الآن أية نصوص مدونة باللغة الكشية حتى يشرف على قواعدها^(١١) .

هذا وقد ساد الكاشيون جزءاً كبيراً من العراق ، ولكن أعدادهم كانت قليلة ، وهضارتهم القومية كانت ضئيلة ، فاستولوا على ما اعتبروا أنفسهم طبقة أرستقراطية حاكمة بين السكان الأصليين ، وانفصوا بحضارة بلاد النهرين وقلدوا فنهم في معابدهم وشماليتهم ؛ واعتبروا اللغة البابلية المأمة لغة الكتابة الراقية ، إلى جانب لغتهم الخاصة ، كما ساءى الكاشيون بين آلهتهم وبين الآلهة البابلية ، فحعلوا «تيدك» مساوياً «مردوخ» . و «خارجي» مطابقاً «لأليل» .

(١٠) عبد العزيز صايح : المرجع السابق ص ٤٨٧ .

(١١) سامي الأحمدى : المرجع السابق ص ١٠٥ ، وكذا

C. Contreau, Op. Cit., P. 19, 21.

ولعل هذا إنما يشير إلى أن الكاشيين قد عبدوا إلهاب بلاد النهرين ، إلى جانب أربابهم القوميين ، بأسمائها القديمة أحياناً ، وبأسماء آرية جديدة أحياناً أخرى (١٢) .

على أن هذا لا يمنع من القول أن المذرم قد أضاف إلى حصار العراق القديم شيئاً يذكر لهم ، ذلك أن البابليين لم يكونوا يعرفون الحصان قبل عهد حمورابي ، ومن ثم فقد كانوا يسمونه «الحمير الجبلي» وأحياناً «الخيول الوحشية» ، ومن ثم علم تستانس الخيول ، ولم يشع استخدامها حتى أخريات الأسرة البابلية الأولى ، فما أن جاء الكاشيون حتى أدخلوا سلالات جديدة من مهسوب آسيا ، طغت شيئاً فشيئاً على الحمير الجبلية وسلالة السيسى القديم ، ثم سرعان ما استخدموا الحصان بأعداد كثيرة ، حتى أصبحت الخيول تصدر من العراق إلى مصر ، وتقدم لنا نصوص من «نفر» أديابا بالخيل وأسمائها وأسماء أسلافها ، وكلها تشير إلى عذاية الكاشيين الفائقة بالخيول ، بل أن هناك من يذهب إلى أن الكاشيين قد أدخلوا الحصان والعجلة إلى العراق القديم ، كما فعل الهكسوس في مصر (١٣) .

ولعل من أفضل ما أدخلوه إلى العراق إنما كان الطريقة التوقيتية ، بخلاف من الطريقة الساسية (المنقولة عن السومريين) غير مختص بإعطاء العام لقباً يشير إلى حدث هام ، أو عبادة معينة ، ترى الكاشيين يدخلون طريقة جديدة أيسر من السابقة تشير إلى التاريخ بسنن حكم ملوكهم ،

(١٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٨٣ - ٤٨٤ ، سامي الأحمدى : المرجع السابق ص ١٠٤ ، وكذا S. Moscati, The Face of The Ancient Orient, London, 1960 P. 154
(١٣) جورج كونينجو : الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور - ترجمة سليم النكريتي - بغداد ١٩٨٦ ص ١٠٤ ، أحمد سوسة : تاريخ حضارة وادي الرافدين - الجزء الثاني - بغداد ١٩٨٦ ص ٤٢٠ ، نجيب مباحيل : المرجع السابق ٢١٠/٥ ، ٣٨/٦ ، وكذا

G. Roux, Op. Cit. P. 221.

H. E. Winlock, The Rise and Fall of The Middle Kingdom in Egypt, New York, 1947, P. 152.

هذا فضلا عن تغيير بعض وحدات الأوزان والمقاييس ، كما كان من التطورات اليسيرة التي حدثت بصناعة الاختتام الأسطوانية في عصرهم كثرة مناعتها من الكييب وبدائية صناعتها من العقيق اليماني ؛ وكثرة تسجيل دعوات التعبد وتمجيد الأربب عليها ؛ على حساب كثرة صور الأشخاص والأشياء ، ثم دخلت صناعة الحديد إلى العراق في النصف الأخير من عصرهم *.

هذا وقد أثبت الملوک الکاسیون سبلة ملوک الشرق القديم في اكتساب ود رجال الدين ، وتأکید القربى من الأرباب عن طريق منح الهبات والامطاعیات للمعابد واعفائها من الضرائب ، وكانوا ينفقون على بعض هذه الهبات من خزائنها ويسجل رجالهم أخبارهم (١٤) *.

هذا وقد ظهر في العصر الكاشي النحت الجازل على الحجر المنوع بالقلب ؛ واستخدم في قرائن معمارية بحنة - ففى واجهة معبد «اتانا» الذى شجده الملك لكاشي «جانداش» (Gandash) في أوركا، فرى موضوع المعبد ومعبده يتكرران باستمرار في الشكل جدار الواجهة ويبنى كل معبد وآخر ، يامل من الحجر ، مما جعل كل منهما داخل تجويف ضمن جدار الواجهة ؛ وقد أمسك كل منهما بيده - وأمام صدره - أثناء يتدقق منه الماء الذى ساق على هيئة جداول جارئة - نفذت على هيئة خطوط بارزة ومتعرجة على نواصل الواجهة ، والمعبد هنا هو «الله الجبل» وقتئذ مثل وهو يرتدى ثوبا مزينا على عتبة حراشف - هي رموز الجبل عند العراقيين القدماء - كما كان للواجهة إطار من أعني وأسفل ، صنع من حجر مقلوب مكون من دوائر بارزة على هيئة الأقراص ، وقد غر على هذه الوجوه من هذا العصر في عدة مدن مثل أور وشر وعقروق ؛ وكذا في

(١٤) عبد العزيز صبح : المربع السابق ص ٤٨٤ ؛ سبيل ميخائيل : المربع السابق ٢١٢/٥ ، وكذا :
A. J. Clay, Documents from The Temple Archives of Nippur dated in The Reign of Cassite Rulers, 1926.

سوسة في عيلام ، مما يشير الى انتشاره وقت ذاك^(١٥) .

وهناك نوع آخر على أنواع الطمى النعادية ، فضلا عن تلك التي على نصب حجرية صغيرة تسمى «كودورو» (Kuduru)^(١٦) ، وهي أحجار وظيفتها تحديد الملكية أو مساحة الأرض وحدودها واسم واعيها ، وكانت تودع في الأماكن المقدسة والمعابد ، وقد شاع استخدامها في العهد الكاشي بدرجة كبيرة ، رغم أن أصولها الأولى إنما تعود الى الألف الثالثة قبل الميلاد ، اعتمادا على ما عرّفه بالكودورو الصغيرة من لارسا^(١٧) .

وقد استغل الفنانون سطوح هذه النصب لتصوير هياكل ملوكهم ، أصحاب الفضل في منح الامتيازات : تصويرا مختصرا ، وتفصيلا حينما آخر ، بحيث يفصل ملامحهم وملابسهم وانطباع رؤوسهم ، فضلا عن تصوير رموز أربابهم الذين أشيدوا على منحها ووضعوها تحت رعايتهم ، ومنها تلك التي تعود الى الملك «ميلي شعباك» حيث صور في مشهد بانسحت البارز ، وهو يعود ابنته ليقدّمها الى الآلهة ، حيث ترى الآلهة هنا تنبئ تاجا ينتهي من الأعلى بصف واحد من الريش ، ويجلس على عرش أقبل على هيئة أرجل الأسد وهي تحيي الملك بخلقا يديها. ويحمل بين الملك والآلهة سمعان مبيضا نرى في أعلى المنهد رموز الآلهة السماوية سين وشمش وعشتار والمنذلة باللال وقمر الشمس والنجمة على التوالي ،

وهناك رموز حيوانية تحفر الفنانون في تشكيل صورها ، ورموز

(١٥) طارقي عبد الوهاب مظلوم : النحت من عصر فجر السلالات حتى العصر المينائي الحديث ص ٦٣ - ٦٤ (من كتاب حضارة العراق القديم - الجزء الرابع - بغداد ١٩٨٥) .
(١٦) انظر عن «كودورو» :
G. Roux, Op. Cit., P. 236-237
L. King, in Babylonian Boundary Stones, 1912.
U. Seidl, Die Babylonischen Kuduru-Reliefs, in BM, 4, 1968, P. 7-220.
(١٧) طارقي عبد الوهاب مظلوم : المرجع السابق ص ٦٤ - ٦٥ .

أخرى معمارية ترمز إلى واجهات الهيكل والمقاصد البدائية ، الأمر الذي جعل منها مصدرا من مصادر المعرفة بمعمارة المعابد الأولى ؛ بل إن أهميتها إنما تفوق النواحي المعمارية بكثير ؛ فهي ليست بهمة من ناحية مظهرها القانوني أو الاجتماعي أو الديني بحسب ؛ بل من ناحية قيمتها التاريخية كذلك ؛ إذ أنه من المعروف أن بها إشارات للملوك والأحداث التاريخية نستطيع عن طريقها أن نملا فراغا في بعض الوثائق والمصادر الأخرى ؛ فضلا عن الإشارة إلى استمرار المظاهر الحضارية ؛ رغم الكوارث السياسية^(١٨) .

ولعل مما تجدر الإشارة إليه أن القبائل التي استقرت في وسط جنوب العراق ؛ إنما قد تملك في العصر الكاشي مقاطعات زراعية واسعة ؛ فقد كان المالك الكوشيون يهبطون الأراضي لبعض الأمراء ؛ حتى تصبح أقطاعات لهم ولأبنائهم من بعدهم . وقد امتلكت كل قبيلة أقطاعيه كبيرة شيدت بها مدنا وقرى ؛ وبذلك يظهر أن النظام القبلي المرتبط بحق الأرض ؛ إنما قد أدخل إلى العراق في العهد الكاشي^(١٩) . خاصة وقد توسع الملوك وقت ذاك في منح الأقطاعات العقارية التي اقربين اليهم من العسكريين والمدنيين ؛ ويبدو أنهم حرروا ملكيتها بحيث أصبحت أشبه بالأملاك الخاصة لأصحابها ؛ لا سيما لأفراد طبقة الكسبية الحكمة ؛ وهناك وثيقة تشير إلى أن الملك «ميلي ثباك» قد منح ابنه وابنته أقطاعات واسعة في أرض البصر . بعد أن استصلحها أعوانه وأعدوها للزراعة وأنشأوا فيها قرى جديدة ؛ وأعفاها من الدنايات التي كانت تفرضها الدولة على الأراضي الزراعية ؛ وهي تقاليف عرفتها بلاد المنهريين قبل عهده بعصور طويلة ؛ حيث كانت الدولة تحصد على جزء من ينكورة المحاصيل الزراعية ؛ كما كانت تستخدم مواشي الأقطاعات

(١٨) نجيب عيخانيل : المرجع السابق ص ٢٧٤ . عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٨٤ ، طارق مظلوم : المرجع السابق ص ٦٤ . H. Frankfort The Art and Architecture of The Ancient Orient, London, 1954, P. 71.

(١٩) سامي الاحمدى : المرجع السابق ص ١٠٤ - ١٠٥ .

أصبحت أرضها الزراعية الخاصة حين نشاء ، وتسفر العمال الزراعيين حين الضرورة في خدمة المرافق الملكية والمرافق العامة ، مثل شق الترع وتطهيرها وتشبيد جسورها ، وقطع الحشائش المائية والأعشاب البرية (٢٠) .

وأما تماثيل هذا العصر المتجمعة التي تم اكتشافها بقليلة ، فهناك تماثيل ربما للملك «كوريجا لزو» الأول جالسا ، فضلا عن تماثيل صغيرة لحيوانات وأشخاص ، والتي يبدو فيها اهتمام الفنان الكاشي في التفاصيل ومحاولة إخراج شكل واقعي قدر الامكان ، ومن هذه التماثيل الصغيرة رأس صغيره لبؤة من الحايين المحروق ، يعتبر آية من آيات الصناعة في تمثيل شرطة العين وتجويفها ، وتكوين الانف والفم والتعبير عن شعيرات الوجه ، بخيوط بسيطة متمكنة ، ورأس صغير لرجل من الطين المحروق اللون أيضا ، مثلته بثأف أثني بعض الشيء ، وأجادت التعبير عن بروز نخته العليا عن الدفلى ، وعن تصفيفه لشعره (٢١) .

(٢) أهم الملوك الكاشيين :

ليس هناك مستند تاريخي يشير إلى الأحداث التي أدت إلى انتقال السلطة من الأسرة البابلية الاولى إلى هذه الأسرة الكاشية (الأسرة انبابلية الثالثة) ، فضلا عن الوسيلة التي استطاع بها «جانداس» (Gandasb) — أول ملوك الأسرة الكاشية — أن ينهي حكم «سمو ديتانا» — آخر ملوك أسرة بابل الاولى —

وعلى أية حال ، فلقد جاء بعد «جانداس» الملك «كاشينيانس الاول» ، والذي ربما كان من أسرة كاشية قوية ، حتى أنه استطاع أن ينتزع العرش لنفسه ، وإن كان «أجوم الثاني» هو أول ملك كاشي استطاع

(٢٠) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٨٥ -

(٢١) سامي الاحمدى : المرجع السابق ص ١٠٦ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٨٦ ، وكذا

H. Frankfort, Op. Cit., Pfs. 70 B, 70 C.

أن يسيطر على كل بلاد بابل ؛ كما أعاد تمثالى المعبود «مردوك» وزوجته «ساربانتيوم» (زربانتيوم = Sarpanitum) اللذين نقلهما النحشيون - عندما احتلوا بابل - الى «هانا» وهى عاصمة المدينة على «نسر» ؛ وعلى مبعدة ٣٢٠ كيلو من بابل ؛ حيث ازدهرت هناك مملكة أمورية تأثرت ثقافتها كثيرا بالمدينة البابلية - كما قاد حملة ضرب بها مملكة القطر البحرى التى تمتعت باستقلالها منذ عهد «سمو ايلونا» .

ثم هناك الملك «كردنس» الذى اشتهر بكثرة مهابته فى المدن البابلية حيث شيد معبدا للمعبودة «عنتار» فى الوركاء - امتازت عمارته بتدعيم أركانه الخارجية بأكتاف ذات مستويين تم تمارسها بلاد النهرين الا قبل عصورها التاريخية - كما فى معبد أريدو - ثم عجزتها . كما امتازت بعض المساقمات الخارجية بالمعبد نفسه بتحويل زخارفها تصويرا محدثا عن طريق استغلال بطونها فى زمانى أرباب ورجات من اللبن تبرز من جسم انشاء نفسه ؛ مع تشكيل رأسى تن معبود وجذعه الأعلى تشكيلا كاملا ، والاكتفاء بتشكيل الخطوط العامة لبقية جسده على هيئة التوب الطويل المصبوب ؛ وتشكيل لبنسات هذا التوب بما يرمز الى مدرجات الجبل بالنسبة للآرياب ؛ وتموجات الماء بالنسبة للرياح .

وتتبقى بعد ذلك فترة تكاد تكون غامضة تماما بالنسبة لنا يأتى بعدها الملك «كوريجالزو» الاول ثم ولده «كدمشال انبل الاول» الذى وصلتت بعض مسئلة الفرعون «أمنحيب الثانى» (١٤٠٥ - ١٣٦٧ ق.م) ؛ والامر كذلك بالنسبة لى خليفته «بورفا يوريانيس الثانى» (١٣٧٥ - ١٣٤٧ ق.م) الذى خلفه ولده «كاروندانيس» ؛ ثم «سارى بوجاش» .

وجاء «كوريجالزو» الثانى (١٣٤٥ - ١٣٢٤ ق.م) . وذى بسبب اليه تأسيس عاصمة جديدة للكشيين فى «دور كوريجالزو» (بمعنى مدينة أو حصن كوريجالزو) - وتقع فى مكان «عزوت» الخائبة على

بعدة ٣٣ كيلو : غربى بمقداد - ومن المعروف أن الكاشين إنما كانوا يحكمون في أول الأمر من العاصمة بابل : ولكنهم في منتصف حكمهم أسسوا مدينة «دور كوريجالزو» واتخذوها مقراً للحكم ، وقد أقام بها الملك «كوريجالزو» الثاني قصراً يشبه قصر الملك «زمرى ليم» حاكم ملوى ، ورغم أن ما بقى من قصر «كوريجالزو» لا يكفي لإعطاء صورة كاملة عنه ، ولكنه يشير إلى أنه كان يتكون من عدة أجنحة متلاصقة ، نكل منها مساحة كبيرة في الوسط ، وقد تتجاوز مساحة القصر بضعة مئات من الأمتار في كل ضلع من أضلاعه ، ومن أهم ما عثر عليه في القصر هو الجزء المتبقى في الزاوية الشمالية حيث الممرات المسقوفة الطويلة التي تحيط بالساحة والتي تحمل سقفها ركائز مربعة ، كما تشير بقايا الغرف إلى وجود مخازن طويلة وعريضة ، يبلغ طول المتبقى منها ٤٠ متراً ، مما يشير إلى أنها كانت قاعات استقبال ، وربما كانت إحدى قاعات العرش ، ذلك لأن الممرات المسقوفة وهذاخل القاعات إنما قد زينت برسوم متتالية للأشخاص ، تبدو وكأنها تقدم انتحية أو فروض الطاعة لشخص في الداخل ، أما في الزاوية الشرقية من البناء ، فقد عثر على ثلاث ممرات طويلة متوازنة تخترق أرضها قنوات مياه ، وعلى جانبي الممر كوى مرتفعة عن الأرض ذات سقف معقود ، كما أن الممرات نفسها كانت معقودة السقف أيضاً ، وربما كان لخزن الرقم الطينية في جو رطب يناسب الغرض منه (٢٢) .

وأما زقور «عرقوف» (دور كوريجالزو) فكانت تتكون من خمس

(٢٢) مؤيد سعيد : العمارة من عصر فجر السلالات إلى العصر البابلي الحديث - كتاب حضارة العراق - الجزء الثالث - بغداد ١٩٨٥ ص ١٥٦ - ١٥٧ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٨٥ ، سعيد الأحمد : المرجع السابق ص ١٠٣ - ١٠٤ .

T. BAQIR, Excavations at Aqar Quf, Iraq, 1944-1945, and Iraq, N. 1946, P. 77-92.

S. N. Kramer, T. BAQIR and S. Levy, Fragments of a Shurite Statue of Kurigalzu in Iraq Museum, in Surfer, 4, 1948, P. 1 F.

S. N. Kramer, ANET, 1965, P. 57-59.

G. Roux, Op. Cit., P. 229-230.

طبقات من اللبن تغلفها من الخارج طبقة من الآجر ، وتبلغ مساحتها (٦٧ × ٦٩ م) ، وسلاسلها الجانبية لا تبدأ مع بداية حافة الضلع ، وإنما مع نهاية الضلع الجانبية ، ثم تدور بزوايا قائمة حصول جسم الزاقتورة لترتقى إلى السلم الجانبى : وهناك سلم فى الوسط يلتقى بالسلم الجانبى فى مركز الضلع : هذا وقد تبعدت أمام سلم الزاقتورة الوسطى مساحة من اللبن مساحتها (٣٥ × ٣٥ م) تحيط بها ساحات عديدة لم يعد لم يكتمل اكتنافه كله بعد : وهذه المساحات متصلة بعضها ببعض ، وتحيط بكل مساحة مجموعة من الغرف المستطيلة (٣٣) .

وعلى أية حال ، غلقت مر الكاشيون بعد ذلك بفترة ضعف : ربما بسبب هجمات الآشوريين المتكررة عليهم ، والتي أدت إلى أن تكون لهم السيادة على العراق ، وربما بسبب تولى العرش الكاشى ملوك ضعف ، ومع ذلك ، ان نهاية الكاشيين لم تكن على أيدي الآشوريين ، وإنما كانت على أيدي العيلاميين ، بقيادة ملكهم (شورك نخفته) (Shuruk - Nakhute) (١٢٠٧ - ١١٧١ ق م) الذى تقدم نحو بابل فى عام ١١٦٠ قبل الميلاد ، وذهب ملكها (زايابا - شوما - ادينا) ، ونهب كثيرا من آثارها ، ثم منحه لوزده (كوتير - ناهومتى) (Kutir - Nahunte) وأما آخر ملوك الكاشيين (انليل - نادين - اهى) (Enil - Nadin - Ahi) (١١٥٧ - ١١٥٦ ق م) فلا نلتقى به فى قائمة ملوك ، وإن التقيت به فى بعض النصوص محرف (٣٤) .

(٣) العلاقات الخارجية :

كانت مصر على أيام أمنحتب الثالث (١٤٠٥ - ١٣٦٧ ق م) قد بلغت ذروة مجدها وقوتها وراثتها ، وكان فرعونها ملك الملوك فى الأسرة القديمة

(٣٣) حوتب سعيد : المرجع السابق ص ١٦٥ .

(٣٤) G. Ross, Op. Cit., P. 244-245

D. J. Wiseman, in CAH, II, Part, 2, P. 446.

R. Labat in CAH II, 2, P. 486-487

H. Tadmor, in JNES, 17, 1953, P. 737.

دون منازع ، وان تواضع الرجل ، أورثي أنه من حسن السياسة أن يسمح للوك بابل وأشور وميتاني وحاشي بأن يعدوه أبا أكبر لهم جميعا * .

على أن هذه الاخوة انما قد ظلت محصورة في نطاق ابرائيل المتبادلة بين فرعون ، وبين أولئك الذين خيل اليهم قد أصبحوا أخوة لفرعون مصر ، ذلك لأن مكانة مصر السياسية وقت ذاك ، وما كانت تتمتع به من نفوذ كبير عى دول الشرق القديم ، انما يجعل من هذه الاخوة منحة من الفرعون ومن ثم فقد تنافست دول المنطقة جميعا على اكتساب ود مصر ، وصار فرعونيا مركزا للمراسلات مع ملوك الشرق وحكامه ، الذين كانوا لا يقتأون يرجون فرعون أن يخض عليم من ذهابها ، نظير هداياهم من الجواهرى الحسنان ، وهكذا استقرت الامور لأمنحتب الملك ، وارتبط بعلاقات المصاهرة مع معظم ملوك الشرق الأدنى القديم وأمرائه^(٢٥) ، وان اخذت الامور الى حد ما على أيام هذه اخناتون (١٣٦٧ - ١٣٥٠ ق.م) * .

وتشير رسائل المصاهرة^(٢٦) - والتي نتحدث عن هذه المصاهرات - الى أن مصر انما كانت صاحبه النفوذ في المنطقة ، ودليلا على ذلك الطلب الذي تقدم به ملك بابل يطلب فيه السماح له بالزواج من أميرة مصرية ، وقد رفض المطلب رفضا صريحا ، في حين كانت الأميرات البابليات وغيرهن يحضرن بأعداد وفيرة الى البلاط المصرى^(٢٧) .

وأما عن العلاقات الخارجية السلمية للدولة الكاسية فقد سارت في نطاقها العادى المحدود ، ومن ثم فقد سرت قوافلها التجارية في مساراتها

(٢٥) محمد بيومى مهران : اخناتون - عصره ودعوته - القاهرة ص ٢٤٥ .
(٢٦) انظر عن رسائل المصاهرة (محمد بيومى مهران : اخناتون ص ٢٤٣ - ٢٤٥) .
(٢٧) الكسندر شارف : تاريخ مصر - ترجمة عبد المنعم أبو بكر ص ١٣٦ ، وكذا :
S. A. B. Mercer, The Tell-el-Amarna Tablets, I, Toronto, 1927 P. 13, 63.
J. A. Kundtzen, Die El-Amarna Tafeln, I, Leipzig, 1904, P. 73

القديمة مع بلاد الشام ومصر ، وكانت الفصوص المصرية قد ذكرت اسم
بابل مرتين خلال عصور دولتها الحديثة ، حتى عصر «تموتس الثالث»
(١٤٩٠ - ١٤٣٦ ق.م) ، ثم أغفلت تماما ، ربما بعد انتقال أرمه الحكم
إلى الكاشيين ، واستخدمت بداه كلمة «سنجار» لبلد يتبع عن المدلول
الاقليمي لكلمة بابل ، كما ذكرت اسم جبل سنجار ، وهو جبل يقع غربي
الموصل (٢٨) .

على أن العلاقات المصرية البابلية إنما اكتسبت طابع المصادقة
الشخصية خلال القرن الرابع عشر قبل الميلاد . ونمضت هذه المصادقة
عن مصاهرة البيتين الحاكمين أكثر من مرة ، كما حدث على أيام «كدشمان
انليل الاول» ، حيث تزوج الفرعون أمنحتب الثالث بأبنة الملك البابلي ،
رغم وجود شقيقة الملك البابلي نفسه في بلاط الفرعموني ، أي أن
الفرعون إنما أراد أن يجمع بين المرأة وعشيقه . وقد أرسل الملك البابلي
يشكو من عدم توفيقه في معرفة ، ان كانت أخته - والتي أرسلت كزوجة
للفرعون - لا تزال حية أم ماتت (٢٩) .

على أن الفرعون - رغم ترحيبه بمصاهرة الملوك الآشوريين - إنما
كان ضيقا وأميرات بيته ، ولعله كان يرى أن دماء الفراعين ليست من
دماء عامة الدم ، وإنما هي دماء عزيزة مقدسة . وأن بذاته الماتني يجري
في عروقهم المقدس ، أرفع من أن تهتويهن مصالحي الملوك من غير
آل الفرعون (٣٠) .

وهكذا نقرأ في رسائل العزرة عن الملك البابلي «كدشمان انليل

(٢٨) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٨٦ ، وكذا
H. Gauthier, *Dictionnaire
des Noms Géographiques*, II, Paris, 1928, P. 20 F.
A. H. Gauthier, *Egypt of The Pharaohs* Oxford, 1961, P. 298.
AM, I, P. 20-14.

وكذا
(٣٠) أحمد بدوي : في موكب اسمي - لجزء القدس ، القاهره
١٩٥٠ ص ٧٢٨ .

الاولى» الذى سأل أمتحتب الثالث أن يزوجه من امرأة مصرية ، فرخص الفرعون هذا الملتصق بالحقار وتعلد ، بحجة أنه لازم يسبق أن أرسلت أميرة مصرية إلى أى إنسان ، وحين يعيد الملك إلى سؤله ، لم يكن نصيبه هذه المرة بأفضل من الاولى ؛ ومن ثم نراه يطلب من الفرعون أن يزوجه من أية امرأة ، ولم يشترط سوى أن تكون مصرية ، ما دام فرعون لم يشأ أن يزوجه من ابنته ، وهو يلتصق هذه المرأة حتى يموتوه على شعبه بأنه قد تزوج من امرأة مصرية ، ولعله شرف كان يصبو إلى تحقيقه (٣١) .

هذا وهناك رسالتان من «هورث بورياتش» (٣٧٥ - ٣٤٧ ق.م) تشيران إلى نوع من الاضطراب كان قد بدأ في فلسطين في عهد «اخنتون» (٣٣٧ - ٣٥٠ ق.م) ، حتى أن قائد إحدى الفواغل البابلية قد تعرض لانهب مرتدين من الأمراء الفخاضيين الخاضعين لفرعون (٣٢) ؛ هذا فضلا عن حادث آخر في فلسطين قتل فيه بعض رجال الملك البابلي ، ومن ثم فقد أرسل إلى اخنتون يطلب منه تأديب هؤلاء الأمراء الخاضعين ؛ قائلا «كنعبان أرضك ، ومنوكها خدمك» (٣٣) ، ثم يؤيد طلبه بهدية هي : ثلاث عبيات من الأناورد ، وخمسة خيول مقطورة ، وخمسة عربات (٣٤) .

على أن مصر ، رغم علاقاتها المصاهرة التي تربطها بابل ، إنما كانت تتسجع آشور ضد بابل ، ومن ثم فهناك إشارة سريعة في رسالة من «هورث بورياتش» إلى اخنتون ، يطلب منه تعبها أن لا يتدخل في شؤون

(٣١) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢١٧ : محمد بهومي
مهران : مصر - الجزء الثالث - لأكندرية ١٩٨٨ ص ٢٤٠ ، وكذا

J. A. Kundtson, Op. Cit. P. 73.

S. A. B. Mercer, Op. Cit., P. 13, 63.

32) F. J. Giles, Ikhinatou, London, 1970, P. 160.

S. A. B. Mercer, Op. Cit., L. 37 F.

وكذا

33) F. J. Giles, Op. Cit., P. 161.

S. A. B. Mercer, Op. Cit., P. 25.

وكذا

(٣٤) ز. دهبورت : المرجع السابق ص ٥٥ .

الآشوريين ، الذين كان يعتبرهم الملك البابلي من رعاياه ، غير أن فرعون لم يبر هذه الإشارة كثير اهتمام⁽³⁵⁾ .

وكان منوك بابل - شأنهم في هذا كان ملوك الشرق الأدنى وأمرائهم - اننا يلحون في طلب الذهب من مصر ، يبدو هذا واضحاً في الرسائل المتبادلة بين «كوشمان ايل الأول» و «أمانحتب الثالث» والذي تثنى الموضوع الأساسي فيه رغبة الملك البابلي المتحة في الحصول على منحة من ذهب فرعون⁽³⁶⁾ ، والامر كذلك بالنسبة الى «نبورك بورياتس الثاني» الذي يطلب من فرعون ذهب كثير⁽³⁷⁾ .

ولعل من الامة يمكن الإشارة الى أن علاقة بابل آشور انما كانت ظهيرة الى حد ما ، ولعل أول قبر يستطيع أن يلقى سيئاً من الضوء عليها انه يرجع الى عهد الملك الكاشي «نراينداس» الذي عقد معاهدة مع مصر الاشورية «آشور - بيل - شينوا» Ashur - Bel - Nishinwa اثبتت الحدود بين انباديين ، الامر الذي يشير الى أن لونا من النزاع قد شجر من قبل ، وانتهى في عهدهم بهذه المعاهدة . ويبدو ان من الزمان عقد «بورنا بورياتس» معاهدة مماثلة مع معاصره لآشوري وقد ظلت العلاقات بين البلدين مدى قرون ثلاثة تتأرجح بين مسالة وعدوان : وان لم يستطع آشور خلالها أن تصل الى درجة من القوة تمكثها من السيطرة على الجنوب .

ومن المعروف أن «بورنا بورياتس الثاني» قد وطد علاقته بالملك «آشور نو بلط الأول» و«زوج من ابنته» التي أنجبت له «كوشمان خارسى الثاني» : الذي تلاء في الحكم ، غير أن ثورة ضمت هذه أدت الى قتله ، ومن ثم عقد تدخل جده «آشور نو بيط الأول» ، ففضى على الثورة ، وأقام حفيده الثاني «كوريغالزو الثاني» الذي كان أول ملك

35) S. A. B. Mercer, Op. Cit., P. 29

36) Ibid., P. 31

37) Ibid., P. 29

كانت ينفذ الحرب الى أرض عدوه العيلامي حتى تمكن من هزيمته في منطقة ديبالي ، ثم طارده في بلاده وغزا عاصمته سوسة (٢٨) .

وتصر الايام ، ويدب الضعف في الأسرة الكاسية ، وينهددها الآشوريون والعيلاميون ، وهكذا رأينا الملك الآشوري «توكلتي نينورثا الاول» (١٢٤٤ - ١٢٠٨ ق.م) يهجم بابل على أيام الملك «كاشتيلياتس الرابع» (١٢٥٢ - ١٢٣٥ ق.م) ، ويستولي عليها ، ويعزل الملك البابلي ، ويجعل من «كاردوفياتس» (اسم الاقاليم البابلية في العهد الكاشي) ولاية من ولايته حيث كذا حتى موته ، وقد استعمل الآشوريون القسوة في بابل ، غمروها وسلبوا كنوزها .

غير أن البابليين سرعان ما أعلنوا الثورة ضد الملك الآشوري ، بل وجهوا حملة ضد آشور نفسها ، بقيادة «أدد - شوما أورصر» (١٢١٨ - ١١٨٩ ق.م) الذي نجح في أن يرد البابليين كرامتهم ، بل وأن يطارد الآشوريين حتى مشارف آشور نفسها . ثم تابع سياسته خليفتاه (١١٧٣ - ١١٦١ ق.م) ، غير أن آشور سرعان ما نجحت في عهد «آشور - دان الاول» (١١٧٩ - ١١٣٤ ق.م) في أن توضح الزريعة بالملك البابلي «زبابا - شوما - ادينا» في عام ١١٦٠ ق.م ، وأن تسترد الاقاليم المجاورة لها .

وفي عهد الملك العيلامي «شترك نختنه» هاجم العيلاميون العراق ، واستولوا على بابل في نفس العام (١١٦٠ ق.م) وذبحوا ملكها ، ونهبوا «أوبس» (غرب طيسفون عاصمة الساسانيين فيما بعد) . فضلا عن «دور كوريجالزو» ، ويقاخر الملك العيلامي بأنه استولى على أكثر من ٨٠٠ قرية ، ثم حمل إلى سوسة أغلب آثار البلاد الفنية ، مثل نصب سرجون «لاكدي» ونصب «نارام سن» و«سنه» «باتيشتوس» ، ونصب

(٢٨) - سامي الاحمدى : المرجع السابق ص ١٠٤ ، نحب ميخائيل
الرجع السابق ص ٢٢١ - ٢٢٢ ، وكذا
G. Reux, Op. Cit., P. 229.

تشريعات حمورابي ، ونصب أخرى كاسية وغير كاسية كثيرة ، وأكثر
الظن أنهم قد أجبروا الأمري البابليين على نقلها بأنفسهم إلى سوسة ،
رغم ضخامتها ، وشدة ثقلها ، ثم منسح الملك العيلامي المنتصر «شترك»
نخنته» بابل نولده «كوتير زاهونتي» الذي صدبه في حينه هذه (٢٩) .

ثالثا - أسرة بابل الرابعة - أسرة ايسين الثانية

رأينا من قبل ، كيف استولاع العيلاميون الاستيلاء على بابل في عام
١١٦٠ قبل الميلاد ، على يد الملك العيلامي «شترك نخنته» ، غير أن
الكتبيين سرعان ما نجحوا في طردهم بعد قتل تحت قيادة الملك البابلي
«انليل - نادين - اهي» الذي استمر حكمه سنوات ثلاث (١١٥٩ -
١١٥٧ ق م) عاد العيلاميون بعدها إلى احتلال بابل من جديد ،
وأبسطوا الحكم المكاشي نهائيا على يد الملك العيلامي «شيشنك» -
أنشوشنك» ، وفي هذه المرة لم تسلم ، حتى مقار عبادة القوم من
التدنيس والتخريب ، وقد أخذ العيلاميون معهم تمثال «مردوخ» كبير
الآلهة البابلية .

على أن هذا الاحتلال لم يدم طويلا ، رغم أن العيلاميين قد تركوا
حامية كبيرة في بابل ، ذلك لأن البابليين لم يذعنوا طويلا لحكم العيلامي ،
ومن ثم سرعان ما عمت بابل انتفاضة وطنية كبيرة بقيادة زعيم وطني
من مدينة ايسين يدعى «مردوك - كابت - أميشو» (١١٥٩ - ١١٣٨ ق م)
ربما في السنة الأولى من الاحتلال العيلامي ، وقد نجح البابليون
هذه المرة في طرد الحامية العيلامية ، فضلا عن تأسيس أسرة حاكمة
جديدة عرفت باسم «أسرة ايسين الثانية» ، وهي نفسها أسرة بابل

(٢٩) سامي الاحمد : المرجع السابق ص ١٠٤ ، عبد العزيز صالح :
المرجع السابق ص ٤٩١ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٢٢ ،
G. Roux, Op. Cit., P. 244.
J. Wiseman, Op. Cit., P. 446.
R. Labat, Op. Cit., P. 436-437.

الرابعة : تعاقب على الحكم فيها أحد عشر ملكاً ، تكبروا زهاء قرن من الزمان (حوالي ١١٤٦ - ١٠٢٥ ق.م)^(١١) ،

وليس هناك من ريب في أن أعظم ملوك هذه الأسرة : إنما هو ملكها الرابع «نبوخذ نصر الأول»^(١٢) (١١٢٤ - ١١٠٣ ق.م) ، والذي يعد واحداً من أشهر ملوك العراق القديم ممن استطاعوا مقارعة العيلاميين ، ووضع حد لاعتدائهم على البلاد ، بل وقاد حملة ضدهم حققت نصراً كبيراً ، أكسب «نبوخذ نصر» شهرة واسعة بين معاصريه وبين الأجيال اللاحقة . ومن ثم فقد صار هذا الحدث التاريخي مناسبة عظيمة يتنفس بها المقوم ، بل أن صدى هذا الحادث إنما بقي يتردد عبر أجيال لاحقة ، حيث أسارفت إليها «نصوص الفأل» الآشورية في القرن السابع قبل الميلاد .

عذا فضلاً عن أن هذا النصر ابتاعه ربح من روح الملك «نبوخذ نصر» المعنوية ، بحيث أصبح قادراً في الوقت نفسه على تحصين حدوده الشمالية ، من أي عدوان يمكن أن تتعرض له ، والشأن التام «نبوخذ نصر» لقب «فاتح أم-ور» ، إلا أن مما يشك فيه كثيراً أن ذلك كان صحيحاً بل ربما لم يعد الأمر غزاة على أقيم الفرات الأوسط^(١٣) .

(٤٠) فاضل عبد الواحد : سلالة ايسين الثانية - كتاب العراق في التاريخ ص ١٠٧ - ١٠٩ ، نيو اوبنهايم : المرجع السابق ص ٤٤٨ - ٤٤٩ وكذا انظر

J. A. B. Brinkman, A Political History of Post-Kassite Babylonia (1158-722), Rome, 1968

(٤١) نبوخذنصر : ويعني اسمه «نابو - كسور» أي «نابو - كسور» (Nabu - Kusuri-Usur) «الاله نابو يحمي ذريتي» ، ذلك لأن كلمة «كسور» (Kuduri) لب معنيان ، الواحد «الحجرة الحدود» (Frontier Boundary) وهي عبارة عن حجر تثبت عليه رموز الدولة ، مع نص مكتوب بعين حدود الأراضي والحقول الزراعية المنوطة لشخص ما ؛ والثاني وهو الأرجح ، الذرية أو الورث (فاضل عبد الواحد المرجع السابق ص ١٠٩ ، وكذا (G. Roux, Op. Cit., P. 228, 257

(٤٢) فريدريك خاتم : المرجع السابق ص ٢٢٨ ، فاضل عبد الواحد المرجع السابق ص ١٠٩ - ١١٧ ، وانظر

G. Roux, Op. Cit., P. 257-258.

L. King, BBS, 6, P. 29-36.

غير أن أسرة أمسين الثانية سرعان ما تتعرض — بعد وفاة نبوخذ نصر الأول — إلى تحديات قوية تمثلت في اقتعاش الآشوريين وبعوتهم كقوة مؤثرة في شمال بلاد النهرين في القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، فضلا عن ضغوط القبائل الآرامية على بابل ، والتي بدأت تنتشر على طول الفرات ، وتتدخل في الشؤون البابلية .

وفي عهد (أداد — أبل ماديث) (Adad-Apal-Iddin) (١٠٦٧) نصر الأول (١٠٦٧ — ١٠٤٦ ق.م) ، وهو أموري وضعه الآشوريون على عرش بابل ، ربما على أمل أن يوقف طوفان الأموريين المنهم نحو جنوب العراق ، وفي هذا العهد خرب آل (سوتو) (Sutu) معبد الإله شمش في سيبير ، وعلى أية حال فرغم أن الملك البابلي قد عقد لؤاضر الود والمصاهرة مع معصرة الآشوري «أشور — بين — كالا» (١٠٧٤ — ١٠٥٧ ق.م) الذي تزوج من ابنته ، غير أنه لم يستطع أن يكتف الأمان الداخلي في دولته ، وأحدثت التحركات الآرامية القبلية الدخلية كثيرا من الاضطرابات حتى شاعت ثلاث أسر حاكمة في نحو نصف قرن (من الخامسة إلى السابعة) وكانت الأسرة الخامسة التي تلتها أفضل حظا في طول أمد حكمها ، ولكن كان عليها أن تنتظر مصيرها المحتوم على أيدي الآشوريين في عصرهم الحديث ، ثم يليها أسرتان بابليتان ، هما الأسرتان التاسعة والعاشر^(١٢) .

وأما هذه الأسرات البابلية من الخامسة إلى العاشرة فهي : —

١ — أسرة بابل الخامسة (أسرة القطر البحري الثانية) :

وتتكون هذه الأسرة من ثلاثة ملوك هم : سمير — شيباك (١٠٢٤

(٤٣) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٩٢ ، نجيب مجفائل : المرجع السابق ص ٢٢٥ وما بعدها ، فضل عبد الواحد : المرجع السابق ص ١١٧ — ١١٨ ، وكذا

G. Roux, Op. Cit., P. 260-261.

L. King, Op. Cit., II, P. 143-179.

F. Malbran, in JA, 1973, P. 15 F.

١٠٠٧ ق.م) ٢ - ايا - موكين - زيري (١٠٠٧ ق.م) ٣ - كاشو
- نادن - آهي (١٠٠٦ - ١٠٠٤ ق.م) *

٢ - أسرة بابل السادسة (أسرة يازي) :

وتتكون من ثلاثة ملوك هم : ١ - «أبولاماش - نساكين - شومي»
(١٠٠٣ - ٩٨٧ ق.م) ٢ - نينورتا كودوري - أوهر (٩٨٦ - ٩٨٤
ق.م) ٣ - شيرينكي - شوقا مونا (٩٨٤ ق.م) *

٣ - أسرة بابل السابعة (الأسرة انجيلامية) :

وتتكون من ملك واحد هو «مار - بيتي - أبلا - أوهر» (٩٨٣ -
٩٧٨ ق.م) *

٤ - أسرة بابل الثامنة (أسرة اي) :

وتتكون من ٢٢ ملكا ، حكمت حوالي ٢٤٥ عاما في الفترة (٩٧٧ -
٧٣٢ ق.م) ، وعاصر سقوطها عصر الملك الاشوري «تجلات بلامر
الثالث» (٧٤٥ - ٧٢٧ ق.م) *

٥ - أسرة بابل التاسعة .

وتتكون من ١٦ ملكا ، وحكمت ١٠٥ سنة ، في الفترة (٧٣١ -
٦٢٦ ق.م) ، وعاصر سقوطها الملك الاشوري «أشور بنينيل» (٩٩٩ -
٦٢٦ ق.م) *

٦ - أسرة بابل العاشرة (الأسرة الكلدانية) :

وتتكون من ستة ملوك ، وحكمت ٨٧ عاما في الفترة (٦٢٦ - ٥٣٩

ق.م) ، حيث انتهت في ١٣ أكتوبر عام ٥٣٩ ق.م ، على يد العامل
الفارسي «كيروش الثاني» (٥٥٨ - ٥٣٠ ق.م)^(٤٤) .

(٤٤) انظر عن هذه الاسر (ليو أوبنهايم : المرجع السابق ص ٤٤٩ -

٤٥١) .

البَابُ السَّادِسُ

الأشْهُورُ

الفصل الأول

الآشوريون فيما قبل عصر الامبراطورية

(١) الموقع والسكان :

كان الآشوريون يسكنون — بادية — ذى بدء — الأراضين التى تقع على جانبي نهر دجلة ، من خط عرض ٣٧ شمالا ، وحتى مصب نهر العظيم جنوبا ، وتمتددا من الشمال والشرق سفوح الجبال الشاهقة ، وهى — على أية حال — أراضين على هيئة مثلث من الدجلة والزاب الاعلى والاسفل (الزاب الكبير والصغير) ، وتمتدده من الشمال والشرق جبال عالية ومضارب وأرضين تتخللها النجاد والاعشاب ، ففى ليست أرضا منبسطة ، بل هى بلاد ذات طبيعة جبلية فى أغلب الأمر ، تحصر بينها الرقعة الخصبة التى تمتد وديان الأنهار ، الألفه الذكر ، وهذه الرقعة الخصبة من الاراضى صالحة للزراعة ، عرفت يوما بضعة سبيل : من بينها سهول أربيل وكركوك .

هذا وكانت الجبال من الشمال والشرق بمثابة حدود طبيعية للأقليم ، أما فى الجنوب والغرب ، فالأرض مفتوحة الى الجنوب بغير حدود طبيعية حتى الخليج العربى ، وإلى الغرب حتى الفرات ورافدها وروافده ، ومن ثم فالحدود السياسية جنوبا وغربا خاضعة لدى اتوسع الاستعماري ، تتفلس مرة ، وتمتد أخرى ، تبعا لدى السلطان السياسى للأقليم .

ولم من الأهمية بمكان الإشارة الى أن كلمة «أشور» (Assur) ، إنما تعنى فى الواقع ، الأقليم المعروف بهذا الاسم ، كما تعنى المدينة التى تحملها ، والمعبود الذى كان يعبد هناك ، وربما كانت هذه التسمية سببا الى اسم أول عاصمة لهم ، وهى مدينة «أشور» ، ومن ثم فقد أطلق الاسم على الآلهة القومى للآشوريين وقالت هذه التسمية حتى القرون الأخيرة من الألف الأولى قبل الميلاد ، أى حتى بعد زوال كيان الآشوريين السياسى .

وأما معنى كلمة «أشور» فعلمض ، ويذهب الدكتور طه باقر إلى أن
من معنى المصيغة «آسر» ، «ألرحمن» وأنه من المحتمل أن يكون اللفظ
«سمرى» الأصد ، كما جاء في الفصوص القديمة ، وعلى أية حال ، فليقد
وردت كلمة «آسور» في المصادر الآرامية والعربية تحت اسم «أشور» ،
وأما في المصادر السامرية فقد عرفت بلاد الآشوريين باسم «مات آشور» ،
أي «بلاد آشور» ، كما وردت كلمة آسور في هذه المصادر من أشمون
تحدث عن قبل الميلاد «آش شرا» ، ووردت أيضا تحت صورة «آ -
نو» - أرة و «آسر» ، وهما في المصادر المصرية ، فليقد ذكرت - لأول
مرة - في القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، باسم «أسور» على أيام
الفتح المصري «تحتوى الثالث» (١٤٩٠ - ١٤٣٦ ق م) ، وذكرت
أن أميرها قد أهدى إلى الفرعون كمية من البازورد الحمر ، وأحجاراً
كريمة أخرى ، كما ورد اسم آشور في التوراة على أنه من أبناء «سالم
بن نوح» ، كما ذكرها «بطليموس الجغرافى» (١٢١ - ١٤٠ م) في كتابه
الذى أخرجه حوالى عام ١٤٠ م باسم «جغرافية بطليموس» .

هذا ورغم أن هناك خلافاً حول «أصل الآشوريين» ، غير أن أراجع
أنهم من شعبة سامية فصارت من شبه الجزيرة العربية - الموطن
الأصلى للساميين^(١) - ومن ثم فلم يكن الآشوريون بالأقوام العربية
أو الأجنبية من معظم سكان العراق الآخرين الذين عاشوا قبلهم أو
بعدهم ، فهم ينتمون إلى الأصول نفسها ، وإلى أشجرة ذاتها ، التى
تفرعت عنها الأقوام الآكلية والبابلية (لأمورية) والآرامية
والعربية ، وهى الأقوام الرئيسية التى استوطنت العراق منذ مطلع
الآلاف الرابع قبل الميلاد وما بعده ، وكان منبت تلك الشجرة الأولى في
شبه الجزيرة العربية ، وهكذا - كما يقول «أندريه بارو» - لم يكن
الآشوريون الذين ظفروا بالسيطرة على بلاد الرافدين في القرن الثالث
عشر قبل الميلاد ، من الوافدين الجدد إلى المنطقة قط ، فخلو وقع أنه خلال

(١) انظر : محمد بيومي مهران : الساميون والآراء التى دارت
حول موطنهم لأصلى - الرياض ١٩٧٤ -

الألفى سنة السابقتين ، لا يوجد أقدم منوم من يزعم بالنسابة الى هذه
السلالة ، ونحن نجدهم يستوطنون منطقة أعالي دجلة منذ بداية فجر
التاريخ .

ويذهب الباحثون الى ان الآشوريين انما قدموا الى شمال العراق
أحد طريقتين — أو هما معا — : الواحد : ذريق الى وادي الفرات ، ثم
اتجهوا شمالا حيث استقروا هناك ، والآخر : شمالا الى سورية ومنها
توزعت الجماعات المرتبطة في صورة الساميين الغربيين الى اشرق : موطن
الاستقرار الجديد .

ولما كان الامر ، غسان ، الآشوريين لم يجدوا في أرضي قضاء : وانما
سكنوا بقاعا سبقهم اليها قوم آخرون ، عرفنا عنهم «سوبارتو»
(Subartu) الذين كانوا يشغلون من قبل الأقليم الواقع بين دجلة
وزاجرس ، وهم ليسوا ساميين على أية حال ، ومن ثم نستطيع ان
نقتلح صراع منشأ اثر تقدم موجات الساميين الزراعية من الغرب الى
الجنوب : أو متما معا ، بينهم وبين المواطنين الأصليين من السوباريين .
وقد انتهى هذا الصراع بظلية العنصر الواحدة واستقرارها على . وان
نات السوباريون فيما بعد لا بفرقة كثيرة بين الآشوريين والسوباريين
ويعتبرونهم جنسا واحدا ، وربما كان سبب ذلك الاندماج المبكر بين
العنصرين على مر العصور : بل ومزيج البعض ان السومريين نزلوا في
هذه النواحي قبل الساميين الغربيين ، وجعلوا منها مركزا اخلاقيتهم
السامية .

هذا وتسير لغة الآشوريين الى أصولها السامية ، فنقد تحدث القوم
بلهجة من لهجات اللغة الأكديّة ، وهي اللغة التي انتشرت في أنحاء
العراق منذ أواسط الألف الثالثة ، وحتى أواسط الألف الأولى قبل
الميلاد ، واستخدموا الخط المسماري ذاته الذي ابتدعه السومريون ،
وهو الأكديون والميلليون : كما اتممت معتقداتهم الدينية وأغترفهم
وحياتهم الاجتماعية والاقتصادية وغيرها من القيم المأثورة . بل صفت

العامية التي انتشرت بها مثيلاتها عند بقية سكان العراق القديم ، حتى بدت من الصعب علينا أن نميز بين أصول العناصر المختلفة ، أي سومرية أم أكادية ؟ بابلية أم آشورية ؟ بل إن التسليم الحضاري بين الشمال والجنوب ، لا سيما بين الأكديين والاشوريين في عهدهم القديم ، قد دفع البعض إلى الاعتقاد بأن الاشوريين إنما كانوا قد استقروا — في بادية أهرم — في جنوب العراق ، ثم نزحوا إلى الشمال في فترة متأخرة نسبياً (٢) هذا فضلاً عن أن هناك من يذهب إلى أن الاشوريين — رغم أنهم كانوا يتكلمون لغة سامية ، ومن ثم فهم يعتبرون من الشعوب السامية — غير أن المنطقة التي سكنوها في شمال العراق إنما قد تعرضت لغزوات شعوب الجبال والشعوب «الهندو — أوروبية» وقامت كثيراً على أيديهم ، كما أصبح سكان آشور خليطاً من اجناس مختلفة ، ولم يكونوا ساميين من دم نقي ، ورغم أن الأسرة الحاكمة كانت تحمل أسماء سامية ، إلا أنه لا يمكن معرفة أصلها ، الامر الذي أدى إلى أن يتطعم الاشوريون بطباع غير سامية ، ويظهرون قسوة ، مخالفين بذلك التقاليد السامية القديمة على أيام الدولة الأكادية (٣) .

(٢) العواصم الاشورية :

١ - آشور :

كانت مدينة آشور هي أولى عواصم الاشوريين ، وقد أقيمت فوق

(٢) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٢٧ - ٢٢٩ ، عمر سليمان : انعصر الآشوري - كتاب العراقي في التاريخ - بغداد ١٩٨٣ ص ١١٩ - ١٢٠ : طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة - الجزء الاول - بغداد ١٩٥٥ ص ١٦٣ - ١٦٧ ، أندريه بارو : بلاد آشور - ترجمة عيسى سلمان ، وسليم النكري - بغداد ١٩٨٠ ص ١٧ - ١٨ : ولي ديورانت : قصة الحضارة - الجزء الثاني ص ٢٦٥ - ٢٦٦ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٤٨ - ٤٤٩ : تكوين ٢٣/١٠ ، وكذا

Lik., IV, 668, t. 671, 8.

G. Roux, Op. Cit., P. 177-178, 182.

J. Laassoe, People of Ancient Assyria, London, 1963. P. 37.

T. J. Goltz, Humans and Subhumans 1944.

M. P. Unger, Op. Cit., P. 100-101.

(٣) محمد عبد القادر : المرجع السابق ص ٢١٨ .

ربوة صخرية تحف بها مياه نهر دجلة التي أصبحت خزانة طبيعية لها ، ربما ، فيما يرى البعض : منذ الألف الثالثة قبل الميلاد ، وتعرف خرائطها اليوم باسم «القلعة» أو «قلعة شرفا» ، وتقع على بعد ٩٦ كيلا جنوبى مدينة الموصل الحالية ، وقد استقرت مدينة آشور مركزا سياسيا للبلاد على مدى فترة طويلة من التاريخ المراقى القديم .

هذا وقد عثر فى خرائطها على أسس لمعابد بعض الالهة مثل آشور وأنو وأدد ، ولعل من أشهر هذه المعابد معبد الاله آشور الذى بنى على أيام الملك «آشور شمشى أداد» الأول (١٨١٣ - ١٧٨١ ق.م) ويعتبر من النماذج الأساسية فى تفسير عمارة المعابد الآشورية ، ودليلا لطرز المعابد الآشورية فى العصر الأحدث ، وقد جمع بين الطرز المعروفة فى جنوب العراق ، والتي بنيت على هيئة بيوت ذات فناء فى الوسط ، ومنها معبد شوسن فى تل أسمر ، وبين الطرز التي عرفت فى فجر الأسرات . ذات الحرف المقدسة الطويلة ، كما عثر كذلك على تماثيل لبعض الملوك : فضلا عن عدة مميزات ، وجد على أحدها اسم «شورامات» (شوراميس) زوج الملك «شمسى أداد الخامس» (٨٣٣ - ٨١١ ق.م) والتي أصبحت وصية على العرش ، بل أن هناك من الآثار التي عثر عليها فى آشور : إنما يرجع الى الألف الثالثة قبل الميلاد : من ذلك النوع السومري .

٢ - كالح :

كانت مدينة «كالح» (Kalab) (كالحو = كالحو) - والمعروفة حاليا باسم «نمرود» (Nimrud) - هى العاصمة الآشورية الثانية ، وتقع على الضفة اليسرى نهر دجلة عند ملتقاه بنهر الزاب الأعلى ، وعلى بعد ٣٠ كيلا جنوبى نينوى وعلى بعد ٣٥ كيلا جنوب شرقى الموصل ، وقد أسسها «شلمنسر الأول» (١٢٧٤ - ١٢٤٥ ق.م) ، وسكنها البابليون الذين قدم بنو جرمهم «نوكامى نينورتا» الأول (١٣٢٤ - ١٢٠٨ ق.م) ، وأما التوراة فتنسب تأسيسها الى من تدعوه «نمرود» ،

«هذا وقد شيد فيها الملك «أشور ناصر بال الثاني» (٨٨٣ - ٨٥٩ ق.م) قصرا ، ثم اتخذها عاصمة لدولته .

هذا وقد قام بالدق فيها (A. H. Layard) في الفترة (١٨٤٥ - ١٨٥١م) وكذا (M. Mallowan) في عام ١٩٤٩م ، وكشفت الحفريات عن معبد نالاه «ننورتا» يتكوّن على زاوية مربعة ، طول ضلعها ٥١م ، وارتفاعها ٤٥م ، كما عثر على مسلة نقش عليها رسم «أشور ناصر بال الثاني» ، هذا فضلا عن قصر يحده الأثاريون ، أول القصور الكبيرة لمملكة آشور الجديدة ، وبه كثير من النقوش التي تصف أعمال «أشور ناصر بال الثاني» ، وتصف البناء وظروف تشييده ، وحفر قناة بربى المنقطة .

والى الجنوب من قصر «أشور ناصر بال الثاني» كان قصر «أداد نيرارى الثالث» (٨١٠ - ٧٨٣ ق.م) والذي سكت أيضا «تجلات بلاسر الثالث» (٧٤٤ - ٧٢٧ ق.م) ، والى الجنوب منه قصر «أسرحدون» (٦٨٠ - ٦٦٩ ق.م) وغير ذلك من المباني الدينية والسكنية ، وعلى أكمة هال ، فلقد دمرت هذه المدينة في عام ٦١٢ ق.م ، على أيدي الميديين .

٣ - كاو - توكلتى - نورتا :

أسس هذه المدينة الملك «توكلتى - نورتا - الأول» (١٢٤٤ - ١٢٠٨ ق.م) ، واتخذها عاصمة لدولته وأنشأ عليها اسمه «كار - توكلتى - نورتا» ، وإن ذهب رأي أن الذي شيد المدينة هو «أشور نادين - ايلي» (١٢٠٧ - ١٢٠٤ ق.م) ، وإن نسبت الى أبيه «توكلتى - نورتا» ، وتقع على مسافة ٣ كيلا من مدينة آشور ، وقد شيد بها قصر بقيت منه أطلال طفيفة ، يختم منها أنهم زخرفوا بعض جدرانها بقطع من الفاشاني المزخرف ، وأوجدت مرسومة اقتبسوا عناصرها من عالم الحيوان والنبات ومن الخطوط الهندسية ، وتجهضوا في تحقيق التناسب والحيوية فيها الى حد معتول ، وصوروا فيها الملك يسكنه بعربة الحربية منفردا حينا ، ومشارك في الحرب الى جوار جنوده ، حينا آخر .

٤ - دور شاروكين :

وكننت (دور شاروكين) (Dur - Sharukin) خورسباد = Khuzabad هي العاصمة الآشورية الرابعة ، وقد تأسسها «سرجون الثاني» (٧٢٢ - ٧٠٥ ق.م) في سنوات سبع (٧١٣ - ٧٠٦ ق.م) ، وتقوم أطلالها الآن في مكان «خورسباد» جنوب الزاب الأسفل ، وعلى بعد ١٦ كيلا شمال شرق الموصل ، ١٢ كيلا شمال «نينوى» وهي (خرسباد) (خورسباد) الحالية (وكلمة خرسباد مخرفة من خسرو آباد) وقد بنيت هذه المدينة على هيئة مربع ضلعه ١٧٦٠ مترا ، وكان يؤدي إلى المدينة طريق مبلط عرضه ١٢ مترا ، ويحيط بالمدينة سور ذو أبراج ، يزيد عددها عن ١٥٠ برجاً ، وكان للمدينة ثمانية أبواب يزينا ثيران مجنحة لها رؤوس بشرية ، تعتبر عند الآشوريين بمثابة الملوك العارس الذي يقى المدينة من الشرور والمخاطر ، وكننت شوارع المدينة مستقيمة ومتعامدة ، ولم يبق من المدينة الآن غير أطلال قصر سرجون ، وبعض الأقسام المجاورة له ، وتدل الآثار التي عثر عليها بقصر سرجون هذا على مدى ما وصل إليه فن البناء والزخرفة والعمارة وصناعة الزجاج ، كما عثر بالقصر على عدد كبير من التماثيل البارزة والثيران المجنحة ونماذج من الخزاف المنتشرة تمثل أشكال ثيران وأسود ، كما عثر في موزن القصر على أدوات وآلات من الحديد تبلغ زنتها ٢٠٠ طنناً .

وقد تم اكتشاف المدينة في عام ١٨٤٣م بوقد ظن - في بادئ الأمر - أنها انقاض «نينوى» ، ولكن تبين بعد ذلك أنها «دور - شاروكين» ، وأجريت الحفائر تحت إشراف القنصل الفرنسي «بوتسا» الذي أرسل اكتشافاته إلى فرنسا في عام ١٨٤٧م ، حيث شكلت الجناح الآشوري في متحف اللوفر بباريس ، ثم قام غيكتور بلاس وشوماس باتمام التنقيبات في الفترة (١٨٥٢ - ١٨٥٥م) ، ثم جدد العهد الشرقي بجامعة شيكاغو الحفريات في الفترة (١٩٢٨ - ١٩٣٥م) ، وكشفت الحفريات عن قصر سرجون الضخم ، والذي بحثوى على أكثر من مائتي غرفة ، وثلاثين

في عام ١٨٥٢م ديت عشر على قصر «أشور بانيبال» وغيره ، غصلا عن عدة معابد ، وعلى رأس من البرونز ، ربما تمثل الملك سرجون الأكدي ؛ كما عثر في تل النبي يونس على قصر يرجع الى أيام الملك (اسر حدون) (٦٨٠ - ٦٦٩ ق.م)^(٥) .

٦ - حران :

كانت «حران» (Haran = حاران) -- وتقع على نهر بلخ ، على مسبعة ٩٦ كيلا من اتصاله بالفرات ، والى الغرب من تل حلفا ، وعلى مسبعة ٤٤٨ كيلا الى الشمال الشرقي من دمشق -- هي العاصمة السياسية السادسة والاخيرة لتلاشوريين ؛ وذلك بعد سقوط «نيتوى» في عام ٦١٢ قبل الميلاد ؛ على أيدي «البابليين والميديين» (Babylonians - Median) ؛ واضطر الملك الاشوري «أشور أبو بلط الثاني» (Assur-Uballi) (٦١١ - ٦٠٩ ق.م) أن يتخذ من «حران» عاصمة له ؛ غير أن «نبرخذ نصر الثاني» (٦٠٥ - ٥٦٢ ق.م) نجح في أن يستولى عليها ؛ وأن يقضى على الجيش الاشوري في عام ٦٠٩ ق.م (وربما في عام ٦٠٨ ق.م) ، وأن يقضى على الدولة الاشورية نهائيا^(٦) .

(٥) انظر عن الحواميم الاشورية (تكمسين ٨/١٠ - ١٢ ، يونان ٢/١ ، ٢/٣ ، ٧ ، قاموس الكتاب المقدس ٩٩٠/٢ ، اخرية بارو : المرجع السابق ص ٣٣٣ ، ٣٤٠ ، ٢٤٢ - ٣٤٣ ، جودس هنري برنارد : انتشار الحضارة ص ٢١٧ - ٢١٨ ، ليو توينهايم : المرجع السابق ص ١٤٤٨٦ - ١٥٠ هنري غودوي : معجم الحضارات القديمة -- طرابلس -- لبنان ١٢٨٨ ص ٩٠ - ٩١ ، ٤٠٦ - ٤٠٣ ، ٤٠٧ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٠٢ - ٥٠٣ ، محمد عبد القادر : الساميون في العصور القديمة - القاهرة ١٩٦٨ ص ٢٢٨ - ٢١٩ .

M. E. Unger, Op. Cit., P. 161-162, 164-196

J. Laessle, Op. Cit., P. 37, 79, 93, 114, 122-125, 133.

W. Andrae, Op. Cit., Abb. 49, Taf. 2-3, 51.

G. Reux, Op. Cit., P. 270-272, 291-292.

A. H. Layard, Nineveh, and its Remains, London, 1840.

M. E. L. Mallowan, Nimrud and its Remains, 2 Vols. London, 1966.

(٦) محمد بيوى هيران : اسرائيل ٦٢/١ ، ٩٨١/٢ ؛ وكذا

M. E. Unger, Op. Cit., P. 455.

فناء ، واتجنتها خاصة ، وستة معابد ، وزاقورة من سبع المباني ، وقد دمنت بالأوان المختلفة .

وقد اتخذ سرجون الثاني من مدينته هذه ، عاصمة لدولته ، إلا أنها سرعان ما هجرت بعد موته ، وإن كان هناك من يذهب إلى أنها قد ظلت مقرا لملكهم (ربما حاكم المنطقة) قرابة قرن من الزمان بعد ذلك .

٥ - نينوى :

كانت نينوى (Nineveh) — وتقع الآن تحت تلي قوينجق والتبلي يونس (١) ، على الضفة الشرقية لنهر دجلة ، على غم راند صغير يدعى «الخير» (الخوهر) على مسعدة ٤٠ كيلو من التقاء الدجلة بالزاب الأعلى ، قبالة الموصل — وكان العبرانيون يسمون نينوى «ننوى» ليشمل كل المنطقة حول التقاء الزاب الأعلى بالدجلة .

وقد اتخذ «سنحريب» (٧٠٥-٦٨١ ق م) «نينوى» عاصمة له وإن لم تعمر طويلا ، حيث سقطت في أيدي الميديين عام ٦١٢ ق م ، وهناك ما يشير إلى أن سنحريب قد أهتم بها كثيرا ، ولكن ضمن لها موردا مائيا كافيا ، وحلها بالأنهار التي تجري من الجبال الشرقية ، وذلك ببناء قناة صناعية هائلة ، كشف عنها المعهد الشرقي بجامعة شيكاغو في عام ١٩٣٣ م .

وقد ظلت هذه المدينة مجهولة حتى كشفت عنها الحفريات التي بدأت منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي ، ففي عام ١٨٤٧ م عثر على أطلال معبد سنحريب ، والذي كان يحتوى على أكثر من ألفي نقش ، وحوالي ثمانين غرفة ، من بينها مكتبة «أشور بانيبال» (٦٦٨ - ٦٢٦ ق م) والتي تحتوى على آلاف اللوحات المدعنية ، ثم عادت التنقيبات

(١) عن المعروف أن يونس عليه السلام : إنما أرسل إلى أهل نينوى (انظر : سورة ابن هشام ٢٦٦/٢) ، وانظر الفصة بالتفصيل (محمد بن يونس برون : دراسات تاريخية عن القرآن الكريم : الجزء الرابع - في العراق - برون ١٩٨٨ ص ١٧٥ - ١٩٢) .

(٢) مراحل التاريخ الآشوري :

تذهب جمهرة المؤرخين إلى أن التاريخ الآشوري إنما ينقسم إلى
مراحل ثلاثة .

الأولى : العهد الآشوري القديم : وتبدأ من فجر التاريخ الآشوري ،
وحتى نهاية حكم أسرة بابل الأولى .

الثانية : العهد الآشوري الوسيط . وتبدأ من نهاية حكم أسرة بابل
الأولى ، وحتى بداية القرن التاسع قبل الميلاد .

الثالثة : العهد الآشوري الحديث ، أو عصر الامبراطورية ، ويشغل
الفترة (٩١١ - ٦٠٩ ق.م) : وإن ذهب البعض إلى تقسيم هذه الفترة
إلى مرحلتين ، الواحدة : عصر الامبراطورية الأولى (٩١١ - ٧٤٥
ق.م) ، والثانية : عصر الامبراطورية الثانية (٧٤٥ - ٦٠٩ ق.م) .

على أن هناك فريقاً ثانياً إنما يذهب إلى أن التاريخ الآشوري إنما
ينقسم إلى مرحلتين فقط ، الواحدة : في الفترة (٣١٠٠ - ٩٠٠ ق.م) ،
وكان القوم أثناءها يناضلون في سبيل الممراض سياسياً وعسكرياً ،
والثانية : في الفترة (٩٠٠ - ٦٠٩ ق.م) ، وفيها نجح القوم في تكوين
الامبراطورية الآشورية .

على أن هناك وجهاً ثالثاً للنظر ، يذهب أصحابه إلى تقسيم التاريخ
الآشوري إلى مراحل أربعة رئيسية هي :

الأولى : مرحلة التبعية السومرية - الأكادية . وقد سُميت الآلاف
الثالثة قبل الميلاد .

-
- A. H. Gardner, *Egypt of The Pharaohs*, Oxford, 1961, P. 238
Bl. Nuth, *The History of Israel*, London 1945, P. 273.
J. Lacoste, *Op. Cit.* P. 124
G. Roux, *Op. Cit.*, P. 217.

الثانية : العصر الآشوري القديم : ويبدأ تقريبا العصر البابلي القديم .

الثالثة : العصر الآشوري الوسيط : ويبدأ من حوالي أواسط الألف الثاني قبل الميلاد ، وينتهي باعتلاء «أدد - نيراري الثاني» العرش الآشوري في عام ٩١١ قبل الميلاد .

الرابعة : العصر الآشوري الحديث : وهو العصر الإمبراطوري الدولة الآشورية ، وقد تميز بالقوة والازدهار ، وانتهى عند سقوط العاصمة «نينوى» في عام ٦١٢ ق.م .

وسوف نأخذ بهذا التقسيم الأخير .

(١) عصر التبعية السومرية - الأكادية

كانت بلاد آشور خلال الألف الثالث قبل الميلاد خاضعة للنفوذ الحضاري - وربما السياسي - للدولة السومرية الأكادية ، التي قامت في الجزء الجنوبي والوسطى من العراق القديم ، ولا ريب في أن معارضة عن آشور في النصف الأول من هذه الفترة (حوالي ٣٠٠٠ - ٢٤٠٠ ق.م) جد قليلة : لا تتجاوز في كثير من الأحيان بعض الخلفات المنوية من أبنية ونخر وغيرها ، وربما كن هذا الوضع يشبه إلى حد كبير مثيله في بلاد سومر في الفترة ذاتها ، حيث نشأت في آشور عدة مدن ومراكز حضارية في المنطقة ، كمدينة آشور ونينوى وغيرها ، وربما كان بعضها على هيئة دويلات مدن صغيرة ومستقلة .

وعندما قامت الدولة الأكادية التي كانت سياستها المركزية تسعى لتوحيد جميع الدويلات والمراكز الحضارية في الشمال والجنوب ، كان لابد من وقوع بلاد آشور ضمن نفوذها وسيطرتها ، هو هناك ما يشير إلى أن مدينة آشور نفسها لم تكن تمثل أحد المراكز الإدارية المهمة التابعة للدولة الأكادية ، كما عثر في نينوى في الطبقة السادسة من معبد عشتار

على أسطوانات حجرية منقوشة بكتابة ترجع إلى عصر الملك الأكدي «نارام - سن» (٢٢٩١ - ٢٢٥٥ ق.م) ؛ هذا فضلا عن رأس تمثال نحاسي يظن أنه للملك سرجون الأول أو «نارام - سن» ؛ وقصائل من البرونز تنسب جالس وعليه كتبه تشير إلى عهد «نارام - سن» .

هذا وقد كشف في آشور عن عدد من النصوص القصيرة التي تذكر اسم الملكين «ريموشن» (٢٣١٥ - ٢٣٠٧ ق.م) و «مانيشتوسو» (٢٣٠٦ - ٢٢٩٢ ق.م) ولدى الملك «سرجون الأول» (٢٣٧٠ - ٢٣١٥ ق.م) ؛ هذا فضلا عن المكتشف عن أبنية ضخمة ، من بينها قصر واسع ، وجزء من زقورة معبد انليل تشمل طبعا أكديا .

وهناك ما يشير إلى أن التأثيرات الأكديّة في بلاد آشور لم تكن مقصورة على الأساليب والطرز المعمارية والفنية والدينية ، وإنما شملت كذلك اللغة والكتابة ، فاللهجة الآشورية القديمة إنما تحمل بصائر اللهجة الأكديّة القديمة ، كما اقتبس الآشوريون الكتابة المسمارية من السومريين والأكديين ، ثم استخدموها في التدوين لحوائج حياتهم السياسية ، هذا فضلا عن احتفاظ الآشوريين بذكرى طيبة عن الأكديين ، حتى أن بعض ملوك قد سموا أنفسهم بأسماء أكديّة مروفة ؛ كما فعل الملك «سرجون الأول» من هذا العصر ، (وقد حكم في حوالي منتصف القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، كما أشرت من قبل) ربما نسبة إلى الملك الأكدي «سرجون الأول» أيضا .

وفي أكبر الخلل أن آشور قد لاقت ما لحقه السومريون والأكديون على أيدي الجوتيين ، وقد كشفت الحفريات عن آثار التخريب من هذه الفترة ، والتي تمت على أيدي الجوتيين في كل من مدينتي آشور ونيوى ، وإن كان المؤرخون على غير يقين من تبعية الآشوريين للجوتيين ، أو أن القوم قد أقاموا لهم حكومة محلية غير تابعة للجوتيين ، وأيا ما كان

الامر . غما ان نم طرد انجونييين ، حتى قامت أسرة أور الثالثة (٢١١٣ - ٢٠٠٦ ق.م) ، وسرعان ما وقعت آشور تحت نفوذهما ، وقد كشفت الحفريات في نينوى عن معبد أقيم من أجل «أمار - سين» (٢٠٤٧ - ٢٠٣٦ ق.م) ملك أور ، مما يشير الى تبعية آشور لحكم المومريين في أور^(٧) .

(٢) - العصر الآشوري القديم

يشغل هذا العصر الآشوري القديم الفترة (٢٠٠٠ - ١٥٢١ ق.م) ، وهي تقابل تقريباً العصر البابلي القديم (٢٠٠٦ - ١٥٩٥ ق.م) ، حيث قامت في هذه الفترة أسرة حاكمة مستقلة في آشور وفي كثير من المدن العراقية الرئيسية ، وكان الصراع في هذه الفترة بين هذه الأسرة المحلية الحاكمة على أشده للسيطرة على الطرق التجارية والاراضي الزراعية ، وقد استمر هذا الصراع - كما رأينا من قبل في هذه الدراسة - حتى عصر حمورابي ، الذي أعاد للعراق القديم وحدته ، فتم تحت لواء دولته جميع الدويلات والمدن العراقية في الشمال والجنوب ، بما في ذلك بلاد آشور . وبسبب - طبقاً للمعلومات المتوفرة لدينا - أن نميز بين مراحل ثلاثة رئيسية مرت بها بلاد آشور في هذا العصر ،

كانت المرحلة الاولى (٢٠٠٦ - ١٨١٤ ق.م) ، مرحلة غامضة ، ربما لا تدو في بعض الاحياء أسماء الملوك ، وربما بعضهم ، الى جانب أعمالهم العمرانية ، كما وردت في بئدلو الملوك الآشوريين التي دونت في فترة متأخرة ، وكذا في بعض نصوص الابنية التذكارية ، هذا فضلاً عن بعض المعامات من النصوص المكتشفة في المستوطنة التجارية الآشورية في منطقة قبادوة في آسيا الصغرى .

وعلى أية حال ، فلقد استطاع «بوزور - نيسور الاول» أن يؤسس

(٧) عامر - خيغان : المرجع السابق ص ١٢٢ - ١٢٤ .

أميرة حاكمة في آشور ، نرجع حقيقته «أيلونوما» (١٩٤٠ - ١٩٠٦ ق.م) في أن يوطد دعائمها ، وأن يقيم علاقات ثابتة مع معاصر البابلي ، بن وأن يقوم بحملة على بلاد بابل ، ربما للسيطرة على الطرق التجارية الموصلة إلى بلاد عيلام والخليج العربي ، سلكا الطريق الواقع إلى الشرق من دجلة ، ثم ادعى بأنه حرر مدينتي أور ونفر اللتين كانتا تقعان على الطريق النجاري إلى الخليج العربي^(٨) .

وهناك غند يرجع إلى العام العاشر من حكم الملك البابلي الشهير «حمورابي» يذكر فيه اسم الملك الآشوري «شمشي أداد» : الأمر الذي قد يشير إلى أن حمورابي ربما كان في المقعد الأول من حكمه خاضعا لهذا الملك الآشوري^(٩) .

ثم يبدأ الغموض بعد ذلك يخيّم على تاريخ آشور ، وربما وقعت آشور تحت نفوذ مملكة اشنونا ، على أن الغريب من الأمر أننا في وسط هذا الضباب ، سرعان ما نتوافر لدينا المعلومات عن علاقة آشور التجارية مع شرقي بلاد الاناضول ، فلقد أشارت الغموض المسمارية المكتشفة في «كاش» - وهي كول تبة الحامية ، على الضفة اليسرى لنهر هاليس ، شمالي قيصرية - بمنطقة قبهودوقيا إلى وجود جماعات من التجار الآشوريين كانت تظن في شرقي بلاد الاناضول في مراكز تجارية ذات تنظيمات إدارية وقانونية خاصة بها .

ورغم أننا لا نعرف على وجه اليقين متى بدأ اتصال الآشوريين التجاري بآسيا الصغرى ؟ وكيف حدث هذا الاتصال ؟ وهل تم سلما أم عنوة ؟ غير أن أكبر انطباع انما قد تم منذ ظهور الكيان السياسي للآشوريين ، وأنه كان في بدايته - على الأقل - اتصالا سلميا ، وأنه

(٨) نفس المرجع السابق ص ١٢٤ - ١٢٥ .

(٩) سامي الاحمدى : المرجع السابق ص ٨٨ - ٨٩ ، وكذا

C. J. Gadd, Hammurabi and The End of his Dynasty, in CAH, II, Part, I, Cambridge, 1973, P. 177.

كانت تسيطر تجاريا ونسبا ، وآية ذلك أقامه هذه المراكز التجارية الآشورية المتعددة بمنطقة وسط الأنضول ، والتي يمكن تحديدها بحوض نهر هاليس ونضومه المباشرة ، وما وراء هذا الحوض جنوبا حتى سهل قونيا وأقاليم قليقيا ، وشرقا حتى مشارف أعالي الفرات ، وأنه كان لاستغلال ثروات هذه البلاد ، وممارسة نشاط تجاري كبير بها ، دون أن يتكبدوا في ذلك جهدا حريبا يذكر ، حيث خلقت موصهم من الأثرة الى توجيه حملات حربية الى هذه البلاد .

عنى أن هناك من الباحثين من يذهب الى أن هذه المراكز التجارية إنما قد مارست نشاطها من خلال كونها مستعمرات أقامها الآشوريون للسيادة وفرض النفوذ على آسيا الصغرى ، وكانت «كمشي» بمثابة مركز للإدارة الآشورية الحكمة ، وقد اعتمد أصحاب هذا الاتجاه على أنه من الصعب أن يحقق الآشوريون هناك استعلاالا اقتصاديا كاملا ، دون سيطرة سياسية ، فضلا عن عبثه الآله أنشور في هذه المراكز التجارية بآسيا الصغرى ، وتناوبه بعض التنظيمات الإدارية بهذه المراكز التجارية مع مثيلاتها في أنشور (١٠) .

وتكبر الظن أن هذه المراكز التجارية إنما كانت خاضعة سياسيا لأهراء الدويلات المحلية ، مع تمتعها بنوع من الاستقلال الذاتي والحماية العسكرية ، مقابل ضرائب معينة كانت تدفع للأهراء المحليين ، وأما علاقة هذه المراكز بالدولة الآشورية ، فربما كانت من نوع علاقة الفرع بالأصل وآية ذلك أنها كانت تدين بالديانة الآشورية ، وتعيض الجهاد الآشورية ، مع بعض التأثيرات المحلية ، ومن ثم فقد تشابهت العقود التجارية والقوانين الآشورية التي كشف عنها في «كاش» بذلك التي كانت في بلاد آشور نفسها .

(١٠) محمد عبد اللطيف : المراكز التجارية الآشورية في وسط آسيا الصغرى في العصر الآشوري القديم - الإسكندرية ١٩٨٤ من ١٨١٤٩٦
CAH, I, Part, 2, Maps, 9-10, P. 173.
J. Lewy, on Some Institutions of The Old Assyrian Empire, in HUCA, 27, 1956, P. 13-21.

وعلى أية حال ، غلبت كانت هذه المراكز التجارية الآشورية في آسيا الصغرى (وتسمى كاروم) ^(١١) تقوم بدور الوسيط بين الدولة الآشورية الأم ، وبين الدويلات المحلية في بلاد الأناضول ؛ وهكذا كانت القوافل التجارية الآشورية تذهب محملة بالبضوجات والمالبس الآشورية والبابلية وحامات القصدير — وهي مستوردة أصلاً — وتعود إلى بلاد آشور بالذهب والفضة والنحاس — وربما للرصاص — والاحجار الكريمة ^(١٢) .

وأياً ما كان الأمر ، غلبت زاد هذا النشاط التجاري على أيام «أيلو شوما» ، وهناك نص من عهد ولده «أريشوم الأول» (١٩٠٦ - ١٨٦٧ ق.م) يشير إلى أنه أنشأ حرية الحركة للفضة والذهب والنحاس والرصاص ، فضلاً عن القمح والصوف ، إلى جانب منعتين أو ثلاثة من

(١١) أطلق الآشوريون على كل مركز من مراكزهم التجارية اسم «كاروم» (Karum) ، وتعني في الأكديّة رصيف أو حائط ميناء يقع على نهر أو قناة ، تجمع عنده صرافيت الدخل على الوارد ، ثم اتسع مفهومه ليعني السوق على جوانب الرصيف ، ثم مجموعة تجار المدينة ، ولم يقصد الآشوريون بتعبير «كاروم» في خصوص الأنواع القبادوشية ميناء نهرى غالباً ، إذ لم يقع كاروم كانش أو «حتوش» (بوغازكوي) أو غيرها ، على نهر ، وإنما يعني غالباً مجموعة الرجال الذين تولوا إدارة المركز التجاري ، وهم من التجار وأصحاب رؤوس الأموال الآشوريين ، وقد ثبتت «الكرو» غالباً في الأماكن الملاعبة على طرق القوافل ، كمركز تجاري لتسليم المتبادلة بين آشور وآسيا الصغرى ، فضلاً عن جباية المكوس التي كانت تحصل من القوافل التجارية ، مثل ضريبة الطريق وضريبة العشر وضريبة الخمسة في المائة التي كان الكاروم يقوم بتحصيلها ، ربما لحساب الدولة الآشورية ، وقد استخدم القوة في تحصيلها أحياناً ، كما كان الكاروم سلطة قضائية ، وجهاز إداري على رأسه الحاكم الكاروم الذي انتحل لقب (Rubaum) ، والذي كان يمثل السلطة التنفيذية للكاروم ويرأسها ، وغير خافض غالباً لحكام آشور ، كما كان للكاروم مقر مركزي يسمى «بيت الكاروم» (بيت كاريم - Rit-Karim) ، وكان بمثابة غرفة تجارية وبيت تخليص لتجارة ، ووكيلاً للقصر (انظر : محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٧٢ - ٨٨ ، وكذا

J. Bottéro and Others, *Op. Cit.*, P. 196.

J. Lewy, *CAH*, I, Part, 2, P. 37, 47, 709, 722, 760 F.

(١٢) حاصر سليمان : المرجع السابق ص ١٢٥ - ١٢٦ ، وكذا

J. Lewy, *Op. Cit.* P. 24-28.

السلع الرخيصة - وكان أرخصها التبغ - وأن هذا الاهتياز قد منح للتجار الآشوريين ، الأمر الذي يثير إلى دعم النشاط التجاري مع آسيا الصغرى التي أقيم فيها عدد كبير من المراكز التجارية الآشورية التي نالت اهتمام هذا الملك ، كما نالت اهتمام خليفته «ايكونوم» (١٨٦٦ - ١٨٥٥ ق.م) و «سرجون الأول الآشوري» (١٨٥٥ - ١٨٤٠ ق.م) (١٣).

ولعل من الأهمية بمكان أن الوثائق الآشورية إنما تشير إلى أن العصر الآشوري إنما قد شارك في مجتمعات المراكز التجارية الآشورية القديمة في آسيا الصغرى ، وأن الاختلاط بين الأسماء الآشورية والآشورية في هذه المجتمعات ، ما يشهد بامتزاج هذه العناصر كسكان يتعايشون معا في نطاق المركز التجاري الموحد .

وكان الآشوريون أقرب العناصر للآشوريين ، وأكثرهم ارتباطا بهم اجتماعيا ودينيا ، وقد اعتمدوا عليهم بدرجة كبيرة في مزاوله نشاطهم التجاري : أما السكان الوطنيون ، وخاصة العناصر «الهندو - أوربية» فقد نظر إليهم الآشوريون بازدراء ، وأطلقوا عليهم حقة «برابرة» (١٤) .

وليس هنا من ريب في أن الوجود الآشوري في هذه المجتمعات إنما كان سببا في التقارب بين الآشوريين والآشوريين في آسيا الصغرى ، وطبقا لدراسة عقود الزواج والطلاق : فإن معظم زيجات الآشوريين بالاناصول إنما كانت من هؤلاء الآشوريين ، كما كان رجال الأعمال الآشوريين كثيرا ما يستعينون بهؤلاء الآشوريين ، وكثيرا ما كانوا يعمدون إليهم بتولى أمر قوافلهم التجارية (١٥) .

13) CAH, I, Part, 2, P. 100L.

J. Levy, in JACS, 78, 1958, P. 99-101.

J. Levy, in HUCA, 27, 1956, P. 40, 65, 66.

A. Götze, in JLSA, 30, 1954, P. 35d.

J. Læssøe, Op. Cit., P. 37 F.

14) H. Levy, Anatolia in The Old Assyrian Period, in CAH, 2, 1971,

(١٥) محمد بيومي مهران : بلاد الشام - الأسكندرية ١٩٩٠ ص

J. Levy, Anattolica, in HUCA, 32, 1961, P. 65.

وكذا

وكذا

وكذا

وكذا

١٨ - ٧٠ ، وكذا

هذا ويذهب البعض إلى أن الآموريين في الأناضول إنما كانوا يشبهون الآشوريين إلى الدرجة التي يصعب معها التفرقة بينها ؛ وخاصة أن القريقتين من الجنس السامي ؛ هذا فضلاً عن اقتران اسم المعبود «أشور» بالمعبودات الآمورية ، وأن هناك آشوريين قد تعبدوا للاله الآموري «أموروم» ؛ كما تشير إلى ذلك النصوص القبادوشية^(١٦) .

ومما يثير إلى أسماء تتضمن أسماء آلهة سامية غربية (أمورية) مثل «داجان» و «أموروم» اللذين عبدهما الآشوريون ؛ واقترنت بعض أسمائهم بهما ؛ فأمّا «داجان» فقد انتشرت عبادته في «قبادوشيا» بوسط آسيا الصغرى منذ العصر الآكدي ؛ كما انتشرت في السهل الميزوبوطني منذ القرن العشرين قبل الميلاد ؛ على الأقل ؛ وأمّا «أموروم» فيمكن اعتباره «معبوداً قومياً للآموريين ؛ ذلك لأن اسمه إنما يدل على الأرض» والشعب والمعبود ؛ أموة بأشور المعبود القومي للآشوريين ؛ كما اقترن اسم «أموروم» باسم «أشور» في عدد من نصوص كول تبة^(١٧) .

هذا وتدل النصوص القبادوشية على أن الآموريين إنما كن لهم تأثير كبير على الآشوريين في وسط الأناضول ؛ حتى حمل هؤلاء الآشوريون - فيما تروى النصوص - أسماء تدل على عبادتهم للمعبود «أموروم» . وإن كان مما لا شك فيه أن التأثير الآشوري للآشوريين ؛ فهم أصحاب السيادة في مجتمعات المراكز التجارية بوسط الأناضول^(١٨) .

وكانت المرحلة الثانية من العصر الآشوري القديم، عندما بدأ القوم فترة انتمائهم الاقتصادي وسياسي في أعقاب فترة التدهور والاضمحلال؛

16) H. Lewy, in CAH, I, Part, 2, 1971, P. 721.

(١٧) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ص ٧٠ - ٧١ ، محمد عبد الطيف : المرجع السابق ص ٥٩ - ٦١ ، وكذا

17) J. Lewy, in HUCA, 32, 1961, P. 62, Notes, 25-27, 187.

H. Lewy, in CAH, I, Part, 2, 1971, P. 720.

(١٨) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ص ٧١ . وكذا

J. Lewy, in HUCA, 32, 1961, P. 34-35.

11) Lewy, in CAH, I, Part, 2, 1971, P. 718-720.

وتمكن «شمشي - أداد» الأول (١٨١٣ - ١٧٨٦ ق م) - وهو زعيم
أموري دن الاقوام التي سيطرت على الاوضاع السيلاني في معظم
الدوليات البابلية التي قامت في بداية العصر الديني القديم - تمكن
«شمشي - أداد» هذا من تأسيس أسرة جديدة في بلاد آشور ، حوالي
١٨١٣ قبل الميلاد ، تمكنت من أن تتحكم آشور بشكل مستقل ، حتى قضى
على استقلالية الملك «حمورابي» ، ونشهر النصوص السامرية - وخاصة
ذلك التي كشف عنها في هاري ، إلى فترة شخصية «شمشي - أداد»
وحكته السيلانية . حتى تمكن من تأسيس دولة سيطرت على المنطقة
السفلى والعربية من العراق القديم ، حيث قهر أقاليم هاري و «ترقا»
و «ادي الخابور» ، ربما في نهاية العقد الاول من القرن الثامن عشر قبل
الميلاد . وهذا ضم إلى دولته مملكة «هاري» ، وعن وندو الاخضر نائباً
عنه فيها (١٩) .

هذا وكانت علاقات الاشوريين وقت ذلك مع مملكة «قرقميش»
(جربلس الحالية) و «قطن» - وهي مثل المشرقة الحالية ، على بعد
١٦ كيلو شمال شرق دمشق (٢٠) - علاقة ودية ، اتسمت بتفاهل تحاري
بين الطرفين - غير أن العلاقات الاقليمية مع مملكة «يمخد» - وعاصمتها
حلب - انما كانت علاقات عدائية ، وذلك بسبب وقوف «يمخد» إلى
حانب ملوك هاري ضد الاشوريين .

وعلى أية حال ، فاقت تمكن «شمشي - أداد» الاول من بسط نفوذه
على المنطقة الشرقية من بلاد آشور ، كما قام بعدة حملات على انقبائل
«جوتية» . كما أقام علاقات ودية في سنواته العشر الاخيرة مع الملك
السامي «دهورابي» . وربما اضطر إلى أن يعترف بسيطرته في آخرات
أيامه : وعلى أية حال ، فلقد روت قصصه أنه تلقى في عاصمته نبوي

(١٩) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٢٦ - ١٢٧ ، وكذا
H. Lewy, in CAH, II, Part 2, 1971, P. 712
(20) A. H. Gardiner, Oram I, 1947, P. 166

— والتي أصبحت عاصمة آشور وقت ذاك ، ولأول مرة — جزى ملوك «توكريش» ومنوت الفطر الأعلى ، كما أقام نصبا باسمه في منطقة لينان (لا — أب — آ — آن) على شاطئ البحر الكبير (البحر المتوسط) ، ومن ثم : فإذا ما حث روايته هذه ، فإن توسعه إنما يعد أقدم توسع آشوري في بلاد الشام .

هذا وكان «شمشي أداد الأول» يظن في نفسه أنه الخادم المختار للمعبود أنليل — معبود مدينة نيبور — ومن ثم فقد شيد في هذه المدينة على أنقاض معبد قديم ، معبدا جديدا ، للإله أنليل ، وقد أطلق عليه اسم «إربت آشور انوخشي لكل البلاد» ، كما أطلق على المدينة اسم «شوبات أنليل» بمعنى «مسكن أنليل» .

وجاء بعد «شمشي — أداد» الأول ، ولده «إيشمي داجان» الأول (١٧٨٠ — ١٧٤١ ق م) ، والذي حكم قرابة أربعة عقود من الزمان ، غير أنه دسل في الحفاظ على دولة أبيه ، ومن ثم فقد أرسلت بعض الأقاليم عن سيطرته ، وعقد حلف بين مملكة «ييمخد» و «اشنونا» ضده ، هذا فضلا عن أن «حمورابي» إنما كان يعمل وقت ذاك على توحيد جميع الدويلات العراقية في دولة مركزية واحدة ، مركزها بابل ، ومن ثم فقد استطاعت سياسته مع آشور وغيرها من الدويلات المسقلة ، وقد نجح : آخر الأمر — في القضاء على استقلالها ، وضمها الواحدة بعد الأخرى إلى حدود دولته (٢١) .

وكانت المرحلة الثالثة من العصر الآشوري القديم إنان خضوع آشور لبابل على أيام حمورابي ، وربما استقلت آشور عن بابل بعد وفاة حمورابي ، غير أن الأمور كانت فيها مضطربة ، كما كانت حدودها

(٢١) محمد عبد القادر : المرجع السابق ص ٣١٢ ؛ جعفر سليمان : المرجع السابق ص ١٢٧ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٦٨ ؛ وانظر عن نوحبد «حمورابي» للعراني القديم (أعده ص ٢٢٢ — ٢٢٨) ، وكذا ANET, P 274.

مقصورة على بلاد آشور الأصلية : وظل الأمر كذلك حتى اعتلاء
(نبو زور - آشور) العرش المعلن في عام ٦٠٣ قبل الميلاد : حيث بدأ
العصر الآشوري الوسيط (٣٢).

٣ - العصر الآشوري الوسيط

تميز العصر الآشوري الوسيط ، والذي دام أكثر من ستة قرون
(٦٠٣ - ٩١١ ق.م) بأحداث هامة وتغيرات سياسية وعسكرية
 واجتماعية وحضارية هامة كذلك ، فمن النصف الى القوة : ومن التدهور
الاقتصادي الى الانتعاش والرفاهية ، ومن الجمود والركود الحضاري
الى الازدهار ، ومن التبعية والاحتلال الى السيادة ، كما أن هذه الفترة
من تاريخ العراق القديم انما تعاصر أحداثا هامة من تاريخ الشرق الأدنى
القديم ، وهي تعاصر في مصر عصر الدولة الحديثة (عصر الامبراطورية
المصرية) في أعقاب طرد الهكسوس ، حتى انهيار الامبراطورية المصرية
(٦٠٣ - ١٠٨٧ ق.م) ، وهي تعاصر أيضا الامبراطورية الحيثية ، ثم
هي تعاصر الكاشيين في جنوب العراق الذين كثيرا ما نازعوا آشور
السلطان .

هذا وكان من القوى الجديدة التي ظهرت في هذه الفترة : وأثرت
كثيرا في بلاد آشور : قوة «الجوريين» ، وهم قوم من منطقة القوقاز
انتشروا في بلاد الأناضول وسوريا وأعشى ما بين النهرين وشرقي بلاد
آشور ، وأقاموا دولة قوية هي «الدولة الميسانية» : واتخذوا من مدينة
«واشوكاني» (Washukkanni) عاصمة لهم ، وهي «تل الفخارية»
(Tell - Fekheriya) الحالية ، وقد استغلت الدولة الميسانية ضعف الامبراطورية
الحيثية وانقساماتها الداخلية ، فمدت نفوذها على المناطق الواقعة فيما
بين بحيرة «وان» (Lake Van) وأواسط الفرات ، ومن جبال زاغروس
وحتى الساحل السوري ، وكانت بلاد آشور من المنسحق التي وقعت
تحت نفوذها وسيطرتها المباشرة . ومع ذلك غلقت قوائم الملوك

(٣٢) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٢٧ - ١٢٨ .

الآشوريين أسماء عدد من الملوك الذين حكموا في بلاد آشور في فترة السيطرة الميتانية ، وربما كانوا ملوكا محليين تابعين للملوك الميتانيين المحليين .

غير أن قوة الدولة سرعان ما انقاصت الضعف ، وانقسمت إلى دولتين ، الواحدة تسيطر على منطقة بحيرة وان ، والآخرى تسيطر على بلاد آشور وأجزاء من سورية ، وقد استطعت آشور هذا الضعف واستغلت عن الميتانيين ، ثم تمكنوا بعد فترة من انقضاء على الدولة الميتانية وضم أراضيها إلى الدولة الآشورية ، وقد تم ذلك على يد الملك « آشور أوبنط » (١٣٦٥ - ١٣٣٠ ق.م) الذي انتصر على الملك « أرتاقاما الثاني » (١٣٦٦ - ١٣٥٩ ق.م) ، كما أعاد بناء الدولة الآشورية ، حتى غدت قوة يحسب حسابها في المنطقة ، ثم سرعان ما عقدت معاهدة مع بابل ، والتي كان يرى ملكها « بورنا بورياش الثاني » أن آشور من موانيه ، ولكنه اضطر فيما بعد أن يتقبل الوضع الجديد ، وأن يتزوج من ابنة « آشور أو بلط » التي أنجبت له « كدشمان خزيي » الذي تلاء على العرش البابلي ، غير أن ثورة قامت بعده أدت إلى قتله ، ومن ثم تدخل جده « آشور أو بلط » فقمى على الثورة ، وأقام حفيده الثاني أمالك « كوزيغالزو الثاني » مكانه على عرش بابل ، كما أسرف من قبل .

وأخيرا : فإن المؤرخين إنما يفسبون إلى « الملك آشور أو بلط » أنه أول من استعمل كلمة « آشور » مسموطة بعلامة القطر ، أسما لدوائه ، كما جاء ذلك على خاتم أسطوانتي ، وأما الاسم القديم « سوبارتو » فقد أصبح مقصورا على جزء صغير من ميثاني في شمال بلاد النهرين (٣٣) .

(٢٣) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٢٩ - ١٣١ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٩٠ ، ٤٩٩ ، نجيب عيضايل : المرجع السابق ص ٢٤٣ - ٢٤٥ ، طه باقر : المرجع السابق ص ١٧٣ - ١٧٥ ، ن. د. بلاهورت : المرجع السابق ص ٢٩٩ - ٢٩٧ ، محمد عبد القادر : المرجع السابق ص ٢١٣ ، وكذا :

G. Roux, Op. Cit. P. 229, 235.

وجاء بعد ذلك على عرش آشور مجموعة من الملوك العظماء ، عمل البعض منهم على توسيع سلطان الآشوريين إلى جهات الشرق الأدنى القديم : فاشأت بغرة الامبراطورية الآشورية التي قمت ونضجت فيما بعد منذ القرن التاسع قبل الميلاد ، وكان أول هؤلاء الذين خلقوا «آشور - أو بلط» الأول (١٣٦٥ - ١٣٣٠ ق.م) الملك «انليل - نراري II» (١٣٧٩ - ١٣٠٨ ق.م) والملك «أدد - نراري» الأول (١٣٠٧ - ١٢٧٥ ق.م) والملك «شلمنصر الأول» (١٢٧٤ - ١٢٤٥ ق.م) (٢٤) . والتي يعد من أعظم الملوك الآشوريين ، لا سيما في ميدان الفتوحات الخارجية ، فلقد تميز عهده بالفتوحات العسكرية المتتالية على الأقوام الجبلية ، وعلى بلاد «أبرارتو» (Urtu) (أرمينيا) و«مملكة» «خاني جابنت» (Khanigalbat) المينانية التي صمت أراضيها إلى الدولة الآشورية وأما هم أمم «مملكة» العمورية فكان تأسيس مدينة «كالح» (كلكو = كالحير بن نمرود) : واتخذها عاصمة له (٢٥) .

وجاء على عرش آشور بعد «شلمنصر الأول» ولده «توكلي نينورتا» الأول (Tukulti-Ninurta) : (١٢٤٤-١٢٠٨ ق.م) الذي اتبع سياسة أبيه في حملاته العسكرية ، وتقدم حدوده الشمالية والغربية ، ومن ثم فقد امتدت مملكته شمالا بغرب حتى بحيرة «وان» (فان) ، وغربا حتى «ماري» و«غال» الاخلامو : التي غنمتها من قبل جيوش أبيه ، هذا فضلا عن نهجه لسياسة تهجير سكان الاقاليم والبلدان المتصدة إلى أماكن أخرى ، وهي السياسة التي سار على منوالها الملوك الآشوريين من بعده ،

J. Laessle, Op. Cit., P. 52-52.

Delaporte, Les Hittites, P. 93 F.

(٢٤) انظر هذه التواريخ (ليو أوبنهايم : بلاد ما بين النهرين ص

٤٥٧ - ٤٦٣) .

(٢٥) نحب ميخائيل : امريج السائق ص ٢٤٦ ، عبد العزيز

صالح : المرجع السابق ص ٥٠٠ ، طه باقر : المرجع السابق ص ١٧٥ - ١٧٦ ، وكذا

J. M. Mann - Rankin, Assyrian Military Power, 1300-1200 B. C., in CAH. II, Part. 2 A, Cambridge, 1958, P. 279-284.

وأما بالدرجة إلى بابل ، فلقد ساءت العلاقات بين الكاشيين والبابليين ، وانتوت الدور بسيطرة الآشوريين على بابل ؛ ودخراها تحت النفوذ الآشوري المبهر ؛ وذلك بعد هزيمة الملك اليبالي «كاستلياش الرابع» (Kushtiliash, IV) (١٢٤٣ — ١٢٣٥ ق.م) .

وقد سجل الملك الآشوري نصره على بابل في نقش جاء فيه «معتمداً على آشور ، وأنليل ونشمش ، الآلهة العظمى ، سادتي ، وبمساعدة عشتار ، ملكة السماء والأرض ، انتني سارت على رأس الجيوش ، وأجبرت كاستلياش حاكم «كار — دونياشي» (بابل) على التنازل ، وهزمت كتائبه وقهرت جيئته ، وفي وسط المعركة قبضت يداي على كاستلياش ، الملك الكاشي ، ودأبت أقدامي على رقبته الملكية كأنهما عند قدمي ، وأحضرته أسيراً مقيداً أمام آشور ، سدي ، ووضعت سوزر وأكد إلى نهاية حدودهما تحت سلطاني» . ومن ثم فقد انتحل الملك الآشوري «توككتي نينورتا الأول» القاب «ملك كرديناش ، ملك سوزر وأكد ، ملك سيجار وبابل ، ملك تلامون وموخوا» ، كما أقام لنفسه عاصمة جديدة أضفى عليها اسمه ، هي «كار — توككتي — نينورتا» ، على مبددة ٣ كيلو من مدينة آشور ، غير أن السنوات الأخيرة من حكم «توككتي — نينورتا الأول» كانت غامضة ، وربما وقعت مؤامرة غامضة في آشور ، حيث دار عليه ونده وشقه (٢٦) .

ومكذ دخلت آشور في فترة ضعف واضمحلال ، وتقلصت حدودها حتى أن المارك الآشوريين نقسوا أنفسهم بلقب «اينساكو» — بمعنى الحاكم — وقد شهدت هذه الفترة نهاية الأسرة الكاشية ، وقيام أسرة

(٢٦) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٣٢ ، منه باقر : المرجع السابق ص ١٧٦ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٠٢ ، وكذا J. M. Mura, Op. Cit., P. 284-286
J. Laessle, Op. Cit., P. 97.
G. Roux, Op. Cit., 243-244.
S. Smith, Early History of Assyria, London, 1928.
G. Dossin, in Iranica Antiqua, II, 1967, P. 149 F.

جديدة في بلاد بابل هي «أسرة إيسين الثانية» ، واشتهرت بابل البرصة وفارت عنى التجارة الآشورية ، ولم تكن بابل استقلالها ، وتخلصها من الزور الآشوري ، وإنما فرضت ذوقها على آشور حينما من الدهر ، هذا فضلا عن استردادها لكرامتها الدينية باسترداد تمثال معبودها الأكبر «مردوك» ، وإن قدمت بهذا النصر ، لتلقى أطرافها الجنوبية من العيلاميين (٢٧) .

على أن الأمور سرعان ما تتغير في عام ١١١٥ قبل الميلاد ، عندما يمتلئ عرش آشور الملك «تجلات بلارس الاول» (Tiglath - Pileser, I) (١١١٥ - ١٠٧٧ ق.م) - أول ملك آشوري يقود جيشه حتى البحر المتوسط (مع الأخذ في الاعتبار أن محاولة «شمشي أداد الاول» هزئت في معركة اندس) - وأيا ما كان الأمر - فقد نجح «تجلات بلارس الاول» في إقصاء على الاخطار المدقة بالدولة الآشورية : كئفوام «المشكو الفريجيين» التي كانت تدفق بمجموعات كبيرة من آسيا الصغرى ، فضلا عن القبائل الجبلية التي كانت تمدها بالعون ، ومن ثم فقد مد حدوده حتى بحيرة «وان» (وان = Van) ، كما ضم إلى مملكته بلاد الآرامن ، وفي نفس الوقت ، فقد استطاع «تجلات بلارس الاول» أن يقضى على أخطار المادن السورية التي كانت تعرقل التجارة الآشورية : وعلى القبائل الآرامية التي كانت تغير على حدوده الغربية : بل أن «رجل انما» نجح كذلك في أن يستولى على بابل نفسها : وعلى بعض المادن الشمالية الكبرى مثل «دوركوريجانزو» و «سييار شمش» و «سييار - أتونيثوم» و «أوبس» : ورغم ذلك فإن آشور لم تقص على بابل أو تعاملها معاملة الأعداء المهزومين .

وانطلاقا من كل هذه الانتصارات : فأنشد زعم لنفسه عدة أوصاف وألقاب ، فوصف نفسه بأنه «الملك الحق لرجل كالاجا» (وفي الآكدية :

(٢٧) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٣٢ ، عبد العزيز صبح
المرجع السابق ص ٥٠٤ .

شروودانو) ، ملك العالم ، ملك آشور ، ملك الاطراف الاربعة ، البطل
الامام ، المؤيد موسى آشور ونيثورنا ، والارباب الكبار مصادته ، الذين
دعروا أعداءه» .

ثم يقول «قهرت يدائي من خلف نهر الزاب الاسفل ، حتى انهر
الشمالي الذي يقع الى الشمال ، ثلاث مرات سرت ضد بلاد نيري ،
اجعلت ثلاثين ملكا من نيري يسجدون منذ قدمي . واخذت منهم أسرى .
وتسلطت منهم خيلا ، وخرجت عليهم جزية وهدايا ، ثم سرت الى لبنان
وقطعت أشجار الارز لعبدي «أنو» و «أداد» الانيين العظميين ، سيدى
وجئت به ، واتجهت الى بلاد أمورو ، واستولت على جميع بلاد
أمورو ، وتسلمت جزية جبيل وصيدا وأرواد» ، وفي «سيمييا» ركب
العامل الاشوري «بحر أمورو العظيم» (البحر المتوسط) ، ثم اتجه
الى البر ، وقتل في طريقه «حصان البحر» أو «درخيلا» ، كما اصطاد
بعض من أمراء وحكام بلاد النهرين النور البري في جبال لبنان^(٢٨) .

هذا وقد انفتح المجال أمام آشور في هذا الوقت نتيجة ظاهرتين،
الواحدة : انتمائي القوة المدرية الفارسية ، بعد كفاحها العنيف مع
شعوب البحر^(٢٩) ، ونتيجة إساكنها الداخلية ، وانكماش نفوذها
بالتالى في شمال سورية ، والاخرى : خمود حمية شعوب البحر، خلفاء
الحثيين في آسيا الصغرى ، وزوال هيبتهم من نفوس جيرانهم، وترتب

(٢٨) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٤٧ ، عبد العزيز
صالح : المرجع السابق ص ٥٠٤ ، عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٢٢
محمد عبد القادر : المرجع السابق ص ٢١٦ - ٢١٧ ، فتيل حنى : تاريخ
سوريا ولبنان وفلسطين ص ١٥٠ ، ثبتان في التاريخ ص ١٧٢ ، وكذا
A. L. Oppenheim, *Op. Cit.*, P. 275.
D. D. Luckenhill, *ARAB*, I, 1968, P. 300 F
J. Lewy, in *HUCA*, 19, 1946, P. 476
ARAS, I, 1927, Parag 302

(٢٩) انظر عن شعوب البحر (محمد بيومي مهران : مصر والعالم
الخارجي في عصر رعمسيس الثالث - الاسكندرية ١٩٦٩ من ١٢٥ - ٢٤٢ :
مصر - الجزء الثالث - الاسكندرية ١٩٨٨ ص ٢٧٣ - ٣٨٤) .

على هاتين الظاهرتين ، أن زعمت حوليات «تجالات بلاسر الاشوري» أن آشور وأربابه المعتاق منقوه البأس والسلطان ، وأوحوا إليه بأن يعمد على توسيع حدود أرضهم ، ومن ثم فقد أخضع الفنين وأربعين شعباً ، وحسب بستان ملكا واقتصر عليهم ، وأنه غدد هاجم أرض «نايري» (في أرمينيا ؟) وأجبر أمراءها الثلاثين على أن يسجدوا عند قدميه . واحتجز أبناءهم وهائن عنده ، وأنه بلغ جبال لبنان ، وغزى أرض أمو و : وتلقى جزى جبيل وصيدا وأرواد ، ثم هاجم أرض خاني الكبري ، وفرض الجزية على ملكها «أيل تشوب» ، وغزى لشعراء بغيته ورجاله ، ووجون من ربه آشور ، وهاجم «الاخلامو – الاراميين»^(٣٠) ، من أرض سويحي حتى قرقيش ، وأسر منهم وقتل ونهب ، واقتصر على ست مدن من مدنها على سفح جبل بشري ، وحرقها ودمرها وقتل غنائمهم إلى آشور ، وهاجم في نهماية حكمه «الاخلامو – الاراميين» ثمانين مرة ، بحيث عبر الفرات مرتين في عام واحد ، وتغلب عليهم من «نمير»^(٣١) في أرض «أمورو» و «غابات» في أرض «سويحي» حتى مدينة رابيقو في كاردونياش (بابل ؟) ، وقد جرب حقه مع يابل نفسها ، فانهزمت جيوشه أمام جيوش ملكها «مردوك – ندين – آخي» حيناً ، وانتصرت عليه حيناً آخر ، ودخلها لأمد قصير^(٣٢) .

ومن البدهي أن حريات «تجالات بلاسر الاول» لم تطل من زعماء وضع في تعداد الشعوب التي أخضعها ، والتي قد لا يزيد أغلبها على مدن ومبش متفرقة ، وفي ذلك استمراره المستمرة ، على الرغم من أن تعدد حروبه مع جماعات بعينها : مثل جماعات الاراميين : إنما يدل

(٣٠) انظر عن «الاخلامو – الاراميين» (محمد بيومي مهران : بلاد الشام – الاسكندرية ١٩٩٠ ص ١٩٩ – ٢٠٠) .
(٣١) انظر عن «نمير» (محمد بيومي مهران : تاريخ العرب القديم – الرياض ١٩٧٧ ص ٥٣٢ – ٥٤٠) .
(٣٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٠٤ – ٥٠٥ ، وكذا D. D. Luckenbill, Op. Cit., P. 271, 287, 300 ff.

على عجزه عن الوصول الى نتائج حاسمة مهم ، غير أن هذه التحولات ، لم تخل في الوقت نفسه من أهمية تاريخية في تصوير مناطق انتشار الآراميين بين قرقيش و قنم و بابل ، ولم تخل من دلالتها على هزيمة رسمت طريق التوسع الآشوري بعد عهده ، في جنوب شرق آسيا الصغرى و لبنان و شمال سورية ، اشباعا لشهوة المجد ، و الاستفادة من أخشابها : وضعان تنفيذ مواثيقها التجارية لريجات أنشور ، أو على الأقل ، لخميان تعاملها معها ، و ان كان «تجلات بلامر» قد عبر عن هذا الضمان بتقنى جزاها ، و كانت سياسته في معاقبة أعدائه نهرايا متوازنا للمعاملة الآشورية حين بلغت عنفوانها ، فكررت حولياته أنه حرق مدنا ، و شرد أهلها و قطع رؤوس زعمائها و علقها على أسوارها و اعتذر أبناء المستسلمين له رهائن عنده (٣٢) .

وعلى أية حال ، فان أعمال «تجلات بلامر الأول» لم تكن مقصورة على المصوب خصب ، و إنما شملت كذلك مشاريع عمرانية ، لعل من أهمها تعمير العاصمة الآشورية القديمة «أنشور» التي انتقل اليها ، و اتخذها عاصمة لإمبراطوريته ، هذا فضلا عن تجديد أسوار «نبنوي» التي ددمت عندما بنى - أو بنى له رجاله - قصرين ، فيما بين سورية و العراق ، الوادي في «تل برسيب» (تل الأحمر) ، على الضفة الشرقية لفرات جنوبي قرقيش ، و الآخر في «خادانو» (أرسلان ناص) ، على مقربة من تل برسيب و قرقيش ، و زخفوا جدران القصرين برسوم حربية و رحلات صيده و أساطير قهره ، و تأثروا فيها إلى حد ما بالملوب الموري ، كما ذكرت نصوصه أنه أمر باستيراد نباتات جديدة لتزرع في بساتينه ، و استيراد قطعان من الماعز الجبلي لتطلق في سباحات الحديد و الفخس المخصصة له (٣٣) .

(٣٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٠٥ .
 (٣٤) طه باقر : المرجع السابق ص ١٧٧ ، هنري صود : المرجع السابق ص ٤٩ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ل. ديلاهورت : المرجع السابق ص ٣٠٠ - ٣٠١ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٠٥ ، وكذا
 J. Lagarde, Op. Cit., P. 57
 D. J. Wiseman, Op. Cit., P. 464.

غير أن غثرة الانتعاش والقوة العسكرية هذه : سرعان ما انتهت بانحلال «تيجلات بلاسر» الأول : وبالتالي فقد دخلت آشور ثانية في فترة ضعف وارتباك سياسي واقتصادي : دامت حتى نهاية العصر الآشوري الوسيط في عام ٩١١ قبل الميلاد .

(٤) - التشريعات الآشورية

عثر البعثة الألمانية في حفرياتها في مدينة «أشور» في الفترة (١٩٠٣-١٩١٤م) على اوحات تشريعية نسخت على الطين (Clay Tablets) وأيسن على لوحة حجرية (Stein) تشريعات حمورابي - ترجع لى أيام الملك الآشوري «تيجلات بلاسر» الأول (١١١٥ - ١٠٧٧ ق.م) . وإن ردها البعض الى ما قبل عهده نؤمن طويل ، وربما الى أولسط الآلف الثانية قبل الميلاد : وردها فريق ثالث الى انقطة فيما بين عامي ١٤٥٠ - ١٣٥٠ ق.م، ومن ثم غيى نعود الى العهد الآشوري الوسيط .

وهناك مصادر أخرى لتشريعات الآشورية - جاءتنا من الوثائق والمستندات القانونية التي وجدت كذلك في آشور - وتشبه لغة القوانين الآشورية من هذا العهد الوسيط : لغة النجالات الملكية التاريخية، ولكنها غفلت من أية إشارة أو دلالة الى معرفة مقتنها أو مشرعيها ، ولكن يستنتج منها أن أحكامها كانت سارية في مدينة آشور ومجاوراتها وهي - بحالتها التي وصلتنا بها - لا تؤلف قانونا كاملا ، أو وحدة قانونية : مثل قانون حمورابي ، ومؤكد لا تكمل بعضها البعض الآخر : ومن ثم فقد ذهب البعض الى أن مواد القانون الآشوري لم تكن في الأصل سوى قرارات أو أفضية سابقة صدرت بخصوص قضايا معينة ، فدونت وحفظت بهيئة مواد قانونية .

وعلى أية حال ، فالمعروف أن المكتشف حتى الآن من القوانين الآشورية إنما هو حد قليل ، لا يتفق وشجرة الدولة الآشورية وانجزات ملوكها ، ويرجع البعض أن ذلك إنما كان بسبب اعتماد الآشوريين على

القوانين السابقة — وخاصة قانون حمورابي — وكية ذلك اكتشاف استنساخ لفقرات من قانون حمورابي في مكتبة الملك «أشور بانبيان» الشهيرة ، كما أن المجموعة التالية المعروفة لنا من القوانين الآشورية إنما تتفق في أحكامها مع القوانين البابلية التي سبقتها بنحو ألف عام ، هذا فضلا عن أن هناك الملوك الآشوريين في الفئتين العسكرية والعمارة التي شملتهم إلى حد ما ، عن مسؤولي الإدارة والتنظيم ، ومنها إصدار القوانين ، إلى جانب أن الآشوريين إنما قد حكموا امبراطورية واسعة ضمت سوريا وأما مختلفة : ذات ثقافات وأفكار وعادات قبايلية الأمر الذي يفسر ما ، إلى حد ما ، إيجاد النباذ ، القانونية التي يمكن أن تتمتع عليها شعوب الامبراطورية .

ومع ذلك كله ، فهناك مجموعتان رئيسيتان من القوانين الآشورية ، الواحدة ترجع إلى العهد الآشوري القديم (حوالي ٢٠٠٠ — ١٧٥٠ ق م) ، وقد عثر عليها في المكتبة التجارية الآشورية في «كاش» (كولتة) في آسيا الصغرى ، وهي مواد ترتبط بقضايا الفئتين الاقتصادية ، وخاصة التجارية ، ورغم أنها لم تكتشف في آشور ، غير أن طبيعة النصوص ، فضلا عن لغتها ، إنما تشير إلى أنها من نفس القوانين التي كانت تسود آشور .

وأما المجموعة الثانية ، فهي التي كتبت عنها في مدينة آشور في الفترة (١٩٠٣ — ١٩١٤م) ، كما أننا كنا ، وقد تعرضت هذه القوانين لما تعرضت له القوانين السابقة من شئون الأسرة وأمسور البيع والشراء والترويض والرهون والاعتناء على الغير — أدبيا وماديا — وأنها قد سخرت كثيرا من العقوبات العامة والخاصة لصالح الدولة ، ومن ثم فقد سخرت أذنين في أعمال الملك (مشايخ الدولة) ليقرا مقتراوح بين عشرين وأربعين يوما ، وحددت بالضمي والاعتماد على الخازوق في بعض عقوباتها ، وأجازت رهن أفراد الأسرة ضمانا للديون ، وحرمت

الاستئصال بالسحر ، وجعلت عقوبته الاعدام ، ولأمر ما جعلت لمور النساء مصوراً لعدد كبير من بنودها ، وأساءت الفن يون الى حد كبير .

وهكذا قضت على زوجة الرجل النمر ، سارقة المعبد ، أن ترد المسرقات ، وأن يتقضى فيها قضاء انه المعبد (مادة ١) ، وأما اذا جرفت أو تدخلت في حديث لا رابطة له ، فثنتا تتحمل العقوبة وحدها ، ولا وزر على زوجها أو أولادها (مادة ٢) ، واذا سرقت امرأة من بيت زوجها المريض أو أئيت ، وسلمته الى رجل آخر ، فالثما يعدمان ، أما اذا كان زوجها حيا ، فعلى الزوج أن يقيم الاتهام ، وله أن يوقع عليها العقوبة المناسبة (مادة ٣) وأما اذا تسلم المسرقة من الزوجة عبداً أو أمة ، يقدم أنف العبد أو الأمة ، وتسلم أذنانها ، عوضاً عن المروق ، كما يصلح الزوج أذننى زوجته ، أو يعفو عنها ، وعندئذ يشمل العفو العبد أو الأمة ، ولا ترد المسرقات ولا يعرض عنها (مادة ٤) ، وأما اذا سرقت الزوجة من بيت رجل آخر شيئاً يزيد قيمته عن ٥ مينا من الرصاص ، فلزوجها خربة افتدائها ، على ألا يصلح أذنيها ، فاذا لم يرغب زوجها في افتدائها ، فإن صاحب المسرقات يأخذها ويقطع أنفها (مادة ٥) ، كما نصت القوانين على أنه اذا كان للزوجة وديعة بالخارج فمن سخرم الوديعة يعتبر سارقاً (مادة ٦) ، وقضت على من تضع يدها على مواطن بتعريضها ٣٠ مينا من الرصاص ، وجلدها عشرين عصا (مادة ٧) فإذا أصابت خصيته قطعوا أصبعها ، واذا أضرت الخصيتين عفاوا عيذها الاثنتين .

وقضت السرائع على من يضع يده على زوجة آخر ، وعاملها كما يعمل الطفل ، فانهم عند مطاردته وتهايمه يقطع أحد أصابعه ، فان كان قد قبلها تسحب شفته السفلى بحد سلاح بنطة وتقطع (مادة ٩) ، وأما اذا دخل رجل وامرأة بيت رجل آخر ، وقتلا ، أو قتل أحدهما رجلاً أو امرأة ، فإن الثمنة يسلمون الى (سيد الحياة) ، وله أن يحكم بالاعدام أو العفو ، بشرط الاستئلاء على ما يملك أو تمكن ، فاذا لم يكن لدى

المقاتل ، أو الثالثة ، ما يؤخذ منه ، فعندئذ يخصى ابنه أو ابنته (مادة ١٠) .

ونصت المادة (١٢) أنه إذا أمسك رجل بسيدة تسير في الطريق ، وراودها عن نفسها ، هرعضت ودافعت عن نفسها ، ولكنه اغتصبها عنوة ، يعدم ، ولا تؤم على المرأة ، وأما إذا تركت امرأة بيت زوجها وترددت على بيت رجل آخر ، حين اضطلع معها ، وهو يعلم أنها زوجة رجل ، يقتل كلاهما (مادة ١٣) . وأما إذا اضطلع معها في مأخوذ العبد أو في الطريق ، وهو يعلم أنها زوجة رجل ، يتقاضى عليه بمثل قضاء الزوج في زوجته ، فإذا لم يعلم أنها زوجة ، فلا جريمة على الزاني ، وللزوج أن يوقع العقوبة التي يراها على زوجته (مادة ١٤) . وأما إذا ضبط رجل رجلاً آخر مع زوجته ، وأثبت الاتهام ، يعدم الاثنان ، وأما إذا جرى بالزاني إلى حفرة الملك أو أمام القنصل وثبت الاتهام ، فيحكم على الزاني بما يحكم زوج المرأة عليها ، فإن قتلها قتل ، وإن سلم أذنيها ، خصى وشوه وجهه ، وإن عفا عنها عفى عنه (مادة ١٥) ، . وأما إذا كُنَّ المُنْطَل بِرُضَى الزَّوْجَةِ ، فَحَالُ لَوْحٍ عَلَى الزَّانِي ، وَلِلزَّوْجِ أَنْ يَوَقَعَ عَلَى زَوْجَتِهِ الْعُقُوبَةَ الَّتِي يَرَاهَا ، أَمَا إِذَا زَنَى بِهَا عَنُوةً ، فَانْ عَقُوبَتُهُ عِنْدَ رَفْعِ الدَّعْوَى رَاسِيَاتُ الْإِتْهَامِ تَكُونُ مِثْلَةً لِعُقُوبَةِ الزَّوْجَةِ (مادة ١٦) .

وقضت المادة (١٧) باختبار انحر على من يتهم امرأة رجل آخر بالزنى مع كذابين ما لم يثبت ذلك بشهود ، وأما إذا قال ذلك سرا لجاره ، وزعم أنه لديه على ذلك شهودا ، فإن لم يفعل يجلد أربعين جلدة بالعصا ثم يسدر نسرا في عمل الملك ، ثم يخصى ويدخل غرامة وزنة من النحاس (مادة ١٨) ، . وأما إذا اتهم رجلاً بأنه مأبون ، توقع عليه نفس العقوبة ، ويزيد الجلد إلى خمسين (مادة ١٩) ، . وأما إذا اضطلع رجل مع جاره وأتجهت عليه دعوى راثبات الاتهام ، فإنهم يضطجعون معه ، ثم يخصى (مادة ٢٠) .

ونصت المراسم على أن من يشبب في أجهاض ابنة رجل آخر ،

يدفع وزنتين وثلاثين ديناً من الرصاص ، ثم يجلد خمسين جلدة بالحصا ، ويسخر شهراً في خدمة الملك (مادة ٢١) ، وأن من يدفع امرأة إلى الدعارة ، وهو لا يعلم أنها زوجة ، ويقسم على ذلك ، يدفع وزنتين من الرصاص إلى زوجها ، فإن كان يعلم أنها زوجة ، يدفع انتعويض ، ويقسم على أنه لم يضاجعها ، فإذا أقرته المرأة على ذلك ، فإنه بعد دفع التوفيق يؤخذ إلى النهر ، فإن عذبه يعامل بنفس المعاملة التي عامل بها الرجل الآخر وزوجته (مادة ٢٢) .

ونصت المادة (٢٣) أنه إذا أخذت زوجة رجل زوجة رجل آخر إلى بيتها ، وسلمتها إلى رجل ليضطجع معها ، وكان الرجل يعرف أنها زوجة رجل ، يعامل كمن يضطجع مع زوجة ، وتعامل صاحبة البيت كزانية ، ومع ذلك إذا لم يوقع الزوج عقوبة على زوجته الزانية ، فلا عقوبة على الزاني ، ولا على صاحبة البيت ويطلق سراح الزاني ، أما إذا كانت الزوجة لا تحرك انوثتها ، وأن صاحبة البيت أتت بالرجل عن طريق الخيلة واضطجع بها ، فإذا أعلنت عند خروجها من البيت أنها اغتصبت بطلق سراحها ، ويقتل الزاني وصاحبة البيت ، أما إذا لم تعلن الزوجة أنها اغتصبت ، بوضع عليها زوجها المعقوبة التي يراها ، ويقف الزاني وصاحبة البيت ، ونصت المادة (٢٤) أنه إذا شردت امرأة من بيت زوجها إلى بيت رجل عادي (أشوري) ، وبقيت معه ثلاثة أيام ، كان لزوجها أن يشوه أذنيها أو يعنو عنها ، وأن يطالب بصلح أذني من كثرها ، وتفرم زوجها ، إن كان شريكاً لها بغرامة كبيرة .

ونصت المادة (٢٥) أنه إذا مات زوج امرأة ، وليس لها ولد ، وكانت تعيش في بيت أبيها ، ولم يقسم أخوتها للثركة بعد ، فإن من خدم أن يسترخوا إلى الخلى انتهى منه زوجها أيها ، وأن يقتبوا دعوى لاسترداد ماله ، وليس هناك ما بكرمهم على الإلتقاء لأختبار الزهر أو إجراء النكاح ، أما إذا كانت امرأة تعيش في بيت أبيها ، ومات زوجها ، وكان له ولد ، فإذا تزوج الولد ، فإنهم يأخذون الخلى التي كان

زوجها قد أعطاها إياها ، فإذا لم يكن له أولاد ، غانها فأخذ الصلى
لنفسها (مادة ٣٦) ، أما إذا كانت المرأة تعيش في بيت أبيها ، ويتردد
عليها زوجها ، فإن مدة الزواج التي كان زوجها قد منحها إياها ،
يستطيع أن يستردها ، ولكنه لا يمس متعلقات بيت أبيها (مادة ٣٧) .

واعترفت الشرائع الأزوجة خضامنة مع زوجها في ديونه وأخطائه
وجبرائمه (مادة ٣٨) ، ونصت المادة (٣٩) على أن المرأة التي مات
زوجها ، وهي تعيش في بيت أبيها ، فإن كان لها أبناء بقيت معهم حيث
نشأ ، فإذا لم يكن لها أبناء فمن حق والد زوجها أن يتزوجها هو أو
يزوجها لأحد أبنائه ، فإذا كان زوجها أو أبوه ميتين ، وليس لها ابن ،
تصبح أرملة ، وتذهب حيث نشأ .

وقضت الشرائع على زوجة المحارب المغائب أن تنتظره خمس
سنوات فإذا كنن لها أولاد ينفقون عليها استمرت في عصمته (مادة ٣٩)
أما إذا علمت بأمره ، فعليها أن تنتظره عامين فقط ، على أن يكفل انقضاء
لها ما تعيش به — إن كانت غير ذات ولد — سواء من إيجار أرض
زوجها أو داره ، أو معاشات انفص الملكي ، ثم يسمح لها بالزواج من
آخر ، على أن يستردها زوجها الأول ، إن عاد من الأسر (مادة ٤٥) .

وقضت الشرائع على من يغتصب فتاة بغير رضاها ، بتجريد
من زوجته ، وتسلبها إلى والد الفتاة لينكحها من يشاء ، وبأن يسلمه
المعتدى مهر الجكر ، فإن شاء بعد ذلك زوجها له ، وإن شاء زوجها لغيره
(مادة ٥٥) ، وأما إذا كانت العذراء قد أسلمت نفسها لرجل ، يقسم
الرجل بذلك ، فلا تمس زوجته ، ويمطى مغويها الثلث الألفاقى فضه
شبا الأميرية ، ويعامل الأب أمته على الصورة التي يرضاها (مادة ٥٦) .

وجعلت التشريعات للزوج ولاية كاملة على زوجته ، وسمحت له بأن
يبرئ عنها ، إذا أخطأت أو يطبق عليها بنفسها العقوبات البدنية التي
فرضها القانون على من حازتها ، فإذا كانت هذه العقوبات مما يسبب

عاهات دائمة ، مثل غنى العين أو صلح الأذنين أو الجلد المبرح ، فخذها أمام القضاء ، وبحضور موظف مسئول ، فإذا أتت أمراً لم يتناولها القانون ، جاز له أن يخلق شعرها أو يعرك أذنيها ، دون عقاب (مواد ٥٧-٥٩) .

وسمحت التشريعات لوالد الخطيب الذي فقد ولده بأن يزوج خطيبته لأحد أولاده الآخرين الذين بلغوا العاشرة ، أو أحد أهلكه من خطيبها المفقود ، ولا يحق له أن يزوجه بولد دون العاشرة ، إلا برضى أبيها (مادة ٤٣) ، وسمحت للأهل من غير ذات الموكد بأن يتزوج الواحد من أحد أبناء زوجها (من زوجة أخرى ؟) (مادة ٤٦) .

وأصرت النرائع على خروج الحشرات محجيات من الرأس إلى القدم ، لاسيما إذا خرجن وحدهن ، وعلى أن تسلك الجوازي سبيحاً ، إذا اصطحن ساجدةً ، وأعت من الحجاب المكافحات اللاتي وهبن عفافهن المعبد ، ولم يتزوجن ، وحرمت على العاهرات والاماء شتمهم النحرهم ، فإذا أذينه جردن من ثيابهن ، وضربن بالعصا ، وصا القار على رؤوسهن ، وأوجهت على المواطنين في هذه الحلة أن يقيضوا عليهن محجيات ، ويكيدوا عليهن ، وفوعدت من يتغاضي عن ذلك بجسده وتسخره وتقب أذنيه (مادة ٤٠) ، واستقرحت لحصانة المخيلة أن يسجد سيدها حصه من جيرانه أو ستة ، على أنها أصبحت زوجته ، وحيثما يحق له أن تتحجب ، ويحق لأبنائها أن يرثوا في إقطاعيه (مادة ٤١) .

ولم تهمل التشريعات جانب العبودية ، فقصت على من أثبت عليه التبيته بالتحديق وسب المعد بضربه أربعين عصا ، وقضت على من يتيم آخر بيته الخطيئة ويجهز عن ثيابه بنفس العقاب البدني ، مع تسخير في أعمال الملك شهراً .

واعترضت التشريعات برهن أفراد الأسرة في دين ، ولكنه حرمت على الدين أن يزوج ابنة مدبته الزميمة ، دون موافقة أبيها ، فإن من

أبوهما وتنتسب ولايتها إلى أخوتها ، يستطيع هؤلاء أن يحرروها من الدين خلال شهر ، والا جاز للدائن أن يزوجهما بمن يشاء ، أو يبيعها إذا جاء ذلك في نصوص الدين ، ولكنها حرمت عليه أن يبيع الرهينة قبل نفاذ الأجل ، وقضت عليه بالضرب والسخرة والغرامة وتغذ دينه ، أن يعمل ، فإن ماتت الرهينة عذبه عينة غير ضيحية ، عوض أهلها عنها بمثلها (مواد ٣٩ ، ٤٨) .

واشترطت في المبيع العقارية أن يعين المئادى عن العين المبيعة ثلاث مرات خلال شهر ، حتى يتسنى لأصحاب الحقوق أن يسجلوا حقوقهم لدى السجل الحكومى خلال هذا الشهر ، فإن خلت العين من الالتزام ، وجب تسجيلها في حضرة ممثل ملكى - أو وزير - وكاتب المدينة والمسجلين والمئادين ، إذا تمت الصفقة في العاصمة ، أو أمام عمدة أى بلد آخر ، وثلاثة من أعيانها .

واستمرت التشريعات في أحكام أخرى كانت لها أثارها هامة في التشريعات القديمة ، لاسيما في قانون الموارث والاييجارات والعمل وما إليها (٢٥) .

(٢٥) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٠٧ - ٥٠٩ ، تجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم - الجزء السادس - الاسكندرية ١٩٦٧ ص ٨٢ - ٩٣ ، طه باقر : المرجع السابق ص ٢٦٩ - ٣٠١ ، رضا جواد الهامى : القانون والاحوال الشخصية - حضارة العراق - الجزء الثاني ص ٨٢ - ٨٤ ، ل. د. ديابورت : المرجع السابق ص ٢٥٨ - ٢٦١ وكذا

T.J. Meek, The Middle Assyrian Laws, in ANET, 1963, P. 180-185.

F. F. Weidner, in AFO 12, 1937, P. 30 F.

G. R. Driver and J. C. Miles, The Assyrian Laws, Edited With Translation and Commentary, 1935.

الفصل الثاني

عصر الامبراطورية

عصر الامبراطورية

يقسم المؤرخون عصر الامبراطورية الاشورية — والذي امتد ثلاثة قرون (٩١١ — ٦١٢ ق.م) — الى عصرين ، الواحد : عصر الامبراطورية الاولى ؛ ويشمل الفترة (٩١١ — ٧٤٥ ق.م) ؛ والثاني : عصر الامبراطورية الثانية ؛ ويشمل الفترة (٧٤٥ — ٦١٢ ق.م) ، وان امتد رسميا حتى عام ٦٠٩ ق.م .

اولا : عصر الامبراطورية الاولى

(١) اداد - نيراري الثاني (٩١١ — ٨٩١ ق.م)

يبدأ المؤرخون عصر الامبراطورية الاشورية الاولى بالملك «أداد — نيراري الثاني» (٩١١ — ٨٩١ ق.م) ، والذي قام بحملة الى الارضين الواقعة جنوب الزاب بغية تثبيت مركز الدولة الاشورية عليها ، وضمان أمن وسلامة الطرق التجارية القادمة من الجنوب ، فضلا عن اشعار سكان المنطقة وسكان بلاد بابل باستعادة الدولة الى ايام قوتها السابقة ؛ وقد حققت الحملة اهدافها ؛ وتمت السيطرة على مدينة «المربخاء» (كركوك الحالية) وجعلت منها مقاطعة اشورية .

هذا وقد عمل «أداد — نيراري — الثاني» على تأمين حدوده الجنوبية ؛ الامر الذي اضطره الى تسليح الحرب ضد بابل مرتين ، غلبتها جيوشه في المراتين ؛ ثم عقد معها معاهدة حدودية ؛ اعترفت فيها بابل بسيادته على ارض السواد ؛ من الخابور في الغرب ؛ الى ما يجاور بغداد في الجنوب الشرقي ؛ ثم اتجه بعد ذلك نحو الغرب ؛ لاسترجاع الاشراف الفعلى لدولته على نفوذهما الغربية ؛ حول نهري الفرات والخابور . حيث كنف القبائل الارامية — والتي وصفت في النصوص الاشورية بأنهم «أهل براري» — قد انتظمت — هي وحلفاؤها — اجزاء من الاراضي الاشورية ؛ وسيطرت عليها ؛ ومن ثم فقد قام «أداد — نيراري» — بهملكه عليها وأخضعها ؛ وأعاد لاشور حدودها القديمة ؛

كما استولى على عدد من المدن على طول نهر الفرات ، ثم توجه شمالاً حتى وصل إلى المنطقة التي كانت تعرف بمملكة «خاني جلجات» وتمكن من القضاء عليها ، وأمر أمبرها ، وضم أراضيها إلى حدود الدولة الآشورية^(١) .

(٢) توكلتي - نينورتا الثاني (٨٩٠ - ٨٨٤ ق م)

جاء «توكلتي - نينورتا الثاني» (Tukulti - Ninurta, II) على عرش آشور بعد أبيه «أداد - نيراري الثاني» ، وقد وجه دمه لهقاهم ، الحصون على أشد ، حيث وضع حاميات قوية ، عني بأن تسيطر على المفاصل المختلفة إلى الشمال والغرب ، حتى يضمن طرق التجارة عبر طوروس وإلى سورية ، وحتى يأن تسرب لا تؤمن عواقبه .

هذا وقد نهج الرجل نفس السياسة التي انتهجها أبوه من قبل ، فبدأ بحملة على بلاد «المشيري» في الجنوب الغربي من بحيرة «وان» (Van) وأخرى إلى المنطقة التي تقع فيما بين الزابيين - الأعلى والاسفل - وثالثة إلى بلاد بابل ، حيث وصل إلى دور كوريجا نرو و «السيار» دون معارضة تذكر ، وقد استمر في زحفه غرباً فشمالاً ، حتى وصل نهر الخبور ومنطقة نصيين ، وأخيراً قام بهجوم على منطقة «المشكر» (مشكي - Mushki) في آسيا الصغرى ، وهكذا كانت آشور - عند وفاته - تشمل كل شمسان العراق ، من الخبور حتى زاجروس ، ومن نصيين حتى عنات وسامرا^(٢) .

(١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٦١ ، عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٤٣ - ١٤٤ ، وكذا

D. D. Luckenball, ARAB, I, 1976, Parag. 355-360.

G. Roux, Ancient Iraq, 1980, P. 263.

J. A. Brinkman, Op. Cit., P. 191.

(٢) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١١٤ - ١٤٥ ، طه باقر : المرجع السابق ص ١٨١ - ١٨٢ ، وكذا

(٣) آشور ناصر پال الثاني (٨٨٣ - ٨٥٩ ق م)

وجاء على عرش آشور بعدد (١١٠٠٠) فينورتا الثاني)) ونده «آشور ناصر پال الثاني» (٨٨٣ - ٨٥٩ ق م) (Ashurnasirpal, II) وفي الاكديّة (Assur - Nasir - apli) ، بمعنى «الاله آشور يحمى واده ووريته»^(٣١) ، وقد تميز عهده بازدهار حضارى وثغوق عسكرى ، حيث تشير النصوص المسمارية الكثرة التى تركها لنا الى النشاط العسكرى الكبير الذى شغل النصف الاول من حكمه ، ورغم أن جزءا كبيرا من اختيار هذا النشاط فقد ، فان ما عثر عليه مدونا على الواح فى معبد «نينورتا» فى مدينة «كالح» (نمرود) ، لم يلقى كثيرا من الضوء على الحملات العسكرى التى قام بها العامل الاشورى ، وان ذلك فى الوقت نفسه - على فسوه بلالة اشتهرت بها حروب الاشوريين ، وقد كتب مؤرخه يصف - مثلا - سقوط مدينة «كيتايو» التى كان يحكمها «اهولاي» ، «انشد قتل ٦٠٠ من العساكر بحد السيف ، واحرق بالبنار ثلاثة آلاف اسير ، ولم ابق شئ احد منهم حيا ليصبح رهينة فى يدي ، وقد وقع امير المدينة اسيرا فى يدي ، فقد كومت جثثهم حتى حارت فى علوها ، وكأنها برج ، واحرقت غلبيتهم بالبنار ، وأما املك فلقد سلخته وعلقت جلده على جدار مدينته داهداموما ، وأما المدينة نفسها فقد دمرتها وحرقتها بالبنار»^(٣٢) ،

و لواقع أن الاشوريين - كما صورو أنفسهم - انما كانوا يترسوا لشعوب الشرق القديمة فى معاملة أعدائهم ، وهكذا - وكما رأينا من

D. D. Luckenbill, Op. Cit., Parag. 400-430.

G. Roux, Op. Cit., P. 263

A. Dupont-Sommer, Les Arameens, Paris, 1949, P. 13, 31.

W. Schramm, Die Annalen des Assyrischen Königs, Tukulti - Ninurta, II, Bl. Or, XXVII, 1970, P. 147-161.

3) J. Lespede, People of Ancient Assyria, London, 1963, P. 99, No. 1.

G. Roux, Op. Cit., P. 267, No. 1.

وانظر

(٤) محمد عبد القادر : المرجع السابق ص ٢١٨ .

النص السابق — فلقد صيغت نصوص هذا القاتح الآشوري انتصاراته بطابع القسوة الشديدة ؛ فتحدثت عن أن رجاله كانوا يسلخون جلود كبار الأعداء أحياء ؛ ويثبونها على آثارهم وأبواب غصمتهم بالمسامير ؛ وكانوا يعذبون بعضهم على الخوازيق ؛ ويقطعون أيديهم ؛ ويجمعون جماجمهم في أكوام ؛ تم يحرقون مئات من الأسرى ؛ ولا يستثنون النساء ؛ ويجدعون أنوف آخرين ؛ ويعلمون آذانهم ؛ ويبترون أصابعهم ويشقون أعينهم . وإن لم تتمع أمثل هذه المعاملة «أشور ناصر بال» الثاني من أن يشيد بفضل أربابه في تأييده ؛ ويكرر اهتمامه بتقديم القرابين إليهم ؛ وحرصه على تخصيص أخصاب أرض جبال أمسانوس لأبنائه احتفالات معابدهم ؛ ولهذا مضطرين بطبيعة الحال أن ناخذ بحرغية هذين المصنفين من المعلومات ؛ ففى كل منهما مبالغة ؛ ومبالغة في تصوير القسوة لتكون عبرة ؛ ومبالغة في تصوير التهور للتعطية على الأخطاء ؛ وما ينطبق من هذا الحكم على نصوص «أشور ناصر بال الثاني» ؛ ينطبق على نصوص غيره من الملوك القدماء^(٥) .

وعلى أية حال ؛ غلقد استهل «أشور ناصر بال الثاني» عهده بتجديد نهجه للنظم العسكرية ؛ فتكون جيشا جديدا ؛ ومتطورا ؛ شكل فيه سلاح المشاة من الجنود الآشوريين ؛ بينما اعتمد سلاح العربات — التى حد كبير — على فرسان من الحلفاء . وعن طريق هذين السلاحين اثبتق فن حصار المدن ؛ والذي تطلب تزويد الجيوش بالآلات حربية أثبت بالدميات في الجيوش الحديثة ؛ الأمر الذى لم يصل إليه من قبل ؛ سبب أخسر في المنطفة ؛ فيما يرى سم^(٦) ؛ وقد اعتمد تصميم هذه الآلات أساسا على معزل لهدم الأسوار ؛ وهو أثبت ما يكون بالمدفع ؛ وقد أثبت في

(٥) عبد العزيز صانح ؛ المرجع السابق ص ٥١٢ .

(٦) عبد القادر خننل ؛ السياسة الخارجية لملوك آشور ناصر بال الثاني — المجلة التاريخية المصرية — المجلد ٣٤ — لعام ١٩٨٧ ص ٤٥ وكذا A. A. Olmstead, History of Assyria, New York, London, 1923, P. 81. S.M.A. Sidney, The Foundation of The Assyrian, Calif, Ill, 1965, P. 12.

هيكل منطى به مواد مختلفة : وقد ونسب هيكلاً بأكمله فسوق عجالات تراوحت فيما بين أربع وست عجالات في القرن التاسع قبل الميلاد ؛ وأن اقتضرت على أربع بعد ذلك^(٧) .

على أن هناك من يرى أن هذه الآلات — وأن لم تظهر صورها على الإمبران الآشورية ، قبل عهد (أشور ناصر بال الثاني) — فنقد أشارت وثائق «ماري» و «نوغازكوي» إلى استخدامها منذ القرن الثامن عشر قبل الميلاد^(٨) .

وأي ما كان الأمر ، غلغ بدأ الرجل حملاته في الجبهة الشرقية، ومن ثم غلغ قدم بحملة نجحت في إخضاع الأقسام الجبلية ، وهدت النفوذ الآشوري إلى ما وراء حدود آشور السابقة ؛ ويحدثنا الملك الآشوري أن غواته قد عبرت جبلاً شديدة الانحدار ، وسلكت مسلكاً وعرة ؛ لم تمهد من قبل لمروء الجنود والعربات ؛ وأن هذه الخنادق تسمى أرض «توم» (Tumme) وأن قلعتها تدعى «جوب» (Gubbe) ، وقد غر رجالها أي جبل شديد الانحدار ؛ لا تستطيع الطيور — من شدة ارتفاعه — أن تبلغ منتصفه ، ومع ذلك غلغ تجميع الفارون في إمارة تحصينها، عند ذمته ؛ غير أن جنود الملك ؛ ودع على رأسهم ؛ سرعان ما وصلوا إليه ؛ بعد أيام ثلاثة ؛ فدمروا معسكرهم ؛ وشنتوا عليهم ؛ وصحبوا الجبل بدماء مائتين من قتلائهم ؛ ثم استولوا على المدن الحصينة في أرض «توم» والتي تقع إلى الشرق من آشور^(٩) .

ويتجه العامل الآشوري بجيوشه إلى منطقة «كيري» (Kirri) في شمال آشور ؛ وهي منطقة كانت تابعة للسلطنة الآشورية ؛ وكانت

٧) T. Madhoun, Assyrian Siege Engines, in *Sumer*, 21, 1965, P. 9 F.

٨) T. Madhoun, Op. Cit., P. 9.

٩) A. T. Olmstead, Op. Cit., P. 82.

١٠) A. T. Olmstead, Op. Cit., P. 84.

١١) D. Luckenbill, Op. Cit., P. 143.

وكذا

وكذا

تمد الملك بالخيول والبغال والماشية والفسان وأواني البرونز والخمر ويشير الملك إلى أن منطقتي «جيزان» (في شمال آشور) و «موبوشيك» (في شمال غرب آشور) قدمتا له - أثناء وجوده في كيرورى - هزبتها من الخبز والذئب واللحمة والقصدير والندى والأواني الفخارية ، الأمر الذى يشير إلى أن المنطقتين إنما يقيتا على المولاء لملك آشور^(١١) ، ومنى توت خال - سرغن ما اتجه الملك إلى أرض «كيرهى» Kirhi فعبر نهر «هوارن» ، حيث لقي هناك مقاومة عنيفة ، ولكنه تمكن من الاستيلاء على «نيشتون» عاصمة «كيرهى» (غرب موبوشيك) ، وعر رجالها إلى جبل مرتفع ، وقتله سحابة في السماء ، غير أن جنوده سرغن م. تعذبوا الفارين ، فأعدم الملك منهم ٣٦٠ رجلا ، وقطع رؤوسهم ، ولتخدم جثثهم كبينات في بناء الأعمدة ، ثم استولى على ممتلكاتهم ، وقبض على ملكهم (بوجو) بن «هويا» ، وأخذ أسيرا إلى مدينة «أربلا»^(١٢) (Arbela) ، وهناك سلخ جلده حيا ، ونشره على جدران المدينة ، ثم أقام لنفسه تمثالا سجل عليه انتصاراته^(١٣) .

ثم أرسل «شور ناهر بلك الثانى» بعد ذلك ، حملتين لاختضاع منطقة زامو (Zamu) (وادي السايديانة) بإقليم «شخان»^(١٤) - شمال غرب آشور - نجحتا في تدمير السيادة الآشورية عليها ، كما أثبتت الصراع بين «أشور ناهر بلك الثانى» وبين «بيت زمانى» ، وقد أخضعها مؤقتا ، وكانت أقوى ولاية أمورية في الشمال هي بيت أدينى (بيت

(١١) A. T. Olmstead, Op. Cit., P. 85.

(١٢) أربلا : هو الاسم الآشورى للمدينة الآشورية «أربا الو» بمعنى «الآلهة الأربعة» أى المدينة ذات الآلهة الأربعة ، وكانت مركز العبادة لآشور الحاربة ، وتقع على سفح زاجروس ، وكانها الآن مدينة «أربل» الحالية (مشرق عيسى : معجم الحضارات السامية ص ٦٢) .

(١٣) عبد القادر خليل : المرجع السابق ص ٥٠ - ٥٢ وكذا

D. D. Luckenbill, Op. Cit., P. 143. Parag. 441.

(١٤) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٤٥ ، وكذا

E. G. Kruehig, Aram and Israel, 1918, P. 53

عاديّني) ، ذلك لأنها إنما كانت تتمثل مركزاً استراتيجياً على الطريق العام من «حران» إلى سورية ، وكانت عاصمتها «تل بارسيب» — وهي تل أحمر الحائية ، على الضفة اليسرى لنهر الفرات ، جنوبي قرقميش — وقد تدخلت إمارة «بيت عاديّني» في أشغال الثورة بين الدويلات الأمورية لمخافة آشور ، وآية ذلك تلك الثورة التي اندلعت في «سورو» (Suru) عاصمة بيت خالوب في عام ٨٨٣ ق.م ، فتدخل «أشور ناصر بال» وقضى على الثورة ، وأدب الشائرين : كما تسلم الجزيرة من بعض الدويلات الآرامية الأخرى^(١٢) : وفي عام ٨٧٨ قبل الميلاد قامت ثورة جديدة في «الاق» و «خنداق» و «سوخو» فقضى عليها العامل الآشوري بعنف : خاصة وقد كان من ورائها ملك باطل : كما قام بتأديب «بيت عاديّني» لتكف عن تحريك هذه الثورات : ومن ثم فقد تقدم نحوها ، وأجبر ملكها على دفع الجزية^(١٣) .

وفي عام ٨٧٦ قبل الميلاد ، ظهر الملك الآشوري أمام «قرقميش» وقبض المرور ، ولم يقوم ملكها : وقبل أن يدفع اثاوة كبيرة : منها عشرون تالنتاً (Talents) من الفضة (حوالي ألف رطل) ، وعبر الجيش الآشوري الفرات ، واخترق سورية إلى الساحل ، وقد نهبت الثمار الحثية الأخرى نهج قرقميش : وقد بشير هذا الفشل الذي منيت به الدويلات الحثية في الاتحاد لمواجهة الغازي الآشوري ، إلى ما بينها من خمولات . لأندرى عنها شيئاً^(١٤) .

وأيما ما كان الأمر ، فلقد استمر «أشور ناصر بال الثاني» في طريقه غرباً نحو سورية الشمالية ، ثم اتجه إلى الجنوب ، وعبر نهر العاصي ودخل لبنان ، ونزل إلى البحر المتوسط بدون مقاومة : وهناك تلقى

(١٤١) يوسن عياد عباد : الآراميون في مصر — القاهرة ١٩٥٥ من ١٦ وكذا
G. Roux, *Op. Cit.*, p. 268.
(١٥) E. G. Kraeling, *Aram and Israel*, New York, 1938, p. 56-69.
(١٦) O. R. Gurney, *The Hittites*, (Penguin Books), 1969, p. 44.

خضوع المدن الفينيقية ، صور وصيدا وجبيل ، حوالي عام ٨٧٦ ق.م ،
 ولزمها على أن تدفع الجزية ، وأن يقدم له سكانها الذهب والفضة والنحاس
 والفضة والتصدير والحديد والمنسوجات الملونة وكميات من خشب
 الأبنوس والأرز والمنديل والمعاج ، ويُقام بهذه المناسجة لوحة تذكارية
 عند نهر الكلب - سهاتي بيروت^(١٧) ، وهنا - عند نهر الكلب - تلقى
 المعامل الآشوري هديا «عمري» (٨٧٦-٨٦٩ ق.م) ملك إسرائيل^(١٨) ،
 وهكذا - ولأول مرة - منذ عهد «تجلات بلأسر الأول» يصل ملك
 آشوري إلى البحر المتوسط ، ويتلقى الجزية من عدد من المدن الفينيقية .

ويحدثنا المعامل الآشوري في حويلياته التي عثر عليها في مبد
 عيورثا في مدينة كائج ، فيقول : «لقد تحركت من بلاد بيت أديني
 وعبرت أنارت عند قمة قيصانه بمعبّر من جند المنازع ، وقدمت نحو
 قرقيش ، وهناك تأقيت جزية من «سنجارا» (Sangara) ملك الحيثيين
 (ثم رددت ألوان جزية من فضة وذهب وخناجر من ذهب ، ونحاس
 وحديد وأثاث خشبي مطعم بأعاج ، ومائتين من الفقيسات متدثرات
 بالكتان الرقيق المحلى بأهداب ذات ألوان مختلفة من الصوف المصبوغ
 بالأحمر اللّذي والقرمزي ، وأنباب الفيلة والعربات) واستوليت على
 غرسا وهشاة قرقيش ، ثم جاءني ملوك كل الولايات المجاورة ،
 فقبلوا قدمي ، وأخذت منهم رهائن ، ثم تحركوا معي إلى لبنان (لأب -
 نا - نا = Nab - Na - Na ، ثم انتقلت من قرقيش مخرقا الطريق
 بين جبال «مونزيجاني» (Munzigani) و «همرجا» (Hamurga) مخلفا
 بلاد «أهانو» (Ahani) على يساري ، وتقدمت نحو مدينة «حزازو»
 (Hazaru) لمأحبها «لوبيارنا» (Lubarna) ، وتسلمت هناك ذهباً وملايس
 كتانية ، ثم عبرت نهر «عبر» (نهر أفرين الحالي) حيث قضيت الليل ،

وكذا

D. Barmaki, Op. Cit., P. 28

[8] A. Lees, Op. Cit., P. 377.

[17] F. C. Eissen, Study in Orient History, New York, 1916, P. 43.

ومن ضفافه انتقلت الى مدينة «كونونوا» (Kunulua) مقر «الوبارنا» وقد قبل قدمي : رهبة من قوتش ، وخوفاً من جيش الجبار ، ثم قدم لي الجزيرة (ثم يعدد ألوان الجزية ، ومن بينها ذهب وحديد ومائسية واقمشة كتائية «عمالة» باللصوف المبرقش ، والمختلف الألوان ، وأثاث خشبي ومخيمات) وأخذت غرساته ومشمته واستوائت منه على رهائن، ثم «قبلت» جزيرة «جوسى» صاحب «يامانى» من ذهب وخضة وصفيح رحديد ومائسية وكان يأخذ ب صوفية مبرقشة .

وارتحلت من «كونونوا» مقر «الوبارنا» توجهت العصى (الاورنت = Arantu = Orontes) وقضيت الليل على ضفته ، ومن هناك اتخذت طريقى بين جبلى باراق ويدتورى وقضيت الليل على ضفاف «سانجورا» ومن هناك اتخذت طريقى بين جبال «ساراتينى» و «دوبتى» وقضيت الليل على ضفاف بحيرة ... ثم دخلت «أرايبو» قلعة «لويارنا» ، واستولت عليها ، وجذعت لتفتح والنفس من بلاد «لوهوتى» (Luhut) وهـ زفتها هناك ، وأقامت في قصره احتفال «تسشوتو» (Teshu) ، ثم أسكنت مراحلتين أسريين في المدينة ، ثم فتحت مدنا أخرى من مدن «لوهوتا» وهزمت أهلها في معارك عنيفة ، فغضيت عليهم ، ومهدمت أسوارها وحرقتها بالنار ، ووذمت الأحياء من أهلها على الخوازيق أمام المدن التي كانوا يسكنونها .

وفي هذه المرحلة استولت على كل جبال لبنان القرامية الاطراف ، ووصلت الى البحر الكبير في بلاد أمورو ، وغسلت أسلحتي في البحر العظيم ، وقدمت قرابنى من المائسية ثلاثه جميعا ، وكانت جزيرة نسطى ، البحر من سكان حبر وميدا وجبيل (بيطوري) ومحالاته وعابزة وكافزة وأمور وأروا ، التي هي جزيرة في البحر ، تتكون من ذهب وفضة ومنسج ونحاس ولؤلؤى مسلسلة ومزبىس كتائية ، ذات أعقاب مبرقشة . وقدة كبيرة وصغيرة ، وعاج وأبنيس وأخشاب ، وقطبات جزيرتهم ، وفلوا أقدامى .

ثم صعدت إلى جبال أمانوس (Xamni) (Ha-Ma-Ni) وقطعت
 كتلا من الارز والصنوبر والسرور ، وقدمت أخاها قربانا لالهته ، وأقامت
 هناك نصبا متحوتا يخلد أعماله الباهرة التي تتم عن بطولتي ، وأما
 كتل الارز من جبال أمانوس ، فأمرت بإرسالها إلى معبد «ايسارا»
 (Esara) لبناء الهيكل المسمى «ياشمكو» (Iasmanku) للاعياد لخدمة
 «عابد «سن» و «شمس» الاثنين اللذين يمنحان الضوء» (١٩) .

هذا ولم يقتصر اهتمام «أشور ناصر بال الثاني» على المجال
 الحربي ، وإنما نهدها إلى الميدان العمراني ، ومن ثم فقد أعاد بناء
 مدينة «كالح» (نمرود) - التي أسسها سامنصر الاول (١٢٧٤-١٢٤٥ ق.م) -
 واتخذها عاصمة للإمبراطورية الآشورية ، وأمر بحفر قناة
 «باتي - خيجالي» (Patri-Higall) لأغراض الدفاع والري معا ، ثم
 بنى القصر الذي كشف عن جزء منه ، فيما بين عامي ١٨٤٩ ، ١٨٥١ م ،
 وكان يشغل مساحة قدرها ٤٠ ألف قدم مربع ، كما قام بتأثيثه وتزيينه ،
 وقد استغرق هذا العمل خمس سنوات (٨٨٣ - ٨٧٩ ق.م) ، استخدم
 فيها الآلاف من العمال والمفتيين المحليين ، فضلا عن أعداد كبيرة من
 المرخيين والمفتيين الذين جرى بهم من المناطق المفتوحة ، ولاسيما من
 سورية ، وقد افتتح المدينة في عام ٨٧٩ قبل الميلاد ، في احتفال مهيب
 دعى إليه قرابة سبعين ألف شخص من مختلف الاقاليم .

هذا وقد عثر عام ١٩٥١ م على لوح الاحتفال - ومحمول الآن
 بمتحف الآشور بالموصل - وقد صور الملك على اللوح محاطا برموز آلهة
 السماء ، وقد جاء بالاسم المنقوش على اللوح ، أن الملك قد أقام احتفالا
 بمناسبة تكمم القصر والحمدائق المحيطة به - دعما إليه ٦٩٥٧٤
 تسخرا من كل أنحاء الامبراطورية ، نزلوا ضيوفا على الملك على مدى

(١٩) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٥٢ - ٢٥٤ ، وكذا
 D. D. Luckenbill, Op. Cit., Parag. 473-479.
 A. L. Oppenheim, ANET, 1956, P. 275-276.

عشرة أيام ، تربوا فيها خمر ، وأكثروا على المائدة الملكية ، وأن الملك قد نهج ٢٢٠٠ عجلا ، وستة عشر ألف خروف ، وقد شرب خيروف الملك ألف قرية خمر ، وعشرة آلاف برميل من البيرة ، ثم انتهى النص بقول الملك : استغفرت على مدى عشرة أيام بهذا الناس من جميع أنحاء البلاد ، مع أهل كالح ، وقدمت لهم الخمر ، وأعدت لهم التجمعات والدموع والعطرية . ومنحتهم الأوسحة ، ثم أعدتهم إلى بيوتهم في سلام وعناء^(٢٠) .

هذا وتعد الآثار المكتشفة في مدينة «نمرود»^(٢١) من أروع الآثار الآشورية ، وتعكس لنا المدى الذي وصلته الفن والعمارة في القرن التاسع قبل الميلاد ، وقد كشف عن كثير من القصور الفخمة والمعابد والأسوار والبوابات ، فضلا عن مئات من أرواح الجدران التي كانت تعلق جدران قاعات القصور الداخلية ، وهي منحوتة نقشا بارزا دقيقا بمناظر مخيفة من الحياة الملكية والمعارك العسكرية ، وانحياض اليومية ، وقد لون بعضها بألوان زاهية ظلت تحتفظ بها حتى يومنا هذا ، هذا وقد زينت مدخل القصر والفتحات الرئيسية بتمائيل ضخمة لحيوانات مريكية ، عرفت بأثيران المجنحة ، تعبر عن قوة الآشوريين ، فضلا عن حكمة وحذرية قوادهم ، فثبتت حائل الختان أن يعبر عن ثبات الثور وسيطرته على الأرض والسما ، إلى جانب قوته الطبيعية ، فمثله بضمه أرجل ، وبأجنحة كبيرة ، قد عبر عن حكمة الآشوريين ومعرفتهم ، فجعل

(٢٠) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٤٦ - ١٤٧ ، محمد عبد القادر : المرجع السابق ص ٢١٩ ، وكذا
D. J. Wiseman, A New Style of Assyrian - Nuzi - Pal. Iraq, 14, 1952, P. 23-29.

G. Roux, Op. Cit., P. 271-272.

وكذا

(٢١) أنظر

M. E. L. Mallowan, Twenty-Five Years of Mesopotamian Discovery, London, 1956, P. 53-64

وكذا

M. E. L. Mallowan, Nimrud and its Remains, 2 Vols. London, 1966. AFO, 15, 1974-1977, P. 230-238.

وكذا

للشور رأس انسان ، وأما وضع الثيران المجنحة في الداخل الرئيسية فكانت بهدف حماية المبنى وساكنيه من الشرور ، فضلا عن إبعاد الزائر ، ولأول رحلة ، بقوة الدولة وملكها ، هذا وقد كشف في مسرود أيضا عن أعداد من النصوص المسمارية وعلى صلة لأشور ناصر بان وتمثل لخطيته شامنصر الثالث ، وعلى مجموعة من القطع العاجية ، تبرزها قاعدة تمثل قناعا لرأس فتاة جميلة عذت عند الباحثين باسم (مونليزة النهرود) أو «فتاة البئر» حيث عثر عليها في أحد آبار المدينة.

هذا وتسجل حواشي «أشور ناصر بان الثاني» الكثير من المعابد التي أنشأها في عاصمته كالح ، فهناك معابد للأرباب : أنليل ونيورتا وأداد وثالا (Shala) وجولا (Gula) وسين ونابو وغشتار ، ومعبد للإلهة «سيتي» (Sibitti) ومعبد لـ «أشتار - كيموري» (Ishkur - Kimuri) وغير ذلك من المعابد التي كانت لمكابر الالهة (٣٧) .

(٤) شلمنصر الثالث (٨٥٨ - ٨٢٤ ق م)

جاء شلمنصر الثالث (Shalmaneser, III) (شامانو - أشاريدو = (Shu)mann - Asharedu) - (بمعنى الآله شلمانو رفيع المقام) بعد أبيه «أشور ناصر بان الثاني» ، الذي أخذ من جهوده ، ومن ثم فقد استثناع أن يسود آسيا الغربية ، من الخليج العربي حتى جبل أرمينيا ، ومن الحدود الميدة حتى ساحل البحر المتوسط ، ولم يكن أقل اعتزازا بجبروته من أبيه ، فوصفته تصوميه بأنه «الأخضر وان الكبير» (أوشوم جل = Ushum - Gal) - وهو لقب ودعت به الأرباب ، واتخذته صوراني والآشوريون ، ولعل فيه بعض التلميح بالصل الملكي المدري - وعلى أية حال فقد وصف شلمنصر الثالث كذلك بأنه

(٢٢) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٤٧ - ١٤٨ ، وكذا J. Laessle, People of Ancient Assyria, London, 1963, P. 103-106.

قد طعن أعداءه جميعاً : وأنه المفتنر الذي لا يعرف الرحمة في
الحروب (٢٣) .

وعلى أية حال ، فإعداد المتمر الاثنان العسكري الاثوري على أيام
«شلمنصر الثالث» ، وتحول العديد من المحدث الاثورية الى حصون
ومعسكرات - كمدينة آشور وكالاح - وقد تركز نشاط «شلمنصر
الثالث» على الجبهة السورية والشمالية الغربية ، وهي أكثر الجبهات
تهدداً لصالح آشور الاقترابية وأخطرها على أمنها . ففي بداية عهده
تتكل حلف من قرطميكي و «بيت عديني» وسمل في الشمال الغربي
هدد طرق المواصلات التجارية الى آسيا الصغرى ومنطقة طليخيا .

وفي عام ٨٥٦ ق.م ، تمكن «شلمنصر الثالث» من الصاي الهزيمة
بالهاتف ، والاستيلاء على «تل برسيب» (٢٤) «تل أسمى الحنية»
- عاصمة ولاية بيت عديني - وضمها الى الامبراطورية الاثورية ،
ثم فرض الجزية على اللدويات المتحاربة معها : وكانت هذه الانتصارات
تهدد البقية اللدويات السورية ، بما فيه المدن الساحلية والجنوبية (٢٥) .

وهكذا رأينا «شلمنصر الثالث» يتقدم في عام ٨٥٣ ق.م ، الى
وسط وجنوب سورية : ولم تكن الولايات الصغيرة في سورية وخططين
وقت ذلك بقدرة على أن تقف أمام هذا المتحضر الداهم طويلاً وقد تمكن
في قدرته أن تقوم به ، هو أن توحد قواتها ضد الخطر المشترك ، وفي
الواقع فإن حكام الولايات جميعاً سرعان ما تناسوا خلافاتهم الشخصية ،
واتحدوا من أجل الدفاع عن أنفسهم ، وهنا يدرك الأراميون وينسوا

(٢٣) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ١٥٣ : وكذا
G. Roux, Op. Cit. P. 273.
ANET, 1950, P. 276.

(٢٤) أنظر
J. Thureau-Dangin and M. Dange, Til-Barsib, Paris, 1936.
(٢٥) عمر سليمان : المرجع السابق ص ١٤٨ - ١٤٩ : وكذا
G. Roux, Op. Cit., P. 274-275.

لإسرائيل أن الضالّة بينهم - إذا ما قرّين بمشكلة الغزو الاسوري -
 قلن يبدو أن يكون خرقاً على الهدوء ، وإن عادت المقاتلة مرة أخرى ،
 بمجرد انسحاب شلمنصر الثالث (٢٦) .

وعلى أية حال ، غاصت تيجراً شلمنصر الثالث ، وحاجم دمشق ، والتي
 لم تكن صيدا سيئاً : على الرغم من طرد منافستها مع جيرانها من
 الآراميين والبدو والعبرانيين ، غرقت على الوقوف في وجهه جبروت
 الآشوريين (٢٧) ، ومن ثم فقد عمت على تكرين تحلف قوي ، انضم اليه
 أمير ولاية «موحري» في شمال غرب شبه الجزيرة العربية ، فضلاً عن
 أمير عربي آخر يدعى «جندب» (جنديبو = Gindibu) (٢٨) شارك في
 المعركة انقاصاً بعدد محمول على ألف بعير ، إلى جانب ما شارك به
 أمراء أرواد وإسرائيل وعمون وأرقطاك وغيرهم : وكانت قواتهم تتكون
 من ٦٢٩٠٠ من المشاة ، ١٩٠٠ من الخيالة ، ٣٩٠٠ عجلة حربية (٢٩) .

وكذا ، وفي حيف ٨٥٣ قبل الميلاد ، تكون في «قور» (قرقر =
 Qarqar = Karkar) - وهي موقع على نهر العاصي شمالي حماة -
 حلف من الملوك الآشوريين والرب : يضم اثني عشر ملكاً ، على رأسهم
 «بنتند» الذي هلك دمشق ، و «أخاب» ملك إسرائيل (٨٩٩ - ٨٥٠
 ق.م) حيث حدثت المعركة الشهيرة ، ورغم تفاخر «شلمنصر» بالنصر
 في موقعة «قرقر» هذه ، وزعمه أنه ذبح ١٤٠٠ محارب ، وأن السبيل
 كان أصغر من أن يحتل الأعداد الضخمة من الجثث ، وأن الأرض
 للواسعة لم تكن تسمع لثمن قتله ، الذين امتلأ بجثثهم نهر العاصي ،
 حتى أقام منها جسراً على النهر ، وأنه - أي شلمنصر الثالث - قد

26) M. Noth, The History of Israel, London, 1963, P. 216.

(٢٧) عبد العزيز صليح : المرجع السابق ص ٥١٥ .

(٢٨) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٥٩ - ٢٦٠ ، وكذا

A. L. Oppenheim, ANET, P. 279

S. A. Cook Israel and The Neighbouring, CAH, 11, 1933, P. 253.

استولى على مركبات أعدائه ، غصلا عن خيلهم وسلاحهم ، ورغم كل هذه المراعى ، فإن الحقائق التاريخية تقول : ان نصره لم يكن حاسما ، ولم يؤد أيذا الى استسلام حماة ودمشق واسرائيل (٢٩) .

واما من الطريف ، مما ان تقدم وصفاً لحصاة شلمنصر الثالث هذه — كما قدمها نحوصه — فتجد جاء فيها — على لسان الملك نفسه — (حينما اقتربت من حلب (خامان) خشي أهوا الحرب وارتدوا على قدمي فتلقيت جزاءهم غصاة ودميا ، وضحييت أمام أداد حلب ، ورجعت من حلب ، وبلغت مدينتي ارهوليسى الحموى ، فهاجمتها وهاجمت عاصمة أرجنا ، واستوليت على جزاء وممتلكاته ، وحرقت قصوره ، ثم واصلت الحير الى قرقر فدمرتها وهزقتها وحرقتها ، وكان أميرها قد استجد بألف ومائتى عجلة حربية ، وألف ومائتى خيال ، وعشرين ألف من مشاة أداى الأمورى ، وسبعمائة عربة وسبعمائة خيال وعشرة آلاف من مشاة ارهوليسى الحموى ، وألف عربة وعشرة آلاف من مشاة أخاب من أرض اسرائيل ، وخمسمائة جندي من «قوى» وألف جندي من موحري ، وألف راكب جمل من جنديو المريسي (جنوب العربى) و ٠٠٠ ألف من أبناء بن رهوبى العمونى ، وكلهم اثنا عشر ملكا تأهبوا للقاءنى فى معركة حاسمة . فتالتهم بقوت أسور . لعظيمة التى عباها لى مولاي أسور ، وبالسلاح التى قدمها لى مرشدى برجسنا ٠٠٠ وأوفعت بهم الهزيمة بين مدينتي قرقر وجيزار ، ودبت ألفا وأربعمائة من جنودهم (١٤٠٠) بالسيف ، وانحططت عليهم انحطاط أداد ، حين يرسل عواصفه انظومة مدرار ، وبعزت جنتهم فى كل مكان ، ومالت السهل كله به .

29) J. A. Montgomery, *Assyria and The Bible*, Philadelphia: 1934, P.27.

J. Finigan, *Op. Cit.*, P. 204.

وكذا

A. L. Oppenheim, *Op. Cit.*, P. 279.

وكذا

G. Ruge, *Op. Cit.* P. 275.

وكذا

Daniel Ix of Luckenbill, *ARAB*, I, Chicago, 1926, Parag. 611.

J. B. Pritchard, *The Ancient Near East*, Princeton, 1950, P. 188.

وأجريت دماءهم ... وضاق السبيل عن نزول أرواحهم (ثاني المزمع
المسلي) • وجعلت جثثهم مديرا إلى على نهر الأرافنتو (الأورنت) (٣١) •

وعلى أية حال فقد اضطرت المعاصر الآشوري إلى إعادة الكرة مرات
بعدها أخضاع سوريا وفينيقيا ، وفلسطين ، حتى استتباع في عام ٨٤٢
في مم ، أرغام المدن المينيتية — وخاصة صور وصيدا — على دفع
الجزية له (٣٢) •

ويقول الملك الآشوري في حولياته عن نصره هذا « في السنة الثامنة
عشرة لتكى ، عبرت الخرات للمرة السادسة عشرة ، وكان حزائيل ملك
أرام ينق بجيوشه ••• ولكنني حققت مقومته ، وزحفت إلى «بديلى
رأسي» ، وهو رأس في البحر ، وأضمت صورتي هناك . وفي ذلك الحين
تفقيت الجزية من رجال صور وصيدا ، ومن ياهو بن عمري » (٣٣) •

وعلى أية حال ، فإن «المسنة السوداء» (Black Obelisk) — والتي
كتشف عنها «سبرأوستن ليارد» (A. H. Layard) في عام ١٨٤٦ : في قصر
شلمنصر في مدينة نمرود ، والمنحوتة الآن في المتحف البريطاني (٣٤)
تمثل على وجهها الثاني من أعنى حادلي الجزية الأسرائيليين وموظفيهم
في ماثرس «مستونة» ذات أكمام قصيرة ، وعمامة تتسبه غطاء الرأس ،
والشكل لعدم يدسهم عن أن يكونوا «حيثيين قضا» ، وتشهد للتأثير
القوى للحيثيين الأراميين ، حيث يمثل نعب الملك «تيسنق» شكلا آخر ،
ينظر إليه كاموري (٣٥) •

(٣٠) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥١٥

31) A. Lods, Op. Cit., P. 377.

32) D. D. Luckenbill, Op. Cit., Parag. 672.

33) C. J. Gadd, The Stones of Assyria, 1923, P. 48.

S. A. Cook, Op. Cit., P. 265.

A. H. Layard, Nineveh and its Remains, I, 1849, P. 181.

(٣٤) محمد بيومي مهران : أسرائيل ٢ / ١٠٨ وكذا

J. Fugan, Op. Cit., P. 264-265.

G. Roux, Op. Cit., P. 373.

J. Lussan, Op. Cit., P. 99.

وهناك ما يشير إلى أن «سلمنصر الثالث» إنما اضطر إلى إخراجه
 غربا ، للمرة الثانية ، وذلك بنقضاء على الدويلات الرئيسية التي كانت
 في الحلف السوري ضد الآشوريين ، فدمر قوات دمنشق في عام ٨٤٣
 ق.م ، وإن لم يحتل «مشق نفسها» في حين قدم له ملوك صور وحيدا
 الجزية — كما أشرنا آنفا — .

ولما بلاد بابل ، فكان ملكها «مردوك زاكير شوي» الأول ، مواليا
 للآشوريين ، غير أن انقسامها ما حدث في البلاط البابلي ، انتهى بتقيام
 ثورة أهلية أيدتها القبائل الكندية في الجنوب والمدن الواقعة في منطقة
 ديمالي ، شرقي بلاد تابل ، مما اضطر الملك الآشوري «سلمنصر الثالث»
 إلى تجهيز حطتين عسكريتين على المنطقة أنهت التمرد وأعادت الأمن
 إلى بلاد بابل ، وبدعى أن ذلك إنما كان في مصلحة الملك الآشوري ، فقد
 أصبحت له اليد العليا على الملك البابلي بعد أن ناصره .

وهناك ما يشير إلى وصول القوات الآشورية إلى ساحل الخليج العربي
 لتهديم قبائل كلدان ، وإخضاع ملوكها ، أو جزاها على حد قول نصوص
 «سلمنصر الثالث» ، التي روت قوله فيها : «هبطت إلى كلدان ، وشملت
 مدنها ، وسرت حتى النهر الذي يسمونه «البحر الملح» (الخليج
 العربي) ، وتضمنت في بابل جزية «أديني من داكوري» من الفضة
 والذهب وخشب «أوتو» والعاج ...» وقد صور فنانونه جزية «بيت
 داكوري» هذه يدخلها أمها بين صفوف النخيل ، وينصرف عليها حراسه
 وكتبتة ، وسجلوه على أبواب قصره المنكسرة بمفاتيح البيروني في
 بلاوات (٢٥) .

وأما في الجبهة الشمالية والشرقية فكانت دولة «أورارتو» (Uratu)
 أو «أارات» Ararat تغذي غيرها بالاضطرابات ، مما اضطر الملك

(٢٥) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥١٢ - ٥١٤ ، عامر
 سليمان : المرجع السابق ص ١٤٩ ، وكذا
 D. Oates, Iraq, 15, 1962, P. 20-21.

الآشوري التي أرسلت حملات تأديبية إلى المنطقة النجيلة ، استطاعت أن تعيد الأمن إلى منطقة أعالي بلاد النهرين وتقايمي «تبال» و «نقو» (قلقيا) .

وهناك ما يشير إلى أن السياسة العسكرية التي اتبعها «سلمنصر الثالث» لم تلق التأييد الكامل داخل بلاد آشور ، فخلد حدث نمرود مرمعه أحد أبنائه «آشور - داني - إيلي» Ashur - Danin - apl: وأيدته كثير من المدن الآشورية الهامة — مثل آشور ونيوى وأربيل وأرباخا (كركوك) — وعلى أية حال ، فخلد تولي ولي العهد «شمشي - أداد الخامس» مهمة القضاء على هذا النمرود ، الذي استغرق سنوات أربع ، توفي ابنها «سلمنصر الثالث» (٣٦) .

(٥) شمشي - أداد الخامس (٨٢٣ - ٨١١ ق م)

جاء «شمشي أداد الخامس» (Shamshi - Adad, V) بعد أبيه «سلمنصر الثالث» ، وبعد أن قضى على ثورة أخيه ، غير أن هذه الثورة إنما ساعدت بعض الأقالييم الثائرة في الانفصال عن الدولة الآشورية ، وقد تم ذلك على وجه الخصوص في المنطقة النجيلة في الشمال والشمالي الشرقي في منطقة تلاد «نابيري» nairi ، مما اضطر «شمشي - أداد الخامس» التي أرسلت عدة حملات عادة السيطرة عليها ، هذا فضلا عن حملة ضد ملك بابل — الذي تورط في حلف مع ملك عيلام وزعماء القبائل الكلدانية والآرامية في الجنوب والشرق ضد آشور — وقد نجحت الحملة في القضاء على الحلفاء في عام ٨١١ ق م (٣٧) .

(٦) أداد - نيراري الثالث (٨١٠ - ٧٨٣ ق م)

جاء «أداد - نيراري الثالث» (Adad - Nirari, III) بعد أبيه «شمشي

(٣٦) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٥٠ ، وكذا

G. Roux, Op. Cit., P. 276-277.

(٣٧) G. Groosens, in Histoire Universelle, I, Paris, 1956, P. 390.

أداد الخصامس» - وكان ما يزال قنصرا ، فتحوّلت أمه «سموراميت» (Sammuramat) - والتي عرفت في المص - إلى كلابيكية باسم «سميراميس» (Semiramis) - (٢٨) أبو حاية عليه ، وحكمت نيابة عنه سنوات خمس ،

وهناك ما يشير إلى قيام تحالف جديد في بلاد النمام ضد الدولة الآشورية ، غير أن القوات الآشورية سرعان ما قضت عليه ، وتتم حكايات «أداد - تيماري الثالث» التي أن قواته قدمت إلى غينيا مرتين ، في عامي ٨٠٤ : ٨٠٣ ق م ، وأنه قد تسلم الجزيرة من دويلات مختلفة في النمام «من انارات حتى البحر العظيم» التي تغرب فيه الشمس ، أخضعت بلاد حتى وبلاد أمور كلها ، وبلاد صور وصيدون وعمرى (إسرائيل) وأدم وغلستيا (الفلسطينيين) وفرغت عليهم جرية كبيرة» (٢٩) ،

(٣٠) زوى المؤرخون الكلاسيكيون أسطورة عن «سميراميس» تقول : أن أمها كانت إلهة تعبد في عسقلان قرب البحر ، ويرمز فيها بصورة نصفها سمكة ، ونصفها حورية ، ولها وندت اسمها على عدة بنية سوب تركتها للحمام يرعاها ، ولهذا سميت «محبوبة الحمام» وذلك لأن اسم «سمو - رامات» مركب من كلمتين : الأولى «سمو» ومعناها «الحمامة» ، والثانية «رامات» (مات) ومعناها «المحبوبة» ، ومن ثم فمعنى الاسم «محبوبة الحمام» .

ثم عثر عليها كبير رعاة ملك آشور وريهاها ، وغزوها حاكم نينوى «أوبس» ، ولكن ملك آشور العظيم «تينوس» طمع فيها وأجبر زوجها على التخلي عنها ، فانتحر ، ونجات هي إلى الحيلة تستقم له ونفسها : دمكرت بالملك الفاعب ، وطلبت منه أن يعهد إليها بالعرش والساحل خمسة أيام قرض ، وأسلمت هي سلطانها الموقت ، وأمرت بسجن الملك ثم قاء ، وأسائرت بالعرش بعده أكثر من أربعين عاما (عبد العزيز صائح : المرجع السابق ص ٥١٧ ، طه باقر : المرجع السابق ص ١٨١ - Herodotus, I, 194.

Strabo, XV, I, 5, II, 5, XVI, I, 2.

Diodorus Siculus, II, 4-20.

W. Hiers, Semiramis, Wien, 1971.

39) G. Roux, Op Cit., P 279-280.

A. L. Oppenheim, ANET, P. 351.

=

وكذا

هذا وقد تعاقب على المعرّض الآشوري بعد «أداد - نيراري الثالث» عدد من الملوك انضمام - شمنصر الرابع (٧٨٢ - ٧٧٣ ق.م) و «أشور - دان الثالث» (٧٧٢ - ٧٥٥ ق.م) و «أشور - نيراري الخامس» (٧٥٤ - ٧٤٥ ق.م) - لم يكونوا كمنّوا لمواجهة التصديّات التي مارستها «أوراراتو» في الشمال ؛ والتبائل الكلدية في الجنوب؛ والمهلف الآشوري في الغرب ؛ فضلاً عن المتمزق الإداري داخل الدولة الآشورية نفسها ؛ ومن ثم فقد انكسرت سلطنتهم ؛ وضعف نفوذهم ؛ وعمت آشور خائضه اقتصادية حادة بسبب قطع الطرق التجارية المؤدية إلى سورية وآسيا الصغرى وبلاد بابل ؛ فلجأت آشور ثورذ أهلية عارمة ؛ تزعمتها مدينة «مروود» ؛ قضت على الملك الحاكم وأسرته ؛ ونصبت بدلاً عنه الملك «تجلاتيلاسر الثالث» (Tiglathpileser, III) - الإح الأصغر للملك آشور - نيراري الخامس - والذي عرف في المصادر البابلية باسم «بول»^(٥١) .

وأياً ما كن الأمر ؛ فني حصة هذه المشكلات الداخلية والخارجية سجلت التصوّن الآشورية حدوث كسوف كلي للشمس ؛ وافق عام ٧٦٣ قبل الميلاد (أي في عهد «أداد - نيراري الثالث» ؛ ورُتبت عليه من شاعت من تعليقات عقائدية وفخرية ؛ خاصة وأن الكسوف قد حدث في وقت ؛ تدفّى فيه طاعون عظيم فتك بكثير من الناس ؛ وعلى أية حال؛ فلقد اعتبر حادث كسوف الشمس هذا ؛ أساساً لمصيدة التقويم الآشوري إذا أمكن بحساب الفلكي الدقيق إرجاع هذا الكسوف إلى حزيران (يونيه) عام ٧٦٣ ق.م ؛ نصارت نقطة يقاس منها تسلسل التاريخ الآشوري ؛

وكذا =

H. Tadmon, The Historical Inscriptions of Adad-Nirari, III, in Iraq, 35, 1973, P. 141-156.

D. D. Luckenbill, ARAB, I, Parag. 732-46.

وكذا

A. R. Millard and H. Tadmon, Iraq, 25, 1973, P. 57-64.

وكذا

(٤٠) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٥١ ، وكذا

G. Roux, Op. Cit., P. 282.

D. D. Luckenbill, ARAB, II, Parag. 1198.

واستعين بها كذلك لضبط التقويم البابلي ، بالاستعمالة بحوادث من التاريخ البابلي عاصرت ما يماثلها من التاريخ الآشوري^(١٦) .

ثانياً : عصر الامبراطورية الثانية

(١) تجلات بلسر الثالث (٧٤٥ - ٧٢٧ ق م)

يعتبر المؤرخون عصر الملك «تجلات بلسر الثالث» (Tiglathpileser, III) بداية «عصر الامبراطورية الآشورية الثاني» ، وقد عرف الملك الجديد باسمين ، الواحد «تجلات بلسر» - كما جاء في النصوص الآشورية - والثاني «بول» (Pul) أو «بولو» (Pulu) - وهو الاسم الذي أطلقته عليه المصادر البابلية عام ٧٧٨ ق م : أثناء الاحتفال بعيد رأس السنة الجديدة - ويختل اسمان أكثر من تفسير واحد ، فقد يكون اسم «بواو» هو اسم الشخص ، ويدل بهذا على أنه لم يكن من صلب البيت الحكم ، وإذا صح هذا أمكن افترض أنه من قادة الجيش نظراً لما قبل من مهارته الحربية فيما بعد ، ولما اعتلى العرش تيمناً باسم القائد القديم «تجلات بلسر» وتسمى باسمه ، أو يكون اسم «بولو» مجرد مرادف بابلي ، اخترعه البابليون لفرض في نفوسهم : وأياً ما كان الأمر ، فقد عرف هذا الملك في التوراة باسم «قول» ، ولعله تمسحي يهودي لاسم «بول» البابلي^(١٧) .

هذا وقد عرف «تجلات بلسر الثالث» بأنه كان إدارياً من الطراز الأول ، ويذهب الباحثون إلى أن الآشوريين قد بدأوا منذ أيامه يقسمون امبراطوريتهم إلى عدد من المقاطعات الرئيسية يدعى كل منها «بيخانو»

(١٦) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥١٨ ، طه باقر : المرجع السابق ص ١٨٥

A. L. Oppenheim, ANET, 1966, P. 231-232.

Dr D. Lichtenhill, ARAB, Parag. 731 F.

(١٧) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥١٨ ، ملوك ثان ١٥

١٩ - ٢٠ ، وكذا G. Roux, Op. Cit., P. 256.

أو «شاكو» ، ويسرف عليها سيد المقاطعة (بيل بيغني) : وهو الذي يمثل الملك في المقاطعة ، وينفذ أوامره ، وكانت واجباته تشمل الشؤون الادارية والمالية والعسكرية والدينية ، وكان مقر الحاكم في عاصمة المقاطعة ، ويساعده في ادارة شئون مقاطعة مجموعة من الاداريين والكهنة واساحين والخاصين وانسل والفلكيين وقراء الفال ومضبط التجويد ومرافعي الري والمساعدين العسكريين والمترجمين وغيرهم : وكانت المقاطعة مقسمة بدورها الى وحدات ادارية أصغر تدعى «قتو» (وتعنى حرفيا حاقة) ، وكان مركز ال «قتو» في المدن الرئيسية ، ويسرف عليها (رئيس المدينة) : وهو الذي كان يقوم بمجمع الضرائب وحفظ النظام ، غفلا عن الانسراف على الشؤون الادارية العامة ، هذا فضلا عن أن «تجلات بلاسر» انشأت انما عمل على تقسيم بلاد آشور المثرية - من الناحية الادارية - الى قسمين : الواحد : مقاطعة «أراباخا» (Arappa) (كر-كوك حاليا) ، وقد امتدت حتى شرقي بغداد ، والثاني : شمل الارضين الواقعة الى الجنوب منها ، والتي تفصل بين عيلام وبابل (١٢) .

هذا وقد عرف «تجلات بلاسر» أيضا بأنه كان شتدا عسكريا هذا ، استنطاع ايان سني ، كونه ، القضاء على الفوضى والاضطراب السياسي والاقتصادي الذي ساد آشور في أعقاب الثورة الاهلية ، كما كتب له نجدا بعيد المدى في إعادة هبة الدولة في مختلف الجبهات ، هذا وقد بدأ «تجلات بلاسر الثالث» ميدان الفتوحات ببابل القريبة منه ، فوبى عليها بعد جهود ، وعهد بأمرها الى صفيعة له تدعى «نابو نصر» (Nabu - Nasir) : غير أن وفاة «نابو - نصر» انما كانت سببا في تمرد إحدى القبائل انكليدية ضد آشور ، وان ظلت الاضطرابات الانشورية تسرقى بابل على ولائها (لا-سر) : والاهم كذلك بالنفسانية الى سكان بابل المحليين (١٣) .

(١٣) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٤٠ - ١٤١ ، ١٤١ .
(١٤) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٤١ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥١٨ - ٥١٩ وكذا
(i. Roux, Op. Cit., P. 234-235.

وأما بالنسبة لبلاد الشام ، فلتبدأ أحداث آشور ترى - منذ عهد نرجس - الات
بلاسر الثالث - أن امتلاكها لبلاد سورية وفلسطين إنما هو الشرط
الأساسي لنجاح امبراطوريتها ، فهو لم يكن بآئسفة لحكام بلاد النهرين
من الآشوريين ، بسبب ثروة سورية وفلسطين من أخشاب فخرية في
الشرق الأدنى القديم ، وبسبب ثروتها المعدنية وباطنها الطويل على
البحر المتوسط ، وتجارتها الغنية فحسب ، ولكنه كان كذلك - وفي نفس
الوقت - المدخل إلى جنوب شرقى آسيا الصغرى من ناحية ، ومصر
من ناحية أخرى ، ومن ثم فقد اتخذ «تجلات بلاسر الثالث» الخطوات
الجادة ، بإسرة لضم الأجزاء الأساسية من سورية وفلسطين إلى
الامبراطورية الآشورية ، وثبتت سيادة آشور على فلسطين وسورية ،
وانطلاقاً من كل هذا ، فإن الرجل لم يفتح - كغيره من الحكام
الآشوريين - بقبول الجزية ممن بخضعهم لسلطانه من أمراء سورية
وفلسطين (٤٥) .

وهكذا بدأ «تجلات بلاسر الثالث» يتجه نحو بلاد الشام ، وأقام
معسكره الرئيسى ، قريبا بين عامى ٧٤٣ و ٧٤١ ق م ، في «أرباد» (وهى
أرباد بالآشورية - وثقع في مكان تل أرفاد الحالية ، على بعد ٢١
كلا شمالى حلب) ، ومن هناك أرسل حملة إلى دمشق ، ثم تعرض
للجزية على المدن الفينيقية ، وطبقا لما جاء في «المسلة السوداء» نقود
خضع له كذلك «مناحيم» ملك إسرائيل (٧٤٥ - ٧٣٦ ق م) ، وطبقا
لمرواية التوراة - فلقد أحنى له رأسه ، وخضع له جناح الذل . وأبتاع
رضاء بالمل الذى فرضه على بنى قومه من أصحاب الأملاك وقدمه
للعاهل الآشورى على هيئة أوان من ذهب وفضة وورصاص (٤٦) .

على أن دمشق سرعان ما بدأت في إعلان الثورة في عام ٧٣٩ ق م :

45) Maria Nuth, The History of Israel, London, 1965, p. 257.

(٤٦) محمد بيومى مهران : إسرائيل - الجزء الثانى - لاسكندرية

١٩٧٨ ص ٩٣٤ - ٩٣٥ ، ملوك ثان ١٧/١٥ - ٢٢ وكذا

A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 281

بأن وبدأت تقوم بدور قيادي — ولاحق مرة — وذلك عندما تكونت كتلة سياسية بزعامة «رمسين» ملك دمشق ، ومن وراءه كل تحالف الدويلات الآرامية ، ضد الآشوريين ، وسرعان ما انضم الي «رمسين» اللبنيون والحدن الفلبطيدية والدويلات العربية في شمال غرب بلاد العرب، فضلا عن دويلتي أدوم واسرائيل ، ولم يبق خارج الحلف سوى «أحاز» ذلك يهودا (٧٣٥ - ٧١٥ ق.م)^(٤٧)، ومن ثم فقد هوجمت القدس (أورشليم) بقوات دمشق والسامرة ، بغية ازالة «أحاز» عن عرشه وتقويض أحد الآراميين في مكانه ، فيضم يهودا الى الحلف القائم ضد ملك آشور^(٤٨).

ومن ثم فقد قرر «أحاز» أن يستدعي قوات آشور لحمايته . كما أرسل الهدايا من خزانة المعبد والقصر للمعاهل الآشوري «تجلاتت بلاسر» (تعلت غلامر في انتوراة) سائلا اياد : — بل وملاحا في سؤاله — أن ينقذه من ملكي دمشق والسامرة ، على شريطة أن يكون له «عبدا وابنا»^(٤٩) . هذا ويذهب بعض الباحثين الى أن الملك الآشوري لم يستجب لنداء «أحاز» ، غير أن هناك ما يشير الى أن «تجلاتت بلاسر» إنما كان في تلك الأمانة في شمال سورية ، وربما كان مع جيشه في مكان ما في مجاورات دمشق ، وعلى أية حال ، فمن الواضح أن الاحداث بدأت تتحرك سريعا ، وقد أخذ التدخل السريع الحاسم «أحاز» من موقفه الصعب ، قبل أن تسقط اورشليم (القدس) في أيدي المهاجمين من الاسرائيليين والآراميين ، وان كان «تجلاتت بلاسر» بالتأكيد ما كان في حاجة الى ترسلات أمراء ملك يهودا ، ليقوم بحملته ضد سورية وفلسطين ، فلقد كن في هذه الفترة — على أية حال — إنما يهدف الى إخضاع سورية وفلسطين لآشور تماما ، ومنذ عام ٧٣٨ ق.م ، وبعد

47) G. Roux, Op. Cit., P. 235.

وكذا

Werner Keller, The Bible as History, London, 1967, P. 241-242

(٤٨) ملوك ثان ١٦/٥ ، اشعيا ١/٧ - ٣ وكذا

E. G. Kraeling, Op. Cit., P. 116.

(٤٩) اخبار ايام ثان ١٦/٧ - ٨ ، وكذا

S. A. Cook, Op. Cit., P. 363.

أصبحت «حمقاء» من أملاكه ، فغضب كان يرنو بتناظره نحو دمشق
سبأدى ، ذى بدء — ثم أسرائيل فيها بعد^(٥٠) .

وفي عام ٧٣٣ قبل الميلاد ، تقابل الملك الآشوري مع ملك دمشق ،
غهرب «رصين» لى عاصمته دمشق ، ومن ثم فقد قام العاهل الآشوري
بمحصنة العاصمة الآرامية (دمشق) واتلاف ما حولها من حدائق
ومدن ، هذا فضلا عن الاغارة على حلفاء الآراميين والانتصار عليهم ،
مما جعل دمشق تصبح فى عزلة تامة^(٥١) .

ونقرأ فى انقوراثة أن «نجات بلاتر» قد أخذ «عيون وأهل بيت مكة
ويانوج وقادش وحاصور وجمند والجليل وكل أرض نفتالى ، وسباجم
الى آشور»^(٥٢) ، هذا وقتى إحدى انقوراثة الآشورية من عهد
«نجات بلاتر» الى أنه قد استولى على كل مدن أسرائيل — ما عدا
المسامرة — ومن ثم فاننا نستطيع أن نستنتج من ذلك — ومن غوائم
الاقاليم الآشورية — أن نجات بلاتر انقادت انما قد ترك ملك أسرائيل
«فصح» (٧٣٥ — ٧٣٣ ق.م) جبل أفرام والمدينة الملقبة بالمسامرة ،
وأما بقية المناطق الأسرائيلية فغضب ادمجت فى سنى الولايات
الآشورية^(٥٣) .

وأما ما كان الامر ، فان الممالك الصغيرة فى سورية وفلسطين — والتي
كانت قبل ذلك ، وعلى مدى قرنين من الزمن قادرة على حفظ كيئتها ،
دونما تدخل من الخارج تقريبا ، وجدت الآن نفسها أمام آشور القوية
الطامعة الطاغية ، وقد نجح «نجات بلاتر» فى أن يجتاع فى عدة

(٥٠) محمد بيومن مهران : أسرائيل ١٣٧/٢ — ١٣٨ ، وكذا

M. Noth, Op. Cit., P. 259-260.

(٥١) E. G. Krackling, Op. Cit., P. 118-125.

M. Noth, Op. Cit., P. 260-261.

وكذا

(٥٢) مثوك ثان ١٥ / ٢٩ ، وكذا

E. G. Krackling, Op. Cit., P. 118

(٥٣) M. Noth, Op. Cit., P. 261.

A. H. Gardner, Egypt of The Pharaohs, 1961, P. 341.

وكذا

حملات إلى الغرب مدينة دمشق ، بعد حصار دام عامين ، وأن يقتل ملكها «رصي» ، وهكذا ، وبمقتضى دمشق في عام ٧٣٢ ق.م ، كان الوقت للأشوريين أن يضموا سوريا بأكملها إلى إمبراطوريتهم ، وانتهت قوة الآراميين السياسية ، وأصبحت السيادة على الدويلات الآرامية لأشور ، وبالتالي فقد زال الحاجز الذي كان يحول دون سقوط السامرة (٥٤) .

ونقرأ في التوراة أن «فحج» فقد عرشه وحياته في مؤامرة على رأسها «هوشع بن أيلة» وأن الأخير قد نصب نفسه ملكاً في السامرة على ما بقي لإسرائيل ، وإن كنا لا ندري أكان ذلك برضى من تجلات بلاد (٥٥) ؟ أم أنه كان بريئاً من دم «فحج» ، فعلمه هوشع وخرص عليه جزية ثقيلة ، وأيا ما كان الأمر ، فلقد أصبح «هوشع» ملكاً على إسرائيل (٧٣٢ - ٧٢٤ ق.م) من قبله الآشوريين ، يدين نهم بالولاء ، ويدفع لهم الجزية عن يد وهو صاغر (٥٦) .

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن تجلات بلادهم انما اتبع وسائل أربعة لتثبيت قبضته على أطراف دولته ، وهي تعيين حكام آشوريين على مدنها الكبيرة ، دون الاكتفاء بحكامها المحليين ، وإيفاد مندوبين فوق إعادة لتفقدتها وتنفيذ مطالب دولته منها ، وربما كان من أولئك المندوبين من يتفنون بقلب «رأبشاق» الذي ذكرته لهم قصص التوراة ، وفرض عبادة الأرباب الآشوريين على بعض أهل المدن المعنيدة (مثل غزة) ثم تشريد أهل المناطق المفتوحة الخطرة ، وتهجير أغلب الأيدي العاملة منهم إلى بلاد أخرى بعيدة عنهم ، حتى لا تقوم لبلادهم قائمة ، مع إحلال غيرهم من مناطق بعيدة محلهم حتى يفسدوا على

54) E. G. Kraeling, Op. Cit., P. 119.

وكذا

(٥٥) ملوك ثان ٣٠/١٥ ، محمد بيومي مهران : إسرائيل ٢/٢٣٩ ،
A. H. Gardiner, Op. Cit., P. 341.

وكذا

A. L. Oppenheim, ANET, P. 284

56) S. A. Cooke, Op. Cit., P. 382.

السكان الاصليين ، أو يظلوا بينهم أغرابا مستضعفين ، وتهجير بعض آخر الى دولة أشور نفسها ، حتى يظنوا قصت إضرافا مكافئا ، وحتى يمكن استغلالهم في خدمتها استغلالا مباشرا ، فضلا عن يستعبدون منهم استعبادا تاما عند خاصة أهلها ، وكان من هذا القبيل أن عدد في عامه الثالث الى تهجير ثلاثين ألفا ، وثلاثمائة شخص من سكان المنطقة السورية التي تمتد من حماه الى البحر ، الى منطقة تسمى «كو» وتهجير آخرين الى منطقة تدعى «ألبا» ، ويبدو أنه أهل مثلهم سكن جليلهم من منطقة «لورومو» في جبال زاغروس ، ومن شائري ، قرب بحيرة فان ، وهجر بأمره في عام آخر عددا كبيرا من أهل «بيت خمري» ، أي أرض عمري^(٥٧) ، إلى أشور ، بل وأدعت نصوصه أنه هجر بأمره أكثر من مائة ألف من أنصار المتنافسين في بابل نفسها ، بعد أن أخضعها لحكمه المباشر^(٥٨) .

وأما علاقة الآشوريين ببلاد العرب ، فلفظ رأينا من قبل أن «شامتمر الثالث» أول من ذكر العرب في حواشيته^(٥٩) ، عن معركة قرقر عام ٨٥٣ ق.م ، وأن أمير ولاية «موصري» — في شمال غرب الجزيرة العربية — قد انضم إلى حلف الملوك السوريين ضد شامتمر ، فضلا عن أمير عربي آخر يدعى «جندب» (جندبيو) شارك في المعركة بعدد محمول على ألف بعير^(٦٠) ، ورغم أن النص الآشوري لم يشر إلى موقع ولاية

(٥٧) صرقت إسرائيل في الوثائق الآشورية باسم «أرض عمري» أو «أرض بيت عمري» ، وحتى بعد سقوط أسرة عمري في عام ٨٤٢ ق.م ، فقد كان ملك إسرائيل بالنسبة إلى الآشوريين هو «ابن عمري» ، وربما يعني هذا بدرجة ما إلى أن الاسرائيليين اتوا قد اتصلوا — لأول مرة — بأشور أثناء عهد أسرة عمري ، وربما أثناء عهد عمري نفسه ، وهو الذي أرسل بهدياته إلى الملك «أشور ناصر بال الثاني» (٨٨٣ - ٨٥٩ ق.م) عندما تقدم هذا الأخير حتى نهر الكف شمالي بيروت ، مجسدا بعمى بيران : إسرائيل ٨٩٩/٢ ، وكذا

(٥٨) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥١٩ .
 ٥٩) M. Abbot, Pre-Islamic Arab Queens, in AJSL, 58, 1941, P. 4.

٦٠) J. Montgommery, Op. Cit., P. 27.

M. Noth, Op. Cit., P. 245-246.

S. A. Cook, in CAH, III, 1961, P. 363.

A. L. Oppenheim, ANET, P. 279.

وكذا

جندب هذه ، فان انقراض تسحر الى أنها إنما كانت في أطراف الهادية ، بل ان «ألويس موسل» إنما يذهب إلى أنها تقع إلى الجنوب من دويلة دمشق^(٦١) ، كما أن هناك من يشير إلى أن العاهل الآشوري قد مد حدوده حتى الكويت ، ومن ثم فقد اتصل بالمقابل أنتى تقطن هذه البقاع من بلاد العرب^(٦٢) .

وعلى أية حال ، فلقد بدأ الآشوريون يهتمون ببلاد العرب منذ القرن التاسع قبل الميلاد ، وربما فكروا في بسط نفوذهم عليها ، ربما بسبب الرغبة في حماية طرق انقوائن القادمة من جنوب بلاد العرب ، محملة بالبخور وغيره من المنتجات التي كانوا يتوفرون إلى الحصول عليها ، وربما انتفاء لفكرة مفاجئة قد يثوم بها الأعراب في شمال الجزيرة العربية ضد الإمبراطورية الآشورية ، وأياً ما كان السبب ، فافتأ نقرأ في حوليات «تجلات بلالمر ثلثات» (٧٤٥ - ٧٣٧ ق.م) التي عثر عليها في «كالح» (المروء) عن جزيرة من «زبيبة» (زبيبي) ملكة بلاد العرب - وربما كان مقرها دومة الجندل (أدومنتو عند الآشوريين ، دومة في التوراة) وهي مدينة الجوف الحالية ، على مسافة ٤٠٠ كيلا شرقى البتراء - والامر كذلك بالنسبة للملكة «سمسى» (سمس) التي قدمت للعاهل الآشورى جمالا وإثارة^(٦٣) ، فضلا عن تعيين مقيم يمثله في بلادها^(٦٤) . ويقول النص الآشورى : «أما سمسى ملكة بلاد العرب ، فلقد قتلت ١١٠٠ من رجائنا ، واستوليت على ثلاثين ألف جمل ، وعشرين ألف رأس من الماشية وخمسة آلاف اداء نوابل ، وكل ممتلكاتها ، وأخذت منها هذه وغيرها ، وأما هي فلقد حربت إلى مدينة «بزو» Bazu ، وهو إقليم ليس به ماء ، ثم أدركت مدى قوة جيوشى ، فجاءت لى بالجمال والنياق، ووضعت عليها حاكمها»^(٦٥) .

61) A. Musil, Arabia Deserta, P. 477.

62) G. Roux, Op. Cit., P. 277.

63) N. Abbot, Op. Cit., P. 4.

64) A. Musil, in The Arabia Deserta, New York, 1930, P. 477.

65) A. L. Oppenheim, ANET, 1966, P. 284.

وهكذا يبدو واضحاً أن الملكين العربيين (زبيبة وتشمس) إنما قد اضطررا إلى تقديم فروض الطاعة للملك الآشوري . وربما كان ذلك بعد استيلائه على غزة ، وقطع طريق البحور^(٦٧) ، بل أن النص الآشوري إنما يشير كذلك إلى أن الملك الآشوري إنما قد أخذ الجزية من «تيداء» — على مبعدة ١٢٥ كيلاً شمال مدائن صالح — كما أخذها كذلك من غيرها من اتواحات العربية^(٦٨) : «مضال عن «سبأ» — وهي أنجبالية الحبشية التي خلفت الحبشيين في ديدان (العلال الحجازية) على مبعدة ٢٢ كيلاً جنوب مدائن صالح — ومن هنا فإن «سبأ» إنما ترد في النص بعد تيداء مباشرة^(٦٩) .

(٢) شلمنصر الخامس (٧٢٦ - ٧٢٢ ق.م.)

مات تجلاب بلاسر الثالث ، وحلّفه على عرش آشور ولده «شلمنصر الخامس» (Shalmaneser, V) وفي عهده أعلن «هوتمس» ملك إسرائيل (٧٣٢ - ٧٢٤ ق.م.) العصيان ضد آشور ، ونقرأ في «توراة» أن ملك آشور وجد في هوتمس خيانة ، لأنه أرسل إلى «سواء» ملك مصر ، ولم يؤد جزية إلى ملك آشور حسب كل سنة^(٧٠) : والمعروف تاريخياً أنه لا يوجد ملك في هذه الفترة من تاريخ مصر يحمل اسم «سواء» : ومن هنا كان الخلاف بين المؤرخين حول هذا الـ «سواء» : وربما كان الملك المقصود في نص «توراة» هو الملك «أوسركون الرابع» (٧٣٠ - ٧١٥ ق.م.) من الأسرة الحادية والعشرين^(٧١) .

(٦٧) A. T. Olmstead, A History of Assyria, Chicago, 1923, P. 199.

(٦٨) عبد الرحمن الانصاري : لمحات عن بعض المدن القديمة في شمال غربي الجزيرة العربية — مجلة الدارة — العدد الأول — الرياض ١٩٧٥ ص ٨٢ .

(٦٩) A. Musil, The Northern Hegaz, N. Y. 1926, P. 288.

A. Van den Brande, Histoire de Thiamoud, P. 7

وكذا

(٧٠) ملوك ثان ٤/١٧ - ٤

(٧١) انظر عن الآراء التي دارت حول «سواء» (محمد بيومي مهران

إسرائيل ١٤٠/٢ - ١٤٥ وكذا

K. A. Kitchen Op. Cit. P. 371-374.

A. H. Gardiner, JEA. 50, 1964, P. 94.

وعلى أية حال ، وأيا كان اسم ملك مصر الذي استخضع به «هوشع» ضد آشور ، فلقد تقدم الملك الآشوري «شلمنصر الخامس» نحو «السامرة»^(٧١) - عاصمة دولة إسرائيل - واستمر في حصارها نحو من أعوام ثلاثة ، وإذا أمكننا أن نضع سقوط السامرة في السنة التاسعة من حكم هوشع ، فإن هذا الحدث التاريخي الخطير ، إنما يكون قد تم في ربيع عام ٧٢٢ ق.م ، في وقت كان «شلمنصر الخامس» ما يزال ملكا على آشور ، وطبقا لما جاء في سفر تاريحي بابل ، يرجع إلى عام ٥٠٠ ق.م ، ويتحدث عن الفترة من عام ٧٤٥ ق.م ، إلى عام ٦٢٦ ق.م ، أن مورت «شلمنصر الخامس» إنما كان في شهر Tolatu ، وأن اعتقال «سرجون الثاني» عرش آشور إنما كان في اليوم الثاني من نفس الشهر ، وهذا يتأخر به إلى ديسمبر من عام ٧٢٢ ق.م ، كما يعتبر هذا الشر تحديد مدينة «السامريين» - والتي يمكن أن توجد بالسامرة - من الأدلة المهمة في عهد «شلمنصر الخامس» ، وتؤرخ المعركة بعام ٧٢٢ ق.م ، وفي الغالب فيما بين الربيع والخريف من هذا العام ، وإن كان هناك من يقرأ اسم المدينة على أنها «النسبريين» بدلا من «السامريين» ، ويرى أنها ليست مدينة السامرة ، وإن كان هذا الاحتمال ضعيفا^(٧٢) .

هذا وطبقا لما جاء في رواية «يرسف اليهودي» - كما جماعت في الحوليات السورية -^(٧٣) فلقد اجتاحت «شلمنصر الخامس» فنيقيما

وكذا^{٧٤}

١٤. Sayce, VI, 17, 1967, P. 116-118.
S. Yeivin, VI, 2, 1952, P. 164.
R. Borger, JNES, 19, 1960, P. 49-51.
Von Bissing, RT, 14, 1912, P. 125.
A. T. Olmstead, Western Asia in The Days of Sargon of Assyria, Chicago 1918, P. 56, 70.
(٧١) أنظر عن السامرة (محمد بيومي مهران : إسرائيل ٩٠٠/٢ - ٩٠٢) .

- 72) J. Finegan, Op. Cit., P. 208.
A. T. Olmstead, Op. Cit., P. 43.
A. T. Olmstead, AJSL, 21, P. 181 F.
73) Josephus, Antiquities, IX, 14, 2

وكذا

ومدنتها ، وكانت صيدا وصور البرية وعك ترغب في تحرير نفسها من السيطرة الخالية لهدنة صور التي في الجزيرة وزعامتها : ومن ثم غنصت : عترفت بسيادة الفاتح الآشوري ، وأعطته أسطولا يتكون من اثنين سفينة ، يعمل فيها نحو ثمانمائة متصدف غينيقي ، وقد تفرق أسطول سلمنصر في معركة مع سكان الجزيرة ، ولكن عددا كافيًا من جسود بقي ليقوم بمحاصرة الجزيرة من الساحل ، وكانت الأبار الموجودة داخل المدينة تقاومة في الجزيرة كافية لاحتياجات السكان ، وأخيرا انتهى الحصار الذي دام سنوات خمس بمعاهدة تحفظ لصور كرامتها (٧٤) .

(٣) مرجون الثاني (٧٢٢ - ٧٠٥ ق.م)

تولى «سرجون الثاني» Sargon, II (نارو - كين Sharru - Kin) عرش آشور بعد «سلمنصر الخامس» الذي لا نعرف علاقته به ، على وجه اثنين ، وان كان هناك من يذهب إلى أنه ابن للملك «تجلات بلاسر الثالث» ، وعلى أية حال ، علفد كان «سرجون الثاني» على رأس أسرة حكمت الدولة الآشورية حتى نهاية كيانها الفيلسفي ، ونسبت إليه (الأسرة السرجونية) .

وهذا ما يشير إلى أن بعض الاقاليم والمقاطعات الآشورية البعيدة قد استقلت فرصة اعتلاء سرجون العرش - ربما بتسكن غير شرعي - وأعلنت انتمرد بتحرير من دولة «أورارتو» وعيلام ومصر وبعض المدن السورية ، فضلا عن القبائل الجببية والكلمية ، وقد تمكن «مردوخ - ايل - ادينا» (مردوخ بالأدب الثاني في التوراة) من اغتصاب العرش البابلي : بعون من عيلام ، ورغم محاولات سرجون الثاني لنقضه عليه في الفترة الأولى من اعتلائه العرش ، غير أنه ظل ملكا على بابل لمدة سنوات عشرة (٧٢٠ - ٧١٠ ق.م) ، وذلك لانشغال سرجون بالجبهة الغربية ، وقد قامت بلاد بابل في عهده من ضيقة مالية ، بسبب حكم القبائل الكلمية وتعميلية غلبها ، وكان البابليون يستغيثون بـ «سرجون

(٧٤) فيليب حني : المرجع السابق ص ١٥٣ ، محمد بيومي مختار : بلاد الشام - الاسكندرية ١٩٩٠ ص ١٥٨ .

الثاني ، نذى ما ان نجح في توطيد مركزه في الجبهة الغربية ، حتى
اتجه الى بلاد بابل وفتح مدينتها ، ونصب نفسه نائبا عن الاله فيها ، غير
أنه أعاد تنصيب «مردوخ - ابل - اديا» (Marduk - Apsal - Edina)
زعيمها على قبيلته الخلدية^(٧٥) .

على أن الخطر الرئيسي الذي كان يواجه الدولة الآشورية ، إنما هو
دولة «اورارتو» في الشمال (أرمينيا المعاصرة) ومملكة «زخرتو» شرقي
بحيرة وان (غان) : فضلا عن الميديين الأيرانيين ، ولم تتمكن الحملات
انتدبيه من القضاء على الاضطرابات التي أثارها هذه القوى في المنطقة
مما اضطر «سرجون الثاني» الى التيقم بحملة عسكرية كبيرة على المدفنة
في عام ٧١٤ ق م ، وقد عرفت هذه الحملة لدى الباحثين «بحملة
سرجون الثامنة» ، وأخذت تفاصيلها في التقرير الذي كتبه سرجون
على شكل رسالة لاله أنور ، أبي الأرباب ، الجبار الذي يسكن في
معبد «جبل الألبان العظيم» ، ثم يرسل تحياته الى الالهة الأخرى التي
تحتضن بالمصر ، وإلى الأنهار اللواتي لهن هياكل في المعبد ، وبعد أن
يرسل بتحياته إلى مدينته وبلائته يتمنى السلام لنفسه ولجيوشه ، ثم
يربط توقيت الحملة بشهر «دوزو» المكرس للمعبود نيبورتا ، والذي
كان موعدا لحملة التي انطلقت من عاصمته «كالخ» (نمرود) .

ثم يمضي في وصف انصاب انشى قابلاته في عبور الانهار ، أبان
فيضاتها ، وكيف عبر الزاب الأعلى والأسفل ، دون أن يعثر في جفوده
خرف أو ملذ ، حتى بدأت الانهار أمامهم ، وكأنها قنوات صغيرة خفيفة ،
وكيف عبر الجبال العالية ، المغطاة بأشجار كثيفة ، انشى تتخطى الوديان
المظلمة كظلام غابة الأرز ، وكيف انطلق الفرسان والمنساة والعمرات
الحربية فوق الجبال كالنسور ، وعندما وصلت الحملة أرض العدو ،
تقدم ملكها وعائلته وتبلاؤه ومستشاروه بجزاهم من الماشية والخيول

(٧٥) طه باقر : المرجع السابق ص ١٨٦ - ١٨٧ ، عامر سليمان :
المرجع السابق ص ١٥٣ ، وكذا

G. Reiss, Op. Cit., P. 287-288.

العربيات وسائقتهما ، ثم قبل الملك تقديم المعامل الآشوري ، وسأله أن يعيد حدود دولته الى سابق عهدها ، فأجابته سرجون الى سؤاله ، وقيل جزيته وجزية مختلف امرائه ، ثم نصب عليهم حاكما آشوريا *

ثم تصف الوثيقة سرجون بأنه جد حريص على طاعة قوابل «شمسي» ، وأنه يحضن باحلال الى كلمات الالهة الكبار ، ولا يتجاوز رساياه ، وأنه مستقيم ورحيم ، يكره الباطل ولا ينطق بسوء ، وأنه نجاع لا يشقى العدو ، قرمي بنفسه بين حقوقه كالسهم . وألحق به هزيمة شنعاء ، وجنى كثيرا من الغنائم : وأسر مائتين وستين من أقارب «روباس» (Rusas) ملك «أورارتو» الذي سرعان ما امتلأ صوة جواده ، وانطلق هربا بجيشه : وسرعان ما سقطت المعقل بعد ذلك : الواحدة تلو الاخرى ، عندما أحرق الآشوريون المداخل . ونهبوا مخزن الغلال : ثم يهضي سرجون فيقول : لقد قدت حيوانات معسكرة نحو الريف القريب من المدينة ، فدمرت الحيوانات المأخضات : فضلا عن السهول *

غير أن ملك «موساسير» russasir - ونفع نفعاً بين غربي بحيرة قزوين وجنوبي بحيرة شان - قد نقش العهد الذي قطعه على نفسه أمام الالهة - آشور وشمس وتبو ومردوخ - ولم تصل هداياه : أو يأت ليقبل «شمسي سرجون» ، ومن ثم فقد استحق العقاب السريع *

وهكذا تمكنت الحملة من تحقيق أهدافها : والقضاء على أسباب الانحرافات في المنطقة : على الرغم من الصعوبات الكثيرة التي واجهها الجيش الآشوري أثناء تقدمه في المنطقة الجبلية (٧٦) *

(٧٦) جورج كونشيو : انحية اليومية في بلاد بابل وآشور - ترجمة سليم التكريتي وبرهان عبد التكريتي - بغداد ١٩٨٦ ص ٢٦٠ - ٢٦٥ ، عامر مكيمان : المرجع السابق ص ١٥٢ - ١٥٤ ، وكذا

J. Laessle, Op. Cit., P. 113-114
H. W. Saggs, Iraq, 20, 1958, P. 183-212
D. D. Luckenbill Op. Cit. Parag. 110-189
A. L. Oppenheim, JCS, 79, 1961, P. 135-147.
G. Roux, Op. Cit., P. 289-290

وأما بالنسبة لبلاد الشام : فإن سرجون الثاني إنما يحدث عن ترمد في شمال القسم فزعيمه مدينة «حصاة» (Hama)، وأنه استماع أن يثني على هذا التمرد في «قرقر» (Qarqar) عام ٧٢١ ق.م. ، كما يحدثنا عن سقوط السامرة — عاصمة دويلة إسرائيل ثانياً . «في بداية حكمي : وفي السنة الأولى منه ، حاصرت السامرة واستوليت عليها ، ونقلت من أجليا ٢٧٣٩٠ مواطن . واستوليت على خمس عشرة من السلاح الملكي : ثم ملأتهما بسكان أكثر مما كان فيها : فأهلك بها مواطني جدد : من بلاد كنت قد استوليت عليها : وعينت حكاما عليها ، وفرضت عليها الجزية والضرائب : كما يفعل الآشوريون»^(٧٧) .

وإطلاقه عن هذا : فإن سقوط السامرة إنما قد تم في أوائل السنة الأولى من عهد «سرجون الثاني» (٧٢٢ — ٧٠٥ ق.م) . وأن ذلك قد حدث بعد فترة ما من ديسمبر عام ٧٢٢ قبل الميلاد : ومن ثم غربها كان ذلك في أوائل عام ٧٢١ ق.م. : الأمر الذي يتناقض مع رواية «شامنصر الخامس» (٧٢٧ — ٧٢٢ ق.م) التي تنسب سقوط السامرة إلى أيامه^(٧٨) ، بل أن هناك وجها للتخبر يذهب إلى أن السامرة إنما سقطت في عام ٧١٥ ق.م^(٧٩) : وهناك آخر يرى أنها سقطت في عام ٧١١ ق.م^(٨٠) .

وعلى أية حال : فإذا كانت السامرة قد سقطت في ربيع أو حتى خريف عام ٧٢٢ ق.م. : فقد بقيت شهور ثمانية من هذه السنة ، حتى وفاة «شامنصر» في ديسمبر من تلك السنة : وأن ذلك ربما قد جعل الأمر

77) A. G. Lie, The Inscriptions of Sargon, II. Part, I, The Annals, P. 5.

A. L. Oppenheim, ANET, P. 264-5.

وكذا

(٧٨) محمد بيومي جبران : إسرائيل ٩٤٠/٢ — ٩٥٠ : بلاد الشام

من ٢٨٦ — ٢٨٩ ، وكذا

79) Fingon, Op. Cit., P. 219.

80) BIFAO, LI, P. 27.

A. H. Gardiner, Op. Cit., P. 342.

وكذا

80) A. H. Gardiner, Op. Cit., P. 210.

سهلا بانفسه الى سرجون الثاني - في نقوش كتبت في غقرة من عهده - من أن يسحب الى نفسه - تيبا واغشرا - الامر الذي قام به في الواقع سلطه «سلمنصر الخامس» ، وأن ذى سكان السامرة إنما قد بدى به بانكاد على أيدي سلمنصر الخامس ، غير أن الانجاز الفعلي لهذا الشيء ربما كان من عمل سرجون الثاني ، دون غيره^(٨١) ، هذا فضلا عن أن سرجون ربما كان قد شارك في احتلال السامرة مع أخيه سلمنصر الخامس ، قبل اعتلائه العرش ، ولعل من المفيد هنا أن ننتقل الى أن رواية التوراة إنما تذهب الى أن سلمنصر قد حاصر السامرة ، وأنهم قد «أخذوها» فربما تشير صيغة الجمع هنا الى استولى «سرجون الثاني» مع «سلمنصر الخامس» في نهاية الحصار ، ولكنها من ناحية أخرى ، قد تشير ببساطة الى «الجيش الآشوري» في صيغة الجمع كذلك^(٨٢) .

وأيا ما كان الامر ، فإن سرجون الثاني قد هجر أكثر عناصر السكان أهمية - ربما التيل - والاغنياء - الى «حليح وخبور نهر جوزان» وفي مدن «مدي» ، وبعد سنوات قليلة - وربما في عام ٧٣٠ أو ٧١٥ ق م - وقد قتل في سورية وفلسطين ، سامم فيها معظم سكان الولايات المختلفة ، بما فيه دمشق والسامرة ، تكررت العملية على درجة كبيرة ، ثم سرعان ما شارك سكان غربي الجزيرة العربية في هذه الاضطرابات بنحسب كبير أو قليل ، وحتى نجح المعاهد الآشوري في القضاء على هذه الاضطرابات ، عمل - كما تقول التوراة - على أن يأتي يقوم آخرون : وأن يسكنهم هذه الاقاليم - ومن بينهم مجاميع من العرب ، حدودهم النص الآشوري «بقتل نامودي وايد ديدى ومرسيمو وجبابا»^(٨٣) .

81) A. T. Olmstead, *AJS*, 47, P. 262.
J. Fregan, *Op. Cit.*, P. 210.

وكذا

(٨٢) ملوك دال ١٠/١٨ وكذا

J. Fregan, *Op. Cit.*, P. 210, No. 291.

(٨٣) انظر عن هذه القبائل العربية الشمالية (التييس موئل : شمال الحجاز - ترجمة عبد الحسن احسن - الاسكندرية ١٩٥٢ ص ٩١ ، محمد بيومي مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم - الرياض ١٩٨٠ ص ١٠٠)

والعرب الذين يعيشون بعيداً في الصحراء ، الذين لا يعترفون برؤساء
وموظفين ، والذين لم يكونوا قد أتوا بجزائهم لأي ملك : سببت الاحياء
منهم ونظمتهم الى السامرة» (٨٤) .

ونقرأ في التوراة أن العاص الاثوري قد جاء كذلك بقوم من بابل
وكوث - وهي تلك ابراهيم على مبعده ٢٤ كيلو شمال شرق بابل - ومن
«عمو» وحماء وسفروايم : ومن سوسة وعيلام (٨٥) ، وربما كن
الاشوريون يحدون من وراء ذلك كسر التحالفات القديمه - بادخال
أجانب في البلاد، ربما كانوا في بعض انخالات من الاشوريين أنفسهم -
وبداية لظروف جديدة أكثر ملاءمة للإمبراطورية الاثورية الطموح ،
وعلى أية حال ، فمن الصعب أن نقدر أهمية هذا التهجير ، وإن كان على
الأقل قد عمل على تحطيم الروابط الاجتماعية والسياسية والدينية
بدرجة أكثر فاعلية عما سبقه من إجراءات ، وليس هناك من ريب ، في
أن الغزوات الاثورية انما قد عطلت بنهاية الدويلات السامية المنهارة،
كما أن الأحوال القديمة قد تغيرت ، واختافت المعالم القديمة ، واضمحلت
المشاعر المحلية والثومية ، ودمرت الدويلات الحاضرة ، وأدى سقوط
الممالك الارامنة الى اضعاف «أقرايم» (إسرائيل) وكشف سقوط الأخيرة
دويلة يهوذا (٨٦) .

وأب ، كان الامر ، غلبت أعداد الاثوريين تنظيم مملكة السامرة ،

(٨٤) A. L. Oppenheim, ANET, P. 296.

(٨٥) ملوك ثامن ١٦/١٤ ، عزرا ٩/٢٤ .

(٨٦) عوا : مكان في بلاد بابل غير معروف الآن : وأما «حمص» فهي
مدينة على نهر العاصي ، شمال حمص ، احتلها الاثوريون حوالي عام
٧٢٠ ق.م ، واسماها السلوقيون «أينفانيا» ، وأما «سفروايم» ، فهما
بلدان على سفلى الفرات على مبعده ٢٥ كيلو جنوب غرب بغداد ، ويرى
«ريسم» أنهما «أبو حصة» الحالية : ويرى الآخرون أنهما «سومورية»
شرقي بحيرة حمص ، وأما «سوسة» فهي عاصمة عيلام ، وهي دولة
قديمة ارتبطت ببلاد المهرين بعلاقات مختلفة - ودية وعدائية - وتقع
غربي مملكة فارس ، وشرقي مملكة بابل ، وجنوبي مملكة آشور
وميديا .

على أنها أقلّيم سُوري يخضع لأمره حاكم سُوري : ثم غزو الحميات العسكرية الآشورية بجنود من مستوطنين ، أتوا بهم من بلاد بعيدة ، حدث لها ما حدث لفلسطين من غزو وتهجير ، وأخيرا فإن هؤلاء الجدد سرعان ما تزاوجوا مع السكان الأصليين ، وهجروا تقاليدهم إلى حد ما ، وظهر جنس جديد ، هم «السامريون» نسبة إلى عاصمتهم «السامرة» ، قريب اللهبه بجيرانه اليهوديين دعا وثقافة ، وإن اختلفوا في ميولهم السياسية^(٨٧) .

وعلى أية حال ، فغفالك ما يشير إلى أن «سرجون الثاني» إنما قد اتجه — بعد سقوط السامرة — إلى فينيقيا ، وكان «أيلو أبلو» — المولى لمصر — هو ملك صور ، هذافع عن مدينته ضد الآشوريين وخبر كاهن شخصية في منطقة الساحل الفينيقي في عهد «سرجون الثاني» ويبدو أنه فرض سلطته على جزء كبير من فينيقيا ، حتى أنه حاول إخضاع قبرص كذلك^(٨٨) : غير أن غفالك من يرجح أن قبرص دعت الجزية للملك «سرجون الثاني» : وربما دخل قسم من لجيش الآشوري جزيرة قبرص ، كما أقيم نصب نقشت عليه صورة سرجون : ومن ثم فقد روت نسوحه أنه أخضع سبعة منوك من أقلّيم «ايا» في قبرص : غير أن آشور لم تكن بالدولة البحرية التي تستطيع أن تمد نفوذها على قبرص بمجهود بمينها ، كما ادعت نصوصها ، وإنما يبدو أن صور وصيدا كانوا يسيطرون بالفعل على الجزيرة ، غلما دانت المدينتان للنفوذ سرجون ، سارعوا بالقتالي إلى إعلان ولائهم في قبرص ، حتى لايتصدي أعوان الآشوريين لمهمة نشاطهم التجاري على سواحل الشام : وفيما بينها وبين قبرص^(٨٩) .

87) C. Roux, A Short History of The Jewish People, London, 1969, P. 28-29

(٨٨) : قبل حتى : المرجع السابق ص ١٥٢ ، وكذا : A. L. Oppenheim, ANET, 1956, P. 284.

(٨٩) : طه باقر : المرجع السابق ص ١٩٠ ، عيد تعزيز صانع : المرجع السابق ص ٥٢١ .

هذا وتشير نصوص العام الحادي عشر إلى أن «عزوري» (Izuri) ملك أشدود قد عمل على منح الجزية ، وأرسل رسلا بالعدوات ضد أشور إلى الملوك المجاورين ، ومن ثم فقد ألغيت حكمه وعينت بدلا عنه أخاه الأصغر «أهيميتي» (Ahimti) ، غير أن التحيزين ، هم دائما وراء الغدر والخيانة ، كرهوا حكم «أهيميتي» ، ونصبوا عليهم يونانيا ، هو «ياماني» ليس له حق في العرش ، ولا يدرك المسؤولية مثلهم ، وفي غضبه مفاجئة ، أسرع في عربتي — ومعى غرساني فقط ، وهم لا يخلون عنى حتى في البلاد الصديقة — نحو أشدود ، فهدم «ياماني» (La-Ma-Ni) إلى «مصرو» (Muscu) التابعة الآن لآشورينا ، ولم يعرف المكان الذي اختبأ فيه ، ثم تقدمت نحو أشدود وحاصرتها وغزت مدن أشدود ، جت (Gath) و «أشدوديمو» (Ashdudimu) (90) ، وأخذت معبوداتها وسكانها وذهبها وفقستها وأمتعتها غنيمة ، ثم أعدت التنظيم هذه المدن ، ووضعت ضابطا من قبلى حاكما عليهم ، وأثبتت بمراطين من النحاس الشرقية التي أخضعنها ، وأسكنتهم هناك ، وأصبحوا مواطنين آشوريين يحملون نيري ، وأرسل ملك آشورينا الذي يعيش في بلاد بعيدة لا يمكن الوصول إليها : إرسال عن أيدي الملكيين ويقول : إنه يسمع منذ زمن طويل عن أشور القوي ، وعن نبو ، وعن مردوك ، أن القواء انقلب لعظمة ملكي أعماه ، ثم ألقى (بالقواء) في القباير وصفده في أرجاء الحديد ، ثم ساقوه إلى أشور في رحلة طويلة (91) .

ولعل مما تجدر الإشارة إليه أن «سرجون الثاني» إنما حدثنا في حواريات السنة الأولى أنه أخذ الجزية «من بيزو» صاحب موصري ومن شمسى هلكة بلاد العرب ، ومن أتعمر «دينع أمر» أمير سبأ ، تبرأ وخيلا وجمالا (92) ، وأن أمير سبأ هذا إنما كان يحكم — فيها يري موصل —

(90) A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 286.

(91) D. D. Luckenbill, Op. Cit., Parag. 62.

(92) A. G. Lee, The Inscriptions of Sargon II, King of Assyria, Part, I, The Annals, Paris, 1929, P. 5.

في شمال بلاد العرب ، على مقربة من البادية - اما في أعالي الحجاز :
أو في نجد - واما في المناطق الجنوبية من الاردن^(٩٣) ، كما يشير
«سرجون الثاني» أيضا الى أنه تلقى الهدايا من ملوك ساحل البحر :
وآخرين من البادية : تبرأ واحجارا كريمة وعاجا وحبوبا وأبنوسا وكل
أنواع المعطورات ، وخيلا وجمالاً^(٩٤) .

هذا ويذهب بعض الباحثين الى أن ملوك ساحل البحر والبادية
هؤلاء ، إنما كانوا يحكمون أرضا واسعة : تمتد من البحر الأحمر وحتى
البادية ، على أن هناك وجه آخر للنظر يذهب الى أنهم كانوا يحكمون
المنطقة التي تقع الى المشرق من مكة المكرمة : وحتى حدود سبأ
الشمالية^(٩٥) ، بل أن «هومل» ليذهب الى أن نفوذ الملك الآشوري إنما
قد وصل الى سبأ نفسها ، ومن ثم فقد أسرع ملكها يحصل الجزية الى
سرجون ، حتى لا تقع أملاكه آخر الامر تحت سلطان الآشوريين^(٩٦) ،
وأيا ما كان الامر ، فإن سرجون إنما يشير كذلك الى أنه تلقى هدايا من
ملك «دلون»^(٩٧) (جزيرة البحرين) .

وبعد من الأهمية بمكان الإشارة الى أن سرجون الثاني إنما قد
ذكر في معرض حديثه عن «دلون» أنه أقضع الى ملطانه «بيت ياكين»
في ساحل البحر الى تخوم دلون ، وأترأجح أن اقتليم «بيت ياكين»
إنما قد امتد حتى شمل دولة تكريت ، أو جزء منها ، كما أن العاهل
الآشوري قد غزا ، فضلا عن ذلك ، ميسان وبنوخا ، وربما للسبب
التقليدي ، وهو الحصول على الحبوب من «مجان»^(٩٨) .

93) A. Musil, Northern Hegaz, P. 479.

94) A. I. Oppenheim, Op. Cit., P. 286.

95) E. Glaser, Op. Cit., P. 260 F.

96) F. Hommel, Gendries, P. 58.

97) J. H. Belgrave, Welcome to Bahrain, London, 1965, P. 87

G. Roux, Op. Cit., P. 261.

وكذا

(٩٨) عبد الحميد زايد : الشرق الخالد - القاهرة ١٩٦٦ ص ١١٧ .

ولعل مما تجدر الإشارة إليه ، أن «سرجون الثاني» لم يستقر في عاصمته واحدة ، فقد اتخذ في أول أيام حكمه مدينة أئور عاصمة له ، ثم انتقل منها إلى «كالح» (نمرود) ، وفي منتصف حكمه اتخذ من «نينوى» عاصمة له ، وأخيرا ، وفي السنة التاسعة من الحكم (هو إلى عام ٧١٣ ق.م. وربما في عام ٧١٧ ق.م.) بدأ في بناء عاصمته الجديدة «دور - شاروكين» (Dūr - Šarrukīn) — أي مدينة سرجون أو حصن سرجون — وقد اختار لها موقعا في قرية كانت تدعى «مكاتب» ، وهي «خرسباد الحالية» على بعد ١٦ كيلا شمال شرق نينوى ، وقد استمر بناء المدينة حوالي سبع سنين (٧١٣ — ٧٠٦ ق.م.) ، ولكنه لم يتمع بها طويلا فقد مات في العام التالي (عام ٧٠٥ ق.م.) ، وقد ترك بمعنى آخر نينا غير اكتملة ، ولم يكتم خلفاؤه بهجرا والانتقال إلى نينوى ، وإنما شوهوا كثيرا من منحوتاتها ، ونقلوا بعضها إلى قصورهم فطمست معالمها ، وإن ظل اسمها في ذاكرة الأجيال المتأخرة ، فلقد عرف العرب اسم «سرجون» ، وشوه السامانيون اسم المدينة ، وأطلق عليها اسم «خرو - آباد» أو «مدينة خرو» ومن هنا جاء اسمها الحالي مشرفا إلى (خرسباد) أو «خورسباد»^(٩٩) .

(٤) منخريب (٧٠٥ - ٦٨١ ق.م.)

جاء «سند-ريب» (Sennacherib) (سين - آخي - أريبا = Sin-Ache-eriba) بعد أبيه «سرجون الثاني» الذي مات غيلة ، على أن الأمير اغورية كانت وقت ذاك تقمم باستقرار نسبي ، نتيجة لوجود سرجون العسكرية التكمية ، ولأسيما في الجبهة الشمالية ، ومن ثم فقد كان عهد «منخريب» عهد رخاء اقتصادي تمثل في تشييده المعراني الذي شمل كثيرا من المدن الآشورية ، وخاصة «نينوى» التي اتخذها عاصمة له عند توليه الحكم بدلا من عاصمة أبيه «دور - شروكين» (خرسباد الحالية) .

(٩٩) طه باقر : المرجع السابق ص ١٩١ - ١٩٢ ، وكذا G. Roux, Op. Cit., P. 291-292.

وقد اهتم «سنخريب» بعاصمته نينوى كثيرا ، فأعاد بناء أسوارها ببواباتها ، وبأحيط المدينة شبيه المنحرف قسراية اثني عشر كيلا ، وشيد القصور والمباني السكنية في الموقع المحذوف حاليا باسم «تل قوينجق» في حين تركت المآبد في موقع «تل النبي يونس» ، وقد كشفت الحفريات التي أجريت في «تل قوينجق» عن الفن الآشوري المعمارى ، فضلا عن التأثيرات السورية على الطرز المعمارية والفنية ، والتي تشير إلى مدى افادة «سنخريب» من الحرفيين السوريين الذين جلبهم معه ، وأسكنهم في نينوى كما عمل «سنخريب» على فتح الأسواق والساحات الكبيرة وفق تصميم كامل للمدينة ، هذا فضلا عن إنشاء حدائق وبساتين داخل المدينة ، زرع فيها مختلف أنواع النباتات والأشجار التي كانت تنمو في المناطق الجبلية ، فضلا عن تلك التي وصلتها الجيوش الآشورية في سورية وابدن ، كما قام بعمل بركة صناعية كبيرة جمع فيها شتى أنواع الطيور والأسماك والحيوانات المنكية ، إلى جانب إرواء البساتين والحدائق .

هذا وقد اهتم سنخريب بتوصيل المياه العذبة إلى نينوى ، ومن ثم عقد نظام بتنفيذ مشروع ري مازال آثارها باقية ، حتى يوم الناس هذا ، فاقصد أتى بالمياه العذبة إلى نينوى من مكان قريب من منبع نهر «الكومل» — على بعد ٨٠ كيلا من نينوى — أو «الجهومل» (Gomal) من مجاز جبل في «باغيان» وذلك عن طريق قناة سدت بحجر الكلس ، ونظرا لمرورها في مناطق غلبوا الوديان وفيها التوتغعات ، فقد شيدت لها قناطر على بعض الوديان ، بلغ طول أحدها ٣٠٠ ياردة ، وعرضها ٢٤ ياردة ، وقد نحت عند صدر القناة — عند النرية المعروفة الآن باسم «خفس» — على وجه حجرة نائمة صورة كبيرة للمعبودات ، وقد سجل عليها موجزا بأخبار تشييد المشروع (١٠٠) .

(١٠٠) عامر مطيعان : المرجع السابق ص ١٥٥ - ١٥٧ ، طه ياقر : المرجع السابق ص ١٩٣ ، وكذا J. Lesaw, Op. Cit., P. 114.

وعلى أية حال ، فإن السلام النسبي الذي تمتعت به آشور في أول عهد سنخریب لم يدم طويلاً ، فسرعان ما اضطربت الأمور في بلاد بابل وفي بلاد الشام ، فالتفت عز على بابل أن تتجنب زعيما من أهلها الأصليين يستفيد لها مجدها القديم ، فتعقب على حكمهما في عهد «سنخریب» (سینا خریب) ما لا يقل عن ستة ولاة ، ليس شيهم بابلی أصیل واحده ، ومن ثم فثد استطاع أحد العبيد أن يصل إلى العرش البابلی لمدة شهر ، ثم ظهر «أبي السرح» «مردوخ بالادان الثاني» (٧٠٣ ق.م) — وكان سرحون الثاني قد أخضعه من قبل (وقد حكم في الفترة ٧٢١ — ٧١٠ ق.م) — ثم غي عنه بعد القضاء على حركته — غير أن «مردوخ بالادان الثاني» إنما يقوم بتمرده هذه المرة (أي عام ٧٠٣ ق.م) بعدون من (استروك زاهونتي الثاني) ملك عيلام ، وبعض أمراء العرب ، ولكن «سنخریب» ظهر عليهم ، فغلبهم عام ٧٠٣ ق.م ، على مقربة من كيش ، وبغض «سكما من قبله» هو «بعل إبنی» الكلداني (٧٠٣ — ٧٠٠ ق.م) الذي أنشأ في بغداد ، ولكن «بعل إبنی» Bel Iuni عاد بدور دغقامر مع «مردوخ بالادان» (Merodac - Baladan) والعيلاميين فالتفتد أسرا ، ووضع «كاهن» «أشور — نادن — شومو» (Ashur - Nadin - Shumi) من أبناء ملك سنخریب (٧٠٠ — ٦٩٣ ق.م) ، وقد حارب في بابل وبعزوبتهما العليا ، ثم ضد الكشيين ، ثم لقن أهل الحدود عند ميديا درسا آخر . واضطر «مردوخ بالادان» في نهاية الأمر إلى أن يهرب إلى عيلام ، الأمر الذي أدى إلى انتماء أول أسطول حربي كبير في تاريخ الآشوريين ، مشترك في بنائه صناع من هيدا وهور وقبرص وعلوا فيه عاما كاملا في تل ترسيب على الفرات ، وفي نينوى على دجلة ، وتحرك الأسطول إلى نقطة الانطلاق براكند «كارون» عند مدينة «ناجبتي» ، وانتهى الأمر بهزيمة «مردوخ بالادان» ، ومع ذلك فلم ترضخ بابل ، وإنما استمرت في ثوراتها ، فحاصرت مدى عام ، ثم فتحت عنوة في عام ٦٨٩ ق.م ، وحربها رجال سنخریب ، فخریبها عنيفا ، وسلبوا نهر الفرات على أنقاضها حتى ألحقوها ، وبمنطق المنتصر الموج لم يتورع ابن سنخریب عن تبرير هذا التخريب على

حسب ابن كثير في قوله : « لقد كانوا من قبل بذكرين الضعيف ، وشاع الطغيان في مدينتهم والرشا والذوب ، وكان لربك يدب اليه في الطريق ، والتبدد بين مولاه ، والفسادية تعصى سيدهما ، وقد عاينوا القرابين ووضعوا أيديهم على كتوف «الاجيل» (مجد الأريب) ، وسعوا الفضة والذهب والاحجار الكريمة منه الى عيالم ، فغضب وهدوك أنيل «الالهة» ودير أمره على قبر البلاد وتبليت أطرافه ، غير أن سنهريب بعد عشرين من هذه الاحداث (أي في عام ٦٨٧ ق.م) ، أشرك معه في الحكم وزده «اسر هذونه» وجعل منه حاكمه على دابل ، وكان الامير تصغر ابنا لامرأة بنيلية ، وزوجا لزابلية ثيب ، ذاعاد لبابل بعضا من عزه القديم ، وحاول تحديدها ، واحب ما تردم من مجانيها (١٠١) .

وهناك ما ينسب الى أن سنهريب اتعا قام بعدة حروب في غرب بحيرة وان (عان) وفي قتيقيا ، وفتح المستعمرات اليونانية في آسيا لصوري انباضية ، وبنى في طرطوس مدينة آشورية بدير منها «ملاكه هناك» (١٠٢) ، ونقرا في نص آشوري أن سنهريب قد أرسل «ملا» الى منطقة الخليج العربي ، نجحت في القضاء على أرض البحر (١٠٣) :

- (١٠١) حبيب عصفاريل : المرجع السابق في ٢٧٦ - ٢٧٨ ،
 عبد العزيز صليح : المرجع السابق في ٥٢٦ ، وكذا
 D. B. Lockard, Op. Cit., Pages 244, 246-247, 248-252, 253, 254-255.
 A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 304-302.
 S. Zamboni, loc. cit. 34, 1972, P. 21-34.
 I. A. El-Amri, in JCS, 35, 1971, P. 89-99.
 G. Roux, Op. Cit., P. 294-299.
 1021 - G. Roux, Op. Cit., P. 294-295.
 M. R. Hill, Op. Cit., P. 47-48a.

وكذا

(١٠٢) كان هناك رأي سائد يزعم أن أرض البحر النسي هي «الغوار» الواقعة الى الشمال من الخليج العربي ، غير أن «البحر النسي» حذرتا «بعلب» جزءا من شبه الجزيرة العربية ذاتها ، «معدنة» «البحر» الى الخليج العربي ، حتى جزيرة البحرين ، وربما كانت تشمل «البحر» حتى «خليج العف» (تار)

(P. K. Hitti, History of The Arabs, 1960, P. 38).

واجبنا على القرار الى عيلام^(١٠٤) .

كان موت «سرجون الثاني» في عام ٧٠٥ قبل الميلاد ، وتولية «سنخریب» (٧٠٥ - ٦٨١ ق.م) ببداية الانتارة للثورة التي انتشرت كالنار في التيسيم بين الولايات الموالية لآشور ، وفي هذه الانباء نخل «مردوخ بلادان» ملك بابل ، الذي كن يقود الثورة في الاراضي الغربية ، بطريقة أكثر حزمًا في السياسة اليهودية ، ونظرًا لشفاء «حزقيا» ملك يهوذا (٦١٥ - ٦٨٧ ق.م) من مرضه الخطير الذي كان قد أصيب به ، ولثقة في التخلص من قبضة الآشوريين ، فان «حزقيا» استقبل بعثة من قبل الملك البابلي ، تحمل اليه السلام ، ونحضر اليه الهدايا ، وقام حزقيا بفتح خرائته ، ومحتويات مظانه الحربية ، وتم التحالف مع بابل ، الذي اشترك فيه العرب وآخرون .

وأما مصر ، فقد كان لها هناك في اورشليم حزب قوى يميني التحالف معها ، ويطلب انتحاية منها ، وينجح الآن فيما فشل فيه من قبل ، فلا يسمح حزقيا لنصائح «اشعيا» النبي (٧٣٩ - ٦٨٠ ق.م) ، ولا يضيع على نفسه فرصة موت سرجون الثاني ، ومن ثم فان ملك يهوذا انما يطلب من مصر التدخل في شؤون فلسطين مدعهم مركز الثقلين ، ومساعدتهم على التخلص من النير الآشوري ، وهكذا تكون خلف يضم فينيقيا وفلسطين ومواب وأدوم وعمون^(١٠٥) ، فضلا عن القبلات العربية في شمال الجزيرة العربية ، وعلى رأسها «تعلخونو» ملكة «أدوماتو» (دومة الجندل) ، وعرق الجميع كانت مصر ، وأخيرا حزقيا ملك يهوذا ، حيث «صلى على ملك آشور ، ولم يتعبد له» على حد تعبير أشوراه^(١٠٦) .

(١٠١) جورج فضل حوراني : العرب والملاحة في المحيط الهندي - ترجمة السيد يعقوب بكر - القاهرة ١٩٥٤ ص ٣٨ .
(١٠٥) انظر عن مماتك مواب وأدوم وعمون (محمد بيومي مهران : امراتيل ٤٤٧/٦ - ٤٤٨ - بلاد الشام ص ٢١٥ - ٢٢٦) .
(١٠٦) طوك سان ١/٢٠ - ١٩ ، محمد بيومي مهران : المرحح السابق ص ٢٤٤ - ٢٤٦ ، وكذا
M. Noth, Op. Cit., P. 267-268

وهكذا أنتهزت مصر وبابل فرصة قيام ملك جديد في آشور لانتارة
المتاعب في طريقه ، وكانت بابل تسعى لرفع نار آشور عن كاهلها ، وان
لم يكتب لها نجاحا في مساعيها ، وكانت مصر تستهدف امتداد نفوذها
على فسطاطين ، وهكذا تجددت المداوة الكامنة بين القوتين الكبيرتين
— مصر وأشور — في عهد سنحريب (١٠٧) .

وعلى أية حال ، فقلقد تهج سنحريب تهج سلفه ، فأعاد فتح المدن
الفينيقية والسورية ومملكة يهوذا ، بعد أن أعلنت صور وعسقلان
العصيان ، فسارع اليهبا سنحريب وأخضعهما عام ٧٠٠ ق م ، ثم عين
«أبو بل الماني» ملكا على مديا ، وحدد له الجزية التي يلتزم بدائها
ثم بعد ذلك قدم ملك «أرواد» و «أورملي» ملك جبيل (بييوس)
الولاء ملك آشور ، وقام سنحريب بعد ذلك بنقل عمل فينيتين التي
عصته تيوى ، ليقوموا بصنع سفن لهم تشبه سفنهم ، وقد جيزته
هذه السفن ببحارة من صور وصيدا ، فضلا عن اليونانيين ، وربما
القبارصة كذلك ، واستطاع سنحريب أن يقوم بهذا الاسطو لرحلة
بحرية (نهرية) على الفجئة لأخضاع شعوب «بيت داغن» أو «بيت
ياكين» Bil - jakin والعماليين ، وأن يموذ عن هناك بأسرى ، وذلك
في عام ٦٩٤ ق م (١٠٨) .

وفي عام ٧٠١ قبل الميلاد ، كان الجيش الآشوري قد انتصر إلى
فسطاطين لمزوما ، وأخضع مديا الساحلية ، الواحدة تلو الأخرى ،
وفي هذه الأثناء ظهرت قوة مصرية في الجنوب العربي عن فسطاط قرب
«الثنية» أو «المنكة» — وهي خربة المنع الحاتية ، على بعد ٩ كيلا
جنوبي عمرو ، ١١ كيلا شمالا تبنة (ثنية) — وأكبر الظن أن المصريين
لم يستخدموا قوة كبيرة وقت ذلك ، وعلى أية حال ، فإن سنحريب
يحف «نفسه بانهم «ملوك مصر» — أى حكام المدن — وربما كانوا

(١٠٧) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ص ٢٩٦ .

(١٠٨) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٢٩ ، وكذا
G. Roux, Op. Cit. , P. 296-297.

من «الآراء» خلافاً عن الذنبلة وعمران النمرعون «طبراقا» (٦٨٩ - ٦٩٩ ق.م) ، ومن الواضح أن الإشارة في التوراة عن تدخل «ترهاقة» (عجوزات) تلك تؤنس عدم سنخريب ، إنما هي خطأ تاريخي ، ذلك لأن «ثم قدامه إنما كان ما يزال في عام ٧٠٦ ق.م ، ملكا ، وأن ابن أخيه «طبراقا» لم يخلفه على العرش ، إلا في عام ٦٨٩ ق.م» (١٩٩) .

وثانياً ما كان الأمر ، فإن قوات «السنخريب» قد اخترقت بلاد يهوذا ، وفتحت حصونها واحداً إثر آخر ، ثم احتلت ستاً وأربعين مدينة مسورة ، مع عدد من المدن المصغرى ، أو بمعنى آخر ، فإن بلاد اليهودية كلها تقريباً قد سقطت في أيدي الآشوريين ، وكل ما استطاع حزقيا الحفاظ عليه إنما كان أورشليم ، كما أن واحدة أو اثنتين من القلاع الحصينة في الناحية الغربية استمرت تقايل الآشوريين ، ومنها «لاخيش» التي اتجه إليها سنخريب وأحكم الحصار عليها جنوده ، وهنا لم يكن أمام حزقيا مهرباً يملكه في هذا الوقت الميؤس منه إلا الخضوع لسنخريب ، وإلا فبذية قوية يذهبها له «ساعراً ذليلاً» ومن ثم فقد أرسل حزقيا إلى الحاكم الآشوري في «لاخيش» - ويرجح الآن أنها «تل الكدير» على بعدة ٨ كيلاً غربي بيت جبرين (١٧٧) - يقول : «قد أخطأت ، أرجع عني ، ومهما جعلت عني عملته ، فوضع ملك أشور على حزقيا ملك يهوذا ثلاث مئة وزنة من النخعة ، وثلاثين وزنة من الذهب ، فدفع حزقيا جميع النخعة المربوذة في بيت الرب ، وفي خزائن الملك» (١٧٨) .

وبعد أن سنخريب قد أدرك أنه من خرق الرأى أن يترك أورشليم

.....

(١٧٩) فاموس الكتاب المقدس ١٠٣/١ ، وثالث امرى : مصر وبلاد النوبة - ترجمته د. جندوبة - القاهرة ١٩٧٠ ص ٢٢٧ ، و ١٥٦.
A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs Oxford, 1961, P. 466.
M. Noth, The History of Israel, London, 1965, P. 268.

(١٨٠) انظر

W. Albright, ZAW, 6, 1929, P. 1.

W. M. F. Petrie, Tell el-Hay (Lachish), 1891.

(١٨١) طبراقا ١٣/١٨ - ١٦ .

الحصينة من وراءه في يد حزقيا ، ومن هنا فقد أرسل قسما من جيشه تحت إمرة ثلاثة من قواده لحصار أورشليم والاستيلاء عليها ، وهكذا بدأ حصار أورشليم ، وأرسل ضباطا مستحريين رسالة مخربة الى حزقيا الذي بدأ في مدينته «كالطير في القفص» ، وانتشر الرعب بين الشعوب الذين هيل اليهم أن ساعة أورشليم الاخيرة قد دت ، ويفتح مستحريين لاحيى بعد ذلك ، ثم يتجه الى «الثكنة» لمهاجمة الجيش المصرى الذى كان يقوده «طهرانا» ، وفى أثناء ذلك حدث ما يدعى «المستحريين» إلى العودة إلى نينوى ، وأنفذت أورشليم ، وسمح لحزقيا بأن يحتفظ بعرض يهودا - كتبع لاشور - وان أجبر على دفع الجزية المتأخرة ، وأن يرسل بناته ومخطياته إلى مستحريين في نينوى ، ومن المثلق عليه أن مستحريين قد أوقع على حزقيا عقابا قسريا ، وأنه جعل سلاط مقصورا على دويلة المدينة الصغيرة أورشليم ، واستولى منه على كل بلاد يهودا ، النى وهبها لملكوك الفلسطينيين الموائين له ، وهم «عشائى» ملك أشدود ، و «سلبيل» ملك غزة ، و «يادى» ملك عقررون ، الذى استعاد سلطانه القديم ، وفرض عليه جزية ثقيلة ، ٣٠٠ وزنة من الذهب ، ٨٠٠ وزنة من الفضة ، وأحجار كريمة ، وكثل ألواح كسرة من الحجر الأهمر ، ومخاضع مطعمة بال عاج وغير ذلك (١١٢) .

مذا وقد أخطفت الآراء في الأسباب التى دعت مستحريين إلى العودة المفاجئة إلى بلادهم - خدمة وأن المعامل الاممورى لم ينر إلى تلك الأسباب - ومن ثم فهناك من يرجع ذلك إلى اضطراب خطير في نينوى ضجها ، على أن هناك وجه آخر للنظر بذهب إلى أن جحافل من العيران تكث قسى الغزاة وجعنيهم وحمائل دروعهم ، فكانت النتيجة أنهم أصبحوا عزلا من السلاح ، ومن ثم فقد ولوا الادبار ، وسقط الكثيرون

(١١٢) ملوك ثان ١٧/١٧ - ٣٧ ، وكذا

A. L. Oppenheim, ANET, 1960, P. 288

M. Noth, Op. Cit., P. 268-269

P. R. Dougherty, JBL, XLIX, 1930, P. 166-171.

K. Follert, AJSL, XLII, 1925, P. 1-25.

منهم مصرى^(١١٣) ، وأخيرا ترجمها التوراة الى أن «ملك الرب قد خرج وضرب من جيش آشور مئة ألف وخمسة وثمانين ألفا ، ولما بكروا صباحا اذا هم جميعا جثث ميتة ، فانصرف سنحريب ملك آشور ، وذهب راجعا وألقاهم في نينوى»^(١١٤) .

وهكذا بات من الصعب علينا أن نعرف أسباب عودة سنحريب على وجه اليتيم ، ذلك لأن كلا من روايتي التوراة و «هيودوت» انما تجعلها لأسباب غير عادية: فالأولى ترجعها الى «درة يهود» — رب اسرائيل — ومن ثم فهي تعبر عن وجهة النظر اليهودية في هذه الاحداث ، والثانية ترجعها الى «درة الاله» «هيفائستوس» — الاله المصري «مفتاح»^(١١٥) — وعلى أية حال ، قد نصدق احدي الروائتين — أوهما معا — بذلك نوع من خوارق الامر ، وأن كان الامر غير ذلك ، غريبا كانت هناك أسباب «اخائية» في نينوى نفسها ، دعت سنحريب الى العودة الى بلاده ، ليكون على مقربة من الاحداث ، وهذا ما ترجمه وتميل الى الاخذ به ، خاصة وأن سنحريب قد مات غيلة بعد ذلك^(١١٦) .

وأما علاقة الملك الاشوري «سنحريب» بالقبائل العربية في شمال غرب شبه الجزيرة العربية ، وعلى رأسها «تعلخونو» ملكة «أدوماتو» (دومة الجندل) فابدا نقرأ في نقوش ولده الملك «اسرحدون» (٩٨٠ - ٩٦٩ ق.م) أن أباه «سنحريب» انما قد أخضع «أدوماتو» وأخذ أصنامها الى عاصمته نينوى ، والامر كذلك بالنسبة الى الاميرة «تبوة» (Tabue) (تاربو) ، وبذهب «ألوبيس موسيل» الى أن سلطنة الملكة «تعلخونو» (Talluunu) قد امتدت من دومة الجندل وحتى حدود بابل ، وأن الملكة العربية انما قد وقفت الى جانب الشوار اليابليين ضد

(١١٣) هيودوت يتحدث عن مصر — ترجمة محمد عفر خفاجة ، مراجعة وتقديم أحمد بدوي — القاهرة ١٩٦٦ — ص ٢٧٠ - ٢٧٢ .
(١١٤) ملوك كتاب ٢٥/١٩ - ٢٧ ، انجيل ٢٦/٣٧ .

(١١٥) J. I. Gessner, Op. Cit., P. 114.

(١١٦) انظر : محمد بنوحي مهران : اسرائيل ٩٧٠/٢ - ٩٧٨ ، بلاد الشام ص ٣٩٧ - ٤٠٠ .

سخريري ، ومن ثم لما أن انتهى الناهل الاشوري من النظم ، على القمر البابلوني ، حتى نتجته الى دومة الجندل ، وعرض الحصار عليها^(١١٧) .

وهذا منشير اني أن خلافا وقع بين «تلخونوا» (تلخونوا) وبين «هزائيل» (حمر - ايلي) - سيد قبيلة قيدار - الذي تولى قيادته الجيوش ضد سخريري ، الامر الذي أدى الى استسلام مكة . وشرز حزائيل الى البادية ، فغصا عن أسر الاميرة «تيرود» وأخذهم الى كنعانة الاشورية ، ثمهدا لاعدادها لتكون مكة على قسومها في «أدوماتو» ، تعمل بالمر آشور ، وتنشد سياستها ملوكها فيمب يختص بالاعراب^(١١٨) .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن هناك نقف عثرت عليه بعث النعنية يفيد تقديم هدايا من أحجار كريمة وعطور للعائم الاشوري «سندريبي» من «كرب يلو» السبئي ، والذي يرى العلماء فيه المركب «كرب ايل بين»^(١١٩) ، وإن كان الانسريون قد أطلقوا عليه لقب «ملك» . وهنا فليس هناك من تغيل لهذا الخطأ التاريخي . سوى أنهم كانوا يجهلون ألقاب الحكام في سبأ في تلك الفترة^(١٢٠) ، ويبدو أن سخريري قد حوّل كذلك نجاحا على الاعراب ، كان سببا في أن يفرض نفوذه عليهم بدرجة كبيرة ، تدعو «عبرودوت» الى أن يصدق عليه لقب «ملك» .

117) A. L. Oppenheim, ANET, 1964, P. 299.

D. D. Luckenbill, ARAB, II, P. 518

G. Roux, Op. Cit., P. 308.

A. Musil, in The Arabia Deserta, New York, 1930, P. 480.

(١١٨) جواد علي : الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام - الجزء الاول - بيروت ١٩٦٩ ص ٥٩٦ ، وكذا

British Museum Tablets. K., 3487, 3405.

(١١٩) انظر عن «كرب ايل بين» (محمد بن جهمي - مدران : تاريخ العرب تقديم - الرياض ١٩٧٧ ص ٢٧٨) .

(١٢٠) جواد علي : الفرع السابق ١٨٠/٦ ، وكذا

BASOR, 137, 1955, P. 40.

Encyclopaedia Biblica, 19, P. 785.

D. Nielsen, Handbuch, 3, P. 76.

المرب والاشوريين»^(١٢١) أو ان كان أستاذنا الدكتور أحمد بدوي طيب الله ثراه - يرى أن أكبر الظن أن المقصود بالعرب هنا قد كانوا سكان وادي النهرين : ومن يليهم من أهل البقاع المجاورة الذين خضعوا يوماً لسلطان سنجريب^(١٢٢) .

ومن ثم فعلينا ألا نبالغ كثيراً في هذه الأمور ، فمن المستبعد أن يكون الاشوريون قد وصلوا إلى جنوب بلاد العرب ، وغرضوا الجزية على دوله سبأ ، وربما كان الأرجح أن بعض الجباليات السبئية كانت مستقرة على طول الطريق بين شمال شبه الجزيرة العربية وسورية وفلسطين ، وهذه هي التي تعرضت لغارات الاشوريين ، وحتى الجزية التي يزعم الاشوريون أنهم أخذوها من الملكات العربيات أو الأمراء العرب ، إنما كانت هدايا أكثر منها جزية ، وأن السبئيين إنما كانوا ينظرون إلى أنفسهم كثداة الملوك آشور ، أو حلفاء لهم ، وربما كان هناك تحالف بين الفريقين ضد البدو الجاهليين من أبناء الشمال^(١٢٣) .

(٥) اسرحدون (٦٨١ - ٦٦٩ ق.م)

كانت نهاية «سنجريب» محزنة ، وطبقاً لما جاء في السجلات الاشورية ورواية التوراة ، فلقد اغتاله أحد أعدائه في ظروف غامضة ، وقبلى العرش بعده ولده «اسرحدون» (Esarhaddon) آشور - أcha - أدين - (Assur - aha - addin) : بمعنى الإله آشور أعطى أcha . وقد خلف لنا «اسرحدون» وثيقة يروى فيها طريقة اختياره - رغم أنه لم يكن الابن الأكبر والموريث الشرعي - ليعرّض ، ثم المؤامرات التي حيكت

(١٢١) Herodotus, II, 141.

(١٢٢) أحمد بدوي : هيرودوت يتحدث عن مصر ص ٢٧١ .

(١٢٣) محمد بيومي عيران : العرب وعلاقاتهم الدولية في العصور القديمة - الرياض ١٩٧٦ ص ٣٤١ - ٣٤٤ : محمد أبو الجحاض عصفور : معالم حضارة الشرق الأدنى القديم ص ١٥١ : فؤاد حسين : التاريخ العربي القديم ص ٧٦ ، ٨٧ ، وكذا

P. K. Hitti. Op. Cit., P 38.

ضده ، وأخيرا انتصاره على أخوت ووصوله إلى العرش بعد مرحلة
المفوضي والاضطرابات التي سادت البلاد حينها من الدمار (١٣٢) .

ولاشك في أن مهمة أسرخدون الأولى في تلك الظروف إنما كانت
المقضاء على الفتن والاضطرابات التي وقعت - وخاصة في تجيش -
بعد اغتيال سنهريب ، فضلا عن التمرد الذي وقع في بعض الأقاليم
التي استغلت فرصة الاضطرابات : غير أن السياسة التي تبناها
أسرخدون في معالجة المشكلة البابلية كانت تخالف اختار تيسير عن
سياسة والده ، ولعله أقاد من الأخطاء التي وقع فيها أبوه ، في تجنب
ممارسته الفعلية في حكم بابل في عهد أبيه ، فبدأ فحشا في ذلك
- ما أشرفا إليه من قبل - من أن أسرخدون أمم كل بيت لا يملك بابلية
وزوجا لأخرى بابلية ، لكن من الطبيعي أن يتبع الرجل مع بلاد بين
سياسة اللين والمتروك ، فعمل على إحيائها وأعدة تعمير ما كان أبوه
قد دمره ، كما أعاد تشييد أبنائهم التي كانت قد سببت منهم أبناء
سيطرة انقباض الكدبة ، ثم ولي عليهم والده الأكبر «شمس سوعوتين» .
وتجاوز عن سلطان الكلدانيين في أرض البحر - مع ذاعتهم لولده وريث
لم يفعل ذلك بدافع العنيفة وحدها ، وإنما بدافع الرغبة في التوسع
لتفويض حلمه الكبير بغزو مصر ، وأيا كان الهدف من وراء هذه السياسة
فإن الذي لا ريب فيه أنها وجدت قبولا حسنا . ونجد كثيرا من صفوف
البابليين ، حتى غدت بابل تهيأ قاعدة عسكرية للقوات الآشورية في
مواجهة الاخطار المتوقعة من الشرق دائما ، كما لم تلق محاولات حثيئة
صياتم في احتلال بيت وتحريض شعائك ضد الآشوريين أي مدى عند
البابليين .

وأما في الجبهة الشمالية والشمالية الغربية فقد كانت بعض القبائل
السيثية (Seythian) قد تغلغت في المنطقة : كما عدت في لغزور بعض

(١٣٤) ملوك شان ١٩/٣٦ - ٣٧ ، وكذا
G. Roux Op. Cit. p. 299.
A. L. Oppenheim, Op. Cit. p. 292.

الكهرية (Cinnacrian) ، غوصت بينها وبين القوات الآشورية صدامات مسلحة ؛ في حين أبرمت معاهدات صداقة مع بعض الأمراء الميديين Medes ، ويبدو أن السياسة العامة التي اتبعها أسرحدون في معالجة الملك هي الجنوح للسلام ، كلما كان ذلك ممكناً ، حتى وإن اقتضى الأمر خسران بعض الأقاليم (١٢٥) .

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن أسرحدون لم يتبع سياسة اللين هذه في بلاد الشام ، ويحدثنا التاريخ أن ملك ميديا «عبد ملكوتي» — خليفة أتوبعل الثاني الذي عينه سفيريب ملكاً على ميديا — قد ظن أن في وسعه أن يستغل ميديا ، ومن ثم يقدد ارتباطاً ببعض الأمراء المجورين في حلف أدرك أهدافه «أسرحدون» فعجل بالقضاء عليه ، وبدأت المحاولة بالمثل ، بعد أن اغتصبت ميديا في عام ٦٧٨ ق.م ، وعملت بقسوة حتى لا تعود لمثلها ، وحاول «عبد ملكوتي» الفرار بحراً ، ولكنه أقيد أسيراً ، «وصيد كالسمكة من البحر» ، ثم أعيد ، وانتقم أسرحدون من أهل ميديا أشنع انتقام ، فدمر المدينة ، وهدم عمارتها ، ودك بيوتها ، وأطاح بتحصيناتها وأسوارها ، وقذف بأحجارها في البحر ، وكانت هذه تكررة أول الكوارث التي توالفت على ميديا عبر التاريخ .

وسرعن ما أمر أسرحدون سكان ميديا بالانتقال عنها إلى بلاد ، وأحل محلهم قوماً من الخليج العربي ؛ أو من شرق الإمبراطورية الآشورية ، وأمر بتعمير مدينة جديدة في موضع ميديا أسماها «كار — أسرحدون» أي «مدينة أسرحدون» ، وإن ذهب «غليب حتي» إلى أنها

(١٢٥) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٥٧ - ١٥٨ ؛ عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٢٦ - ٥٢٧ ، وكذا

J. Nougayrol, AFO, 18, 1958, P. 314-315.

G. Rous, Op. Cit., P. 300-302.

D. D. Luckenbill, ARAB, II, Parag. 639 E.

مجرد حصن آشوري أقامه اسرحدون ، بجانب موقع صيدا ، بقصد
القاء الرعب في قلوب أهل صيدا (١٢٦) .

وأيا ما كان الأمر فلقد كانت معاملة اسرحدون نحيفة صيدا ، أكثرها
الشديدة على المعارضة الفينيقية ، ضد الآشوريين ، ومن ثم فقد رأينا
«ياكين أرسل» ملك أرواد ينسلم مدينته — فضلا عن ابنته — للساميين
الآشوري ، كما خضعت مدن فينيقية أخرى — تحت زعامة «بعل» ملك
صور — لاسرحدون ، ووقعت معاهدة بين «بعل» واسرحدون ، غير أن
ملك صور سرعان ما مزقها حين شعر بأن الوقت أصبح مناسباً لنزع
النير الآشوري .

وهناك نصب عند نهر الكلب — على مقربة من نصب رعمسيس
الثاني (١٢٩٠ — ١٢٢٤ ق.م) يمثل اسرحدون واقفا بتيه وفخار ،
قرب كتابة أثرية تروى خبر الاستيلاء على هذف وعسقلان وصور ، وفي
نصب آخر في «زنجرلي» (شمال القديمة) — عند عينتاب في شمال
سورية — يقف اسرحدون ممسكا بحبل ربط يه «بعل» ملك صور ،
و «طوراكا» ملك مصر ، من الانف ، وإن كان من المؤكد تاريخيا أن
«طوراكا» لم يقع أبدا في الأسر ، ومن ثم فالمراد من النصب ادعاء
والفتنخر الكاذب (١٢٧) .

(١٢٦) محمد بيومي مهران : بلاد الشام ص ١٥٩ — ١٦٠ ، نجيب
ميخائيل : المرجع السابق ص ١٢٩ — ١٣٠ ، يوسف مزهر : المرجع السابق
ص ٥٠ ، فيليب حتى : المرجع السابق ص ١٥٤ ، عبد العزيز سالم :
المرجع السابق ص ٣٢ — ٣٣ ، وكذا

D. Barmaki, Op. Cit., P. 29.

A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 289-290.

D. D. Luckenhill, Op. Cit., Parag. 527-528.

(١٢٧) فيليب حتى : المرجع السابق ص ١٥٤ ، وكذا

D. D. Luckenhill, Op. Cit., Parag. 532-535.

R. Moule, Le Nahr el-Kelb, Beirut, 1932, Pl. VI, P. 18.

A. T. Olmstead, History of Assyria, N. Y., 1923, P. 284.

H. R. Hall, Op. Cit., P. 499.

G. Roux, Op. Cit., P. 300-301.

R. Borger, Op. Cit., P. 107-109.

وأما عن دويلة «يهودا» فتحدثنا التوراة أن «منسى» ملك يهوذا (٦٨٧ - ٦٤٣ ق م) قد سبى إلى بابل ، ثم أعيد مرة أخرى إلى عرشه ، وأيس هناك وثائق آشورية تؤكد ذلك ، وإن كان هناك ما يشير إلى أن أسرحدون قد استدعى مجموعة من مواليه الصغار - ومنهم منسى - للمساهمة في بناء القصر الملكي ، ولكن ليست هناك أية إشارة إلى إعادة «منسى» إلى عرشه ، وعلى أية حال ، فإن هذا الأمر الأخير إنما قد حدث مع الأمير المصري «نخاو» أمير «ساوا» (سايس) ، ومن ثم فليس من الغريب أن يحدث مثل ذلك مع «منسى» ، حين نأتد الاشوريون من ولائه لهم ، غير أن الشيء المميز للنص التوراتي أنه يعزو حرية منسى وعودته إلى عرش يهوذا إلى خضوعه لرب إسرائيل (يعوز) ، وبدعى أن هذا ليس صحيحا ، كما أنه لا يتفق وسيرة منسى وأعماله القينية ، كما قدمتها التوراة نفسها ، وحتى أن كثيرا من الباحثين إنما يرون في منسى وما ثم في عوده من مخالفات دينية إنما كن سببا في سقوط أورشليم وفتح يهوذا (١٣٨) .

وأما عن علاقة أسرحدون بمملكة أدوماتو (دومة الجندل) ، فلقد أتى «حزائيل» - سيد قيدار ، والذي كان قد غر إلى البداية عند سقوط أدوماتو في يد سنحريب - أتى إلى نينوى ، وقدم فروض الطاعة إلى أسرحدون ، الذي رد إليه أصنام قومه التي كان أبوه «منحريب» قد أخذها أسيرة إلى نينوى ، وإن كان أسرحدون قد حدد حرم على أن يسجل عليها تفوق اله آشور ، وأن ينقش عليها اسمه الشخصي ، فضلا عن تعيين الأميرة «تبوءة» ملكة على دومة الجندل ، الأمر الذي لم يندر له ما تمناه الاشوريون من نجاح للأميرة العربية : بسبب العداء المسبق

(١٢٨) محمد بنوصى مهران : إسرائيل ١٧٨٨/٢ - ٩٨٠ ، طوك شان ٣/٢١ - ٢٦/٢٣ ، ٢٧ ، اربعاء ٤/١٥ ، جون ألدر : المرجع السابق ص ١٠٤ - ١٠٥ ، وكذا

W. F. Albright, Op. Cit. P. ٢٩.
C. Reth, Op. Cit. P. 35
A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 295.
S. A. Cook, Op. Cit., P. 293-294.

بين العرب والآشوريين ، والذي ما كان في استطاعة «تبوءة» - وزجما
عدم رغبتها - في القضاء عليه (١٢٩) .

ولعل هذه العوامل هي التي دفعت اسرحدون الى أن يعيد «خزائيل»
الى زعامة قيادار ، في مقابل جزية قدرها خمسة وستون جملا ، وعشرة
مهور ، أكثر من ذي قبل ، وأن يعبد بالامر نفسه الى ولد خزائيل المدعو
«بائاع» بعد وفاة الاب في عام ٩٧٥ ق.م ، وأن زاد الجزية الى ألف
«منا» من الذهب ، فضلا عن ألف حجر كريم ، وخمسين جملا ، ومائة
زكينة «كونزو» ، مع عطور أكثر مما كان يدفع أبوه (١٣٠) .

ولنفرد هذا النص الآشوري : «من أدوملئو فلعة العرب ، التي
فتحها أبي سنحريب : ملك آشور ، وأخذ كل ممتلكاتها وتماثيلها غنيمة ،
وجاء بها الى آشور ، جاء خزائيل ملك العرب بهدايا كثيرة الى
نيانوى ، مدينة حكى ، وقبل قدمي : والتمس أن أعبد التماثيل ، وأخذتني
به شفقة ، فأصلحت ما حل بصور المعبودات وآلهة العرب وأعدتها معه ،
بعد أن سجلت عليها قوة آشور ربي ، كما سجلت عليها اسمي ، وجعلت
«تاربو» (تبوءة) التي تربت في قصر أبي ملكة عليهم ، وأعدتها الى
بلادها مع آلهتها ، وفرغت عليه (خزائيل) جزية اضافية ٩٥ جملا ،
١٠ مهور : أكثر من ذي قبل ، ولما صحت خزائيل وضعت ابنه «بائاع»
مكانه ، وفرغت عليه جزية اضافية : ١٠ مينا من الذهب ، ١٠٠٠ قطعة
من أحجار «ببيوتى» ، ٥٠ جملا ، ١٠٠ زكينة «كونزو» مع عطور ،
أكثر مما كان يدفع أبوه ، وبعد ذلك حرض «ععب» العرب على الثورة
خس «بائاع» الا أنه كان طامعا في الملك ، ولكنني أنا اسرحدون ملك
آشور : محب لعدااة ، الذي يعد الاندراف دنساً ، أرسلت جيوشى

(١٢٩) محمد بيروني مشرق : العرب وعلاقاتهم الدولية ص ٢٤٢

A. L. Oppenheim, Op. Cit. P. 291.

- ٢٤٤ -

D. Wiseman, The Vassal-Treaties of Esarhadon, London, 1933, P. 4.

(١٣٠) محمد بيروني ، مرجع : العرب وعلاقاتهم الدولية في العصور

القديمة - تزياض ١٩٧٦ ص ٣٤٤ .

لمساعدة «ياتاع» ، واستطاع الجيش أن يخضع كل العرب ، وأمسكوا
بأندعو «وعب» ومخاربه في القيود ، وجاءوا بهم إلى ، فوضعت
أطرافنا في رقباتهم ، علقنهم على قائم جوايتي» (١٣٦) .

على أن القيداريين سرعان ما عادوا إلى الثورة من جديدة — وبقيادة
ياتاع نفسه هذه المرة — غير أن دورتهم لم يكتب لها ما تمناء الثوار من
نجاح ، فلقد استطاع الآشوريون القضاء عليها ، واضطر «ياتاع» إلى أن
يتأخر مخيمه لينجو بنفسه ، ففر وحيدا ، وصار إلى الاصقاع البعيدة .

وهكذا كان البدو شوكة في جنب أندولة الآشورية ، تدفعهم مصر
وبابل إلى الثورة ، فإن فشلوا كان في رحاب المبادية خير مأوى يتوارون
فيه عن الأعداء ، فتهجز جحافل الآشوريين عن مطاردتهم ، وكانت المبادية
دائما موطن البلايا والحن التي يتلى بها العزى (١٣٧) ، وهكذا ما كان
الواحد منهم تطفأ قدماه شمالي بلاد العرب ، حتى تنروعه البلايا ، ومن
ثم يصور له ذعره الشديد «آهات ذات رأسين ، فضلا زحافات مرعبة
تدفع بأجنحتها» (١٣٨) ونقرأ في التوراة عن نهائم الجنوب ، «الأنعي»
والشعبان انسام الطيار» (١٣٩) ، ويؤكد «هيرودوت» أن الأقاعي مختشرة
في كل بلاد العالم ، غير أن الحديث لا ترى إلا في بلاد العرب (١٤٠) .

ونقرأ في نصوص أسرخدون عن حملة أخرى ضد قبائل عربية تنزل

131) A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 283-299.

A. Musil, Op. Cit., P. 482.

وكذا

A. Grohmann, Arabien, München, 1963, P. 22.

J. Hastings, A Dictionary of The Bible, Edinburgh, 1963, P. 832.

(١٣٢) حواد على : المرجع السابق ص ٢٩٢ — ٢٩١ ، وكذا

D. D. Luckenbill, Op. Cit., P. 916, 916.

A. Musil, Op. Cit., P. 482.

P. K. Hitti, Op. Cit., P. 33-36.

133) D. Luckenbill, Op. Cit., II. Parag. 558.

(١٣٤) شعيب، ٣٠ / ٦ .

135) Herodotus, III, 109.

أرض «بازو» Bazu - و «خازو» Hazu (١٣٦) ، وهما موقعان يقوم علي
تحديد مكانهما جدل حلويل ، فالتوراة تتحدث عنهما ، (وهما هنا بوزا
وخزوا) عنى أنهما من أولاد تاجر (١٣٧) ، أخى إبراهيم ، عليه الصلاة
والسلام ، ومن ثم غربهما كان للولاء صلة بأرض «بيوز» (١٣٨) ، وأن ذكر
«بيوز» بعد «ددان وتيماء» في سفر أرمياء (١٣٩) ، قد يقيد أنها كانت من
مجاوراتهما ، على أن هناك من يرى أنها «بازو» التي جاءت في نص
مستحرب ؛ ومن ثم فهي العربية الشمالية ، على أن آخرين انما يذهبون
الى أنها تقع في جنوب شرق الجوف (١٤٠) .

هذا ويذهب «ألويس موصل» — طبقاً لما جاء في التمس الإثوري
عن يذو — الى أنها تقع في غرب وجنوب «تدمر» في وادي المرحان
عند الحدود الشرقية لوزان : وأن «خازو» انما تقع في شرق وادي
المرحان ، فضلاً عن المنصة الجبلية الى الشمال منه ؛ وأن الجيش
الإثوري انما سلك طريقه الى هذه المناطق ، تلك الطرق التجارية المارة
من الحواف الشرقية لحران الى دمشق (١٤١) ؛ على أن هناك وجهاً رابعاً
لأنظر يذهب الى أنها في داخل بلاد العرب ، بينما يذهب وجهه خامس
للنظر الى أنها «تجد» وأن البلدية التي تحدث عنها ليرحدون انما هي
«التفوذ» ، وأما «خازو» فهي الأسماء (١٤٢) ، وأخيراً فليذهب
«رولينسون» الى أنها ربما كانت إمارة الحيرة ، وما يتصل بها حتى جبل
شمر (١٤٣) ، بينما اختار البعض أنها انما تقع في البهامة .

136) A. Musil, Op. Cit., P. 482.

(١٣٧) فكوين ٢٢ / ٢٢ - ٢٢ .

(١٣٨) قانوس الكتاب المقدس : ٢٥٥ / ٢٧٢ .

(١٣٩) أرمياء ٢٥ / ٢٠ - ٢٤ .

EB, P. 615.

(١٤٠) جواد على : المرجع السابق ص ٥٩٧ ، وكذا

A. Musil, Op. Cit., P. 483-484.

141) S. Smith, Babylonian Historical Texts, P. 15.

A. Musil, Op. Cit., P. 484.

142) Eruemy, V, 19, 2.

J. H. D. Belgrave, Op. Cit., P. 96.

G. Rawlinson, The Five Great Monarchies, II, P. 470.

(١٤٣) جواد على : المرجع السابق ص ٥٩٥ - ٥٩٩ .

على أن أخطر غزوات اسرحدون ، تلك التي قام بها ضد «مصر» — أرض الكنانة — غنقد كان الملك المصري «طهرأقا» (٦٩٠ — ٦٦٤ ق.م) هو الذي ينظم المقاومة ضد الاشوريين في غربي آسيا ، ويتعاون مع أمرائها — خاصة أمراء صور وصيدا — في صد الاشوريين ، وكان عن الواضح أنه منذ زمن بعيد كان يجب الوصول الى ما يصمم الامور بين البلدين — آشور ومصر — وكان «اسرحدون» قد جند كل إمكانات آشور لمهاجمة مصر في عام ٦٧٧ ق.م ، وربما الأرجح في عام ٦٧٤ ق.م ، ولكنه لقي هزيمة نكراء بعد معركة دموية — كما روت المصادر البابلية — ونجت مصر من الغزو الاشوري ، ولكن إلى حين ، ذلك لان هزيمة اسرحدون كانت قد توصلت الى درجة أفقدت الجيوش الاشورية هيبتها ، وشجعت الدول التابعة لها على محاولة التخلص من سيادتها ، مما اضطر اسرحدون الى الاستعداد لمحاولة الغزو ، حرصا على سمعة امبراطوريته ، وانتهازا لفرصة اطمئنان «طهرأقا» الى أن هزيمة آشور بلغت حدا جعلها لا تفكر في العودة الى غزو مصر ، كما جعلت الامراء السوريين — وعلى رأسهم بعل صور — ينضمون ذبعا الى طهرأقا .

وهكذا ظهر اسرحدون في سورية فجأة في عام ٦٧١ ق.م ، فعاقب ملك صور على انضمامه لمصر ، ثم تقدم نحو مصر عن طريق سيناء ، بمساعدة بدو الصحراء الذين أمدوه بالآلاف الجماع لنقل المؤن والمياه ، وكانوا أدلاءه في السير حتى وصلوا وادي طميلات ، ثم الى منف ، حيث قاتل دون انقطاع في ممالك دموية ضد طهرأقا ، ونجح في اختلال منف وتدميرها والسيطرة على مناطق الدلتا ، واضطر طهرأقا الى الانجساع الى الجنوب ، وظن اسرحدون أن مصر دانت له ، ووزع الامراء الذين رأوا في انقصاره فرصة لاسترداد حريتهم على حساب طهرأقا ، فعين «نخاو» ملكا على سايس وهنت ، وأمن المأوى الصغار في مصر السفلى والوسطى ، وغير كثيرا من أسماء المدن المصرية الى أسماء آشورية ، نسبها الى آلهة بلادهم ، وصور رجاله طهرأقا جاثبا أمامه مخروما من أنفه بحبل يرجو عفوهم ، مع أن طهرأقا لم يقع في قبضته ولم يهادنه أبدا ، بل وأمر بترحيل جماعات من الأطباء والبيطريين والسحرة والكتابة

والموسيقيين ، بل والحدائثيين وصانعي الجعة والخبازين ، ومن لك لفهم الى عاصمته نينوى .

غير أن صدمة الغزو ، ووقوع مصر — ولأول مرة في تاريخها المجيد للغزو الاجنبي ، اذا سلمنا بأن وجود الهكسوس في مصر منذ قرابة ألف عام كان تسللا لولام يكن غزواً حثافا — ولقيت أرض الكفانة من آشور أشد أنواع القسوة والمهجة توهنا نسي المصريين كل شيء ، الا أن عناصر أجنبية غزا بلادهم ، واتصل امراء الدلتا بالملك طهرافا في طيبة (الأقصر) طالبين منه أن يزحف الى الدلتا ، وسوف يجد في كل مكان من الذخيرة والامكانيات البشريّة والماديّة ، ما يقوى به جيشه ، ولبي طهرافا النداء ليخلص الدلتا ومنف من ذل الاستعمار ، ويعزل الامراء الذين خضعوا لملك آشور ، ويملم السرحدون بما حدث ، ويجن جنونه ، ويخرج في حملة جديدة في عام ٦٦٩ ق.م ، ولكنه يموت في «حران» ، وهو في طريقه الى مصر (١١٤) .

(٦) آشور بانتيبال (٦٦٨ - ٦٢٧ ق.م)

تُلف «آشور بانتيبال» (Asurbanipal) (آشور - بان - ابل = Asbur-ban-Apī) بمعنى (الاله آشور خالق الابن) - أباه في عرش آشور ، وكان اسرحدون قد وضع الترتيبات اللازمة لتشادي ما قد يحدث من مؤامرات كلفت حدثت في عهد أبيه ، ففى عام ٦٧٢

(١١٤) محمد بيومي مهران : حركات التحرير في مصر القديمة من ٣٠٧ - ٣١٠ : مصر - الجزء الثالث من ٦٢٥ - ٦٢٧ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق من ٣٧٠ - ٣٧١ ، ل. ديلاپورت : المرجع السابق من ٣١٦ وكذا

A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, P. 346-347

A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 293-294.

D. D. Luckenbill, Op. Cit., P. 584-585.

F. Daumas, La Civilisation de L'Egypte Pharaonique, Paris, 1965, P. 103.

K. A. Kitchen, The Third Intermediate Period in Egypt, Oxford, 1973, P. 391-392.

A. Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienne, Paris, 1964, P. 269.

ق.م ، أعلن أسرحدون في اجتماع كبير في العاصمة ، حضرة حكام المقاطعات وقادة الجيش وكبار الموظفين ، عن تعيين ولده «أشوربانيبال» وليا للعهد على بلاد آشور ، وتذويت ولده الثاني «شمش شوم أوكين» وليا للعهد على بلاد بابل ، وذلك بعد أن أخذ موافقة العائلة الملكية وموافقة الآلهة التومية ، ثم طلب من أنحكام والقادة أن يحسموا اليمين أمامه ، معترفين بهذه الترتيبات ومعدعين الملك على تنفيذها ، كما أخذ وثائق مكتوبة تثبت جميع الترتيبات ، وحددت العقوبات على كل من يحنث بيمينته أو يغير من وصية الملك أو يعمل على عدم تطبيقها ثم قد نفذت الترتيبات بعد وفاة أسرحدون ، فعلى «أشوربانيبال» عرش آشور بينما اعتلى أخوه «شمش - شوم - أوكين» (Suamash-Shum-Ukin) عرش بابل (١٤٥) .

غير أن تقسيم الدولة على هذه الصورة ، لابد وأن يؤدي - إن عاجلاً أو آجلاً - إلى أن تنور المصامع في نفس كل من الأخوين ، فيحاول كل منهما أن يفتك نصيب الآخر من هذه الدولة المترامية الأطراف ، وهو أمر كان له - كما سنرى - أثره في تمزيق الدولة ، بل وفي ضياعها آخر الأمر ، ومع ذلك فإن المرحلة الأولى من عهد «أشوربانيبال» إنما تكاد تمثل الذروة في سلطان الإمبراطورية الآشورية ، ولكن ثم تحل خامسة القرن السابع قبل الميلاد ، حتى نشهد الانهيار التام على أيدي الميديين .

وعلى أية حال ، فلقد وصف «أشوربانيبال» بأنه كان أديباً مهالاً للعلوم ، فارساً مغواراً ، وقائد عرבות لا يشق له غبار ، يعرف كيف يصرب للهدف بقوسه وسهله ، كما تعلم ممارسة السياسة والإدارة حتى أتقنهما على خير وجه ، وقد فرغ لهذه الشؤون جميعاً ، وخاصة خلال خروج أبيه إلى هروبه ، فلقد كان أسرحدون يترك شئون البلاد - أثناء خروجه لحروبه - إلى زوجته الملكة «نيكوا» التي كانت تشرك

(١٤٥) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٥٩ ، وكذا

G. Roux, Op. Cit., P. 304.

معها ولدها «أشور بانيبال» اشراكا غلبا في إدارة شؤون الدولة (١٤٦) .

وفي عام ٦٦٧/٦٦٦ ق.م ، جمع «أشور بانيبال» جيشا من الآشوريين والمصريين وخرج به الى مصر ، حيث هاجمها برا وبحرا ، وسرعان ما التقى مع جيوش «طهرقا» في معركة مكشوفة رهيبه نتجت نه النصر فيها ، وانسحب «طهرقا» الى الجنوب مع قلة من قواته ، وقد وجد «أشور بانيبال» أن الملوك الذين عيّنهم أبوه من قبل قد هربوا ، وأنه يحتاج الى إعادة تعيينهم ، وتقدم لسطوانته «رسام» المشهورة قائمة بأسماء هؤلاء الأمراء العسكار ، فضلا عن المدن المهمة وبعض مدن مصر الوسطى كإفنديا والاشمونين وأسيوط ، ثم يتابع الآشوريون طهرقا الى طيبة - معقل البطنية المصرية العتيقة - ورغم دفاع أبنائها - الشجاع والمستهيت - استولى الآشوريون عليها ، وأعملوا فيها السلب والنهب ، وإن نجى من التخريب ، وهكذا تم احتلال طيبة - ولأول مرة في التاريخ - وفر طهرقا الى نباتا ، ومع ذلك فلم يستطيع الآشوريون البقاء في الصعيد ، وغضوا - وربما الأصح أنهم اضطروا - الى تركه لأمله ، واكتفوا بأخذ الجزية ، مفضلين البقاء في اندلعا ، وهنا بدأت الحركات السرية تنتشر في الصعيد والدلتا ، وما لبث الأمراء المصريون أن غالفوا لأنفسهم .

ومن أسف أن أمر الثورة قد كشف ، وأعمل الآشوريون السيف في مدن هؤلاء الأمراء الثوار ولم يستثنوا واحدا من تانيس والمدن الأخرى التي تعاهدت على الثورة ، فشنقوهم على الأسوار ، وسلخوا جلودهم وغطوا بها أسوار المدن ، وأرسلوا زعماء الثورة الى نيقوى مقبدين في الحديد ، حيث أهلكوا جميعا ، ونم يستن غير «نخو الاول» أمير ساو ، ربما لأنه اكتسب ود الآشوريين ، وربما لأنه وريث الأسرة الرابعة والعشرين ، وسئل أكثر بيت متنافس لطهرقا ، ومن ثم غنم أبقوا عليه ، وفريه اليه «أشور بانيبال» وخضع عليه وسلحه عددا من

(١٤٦) نجيب مبخائيل : المرجع السابق ص ٢٩٢ - ٢٩٣ .

أختبأه الذهبية ، وأهداه هدايا كثيرة مرموقة باسمه ، وعين ولده «بسماتيك» (وهو الذي سيقدّر له أن يطرد الآشوريين من مصر) أميرا على «أتريب» ، بل وأعطاه اسما آشوريا .

وعلى أية حال ، غلقد هدأت الدلتا ، أما الصعيد فكان يفتى كالرجل ، ويبحث عن فرصة ليقوم قومة رجل واحد ضد الغازي الآشوري ، ولكن التوجيه كان ينقصه ، فولى وجهه شطر الجنوب ، وكان طهرافا قد مات ، وهو الذي كان في نظر الكهنة في طيبة ومفت — فضلا عن الصعيد — الحاكم الشرعي لنبلاد ، يؤرخون الآثار باسمه ، ومن أيام حكمه ، وإن كان هناك من يدعى الملك في «ساو» ، فضلا عن الحاميات الآشورية ومن يدورون في خنكها (١٧) .

وخاف طهرافا على عرش مصر والتوبة : شاب منحس يدعى «تامنوت أماني» (٦٦٤ — ٦٥٦ ق.م) قلبى دعوة أهل الصعيد ، وجمع جيشا اتجه به الى الشمال ، حيث قوبل على طول الطريق بالتهليل والترحاب ، ونظروا اليه مظليهم الى المنفذ من الفزاة الآشوريين ، حتى وصل منف وحاصر القنات الآشورية وسيطر عليها ، وحينئذ لما جاء في «لوحة الحلم» : فلقد أتى اليه أمراء الدلتا ، وقدموا له آيات اتولاء ، فسمح لهم بالعودة الى أقطابهم ، وهباشة تسوئها .

وسرعان ما علم الملك الآشوري بذلك ، فأرسل جيشا الى مصر في ٦٦٤/٦٦٣ ق.م ، طوى به «تامنوت أماني» في منف ، ففر الى طيبة ، حيث تبعه الآشوريون ودخلوا طيبة وهدموها ، على الرغم من مقاومة

(١٤٧) محمد بيومي مهران : حركات التحرير في مصر القديمة ص ٣١٠ — ٣١٢ ، مصر — الجزء الثالث ص ٦٢٧ — ٦٢٨ ، عهد العزيز صالح : المراجع السابق ص ٢٧٢ — ٢٧٣ ، وكذا

A. L. Oppenheim, ANET, P. 291.

D. D. Luckenbill, ARAB. 31. 1908. P. 385.

G. Roux, Op. Cit., P. 304-305.

H. Von Zeisl, Äthiopien und Assyrien in Ägypten, 1944, P. 39-40.

أهلها الصاعدة القوية ، وشجاعة أميرها «المتومجات» ، واضطر
«تأنوت أمانى» الى الفرار الى «نبات» ، فقام الآشوريون بأكثر عملية
سلب ونهب في تاريخ المدينة القديم ، وربما كانوا أول من سرق المسلات
المصرية ، كما تم تسلم تماثيل الفراعنة من عبثهم ، حيث يسجل الملك
الآشورى عنى نفسه أنه اغتصب ٦٥ تمثالا ، سجل عليها انتصاراته ،
وربما نقلها الى بلده كذلك .

وقد دوى صدى مأساة سقوط طيبة في أيدي الآشوريين في العالم
القديم كله ، ذلك لان الشرق القديم لم يكن بقادر على أن ينسى - أو
حتى يتناسى - أن طيبة ظلت كبرى عواصمه السياسية والمدنية ذليلة
عدة قرون ، وأن عمارتها الدينية كانت - ومتمزلة - أكبر من أن تدانى ،
وهكذا كان احتلالها وتدميرها عتوة ، جعل النصب العبراني «ناحوم»
(٦٥٠ - ٦٢٥ ق.م) يتخذ منه - بعد نصف قرن - تعبارة على أن
ينبؤى لآشورية ، لم ولن تكون أعز من طيبة المصرية ، المنيعه برجاتها ،
الحصينة بمياهها (١٤٨) .

وأما غينيقيا ، فلقد حوصرت صور عنى أيام «أشور بانينبال» للمرة
الثالثة ، فأقامت الحصون الدفنية على الارض الرطبة ، ووضعت

(١٤٨) محمد بيومي مهران : حركات التحرير من ٣١٢ - ٣١٦ :
عصر ٦٢٩/٢ - ٦٢٠ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢٧٢ .
ناحوم ٨/٢ - ١٠ ، وكذا

J. H. Breasted, ARE, IV, Parag. 919-924.

A. H. Gardiner, Op. Cit., P. 347-348.

G. Roux, Op. Cit., P. 305-306.

K. A. Kitchen, Op. Cit., P. 394.

H. Schafer, ZAS, 35, 1907, P. 67-69.

PM, VII, P. 296-297.

Urk, III, 1935, P. 57-77.

A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 294-295.

D. D. Luckenbill, Op. Cit., Parag. 772.

A. Spätinger, Ashurbanipal and Egypt, JAOS, XCIV, 1974, P. 318-329.

L. F. Hartmann, JNES, 21, 1962, P. 25-37.

المخاريص في كل انطرق - برا وبحرا - اضطر أهلها المحاصرون أن يشربوا من ماء البحر ؛ كما اضطر بعلمها إلى أن يستسلم في ظروف قاسية ، وفي صورة تدعو إلى انشجن ، إذ سلم أبيته وبنته أذيه إلى العادل الأشوري المنتصر ؛ كزوجات تحمل كل منهن يائفتب الضخمة ؛ كما سلم ولده «يادى مكي» (Iakimilki) .

وكان هذا الذكر مما يطمع فيه آشور بانيبال ، فرد الابن ، إذ لم تكن له به حاجة ، واكتفى بالنساء اللواتي ضمنن إلى حريمه ؛ واستولى الآشوريون على خيرات صور ، وعلى أسطولها الذي استخدموه في إخضاع «ياكتلو» (Iakulu) ملك أرواد ؛ آنذى اضطر في نهاية الأمر إلى أن يستسلم ويثبت بائنته إلى نينوى محمية بإهدايا ، ولم تحتدل أرواد هذه المهانة غشاحت نكرا ، واضرار أبنائه المعصرة إلى الاتجاه إلى بلاد «آشور بانيبال» يحملون الهدايا ، وكل منهم يطمع في أن يولييه «آشور بانيبال» أن مكن أبيه ؛ واستطاع أخبدهم وهو «عزي بعل» (Ziba) أن يحقق الهدف وأن يجلس في مكن أبيه على عرش أرواد (١١٩) .

وأما بلاد العرب الشمالية ؛ فهناك ما يشير إلى أن «ياتاع» الذي كان قد هرب على أيام «السرحدون» سرعان ما عاد إلى الظهور على أيام «آشور بانيبال» منيرا الولاء للعادل الجديد ؛ إلا أنه سرعان ما أعلن انتورة من جديد ؛ عنضمه إلى أخى الملك «آشور بانيبال» المدعو «شمش سوم أوكيز» ؛ ويحدثنا «آشور بانيبال» أن الناثر الجديد ، «ملك عريبو» (بلاد العرب) ؛ «قد نقض الاتفاق الذي تحميه الاقسام لي ، ولم يذكر أنني عاملته برحمة ، بل نزع من حكمي الذي كان الإله

(١١٩) نيبوب ميخائيل : سوريا من ١٣٠٠ - ١٣١٠ ، وكذا

A. L. Oppenheim, ANET, 1966, P. 295-296.

JAOS, LXXI, 1941, P. 236.

AFO, XIII, 1940, P. 233.

G. Roux, Op. Cit , P. 306.

أشور قد أحله قوة ، وتخلص من الضال التي كان يجرها .. واستمتع
عن تقديم الهدايا والجزى الكبيرة ، واستمتع - كما دامت عيالهم - إلى
دعاية الثورة التي شنتها أكد ، ولم يكثر بالآمان التي كان قد أقسمها
لن ، أنا أنموذج بنينيات ، الكاهن المقدس ، المضادهم والدائم للصلاة
والإبتهاذي الآلية ، ذلك الذي صاغه يد الآلهة أشور نفسه ، واستسلم
بقواته إلى «أبياتي» (Abiate) و «عامو بن قيري» (Aamu Ben of Tiri)
وساعدهما على مد يد المساعدة لأخي الشرير «شمش شوم أوكين»
وحرص سكان بلاد العرب على الانضمام له ، ثم أخذ ينهب القلوب
التي منحني أياها أشور وعشقر وبقية الآلهة الضالهم ، لتصبح تحت
قبضتي ، ولأكون راعيا لها (١٥٠) .

وعلى أية حال ، فلقد نجح «أشور بنينيات» في عام ٦٤٨ ق م في
القضاء على الثورة ، واضطر «باتاغ» إلى الاختفاء فترة من الوقت عند
أحد الأمراء ، وأذني اضطد آخر الأمر إلى أن بسلم «باتاغ» وزوجه
«أديا» (Adia = عديا) إلى «أشور بنينيات» ، حيث وضع في قفص
يعرض على الناس عند أبواب نينوى ، ويتناول الملك الآشوري
«لقد حبسته في مربيث الكلاب ، ووضعته مع بنات آوى و الكلاب ، وأقمته
عند حراس لباب في نينوى» ، وأما «أبياتي» الذي أمسك بدمي لأشد
حياته ، فقد أخذتني به الرأفة ، فجعلته يقسم بكيار الآلهة ، ثم عينته
بدلاً من ابن حزائيل ، كملك على بلاد العرب (١٥١) .

(١٥٠) محمد بيومي مهران : العرب وعلاقاتهم الدولية ص ٢٤٧ .

A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 297-298.

وكذا

D. D. Luckenbill, ARAB, Parag. 88.

M. Streck, Assyriana, and die letzten Assyrischen Könige Bis Zum
Untergang. VAB, VII, Leipzig, 1916, P. 159 F.

(١٥١) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ص ٢٤٧ - ٢٤٨ ، وكذا

D. D. Luckenbill, Op. Cit., P. 819.

A. Musil, Op. Cit., P. 88-89.

A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 298.

M. Streck, Op. Cit., P. 133 F.

وأما عن الأعراب ، فإن أنشور يائيل يقول عنهم « اشتدت عليهم
 وطأة الجوع والتعطش ، ولكي يسدوا رمثهم ، أكلوا لحوم حمارهم ،
 وشقوا الجمال وشربوا دماءها ، كما شربوا الماء الملوثة ليطلقوا قلمهم ،
 ولم يقل أحد من سعدوا إلى الجبل أو اختبأوا في البلاد من يدي ،
 بل استند بهم في يدي في مشابهم رجالا ونساء - فضلا عن الدميير
 والجمال والماشية ، وأخذتها كلها غنيمة إلى أنشور وقد ملأوا الأرض
 التي عندهم أيها أنشور إلى أقصى اتساعها ، ورنيت قطعانا ، ووزعت
 الجمر ... وكنا هي ماثية - على أهل أنشور ، حتى إن الجمال كان
 يشتري في بلادى باطل من سافل من الفضة في السوق ، هذا فضلا عن
 العمال إنما كانوا يأخذون الجمال والمعبد كهدايا ، وصناع النجعة
 كمنحة ، والبستاني كأجر اضافي ، وقد سأل أهل بلاد أنشور بعضهم
 بعضا : ما بال أعرب مذ أهدق بها أنشور ؟ فكان الجواب : تلك عاقبة
 من منكك المعبد ، ويحرق المواثيق ، التي قطعناها لآله أنشور ، ويعاند
 (أنشور يائيل) « الملك الذي يهجه الآله انليل (١٠٢) » .

ولعل من الاهمية بمقدن الإشارة إلى أن المعامل الأنشوري إنما قد
 زين قصره في نخوى بنقوش تمت الممارك التي دارب بيته وبين العرب
 والتي يبدو منها أن عرب الشمال إنما كانوا رجسالا مقوسضى القامة ،
 يرتدون ملابس صوفية ، بينما تركوا رؤوسهم عارية ، وشعورهم تتدلى
 على أكتافهم ، كما كانوا ملتحمين بلحم مدينة قميرة ، وتصورهم المناظر
 وهم يركبون الجمال ، وعلى الواحد منها رجلان ، الواحد لقيادة البعير ،
 والآخر لضرب القوس (١٠٣) .

هذا وقد أدت تلك الأحداث إلى أن يضطرب الأمن في الجبهة

-
- (١٥٢) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ص ٣٤٨ ، نجيب
 ميخائيل : المرجع السابق ص ٣٠٦ ، وكذا
 D. D. Luckenbill, Op. Cit., II, P. 855.
 A. J. Oppenheim, Op. Cit., P. 299-300.
 153) B. Meissner, Zwi Reliefs Assurbanipals Mit Darstellungen Vom
 Arabien, in *Orientalia*, II. 1926, P. 392.

الشمالية والشمالية الشرقية ، وذلك لانضغال الجيش الاشوري في الجبهة الغربية ، الامر الذي اضطر «أشور بانينال» الى القيام بدملة الى هناك ، فيما بين عامي ٦٦٥ - ٦٥٥ ق.م^(١٥٤) .

وأما في «بابل» فلقد استقر فيها الامير الاشوري «شمش - سوم - أوكين» فترة طويلة فذهب بها ، وكانت الامور تسير بين الاخوين في بداية الامر بهدوء ودونما أي اضطراب ، غير ان مملكة عيلام انما كانت دوما تعمل على التدخل في شئون بلاد بابل بنية السيطرة عليها ، مستغلة بعض القبائل الكلدانية والارامية المناوئة للاشوريين ، وكذا بدأت تعمل على اشغال نار الفتنة بين الاخوين (أشور باينال وشمش سوم - أوكين)^(١٥٥) ، وسرعان ما بدأ الامير «شمش - سوم - أوكين» يستغل امكاناته ونفوذه في ولايته في التضييق على أخيه «أشور بانينال» ، ثم ضم اليه حلفاء قويا من العيلاميين والامراء الكلدانيين في «البحر» ، فضلا عن شيف من السوريين وأمرأ البدو المدمرين ، نجا ان ميزان القوى سرعان ما أصبح الى جانب «أشور بانينال» ، ثم فقد شهدت جيوشه الحصار على بابل لمدة عامين ، حتى تفتحت فيها «الابنة والمجاعات» واضطرت الى التسليم ، وأشعل أميرها النار في قصره ، وهناك في نهريه يتم رادد جيوش «أشور بانينال» بابل خرابا على خرابها ودمرتها تدميرا عنيقا ، في عام ٦٤٨ ق.م ، وربما في عام ٦٥٠ ق.م ، لم تنق منه الا بعد جيل كامل ، يوم هبت هبتها الاخيرة للانتقام لنفسها ، وللقضاء على دولة آشور كلها ، والغريب ان أنصار «أشور بانينال» لم يتورعوا عن تمثيله على لوحة صغيرة باسماء مستبشرين ، يرفع بيده رسالة من الخوص الجدول الى ما فوق مستوى تاجه الطويل ، وسجلوا حوله نصوحا نشيد بفضل في إعادة بناء «الاسجيل» مقر هردوك^(١٥٦) .

(١٥٤) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٥٩ ، وكذا G Roux, Op. Cit., 306.

(١٥٥) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٦٠ .

(١٥٦) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٢٧ .

وانشد «أسور بانييل» على اشدائين الجنوبيين في أرض أسور ،
 حتى اضطر واليهم «نابو بعد سوماتي» خليف اخيه «نمنن تسموم
 أوكين» الى الفرار الى عيلام ، وعين «أسور بانييل» «دوبتو» بلاطه
 واليا عليهم ، غير ان «نابو بعد سوماتي» سرعان ما اضطر - اثر
 مهادنة بين ملك أسور وملك عيلام - من أن يأمر تابعه بأن يقتله بسلاحه
 حتى لا يعتنى تعذيب أعدائه ، ومع ذلك فلقد مثل الآشوريون بجثته حين
 سلمت اليهم ، فقطعوا رأسها ، وحرموا دفنها .

واستمرت الحروب الخاطفة بين أسور وعيلام ، تناول فيها الجانبان
 النصر والهزيمة ، حتى استنقاع «تسمور بانييل» أن ينقصر على
 العيلاميين ، وأن يدمر عاصمتهم «سوسة» تدميرا تاما (حوالي عام
 ٦٤٠ ق.م) ، وأن يستولى على دنوزها ، وأن يدمر منبدها ، وأن يأسر
 معبوداتها ، وأن يفتح ثوابيت مقابرها المنكب ، ويستخرج عظام موتها
 ثم ينقلها الى أسور ، حتى يحرمها الخلود في أرضها - على حد قوله -
 وهكذا أنهى ملك أسور مهمة عيلام (١٨٧) .

بقيت الإشارة الى أن التاريخ إنما ينسب الى الملك «أسور بانييل»
 أنه قد اشتهر بحبه للعلوم ، وأنه قد أسس مكتبته المشهورة التي كانت
 عنها في عاصمته نينوى في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي ، وفي
 الواقع فانقد سبقه الى ذلك سلفه «سرجون الثاني» الذي أنشأ مكتبته
 في نينوى ، ثم زاد في هذه المكتبة ، وأسس أمثاتها أولاده وحفدته ، غير
 أن أكثرهم احتفاء بالثقافات القديمة وجمعها في مكتبته إنما كان «أسور
 بانييل» ، الذي أرسل رقاعا الى ولاته على الاقاليم يأمرهم فيه -
 بالانصرى عن الألواح المسحورية القديمة حينما وجدوها ، ويقول لكل منهم
 فيها : «لا يجوز لأي انسان أن يمنع شيئا من الألواح عنك ، واذا عثرت
 على أية لوحة أو رقعة لم أعينها لك وتجد فيها صلاحية لقصرها ، استول
 عليها وأرسلها الي» ، وقد عثر في أطلال قصره في «نينوى» على لوحات

(١٨٧) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٢٧ - ٥٢٨ ، ط
 باقر : المرجع السابق ص ١٩٩ ، ل. ديلاپورت : المرجع السابق ص
 ٤١٩ - ٤٢١ .

كثيرة زادت من معرفتنا بالآداب القديمة ، حيث أمدتنا مكتبة الملك «أشور بانيبال» بكثير من الآداب البابلية والآشورية ، نعل من أشهرها «ملحمة جلجاميش» وخرافة أدبا ، والمحوار بين السيد والخادم ، والحكم وقصة الخلق وملحمة الطاعون ، وكثير من المعارف (١٥٤) .

(٧) نهاية الامبراطورية الآشورية

كانت ظواهر الأمور في أخريات أيام «أشور بانيبال» تدل على أن امبراطوريته وحليقة الأركان في سائر أحداثها ، غير أن النصف مرغان ما يدب فيها ، ويحدثنا الملك الآشوري نفسه أن أياما سودا قد حلت في أرجاء مملكته ، وأنه كان يقاسى آلاما جسيمة — جسمانية وروحية — سلبت روحه ، وكما رأينا من قبل : فلقد هبهم حلف أسهم قبه أخوه «شمش شرم أوكين» — الحاكم شبه المستقل في بابل — هذه فضلا عن أن العناصر البابلية نفسها كانت تسمى تتخلص من النفوذ الآشوري ، وأرجاع عظمة بابل إلى سابق عهدها .

ومكذ كان على آشور أن تواجه فضلا دمويا مع عيئهم بابل ، فضلا عن ثورات الولايات الآشورية ، والاثنيك مع لبيديا في معارك صالحة ، وقد أدت هذه الظروف القسوة في آشور ، وتوحيد مصر على «بسماتيك الأول» (٦٦٤ — ٦١٠ ق.م) إلى الامتناع عن دفع الجزية لآشور ، وعتد مصالحة مع «جيجي» ملك لبيديا ، ثم إعلان استقلال مصر عن آشور ، ومن عجب أن المصادر المصرية — وكذا الآشورية — لم تذكر شيئا مفصلا عن ذلك : حتى بات من الصعب علينا أن نتعرف بالقيبط كمية انباء الحكم الآشوري في مصر ، ولعل كل ما نستطيع أن نقدمه الآن هو : أن بسماتيك الأول تمكن — بعد أن نجح في استعادة الوحدة القومية لمصر — من اعداد جيش قوى من الصعيد والدلتا : انضم إليه جمود الآريين والكاريين ، وقد اكتسح هذا الجيش الدميات الآشورية

(١٥٤) عبد العزيز صانح : المرجع السابق ص ٥٤٦ . وانظر
G. Contenu, Op. Cit., P. 313 F.

القوية التي كانت تعسكر في الدنيا وطردتهم نهائيا من مصر ، فخر هؤلاء الى فلسطين وتحصنوا في أشدود ، ورأى بسماتيك الاول — كما رأى أحسن الاول من قبل ابان حرب الهكسوس — أنه لا أمن ولا أمان لمصر ، الا اذا اجتث الشر من جذوره ، ومن ثم فقد تبعهم الى هناك ، واقتبز الفرصة ليميد لمصر شيئا من مركزها الممتاز في غربى آسيا (١٥٩) .

وعلى أية حال ، فلقد حدث بعد موت «أشور بانيبال» في عام ٦٢٦ قبل الميلاد ، نزاع حول وراثة العرش وقد وقع عبء ذلك على ولده وخليفته «أشور - إيشر - إيلانى» (٦٢٦ - ٦٢٤ ق.م ؟) (Ashur - etil - Ilani) الذي قضى فترة حكمه القصيرة في الدفاع عن عرشه ، ثم جاء من بعده «سن - شومو - لينسر» ، ثم «سن - شار - اشيكون» (Sin-Shar-Ishkun) ثم «أشور - أو بالاد الثانى» (Ashur - Uballit, II) (٦١١ - ٦٠٩ ق.م) .

وعلى أية حال ، فلقد أدت الاضطرابات الداخلية الى سقوط العاصمة الآشورية «نينوى» في أيدي البابليين والميديين في عام ٦١٢ ق.م ، وان كان هناك من الباحثين من يذهب الى أن العاصمة الآشورية إنما سقطت في أغسطس من عام ٦١٣ قبل الميلاد ، بعد معركة دموية ضد الحلفاء ، بدأت في شهر يونية عام ٦١٣ ق.م ، وأيا ما كان الامر ، فلقد قضى البابليون والميديون على دولة آشور ، وقتلوا ملكها «سن - شار - اشيكون» ، ودفعوه الى الاضطرار بغيرائها — فيما اروى المصادر الكلاميكية — ثم دمروا «نينوى» تدميرا كاملا وعنيفا .

159) A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, P. 252-253.

وكذا

J. H. Breasted, Ancient Records of Egypt, IV, Chicago, 1907, Parag. 989-995.

D. D. Luckenbill, ARAB, II, 1929, Parag. 784-785.

A. Spälinger, JEA 13, 1927, P. 136-136.

Herodotus, II, 147-157.

(١٦٠) اسطر : ليو أوبنهايم : بلاد ما بين النهرين ص ٤٦٢ ، ثم قارن :

G. Roux Op. Cit., P. 466.

وليس هناك من ريب في أن سقوط العاصمة الآشورية «نينوى» دوى في أنحاء العالم القديم وقت ذاك ، إذ اعتبره سكان المشرق الأدنى القديم ، رمزا لسقوط الظلم . وفجرا جديدا للشعوب التي غلبت على أمرها ، وطلعا وزحت تحت نير آشور ، انتهى لم ترع شيئا من المبادئ الإنسانية في معاملة الشعوب المغلوبة على أمرها ، والتي كتب عليها أن تحكمها آشور بالديد والنار ، وأن تذيقها من العذاب ألوانا ، ربما لم يعرفها التاريخ القديم من قبل ، أو عني الأقل لم يمارسها بالطريقة التي مارسها بها الآشوريون .

وعلى أية حال ، فلقد اقتسم الفريقان المنتصران — البابلي والميدي — مملكة آشور ، فاستولى الميديون على قسمها المشرقي ، وأخذ البابليون جنوبها ، واضطرت الحكومة الآشورية — بقيادة الملك «آشور أو بانط الثاني» — أن تجعل من «حران» عاصمة لها (١٦١) .

وفي هذه الأثناء كان «نخاو الثاني» (٦١٠ — ٥٩٥ ق.م) قد أصبح ملكا على مصر ، فتابع سياسة أبيه «بسماتيك الأول» في مساعدة آشور ، فمثلا عن أن يجعل لمصر صوتا مسموعا في سياسة الشرق القديم ، وأن يحتفظ بآشور الضعيفة ، كحاجز بينه وبين القوى الخطيرة التي ظهرت في الشرق ، والتي تهدد الآن آشور في المقام الأول ، ولكنها ربما تتجاوز ذلك إلى المشرق الأدنى القديم كله في الغد القريب ، وأخيرا لكي يسترجع الإمبراطورية المصرية المفقودة في سورية وفلسطين ، وهكذا أسرع «نخاو الثاني» — على رأس جيشه — لمساعدة «آشور أو بانط الثاني»

(١٦١) انظر : عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٥٢ ، محمد بيومي مهران : العرب وعلاقاتهم النبوية ص ٣٢٩ - محمد عبد القادر : المرجع السابق ص ٢٤٧ ، وكذا

A. H. Gardiner, Op. Cit., P. 258.

J. Laessle, Op. Cit., P. 124.

G. Roux, Op. Cit., P. 346-347.

A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 313-305.

E. J. Wiseman, Op. Cit., P. 57.

C. J. Gadd, The Fall of Nineveh, London, 1923

المضايح في حران ، أملا في عون يائيه من مصر ، وهكذا أرادت الاقتدار أن يكون البلد الذي كان هدف الآشوريين لمدة جيلين مضيا ، هو الآن عون آشور الكبير وتوحيد^(١٦٣) .

وهكذا ، وفي عام ٩٠٩ قبل الميلاد ، ظهر «نخاو الثاني» كخصم قوي ورئيسي لملك بابل «نابو بولاسر» وسرعان ما تتقدم القوات المصرية نحو حران لنجدة آشور ، ورغم أن فرعون لم يوفق في إنقاذ آشور ، غلقت استمرت قواته تسيطر على منطقة عبر النهر وتخوم الفرات ، بعد أن استولوا في عام ٩٠٩ / ٩٠٥ ق.م ، على معقل كيمو خو ، وهزموا البابليين في «قوراماني» ، وهما موقعان على الفرات إلى الجنوب من قرقميش^(١٦٤) . وأما «حران» فقد استطاع «نبوخذ نصر» بن «نابو بولاسر» ملك بابل ، من أن يستولي عليها ، وأن يقضي على الجيش الآشوري ، وذلك في عام ٩٠٩ قبل الميلاد^(١٦٥) .

(١٦٣) محمد نجومي مهران : «مراثيل ٩٨٢/٢» مصر ١٩٥٠/٢ ، وكذا

M. Noth, *Op. Cit.*, P. 273-274.

A. Malamat, *JNRS*, 9, 1950, P. 219.

(١٦٣) A. H. Gardiner, *Op. Cit.*, P. 358.

(١٦٤) M. Noth, *Op. Cit.*, P. 273.

الباب السابع
العصر البابلي الاخير
٦٢٦ - ٥٣٩ ق م

الفصل الأول

المدولة الكدانية

(١) تقسيم :

حكمت الدولة الكلدانية قرابة تسعة عقود من الزمان (٦٢٦ - ٥٣٩ ق.م) حكم فيها ستة ملوك^(١) ، وتمثل الفترة الأخيرة من عبود الاستقلال والحكم الوطني في العراق القديم ، ظلت البلاد بعدها تحتل - على مدى حوالي اثني عشر قرناً - من احتلال إلى احتلال ، حيث صارت العراق ولاية تابعة محرة إلى الفرس الأخمينيين ، ومرة إلى الأخمينيين السلوقيين ، ثم إلى الفرس الفرثيين ، ثم إلى الفرس الساسانيين ، حتى جاء الفتح الإسلامي في العقد الرابع من القرن السابع الميلادي .

وعلى أية حال ، فإن المؤرخين ما يزالون محتفين في أصل الكلدانيين ، كما أنهم على غير يقين بشأن تاريخ بعينه ، يمكن القول أنه هو الوقت الذي دخل فيه الكلدانيون العراق ، فقد ظهروا - كقوة سياسية - فجأة ، ثم سرعان ما استقروا في منطقة الخليج العربي ، حتى عزموا باسم «الاحتيج الكلداني» كما أنهم كانوا على معرفة باللغة الاكدية ، على أن هناك في سفر أيوب (١٤/١ - ١٧) من العهد القديم ما يشير إلى أن مراجع الكلدانيين إنما كانت على مقربة من مساكن السبئيين ، وأن كنا لا نعرف على وجه اليقين ، المراد بالسبئيين هنا ، أهم القوم الذين كانوا يسكنون في جنوب بلاد العرب ، أو أولئك الذين كانوا يسكنون في شمال غرب بلاد العرب ، وقد اعتمد أصحاب الرأي الأول على وجود كتابات بالعربية الجنوبية القديمة في مواقع من جنوب العراق - كما في أور والوركاء ونفر - الأمر الذي ربما رجح هجرتهم من «عمان» في جنوب شرق الجزيرة العربية .

(١) عهد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٤٦ ، طه بدر : المرجع السابق ص ٢٠٢ - ٢٠٥ ، سامي عبد الحمدي : المرجع السابق ص ١٦٢ .

على أن هناك من يرجح أن الكلدانيين - أو قبائل كلدو ، أو كالدو - إنما كانوا فرعاً من الآراميين الرعاة، الذين جعلوا خفاف الغرات قبلتهم منذ القرن الرابع عشر قبل الميلاد أو نحوه ، وأصبحت بابل بظهورهم على اقتصادياتها منذ القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، حين كتب كل من الملك البابلي «كادشمان انليل» والملك الحثي «شالطوسيل» إلى زميله بتعكير صفو الأمن على الطرق التجارية الواصلة بين الدولتين ، وبمرور الزمن زادت قوة الآموريين ، واستمر توسعهم في أزدباد ، حتى تمكنت قبائل «كادو» آخر الأمر أن تمتد في جنوب العراق ، حتى الخليج العربي ، وأن تكون ست أمرات ، كان أكبرها «بيت داكوري» و «بيت ياكين» ، وسيطرت قبائل أخرى على ما بين بابل وبورسييا .

(٢) نابوبولاسر (٦٢٦ - ٦٠٥ ق.م) :

كان «نابو بولاسر» (Nabo - apla - usur) هو مؤسس الدولة الكلدانية (العصر البابلي الأخير - أو الحديث) ، ربما في ٢٣ نوفمبر عام ٦٢٦ قبل الميلاد ، وربما كان ابناً لأمير كدي يدعى «كاندا لانو» (Kandalanu) عينه «أشور بانتيال» على «بابل» بعد مقتل أخيه وعمل قائداً في الجيش الآشوري ، وحلماً على الأقاليم الجنوبية ، ثم عمل لحسابه فزحف على بابل وولى عرشها بعد تفكك أوامر البيت الآشوري الحاكم ، ولكن لم يتد سلطانة في بداية أمره ما حولها ، ثم سرعان ما أعلن الثورة على آشور ، ولم تستطع القوات الآشورية في «نيبور» من هزيمته ، الأمر الذي مكّنه من أن يعلن نفسه ملكاً على «بابل» ، وأن يؤسس الدولة الكلدانية ، وأن يعقد حلفاً مع الملك الحدي «كي أخسار» (Kiyaxares =) ، وأن يزوج ولده «نبوخذ نصر» من ابنة الملك الحدي^(٢) ، ثم يتحالف القريقتان - البابلي

(٢) ليس هناك من دليل في المصادر البابلية على زواج (نبوخذ نصر) من الأميرة الحدية التي دعته المصادر الكلاسيكية «إموهين» (أربتان أو أميتان) ، ومن عجب أن يذهب المؤرخون اليونان والرومان إلى أن «نبوخذ نصر» قد شيد لزوجه الحدية الحداثي المعنة في بابل كي يذكرها

والهيدى - ضد آشور ، ثم احتلال العاصمة الآشورية «نينوى» ، ثم
 ينجح «نربوخذ نصر» في القضاء على الجيش الآشوري في «حران» (نام
 ٦٠٩ ق م) ، ثم يعمد على أن يرد الإمبراطورية الآشورية في بلاد
 الشام ، فخلا عن الحد من توسع المصريين في بلاد الشام (٢) .

ومن المعروف أن الفرعون «نخو الثاني» (٦١٠ - ٥٩٥ ق م) كان
 قد خرج على رأس جيشه في عام ٦٠٩ قبل الميلاد - لمساعدة ملك
 الآشوري «أشور أبو باط الثاني» - القنص في حران - ضد البابليين
 والميديين ، ولكن يسترجع الإمبراطورية المصرية المختودة في غربى آسيا
 وهناك في «نجدو» انقراضه ملك يبوذا «يوشيا» (٦٤٠ - ٦٠٩ ق م) ،
 ومنع الجيش المصري من التقدم ، فأنفذه «نخو» بالحصنى ، ولكنه لم
 يرهو ، الأمر الذى أدى إلى أن يشترك الجيشان - المصري والبيرونى
 - في معركة يكتف فيها النصر للمصريين - ويدفع «يوشيا» حياته ثمنا
 لهذه المفارقة ، كما يدفع البيرونى ثمن خطئهم في عدم تقدير قوة المصريين
 الحقيقية ، وبسبب سيستهم إلى
 فلسطين ، اتالى خاضعة مصر .

وعلى أية حال ، نسرعان ما تابع :

بيئتها الجبلية : بل أن أمر الحداثى المعلقة هذه قد ذكرت ، تاريخ القدمة
 والحديثة : رغم عدم وجود أى دليل تاريخى عليها ، حتى أن الآشوريون
 الذين ظنوا في بداية هذا القرن العشرين أنهم اكتشفوا تلك الحداثى ،
 عند عثورهم على بئر عميقة في منطقة من القصر الجببى غطت بغرف
 ثلاثية ، ظنوا أنها حوت جهازا يسحب الماء إلى هذه الحداثى المعلقة ،
 ثم أظهرت حفريات هيئة الآثار العراقية أن هذه المنطقة بالذات حرة من
 حجرات خزن تحت الأرض ذات عقادات قسرية ، وروى المصادر
 الكلاسيكية أن «نربوخذ نصر» قد زود قصره ببيرت (بالكربات) زرع نوى
 شتى الأشجار التى جلبها من أقطار مختلفة ، وربما كانت هذه
 «البيكنات» التى وضعت بها الأشجار هى التى سماها البابليون «البيكنات»
 «الحداثى المعلقة» (نظر : سامى سعيد الأحمد : المرجع السابق ص ١٦٥)
 (٣) عت العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٥ : وكذا

M. Noth, Op. Cit., P. 273

G. Roux, Op. Cit., P. 345.

سورية ، ليقوم بمحاولة أخيرة لمساعدة آشور ضد البابليين ، ورغم أن
 لمرعون لم يوفق في انقاذ آشور ، فخلد استمرت قواته تسيطر على منطقة
 عبر النهر وتضوم انضرات ، بعد أن استولى في عام ٦٠٦ / ٦٠٥ قبل
 الميلاد على معقل «كيمو خو» ، وهرم البابليين في «قورامانا» ، وهما
 موقعان على الشرات الى جنوب قرغميش ، كما نجح كذلك في أن يخضع
 المدن الساحلية مثل عسقلان وأشدود وغزة ، وهناك نص بالهيوغليشية
 نثر عليه في «صيدا» يشير الى سيطرة «نخاو» على الساحل الفينيقي ،
 وقد يسر له ذلك امتلاكه لأسطول في البحر المتوسط (٤) .

(٣) نبوخذ نصر الثاني (٦٠٥ - ٥٦٢ ق.م) :

ورث «نبوخذ نصر» (وصحة اسمه في الهلالية «نابو - كدوري -
 أوصر» (Nabu-Kudurri-usur) (بمعنى الإله نابو يحمي الحدود)
 أباه «نابو بولامر» ، وما أن يمضي حين من الدهر ، حتى استقرت له
 الأمور تماما ، وفشلت كل مداولات مصر للإبقاء على الإمبراطورية
 الآشورية .

وهنا ما يشير الى تجدد العداء بين مصر وبابل ، ذلك لأن «نبوخذ
 نصر» لم يتخل مطلقا عن الوصول الى الحدود المصرية ، ومن ثم فقد
 اتجه «نبوخذ نصر» في عام ٦٠١ ق.م ، الى مصر ، ولكنه رد عنها بعد

(٤) محمد بيومي جهران : إسرائيل ٩٨٠/٢ - ٩٨٥ ، مصر - ٢ /
 ٦٥٠ - ٦٥٢ ، متوك شان ٢٩/٢٢ - ٢٥ ، أخبار أيام شان ٢٥/٢٥ - ٢٥ ،
 ١/٢٦ - ١ ، ارميا ١٧/١ ، وكذا

A. Malamat, JNES, 9, 1950, P. 219-222.

J. Yoyotte, Necho, P. 372.

A. H. Gardiner, Op. Cit., P. 338.

PM, 7, P. 384.

D. J. Wiseman, Op. Cit., P. 23, 67.

S. A. Cook, Op. Cit., P. 396-397.

M. Noth, Op. Cit., P. 280.

C. Roth, Op. Cit., P. 53-56.

G. Roux, Op. Cit., P. 346-347.

أن تحمل الكثير من المصادر ، بل واضطر أن يعود إلى بلاده ، وأن يبقى هناك عاماً ، يسترد فيه نفسه ويستعيد قواه ، ويعيد تنظيم جيشه ، بل إن عزمته هذه إنما قد أثبتت العدواة المباشرة بين البلدين لبضع سنوات تالية ، ومن ثم فقد تجمدت السياسة العربية الشمالية لمر بقية عهد «نخاو» ، سواء نتيجة عقد معاهدة عدم اعتداء بينه وبين بابل ، وهذا ما رواه «هيرودوت» ، وزاد عليه أن «نخاو» قد زوج أخته أو ابنته من «نبوخذ نصر» فصارت ملكة على بابل ، وهي رواية لم نتأكد بعد ، أو نتيجة للانفعال «نخاو» بحدوده الجنوبية ، أو لرغبته في الاتجاه إلى الحراز بزيادة بحرية لأغراض التجارة وأغراض الحرب ، وحماية السواحل معاً ، وقد لوحظت كثرة ألقاب مقباطة الأساطيل الملكية في الأخير فكثير في نصوص عهده»^(٥) .

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن المصادر العربية إنما تتحدث كثيراً عن حروب رعدت أنها دارت بين «نبوخذ نصر» (وقد أسمته باختصار) وبين العرب (وقد ناقشناها بالتفصيل في كتابنا «تاريخ العرب القديم»)^(٦) — هذا فضلاً عن حروبه ضد «عدنان» — جد العرب البدائية — والتي دارت موقعتها الفاصلة عند «ذات عرق» ، حقق فيها الداخل الكلداني نصرًا مؤزواً على العرب ، كما عد منها هجم غير من

(٥) محمد بيومي، مهران : إسرائيل ٩٨٨/٢ - ٩٨٩ ، مصر ١٦٥٣/٣
عبد العزيز صبح : المرجع السابق ص ١٧٧ - ١٧٨ ؛ وكذا
K. A. Kitchen, The Third Intermediate Period in Egypt, (1100-650 B.C.)
2nd Warminster, 1936, P. 407.
J. D. Wiseman, Op. Cit., P. 29-31, 70-71.
H. De Meulenaere, Op. Cit., P. 60-61.
Herodotus, I, 134-136

(٦) انظر : محمد بيومي مهران : تاريخ العرب القديم - الاسكندرية
١٩٩٩ ص ١٨٤ - ١٩٢ ، وانظر : تاريخ الطبري ٥٥٨/١ - ٥٦٠ ، الكامل
لابن الأثير ٢٧٠/١ - ٢٧٢ ، المسعودي : مروج الذهب ١٣٠/٢ - ١٣١ ،
الأكليين ٢٨٥/٢ - ٢٨٩ ، ابن حبيب : كتاب المجير ص ٥ - ٧ ، معجم
بن قوت ٢٢٨/٢ - ٢٣١ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١٩٤/٢ ، تاريخ
الخصيس ص ١٦٦ - ١٧٦ .

الديانة والآلهة وأسكنهم الأقباط (٧) *

وبدهي أننا لا نرفض مبدأ قيام حروب بين «نبوخذ نصر» والعرب، هذه زالزال بابي جنادنا التي تومض لمعاطور بقا ، ثم أن حروبه في سورية وغلطلين ، لأبد وأن تكون قد شملت الأعراب المقيمين هناك ، فضلا عن أولئك الذين يعيشون في شمال شبه الجزيرة العربية ، هذا إلى جانب مجاورة عدته بابل التي المربية الشرقية ، وكل هذا يدعو إلى الاحتكاك بين الطرفين ، وإلى تعرض العرب بجيوش نبوخذ نصر ، فضلا عن أدماع الأهال البابلي في شبه الجزيرة العربية (٨) .

غير أننا نرفض الأسباب التي دُرث من أجنبها تلك الحروب المفاخرة بين العرب والبابليين — كما تصورها المصادر العربية — فليس صحيحا أن الأهال البابلي إنما قام بحروبه المزعومة هذه بأمر من «برخيا» اليهودي ، الذي ترغم المصادر العربية أنه أوحى إليه أن يذهب من نجران إلى بابل ، وأن يأمر «نبوخذ نصر» بفرو العرب الذين لا أغلاق لجيوتهم ، فيقتل مقاتلتهم ، ويسبي ذراريهم ، ويستبيح أموالهم ، عقوبة لهم على كفرهم ، وعلى قتلهم الأنبياء بأمر حق» (٩) ، وأن «نبوخذ نصر» قد نادى — إبان الماركة الفروسي ضد العرب بقيادة عدنان — «يا أقباط الأنبياء» ، ثم سرعان «ما أخذت السيوف العرب من كل جانب ، وكتب لتلك البابلي النصر ، بل وقد أصبحت بلاد العرب طوال أيامه خرابا» (١٠) .

وتدعي في حل من أعادة مناقشتنا لهذه الروايات : فذلك أمر سبق أن

— — — — —

(٧) تاريخ الطبری ٥٥٨/١ - ٥٦٠ : ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٢٧٠/١ - ٢٧٢ .

(٨) محمد بن موسى مهران : العرب وعلاقاتهم الدولية في العصور القديمة ، الرياض ١٩٧٦ ص ٣٤٩ - ٣٥١ ؛ وكذا

D. J. Wiseman, Op. Cit., P. 35.

(٩) تاريخ الطبری ٥٥٨/١ - ٥٦٠ : ابن الأثير ٢٧١/١ .

(١٠) ابن الأثير ٢٧٢/١ ، تاريخ الطبری ٥٥٩/١ - ٥٦٠ .

ناقشنا في كتابنا «تاريخ العرب القديم» : وعلى أية حال ، فالرواية — كما أثرتنا إليها فقدت عن المؤرخين الإسلاميين — جد هشة ، وسهام الريب توجه إليها من كل جانب ، وليس بالرسم أنقول أنها قرع غوى مثل من المشبهات ، ثم إن قصة الغزو هذه ليست إلا ترديدا لقبوات أرميا — كما جاءت في التوراة — وحتى هذا : فقد اختلطت فيها فتوحات «تيونيد» في بلاد العرب ، وفروحات «نبوخذ نصر»^(١١) .

على أن هذا كله ، لا يضمننا من القول بأن «نبوخذ نصر» قد أرسل حملة — في عام حكمه السادس — إلى سكان البادية من العرب - دونما تحديد بادية بينها ، أو قبيلة بذاتها ، وأن الحملة قد نجحت في نهب مواشي أولئك الذين قدر عليهم أن توجه ضدهم ، وأخذ أصنامهم^(١٢) .

وأما «دويلة يهوذا» فقد ظلت فترة تقاضل بين انخسوع لمصر أو بابل ، وفتر الحزب المصري آخر الأمر باليد العليا ، وثار «يعوياقيم» (٦٠٩ - ٥٩٨ ق.م) ملك يهوذا ضد سيده البابلي «نبوخذ نصر»^(١٣) ، وربما ساعده على ذلك هزيمة البابليين أمام المصريين يومئذ ثم فقد انضم إلى مصر . رغم تهذيرات النبي ارميا^(١٤) ، ونفسراً في النوراة : أن «يهود» رب إسرائيل : قد أرسل النبي «يعوياقيم» جماعات من الملكانيين واللاهوتيين والذين بين اللاهوتيين : لخدمة يهوذا^(١٥) ، والمواقف أن «نبوخذ نصر» لم يتدخل بنفسه في هذا التمرد الذي قام ضده في عام ٥٩٨ ق.م - لأنه رأى أن امبراطورية عظيمة مثل امبراطوريته لا تخطر من النورث الحظية الصغيرة ولكنه سرعان ما غير رأيه . وأسرع بنفسه

(١١) ارميا ٤٤ - ٥١ : جواد عني : المرجع السابق ص ٦٠٩ ، وكذا S. Smith, Events in Arabia in The 6th Century A. D., in BSOAS, 1934 P. 25.

(١٢) D. J. Wiseman, Op. Cit., P. 31, 40, 71.

(١٣) A. Madhuni, Op. Cit., P. 225.

(١٤) ارميا ٤٦/١٢ وما بعدها ، وكذا

A. H. Gardiner, Op. Cit., P. 359.

(١٥) متوك ثان ٢/٢٤ .

الى يهوذا ، وبمئذ كان في الطريق اليها مات «يهوياقيم» وخلفه ولده
«يهويآكين» على عرش يهوذا (١١٦) .

وما أن وصل يهوذا ، على رأس قواته الرئيسية ، حتى أضحى الحصار
على القدس (أورشليم) ولم يقاوم «يهويآكين» : وإنما خرج ومعه أمه
وزوجاته وآل بيته : وسلموا أنفسهم للفتح الكلداني في مارس ٥٩٧
ق.م ، وتم نقلهم الى بابل : وتنتظر الثورة الى عذا المنى على أنه مرحلة
حاسمة في تاريخ يهوذا ، فلقد تم فيه إبعاد حوالي عشرة آلاف رجل ،
يكونون هم وأسرتهم قرابة اثلاثين ألفا : معظمهم من أورشليم ، والبقية
الباقية من مدن الجنوب (١١٧) .

هذا وقد نشر «وايزمان» في عام ١٩٥٥م إحدى اللوحات المحفوظة
في المتحف البريطاني وقد جاء فيها «في السنة السابعة للملك (نبوخذ
نصر) في شهر (Cisleu) جمع الملك جيشه وتقدم نحو أرض حاتي
(سورية) وعسكر أمام مدينة اليهودية ، واستولى عليها في اليوم التالي
من Adar (مارس ٥٩٧ ق.م) وأخذ الملك «يهويآكين» أسيرا ، وعين
مكانه «صدقيا» ملكا بحسب ذلله (برغبته) ، وفرض عليه جزية ثقيلة ،
وأحضره الى بابل» : ولعل هذا التقرير البابلي الرسمي لا يختلف كثيرا
عن نظيره الثوراتي (١١٨) .

ولعل هذا إنما يلقى ضوءا جديدا على سياسة «نبوخذ نصر» نحو
يهوذا فهو يهين ملكا جديدا : ولكنه في نفس الوقت يحتفظ للملك السابق
بمركزه كملك — كما يدل على ذلك نقوش اكتشفت في قصر «نبوخذ نصر»
وتقرأ «فيمر» (F. E. Volzner) ، فضلا عن استخدام من «بيت
شمش» و «بيت هرمسيم» ، وربما من «لاخيش» و «تلك انصب» : وكلها

16) A. Mahamat, Op. Cit., P. 223-224.

(١٧) محمد بنوحي دراز : بلاد الشام — الإسكندرية ١٩٩٠ هي ٤١٠ —
١١١ ، ملوك شان ١٠/٢٤ — ١٤ ، أرضا ١١/٢٤ ، ٢٠/٢٧ ، ١٢٢٩ — ٦ ،
(١٨) ملوك شان ٨/٢٤ — ٢٠ ، أخبار أيام شان ٩/٣٦ — ١٠ ، وكذا
W. Keller, Op. Cit., P. 280

تؤكد هوكر «يهويكين» الملكى أثناء سبيهِ^(١٩) - وبدهى أن هذا بمثابة نوع من التهديد لخليفته في الأرض المحتلة ، ولعل هذا هو السبب في سلوك «صدقيا» المتردد ، والمتناقض كذلك ، والذي انتهى به آخر الامر الى الثورة على القوة التي وصل الى الحكم عن طريقها ، فلقد كان أعداؤه في يهوذا من نادية ، والملك البابلي (نبوخذ نصر) من ناحية أخرى ، يهدونه عن طريق الاشارة الى بديله الملكى «يهويكين» ، ومع ذلك فقد انتهى الامر بثورة صدقيا على بابل ، مما أدى في نهاية الامر الى السبي البابلي في عام ٥٨٦ ق.م^(٢٠) .

وعلى أية حال : فلقد كانت السياسة المصرية على أيام «بسماتيك الثاني» (٥٩٥ - ٥٨٩ ق.م) أكثر تساهلاً ، وطبقاً لبردية ديموطيقية متأخرة ، فلقد قام الفرعون في السنة الرابعة من حكمه بحملة الى فينيقيا وأن كن هناك من يرى أنها لم تكن لأغر نفس حربية ، ما دام الفرعون قد استدعى كهنة المعابد للاندماج فيها ، وفي عهد الفرعون «زواح ايبرع» (ابريس = حفرع في التوراة) بدأت مصر تتجه الى مضربة القوة لاستعادة فلسطين ، وكان سر تغيرها أمرين ، هما رغبة مصر في الاستفادة من امكانيات قوتها البحرية النامية في مراقبة موانئ الشام ، لمنعطل مصالح البابليين فيها ، وحتى لا يستغلوها ضدها ، ثم عودة البابليين الى التوسيع الحربى في فلسطين ، وحصارهم لاورشليم عام ٥٨٨ قبل الميلاد^(٢١) .

19) H. G. May, Three Hebrew Seals and Status of Exiled Jehoiakin, in *AJS*, LV, 1939 P. 146-148.

وكذا

W. F. Albright, King Jeichon in Exile, in *BA*, 4, 1942, No. 4.

J. Finegan Op. Cit., P. 226

A. Malamat, Op. Cit., P. 224.

(٢٠) محمد بنوعى مهرن : بلاد الشام من ٤١٢ - ٤١٣ ، وكذا

A. Malamat, Op. Cit., P. 231

(٢١) عبد العزيز عنيح : المرجع السابق من ٢٧٨ - ٢٧٩ ، أرجو

وكذا ٣٠/٤٤

A. H. Gardner, Op. Cit., P. 160.

وأما «يهوذا» فلقد انقسم أهلها إلى فرقتين ، الواحده : يتزعمه «هذيا» ، والاخر : ويتزعمه «نريسا» ويعلم أن «نبوخذ نصر» هو «خادم يهود» ، وأن القبضة الحديدية وإن تمزق ، وفي الواقع ، فلقد كان «أرهيا» من تلمذ الانبياء حقداء على قومه ، يدافع عن بابل ، ويعلم في الحلال أنها مملوكة دذاب في يد الرب ، ويتوهم حكام يهوذا بأنهم يلجأون معاندون ، وينتدعهم بالاذن تسلام الملك «نبوخذ نصر» ، حتى ليكاد من يقرأ أقواله في تلك الايام يظن أنه من صندم بابل المأجورين^(٢٢) ، ثم أخذ يتباها بعودة ملك مصر إلى بلده ، ثم استقبله البابليين على اورشليم ، وأنه يجب وضع أعناق الأمة تحت نسيب ملك بابل بأمر «يهود» وب اسرائيل ، وأما المأجورين في بابل منذ أيام «يهويناكن» فقد كانت لهم آمال كبار بفرج من الحرب^(٢٣) .

ونشاط مصر في بيت المراين نوا في اورشليم ، ورغم تحذيرات الانبياء لحزب الموالي لمصر ، فطبقا لما جاء في التوراة ، غخلا عن أوبستراكا من لاخيش ، فلقد أرسلت بعثة عسكرية إلى مصر ، وعقد تحالف سرى بين يهودا وأدوم ومزاب وعمون وصيدا ، بحضور صديقاتها في اورشليم^(٢٤) ، وهناك إشارة ، في التوراة على أن صدقيا قد استدعى إلى بابل لتقديم تفسير عن ذلك كله ، وعلى أية حال ، فلقد قام الفرعون «أمرسيس» (٥٨٩ - ٥٧٠ ق.م) بدور رئيسي في اتخاذ القرار بالثورة ، ومن ثم «فلقد نمرده صدقيا على ملك بابل»^(٢٥) .

(٢٢) أرميا ٢١/٥ - ١٠ .

(٢٣) أرميا ٢٨/١ - ١٤ ، وكذا

S. A. Cook, Op. Cit., P. 399-400.

W. D. E. Oesterley, Op. Cit., P. 223.

W. Keller, Op. Cit., P. 284.

(٢٤) أرميا ٣٦/٢٤ - ٢٤ : ٢٠/٢٧ : حزقيال ١٧/١٥ ، وكذا

K. M. Kenyon, Archaeology in The Holy Land, London, 1970, P. 294-296.

(٢٥) ملوك ثاني ٢٤/٢٠ : أرميا ٥١/٥١ ، وكذا

S. A. Cook, Op. Cit., P. 401.

W. Keller, Op. Cit., P. 285.

وهكذا! انصهر «نبوخذ نصر» القيام بحملة الى فلسطين ، وأخذ يحل
مدن يهوذا ، الواحدة تلو الأخرى ، ما عدا أورشليم ، ومدن الحدود في
لاخيش وعزبة (تل زكريا) ^(٣٧) ، ثم انطردت لاختيش أن تستسلم ،
بعد مقاومة باسلة ، كما تشير الى ذلك حفرات أعوام (١٩٦١ -
١٩٦٧) ، ثم تنحها «عزبة» ^(٣٨) .

واتجه البابليون بعد ذلك الى أورشليم بكل قوتهم ، وفرضوا
الحصار عليها ، ولكنها ظلت تقاوم قرابة ثمانية عشر شهرا ، على الرغم
من انتشار المجاعة في المدينة ، والكوارث الثقيلة ، التي جانب نحاتع ارميا
بالخضوع لبابل ^(٣٩) ، وأخيرا وصلت المساعدة العسكرية من مصر ، ومن
ثم فما أن «سمع الكلدانيون المحاصرون أورشليم بخبرهم (أي خبر
القوة المصرية) حتى حصدوا عن أورشليم» ، ورغم أن الوثائق المصرية
«سلمة تماما في هذا الموضع» إلا أنه - فيينا يبدو - أن الجيش المصري
ظل فترة يحصن أورشليم ، ثم تحول عنها الى احتلال مدن الساحل
الغربي ، بعد أن حول اهتمام البابليين عن أورشليم ، وبعد أن ترك فيها
رجالا أقرباء من الحزب المصري ^(٤٠) .

وما أن يمضي غير قصير وقت ، حتى عاد «نبوخذ نصر» الى حصار
أورشليم ، ونزل الخلافات الرأي بين المحاصرين ، وانتشار المجاعة في
المدينة ، فعزما ، وأخيرا سقطت المدينة في أغسطس من عام ٥٨٧ ق.م ،
وبدأوا حرقا الهرب ، ولكنه أسر وهو يهرب ، وأدى الارض قرب أريد .

(٢٦) زمرسا ٧/٢٤ ، وكذا

K. M. Kenyon, Op. Cit., P. 294.

27) K. M. Kenyon Op. Cit., P. 291-293.

28) W. Keller, Op. Cit., P. 333.

وكذا

M. Noth Op. Cit., P. 286.

(٢٩) زمرسا ٥/٣٧ ، وكذا

M. Noth, Op. Cit., P. 235.

ثم أخذ إلى نبوخذ نمر في «ربلة» التي اتخذها مركزاً لقيادته ، وهناك ذبح أبناءه أهم عبيته ، وسامت بناته ، وقيد سلسلاً في الأغلال إلى بابل ، حيث مات هناك بعد فترة قصيرة (٣٠) .

ونهب الغزاة أورشليم ، وأشعروا فيها النيران ، وأحرقوا القصر الملكي والمعبد ، وحلبوا مرواية التوراة ، فان ذلك قد تم في اليوم السابع من الشهر الخامس ، من نفس السنة ، وضاع معبد سليمان ، ومعها البقية المفترض أنها باقية من التابوت الذي كُتبت المرويات عن ذكره ، بعد نقله إلى معبد سليمان ، وكان قد أُقيم في مكان خفي من المعبد كهدف للقنبلة خلال البلادة ، مع أنه لم يلعب دوراً هاماً في العبادة العامة (٣١) هذا ولم تكتف حفريات (١٩٦١ - ١٩٦٧) عن أطلال منازل القرن التاسع قبل الميلاد على المنحدرات الشرقية التي دمرت في هذه الفترة (٣٢) .

وهكذا انتهت دولة يهوذا ، وادمجت في التنظيم الإداري للإمبراطورية البابلية ، واتباعاً لتعرف الآشوري ، فان «نبوخذ نصر» قد أبعد البقية الباقية من الطبقة العليا الحاكمة من اليهودية ، وأرسلوا إلى ربلة نمرث أقوا حثتهم ، وأما بقية السكان فقد أقتيد الجزء الأكبر منهم (وقد قدره البعض بأربعين ألفاً ، وقدره آخرون بخمسين ألفاً) أسرى إلى بابل ، وعذا ما عرف «بالسبي البابلي» ، وقد أبقى «نبوخذ نصر» المزارعين في أماكنهم ، ولم يطلب - كما فعل الآشوريون - سكاناً جديداً ، بل وترك الإدارة لواحد من يهودا - هو «جداليا» (٣٣) -

30) M. Noth, Op. Cit., P. 286.

وكذا

٣١) M. Noth, Op. Cit., P. 286-287.

32) K. M. Kenyon, Op. Cit., P. 291.

(٢٣) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٣٢٠ ، فيلب حتى : المرجع السابق ص ٢٢٠ ، طه باقر : المرجع السابق ص ٢٩٦ ، محمد بيومي نوران : المرجع السابق ص ٤١٥ - ٤٢٣ ، وكذا

M. Noth, Op. Cit., P. 288

W. Keller, Op. Cit., P. 402.

S. A. Cook, Op. Cit., P. 432-403.

وأما عن المدن الفينيقية ، فقد ادعى البابليون الجدد السيطرة على فينيقيا وسورية وفلسطين — كورثة للامبراطورية الآشورية — ومن ثم فقد أرسل «نبوخذ نصر» في عام ٥٧٢ ق.م ، جيشا لحاصرة «صيدا» حتى استسلمت له ، وأما «صور» فقد استطاعت أن تصمد أمامه ٣٣ عاما ، تحللت من أبوابها بعد ما ، فاستسلم ملكها «ابعل الثالث» ، وعند ذلك دخلتها قوات البابليين ودمرت مبانيها وسوتها بالأرض ، وهكذا انتهت غزوات «نبوخذ نصر» بضياح استقلال صور وصيدا ، وإن استطاعت صيدا بعد ذلك أن تحتل مدن صور في زعامة المدن الفينيقية^(٣٤) .

ولعل من الاهمية بمكان أن وثيقة الاخبار البابلية انما تشير الى تحرك عيلامى ضد بابل مما جعل «نبوخذ نصر» يخرج على رأس جيشه ، حتى اذا ما كان على مسيرة يوم من تجمع العيلاميين ، اذا بهم ينسحبون ، ونقرأ في نفس المصدر عن تمرد عسكري ضد «نبوخذ نصر» في السنة العاشرة من الحكم قام به «بابا - آخي - بولط» والذي اتهم بالخيانة في السنة الحادية عشرة من الحكم ثم حكم عليه بالاعدام وتشير محاكمته الى انه ورث عن ابيه ارضين منحها اياه «نابوبولاسر» ، ومن ثم خربما كان يطمح الى الوصول الى السلطة مستغلا فرصة غياب «نبوخذ نصر» المنهارة في حملاته العسكرية^(٣٥) .

وهناك ما يشير الى أن هروب «نبوخذ نصر» الكثيرة ، لم تشغله عن الاهتمام ببلدان المجرى — وخاصة بابل وجور سيار ولارسا والمركاء وسييار وأرر ودنبات — وقد تشطت حركة العمران في بابل ، كما لم تنشط من قبل ، وبلغ مدينتي عمراتها ١٨ كيلا ، وروي المؤرخون الأغارقة أن أسوارها كانت دائرية ، وقد احتاطت بها أربعة خطوط دفاعية ، أولها سور المدينة الداخلي ، وقد بنى من اللبن ، وكان ذا أبراج ، بلغ سمكها

(٣٤) محمد بيومي ، بابل : بلاد السلام من ١٦٤ - ١٦٥ ، وكذا D. Hardin, Op. Cit., P. 54.
D. Baranki, Op. Cit., P. 30.

(٣٥) سامي سعيد الاحمدى : المرجع السابق من ١٦٧ .

١٢٧ متراً ، ثم تلاء ، وعلى مبددة ١٢ متراً ، سور آخر خارجي ضخم ، بلغ محيطه ١٩ كيلاً ، وقد بنى من الأجر المخبث بالقار ، وبلغ بمسكه ٧٨٩ متراً ، وقد أمّله على خندق واسع ، ودعم أصحابه أساسه بجدار ساند يرتفع بارتفاع الخندق ، بلغ سمكه ٣٣٥ متراً ، أما خطا الدفاع الخارجيين : فسمي أحدهما باسم السور المذوى ، وامتد من الشمال إلى الجنوب ، من بادة «الحدينة» على نهر دجلة ، حتى «أبو حبة» على نهر الفرات ، وامتد الآخر من «خان الناصرية» على نهر الفرات حتى مدينة «كيش» على أحد فروع «^(٣٦)» .

وأهل من أهم مباني «نبوخذ نصر» في بابل ، قصره الجنوبي (قاعة نبوخذ نصر) ، وهو قصر كبير تكاد مساحته تبلغ ٥٢ ألف متر مربع ، وتوسط الجدار الشمالي للمدينة ، وبني داخل حصن كبير ، على عمادة القصور الملكية في بلاد «^(٣٧)» ، ومدخله من الشرق من المساحة الكبيرة المكتسوفة ، الواقعة بين القصر وشارع الموكب «^(٣٨)» ، وفي القصر أكثر من ١٧٣ غرفة ، وبها عدة بيوت سكنية للخدمة وخدم القصر ، ويطل جناح الملة غرباً على نهر الفرات ، ويعزله عن النور بناء كبير غريب ، يبلغ طوله نحو ٢٥٠ متراً . ويمك جدرانها ٢٥ متراً ، وفي وسطه مساحة مستطيلة تحتوي على بتايا غربي كثيرة ، ويعتمد - أنه إذا كانت هناك حقا حدائق مساحتها في ذلك - ما لا بد أن تكون في هذا البناء ، لأنه على ضفته دو جبهة متدرجة على النهر بثلاث درجات ، مما يتيح النساء حديقة مدرجة على النهر «^(٣٩)» .

وأما بوابة القصر فكانت الساحة الرئيسية ، وغرفة العرش «^(٤٠)» (١٧ متراً) والتي تميزت عن قاعات العرش الآشوري ببساطة طابعها ،

(٣٦) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٥٥ - ٥٥٦ .

(٣٧) نفس المرجع السابق ص ٥٥٦ .

(٣٨) سابي سعيد الاحمدى : المرجع السابق ص ١٦٩ .

(٣٩) مؤيد سعيد : العمارة من عصر فجر السلالات إلى العصر البابلي الحديث - كتاب حضارة العراق - الجزء الثالث - بغداد ١٩٨٥ ص ١٧٨ .

واحتل عرشها مشكاة كبيرة (أو خنية أو مدراجاً ضخماً) ، وتوسط جدارها المواجه للدخول ، وكسيت جدران بهو القصر الكبير بقوالب الآجر ذات السطوح الخزفية الزرقاء الداكنة ، وزخرفت في أسافلها غرين من الأسود الحارسة ؛ صورت تصريفاً ، أنبيا (على الممكن من أسود خورسيند الآشورية التي تواجه الداخل) ؛ كما زخرفت في أعلاها بما يمثل أساطين ذات تيجان مركبة ؛ تصل بين تيجانها ، وتعلوها زخارف تكوينية تتألف من زهيرات محمورة ؛ ومعينات صغيرة ؛ وتعاثبت في كل هذه الوحدات الخزفية ألوان بيضاء وصفراء غسوق الأرضية الزرقاء الداكنة ، فخلعت طابعها من البهجة على زخارفها الرقيقة^(٤١) .

(٤) خلفاء نبوخذ نصر :

جاء بعد «نبوخذ نصر» نندو (أزبل - مردوك) (Awel-Marduk) ولده عامين اثنين (٥٦٦ - ٥٦٠ ق.م) ثم تلاه القاك البابلي : زوج ابنة «نبوخذ نصر» ، المدعو «رجال - شار - أوصر» (Nergai-Sar-Ussur) (Nergalsar) (٥٥٩ - ٥٥٦ ق.م) وقد عرف بنشاطه العمراني ، وبحملة مظفرة على (ميليسيا) ، وتضيض كتاباته مدحا ودعاء لـ «بودين «مردوخ» و «نبو» وتفسير لتعميره لعبديهما في بابل وبورسبيا .

وجاء من بعده ولده «لابشي - مردوك» (Labashi-Marduk) لفترة قصيرة جداً ، رأى اليمض أنها سُخران ، ورأى آخرون أنها تسعة ؛ انتهت بقتله في يرنيه ٥٥٦ ق.م ؛ في مؤامرة غير معروفة التفاصيل^(٤٢) .

وجاء على عرش بابل «نابونيد» (Nabonidus = (٥٥٦ - ٥٣٩ ق.م) : وهو موظف كبير من أصل أرمني ، ومن أسرة كهنوتية ، فاقبوا كلنا كاهن مبد أنه القمر في حران ، أو على الأقل كان

(٤٠) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٥٦ .

(٤١) D. J. Wiseman, Op. Cit., P. 37-42, 75-77.

G. Roux, Op. Cit., P. 351.

وكذا

من أسرة يؤيدها الكهنة ؛ ولو أنه لم يعتبر نفسه في نصوصه غريباً عن
 اندوحة الحاكم : فادعى أن الرؤى والآيات تعاقبت لتبشره بأنه سيكون
 خليفة «نبوخذ نصر» : و«تبعاً لمبته» ، برضى من مردوك وبقية الآلهة ،
 هذا وقد أراد ، بعد اعتلائه العرش : أن يحقق حسن ظنه بنفسه ،
 فأصرف في اختطاف أزواج اليهودات بتزويدهم معابدهم وزياتها ، وكان
 من أشهر ما جرده «زاقورة أهر» التي اعتبر معبدها «أور - نامو» من
 أسلافه : وكذا معبد الشمس في سيعار ، الذي اعتبر مشيده «نارام سن»
 الآلهة من آجداده ؛ وأصرف في ادعاء حب العلم والشفق بجمع اللوحات
 والآثار القديمة ؛ وشاركته في هذه الترواية أبنته التي عينها كبرى كهنتات
 رب القمر ، وأدعى بأن الرب اختارها زوجة بنفسه ؛ بعد أن عدد الدنيا
 بسواء وجهه ، أي بضموفه ؛ كما شاركته الدعوة إلى رعاية المعابد ميدة
 عجزر : تدعى «أداد كوي» (Addad-Kuyi) ؛ لعلها كانت أمه أو جدته
 تحدث المائة في عبده . وكانت لا تزال ذات سلطان وقوة جسدية وعقلية
 كاملة ؛ وقد ماتت بعد أن بلغت الرابعة بعد المائة من عمرها (٤٢) .

وعلى أية حال ، فهناك ما يشير إلى أن «نبونيد» (نابونيد =
 نبونائيد) ، إنما قد اتجه ، على رأس جيشه - إلى «حاران» التي ظلت
 بأيدي الميديين منذ سقوط الدولة الآشورية ، وحررها وبدأ فيها بتعمير
 معبد «سين» الذي ادعى أنه أحمل نتيجة الاحتلال الاجنبي ؛ وفي عام
 ٥٥٣ ق.م ، كان «نابونيد» في سرورية ؛ ثم في منطقة جبال الأمانوس في
 شمال غرب سورية ، وفي نهاية العام قتل ملك أدوم ، الذي لابد أنه قد
 تار عليه ، ووصل إلى غزة ؛ كما نصب في صور الملك «حيرام
 الثالث» (٤٣) .

(٤٢) عبد العزيز صانع : المرجع السابق ص ٥٦٠ ؛ مؤيد سعيد :
 العراق في التاريخ ص ٢٢٦ ، وكذا

C. J. Gadd, The Harran Inscriptions of Nabonidus, AS, 8, P. 46 F.

A. L. Oppenheim, ANET, 1966, P. 311-312.

G. Roux, Op. Cit., P. 352-353

(٤٣) سامي سعيد الاحمدى : المرجع السابق ص ١٧٢ -

G. Roux, Op. Cit., P. 352.

A. L. Oppenheim, ANET, P. 305-307.

ونقرأ في النصوص البابلية أن «نابونائيد» (Nabu-Na'id) قد قضى عشر سنوات في المنفى في «تيماء»⁽⁴⁴⁾ — على مسافة ٤٠ كم شمالاً شمالي مدينة العلا : في شمال غرب الجزيرة العربية — وهناك ما يشير إلى أن الرجل قد جرد حملة على «أدوء» (دومة الجندل) ، ثم سار من هناك إلى تيماء ، حيث استولى عليها ، وقتل أميرها (ملكها) ، ثم أقام بها قصراً أقام فيه حيناً من الدهر ، حيث أصبحت «تيماء» وتأنى قد غوت خليفة لبابل ، ويحدثنا أحد نصوص الملك البابلي عن ذلك قائلا «وانتهى الملك إلى تيماء في وسط بلاد العرب ، وباتسبب سبب الحملة عن طريق لم يعود من قبل ، وذبح أمير تيماء بسيفه ، كما ذبح أولئك المقيمين في مدينته وفي الأقاليم ، ثم استقر في تيماء ، وجعل هذه المدينة رائعة وخمسة ، وحولها إلى مملكة قصور بابل»⁽⁴⁵⁾ .

وهكذا أقام «نابونيد» في تيماء ، ولم يعد منها إلا في عام ٥٤٦ ق.م ، عندما دعاه رعاياه لتدين كنوا على خلاف معه طوال تلك الفترة ، وربما كانت عودته بسبب التهديدات الفارسية لبابل⁽⁴⁶⁾ ، وإن كانت هناك رسالة مؤرخة بإمام السليبي من حكمه ، فمنطوق أن نستنتج منها أنه لم يتحلل أبداً عن إدارة الأمور في العاصمة بابل ، وأنه كان يرسل رسائل ترجيئاً له لوزنه الذي كان شريكاً له في الحكم ، ونائباً له هناك ، مما يدل

44) A. H. Gardiner, *Egypt of The Pharaohs* Oxford, 1961 P. 363.

C. J. Gadd, *Op. Cit.*, P. 35.

45) R. P. Dougherty, *Nabonidus and Belshazzar*, New Haven, 1932, P. 106.

A. Mus, *Northern Najd*, N. Y., 1938, P. 225.

S. Smith, *Events in Arabia in The 6th Century, A. D.* in *BSOAS*, 1954, P. 53, 88.

G. Roux, *Op. Cit.*, P. 356.

P. K. Hitti, *Op. Cit.*, P. 39.

46) Gardiner, *Op. Cit.*, P. 363.

R. P. Dougherty, *Op. Cit.*, P. 107.

E. A. Cook, *CAH*, 4, P. 194.

وكذا

وكذا

على أنه لم يتنازل عن سلطته كلها تماماً ، بل أن الوثائق جميعاً إنما تشير إليه بوصفه الملك (٤٧) .

وأياً ما كان الأمر ، فاقصد عشر في «حران» عام ١٩٥٦م (٤٨) على كتابة يتحدث فيها «نابونيد» من أنه قد أخضع «تيما» - على مبعدة ٨٠ كيلاً شمالاً مدائن صالح : ١٠٤ كيلاً شمالاً العلا - و «ديقان» (ددانو - العلا الحالية على مبعدة ٣٣٧ كيلاً من المدينة : على مبعدة ٣٤ كيلاً جنوبى مدائن صالح) و «تدك» (الحائط) و «خير» (خير) و «يئرب» (أثريبو = المدينة المنورة) ، وكانت مدينة الرسول - ﷺ - هي آخر موضع استطاع الأنباديون الوصول إليه في بلاد العرب ، وربما كان السبب في هذه الحملة ، إنما هو مهاجمة العرب لمناطق خاضعة للبابليين ، وربما كان بسبب رغبة البابليين في السيطرة على الطريق التجاري البرى بين الشام وجنوب بلاد العرب ، وأياً ما كان السبب ، فإن النص إنما يشير إلى أن «نابونيد» قد عقد صلحاً مع مصر وميديا ، كما تكيد العرب في تلك المناطق التي كتب عنها أن تخضع له ، فسلطت غديحة (٤٩) .

ومذاك على مقربة من تيماء بئاليا مبعدة ، عثر عليه على نقش - محفوظ الآن بمتحف اللوز في باريس - يرجع تاريخه إلى القرن الخامس قبل الميلاد ، نظراً إليه بأنه أرمنية : أن كاشا قد أتى إلى تيماء بصنم جديد (حلم هجم) ، وبنى له معبداً ، وعين له كاهناً ، كما صور في زى بابلي ، ولعل هذا هو السبب أن البابليين إنما قد ذهب إلى أن قدوم هذا الإله ،

(٤٧) نجيب عيضاكيل : المرجع السابق ص ٣٣٦ ، محمد بيومي
عهران : العرب وعلاقاتهم الدولية في العصور القديمة - الرياض ١٩٧٦
ص ٣٥٢ - ٣٥٣ .

(٤٨) C. J. Gadd, The Harran Inscriptions of Nabonidus in Anatolian Studies, VII, 1958, P. 33-92.

(٤٩) جواد غلى : المرجع السابق ٦١٤/٦ ، وكذا

A. R. Burn, Op. Cit., P. 3, 8.

أما كان على أيام «نبوخذ»^(٤١) . هـ ذا عضلا عن أن هناك كنهيتين
 نموديتين ترجع إلى عهد هذا الملك ، وقد جاء في الواحدة جملة (الرجع ملك
 بابل) ، وجاء في الثانية «صرب ديدان» ، فإذا كان ذلك كذلك : فإن
 حروب نبوخذ في بلاد العرب الشمالية . إنما أصبحت تقربها إلى
 النموديون به^(٤٢) .

ونحل من الغريب أن حوليات «نبوخذ» قد أغفلت ذكر «تامود»
 (تامود) ، رغم أن نصيحة نمودية قد أشارت إلى حروب هذا الرجل -
 كما أشرنا آنفا - ورغم أن «نبوخذ» قد كتب أنه «ن يسبحر على نمل»
 سبه الجزيرة العربية . وجزء من وسطها ، تهمده نصرته بالمدينة
 المنورة (أثريو - يثرب) : ورغم أن النموديين إنما كانوا يغطون في
 تلك البقاع التي كتب عليها أن نمد - مع لسانه : بل ربما شاركوا في
 واحدة أو أخرى من المعارك التي دارت حده : وربما كان السبب في ذلك
 أن الرجل قصد أن يخلي هزيمة أصابته عن النموديين : وذلك بتجاهلهم
 في حروبه . أو أن لسانه كلن متصورا على المراكز التجارية التي جاءت
 في حولياته : مثل تبمة ، وديدان وحيير ويثرب^(٤٣) .

(٤١) جود علي : المرجع السابق ص ٦٦٢ - ٦٦٣ ، محمد بيومي
 جهران : المرجع السابق ص ٢٥٢ ، وكذا

J. A. Montgomery, Op. Cit., P. 67

S. Smith, Op. Cit., P. 79-80.

G. A. Cook, A Text Book of North-Semitic Inscriptions Oxford, 1907,
 P. 195-196.

٥١) A. Van der Branden, Les Textes Chaldeens de Philby, II, P. 54.

52) A. Van Branden, Op. Cit., P. 34-53.

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 80, 86.

الفصل الثاني

الغزو الفارسي

(١) قيام الدولة الفارسية :

لم تدم الامبراطورية البابلية الجديدة (المكلدانية) طويلاً ، فلقد سارت - في واقع الامر - في طريق الانهيار السريع بعد موت «نبوخذ نصر» في عام ٥٦٢ ق.م ، وكان «نبوخذ» (٥٥٥ - ٥٣٩ ق.م) - آخر ملوك الاسرة - قد سمح للتتظيم السياسي بأن ينهار . ويسقط مع كهنه انه الامبراطورية «مردوت» - ومن سوء الحظ فلقد كانت الاحداث تأخذ مجرى آخر في المرنشعات الايرانية المجاورة ، والتي أصبحت بعد فترة قصيرة ذات تأثير حاسم في تاريخ الشرق الادنى القديم ، ومن المعروف ان السلطنة الجديدة قد ساهمت بطريقة حاسمة في سقوط الامبراطورية الاشورية - كما رأينا من قبل - كما ان ثورة انتصارهم قد اكتسبتهم الجزء الجنوبي من الامبراطورية الاشورية ، فغسلت عن بلاد الميديين نفسها : وسرعان ما هدوا سيطرتهم على أرمينيا وجبال آسيا الصغرى ، من ناحية الغرب على امتداد نهر «هاليس» ، وأما في الجزء الجنوبي الشرقي ، فقد أخضعوا الحكام الفرس من الاخمينيين : الذين كانوا يحكمون عيالهم القديمة ، ثم اتخذ ملكهم «هواخشير» (كياكساريس = Cyaxares) من «أكباتان» - ومكانها الآن مدينة همدان الحالية - عاصمة لملكته (١) .

وعندما مات «كساريس» في عام ٥٨٥ ق.م ، خلفه على عرش ميديا ولده «اسنياجيس» Asnyages (٥٨٥ - ٥٥٠ ق.م) ، والذي رغم كفت خضلك هوادر ضعف قد تبايت أخريات أيامه بسبب حكمه الخويل : وربما بسبب ما أحاط به من الميديين من ترف مسرف ، ترتب على كثرة الامارات والمغانم - واهليان سياسي ترتب على غرور الحكام

(١) محمد بيومي مهران : اسرائيل ١٠٢٧/٢ ، وكذا

M. Noth, Op. Cit., P. 388.

J. Junge, Darius, I, König der Perser, 1946, P. 14 F.

الذين أسكنتهم شجرة انتشاراتهم المتكررة ، وقد روى الكتاب انقدامي من الاعارة أن «استياجيرس» (استاجيرس) غضب ذات مرة على أحد كبار رجال دولته ، فقتل ولده أمامه ، وأرغمه على أن يأكل احشاءه ، هذا غخلا عن مروح قبلي صدر عن جزء من الدولة للسيطرة على أجزائها الأخرى ، وقد صدر هذه المرة عن اقليم «أنشان» — في عيلام القديمة — وهو اقليم كانت حياته شاقة : وكان حكامه يمتنون للبيت الماسدي بصفة القرابة أو صالة المسايرة ، واستطاعوا أن يحتفظوا بمكانتهم أزمنة طوال ثلاثة أجيال ، ولكنهم ظلوا يستقذون أنهم أعرق أصالة منه ، وأحق بالملك منه ، وأقصد على تحقيق العدالة ، وقد حقق حلمهم ذاك أميرهم قورش (٢) — كما نرى — •

وهكذا كانت الدجورة في الجانب الفارسي تختلف عن الجانب الميدي ، وقد انتهزت Parsua فرصة انهيار عيلام : وضمت إليها مقاطعة «پارسا» (Parsa) — وهي المنطقة فيما بين أصفهان وشيراز — وعندما مات «تياسبيس» (Teispes) قسمت مملكته بين ولديه «أريوسميس» Ariarsmnes و «كيريوش الأول» (Cyrus, I) ثم سرعان ما اتحدت المملكتان تحت قيادة «قمبيز الأول» (Cambyses, I) (٦٠٠ — ٥٥٩ ق.م) ابن «كيريوش الأول» ، والذي تزوج من «ماندانه» (Mandane) ابنة «استياجيرس» ملك الميديين : وكان أمره هذا الزواج «كيريوش الثاني» الذي أصبح في عام ٥٥٨ ق.م ، ملك أنشان (Anshan) — وربما كانت «دينه» — جدد سلطن ابحالية — والتي أصبح يحكم منها ، حتى أسس «حصنه» «بازر جادة» Pasargadac (٣)

وهكذا أصبحت بلاد فارس موحدة ، كما أصبح لها حاكم واحد هو

(٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٥٩ ، محمد نبوي مهران : حركات التحرير في مصر القديمة - القاهرة ١٩٧٦ ص ٣٢٩ .
 3) F. Herzfeld, Archaeological History of Iran, 1938, P. 40.
 G. G. Cameron, History of Early Iran, 1936, P. 219 P. وكذا
 G. Roux, Op. Cit., P. 353-354
 M. Noth, Op. Cit., P. 300.

«كروش» أو «قورش» الثاني Cyrus = Kurash { ٥٥٨ — ٥٣٠ ق.م } : وبدء الحاكم الجديد يصف له عن حليف ضد ميديا : وكانت بابل هي الحليف الأعزب — وانتمتني كذلك — ذلك لأن بابل : رغم أنها كانت منذ جيلين مضيا حليفة ميديا : إلا أن ذلك انما كان مؤقتا ، انتهى عهد بدمير آشور ، وتقسم إمبراطوريتها بين الحليفيين ، وأصبحت ميديا الآن العدو الذي تخشاه بابل : وهكذا عقد تحالف بين كروش ملك «أشنان» و «نوبنيد» ملك بابل في عام ٥٥٥ ق.م : ضد الميديين ، وفي عام ٥٥٣ ق.م ، أعلن «كروش» الثورة ضد الميديين ، ونجح بعد سنوات ثلاث من خلع جده لأمه «أستياجيس» الذي لم يستطع سوى مقاومة طفيفة ، قبل أن يتم إبعاده عن عاصمته «أكباتانا» ، واستولى «كروش» الثاني على عرش ميديا : وبالتالي فقد أصبح متكا على الميديين والفرس سواء ، سواء . «تخذنا من «أكباتانا» عاصمة له» (٤) .

وهكذا رأيت بابل يعينها الآن الملكة الفارسية الأكثر خلوة تظهر قوة بجوارها : بدلا من الملكة الميديية : وبدأت دول غربى آسيا تنظر بنفوق إلى الفاتح الجديد : وكانت «أنديا» هي البادئة ، بعد أن بلغت أوج مجدها وراثتها في عهد ملكها «كرويسوس» Croesus (٥٦٠ — ٥٤٦ ق.م) ، وأخضعت المدن الايونية والابولية في آسيا الصغرى لنفوذه ، حتى أعتد بطلانها من نهر هلمس إلى بحر إيجة ، وطمعت في أن تتزل المحر وتسيطر على جزره ، وأصبحت شيئا عظيما في نظر اغريق المشرق والغرب معا ، ثم أقتنتها نهضة فارس ، فأرادت أن تكون هي البادئة ، وظارت دون اغريقية نسبة جريفة «لاكيدايونيا» وزعيمها أسبرطة : كما طابت عون بابل ومصر (٥) .

(٤) A. T. Olmstead, History of The Persian Empire, Chicago, 1970, P. 14-16.

G. Roux, Op. Cit, P. 354-355.

Herodotus, I, 127-130.

Strabo, XV, 3, 8.

Diodorus Siculus, II, 34, 6.

(٥) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٦٠ .

وهكذا عقدت ليديا وبابل ومصر وبعض الشعوب الاغريقية حلها فيما بينها ضد الفرس ، وبدأ كرويسيس ملك ليديا يذصب فارس الحدا ، ودلب اليون من ملاتية ، وكانت مصر هي الوحيدة التي اجترمت كلمتها ، ومع ذلك فلم تكن عنه شيئا أمام الطوفان الفارسي الذي سرعان ما هاجمه في دياره ، واستولى على عاصمته «سارديس» في عام ٥٤٦ ق.م ، وأخذ أسيرا ، وبذلك أثبت نواسته على غير ما توقع لنفسه ، وعلى غير ما توقع الاغريق له (٦) .

ولم تمنح سنون خمسة حتى أصبحت فارس تحت المكانة الاولى في انشرف ، ثم سرعان ما مدت نفوذها حتى البحر المتوسط ، ومن ثم فقد أصبحت مدن الساحل الايوني تحت قبضة الحاكم الفارسي الذي تركها لتصرف تواده .

وأما عن «تبريد» ملك بابل ، يبدو أنه تظاهر بمخالفة الفرس ضد الميديين ، رغبة منه في استعادة مدينة «هرا» من الميديين ، وقد نجح في ذلك ، وجدد معبد المدينة الذي دمره الميديون والبابليون أثناء سقوط المدينة في عام ٦٠٩ ق.م ، بعد هزيمة «أشور أو بلط الثاني» في عام ٦٠٩ ق.م ، ثم سيطرة «كيكساريس» على ميزوبوتاميا الشمالية ، وربما أراد انقاء حضر الميديين - حلفاء بابل - الاتدمين (٧) .

وأيا ما كان الامر ، فإن الملك البابلي «تبريد» - كما رأينا من قبل - انما يتوجه به ذلك بتواته ، فيفوزو سدال سورية حتى «حماء» ، ثم جنوبا

(٦) Herodotus, I, 129, 177 etc

(٧) محمد بيومي مهران : حركات التدمير في مصر القديمة ص ٣٤٠ - ٣٤١ ، وكذا

M. Noth, Op. Cit., P. 273.

S. Smith, Babylonian Historical Texts, London, 1924, P. 27 F.

A. T. Olmstead, History of Assyria, P. 636.

G. Roux, Op. Cit., P. 355.

C. J. Gadd, The Fall Nineveh, London, 1923.

حتى «أدوم» وغزة ؛ وأخيرا يتجه الى «تيماء»^(٨) ؛ حيث يقضى هناك عشر سنوات^(٩) ؛ ربما ليحيني أهميتها التجارية على الطريق التجاري بين ساحل البحر المتوسط وشمال غرب بلاد العرب وبين العراق ؛ وينتظم باقتصادياتها ؛ أو على أمل أن يستعين بها ويوسطها البدوي ؛ في تصميم جيشه بقوات قتية ؛ يحصى بها مجد دولته ؛ ويستعد بها لمركبة قادمة بينه وبين القدس ؛ ولكن خاب أمل الرجل في هذا كله ؛ وخابت سياسته مع تيماء وخيراتها ؛ اذا اشتد عليها ؛ وقتل ملكها^(١٠) .

على أن هناك اتجاهها آخر ؛ يذهب الى أن «نيونيد» إنما كان هناك في المنفى ؛ وأنه لم يعد من هناك ؛ إلا في عام ٥٤٦ ق.م ؛ عندما دعاه رعاياه الذين كان قد طار من قبل خالاهوم معه^(١١) ؛ على أن هناك وجها ثانيا ؛ لنشر يذهب الى أن «نيونيد» إنما قد ذهب الى تيماء لأن هذا المكان هو المركز القديم لعبادة اله العمر «مين» ؛ الذي جعله «نيونيد» فوق «مردوك» ؛ وكل الآلهة البابلية الأخرى^(١٢) .

(٢) الاحتلال الفارسي لبابل ؛

وأيما ما كان الأمر ؛ فإن الأحداث التي جرت في الامبراطورية البابلية إنما كان لها دور عظيم بين التسموب الخافعة لها ؛ والتي أدت بها من الأسباب ما يجعلها تأهل في أنهب احتكم الوقوع لسلطة بابل

8) G. Roux, Op. Cit., P. 35a.

J. Lewy, HUCA, 1946, P. 434-450.

W. F. Albright, JRAS, 1925, P. 293 F.

(٩) يقترح بعض آر «نيونيد» ذهب الى تيماء في السنة الرابعة من حكمه ؛ وبقي هناك على الأقل حتى السنة الحادية عشرة

J. Lewy, HUCA, 19 1945-1946, P. 434-450.

J. Finggan, Op. Cit., P. 225-229.

(١٠) عبد العزيز صالح ؛ المرجع السابق ص ٥٦١ .

(١١) A. R. Gardiner, Op. Cit., P. 264.

(١٢) J. Lewy, Op. Cit. P. 434-450.

J. Finggan, Op. Cit., P. 229.

الجديدة ، وتطلع اليه. ود الذين أبعدوا في بابل بأهل كبير الى كيروش
المقوى المختصر ، وقتباً أنبياءهم يسقط بابل على يده (١٣) .

وفي هذه الاثناء كان كيروش قد مسحت عزمته على ضم بابل الى ملكه
في بداية تنفيذ مشروعه لتخزو الالهلال الخصيب كله ، بل ان هجومه على
المدينة العريقة انما جاء بعد فترة قصيرة جدا ، وبعد أن كان قد نجح في
مد سلطانه في اتجاهات مختلفة ، ولم يعد أمامه سوى الامبراطورية
البابلية الجديدة (اكدانية) بأملأيا في بلاد اترغدين وسورية وفلسطين
وأنه كان يعرف أن ذلك أبعاد علوا في سلطته ، وأن كل ما يحتاج اليه
لواجهتها هو الاطاحة بها بسرعة .

وفي نفس الوقت ، ناقذ جاول (نبونيد) أن يعد المدة لانتقاء العاصفة
الواسعة الوقوع ، غيذل جهدا أخيرا ، لاعادة أقدم صور العبادة البابلية ،
ولكن الأرض - يتأصرهم في ذلك كهنة مردوك - لم يتركوا له وقتا
لتحقيق ما يريد ، فضلا عن اتبلاد - ومدينة بابل بالذات - كانت تتألمي
الامرين ، من سوء الادارة ، وانتشار النجاسات بين أهلها (١٤) .

وفي عام ٥٤٧ قبل الميلاد ، بدأ كورش غزو بابل ، وكان الجيش
البابلي وقت ذلك في حالة غير مرضية عسكريا ، ذلك لأن هذا الجيش قد
انفصل - بعد انتصارات نايونيد في سورية وفلسطين - ببدء عهد
المقيم «بين» في حران ، تحقيقا لرغبة والدة نبونيد أو جدته الملكة
«أداد كوبي» (Aḫad Quppi) ، وهكذا ، وفي ربيع عام ٥٤٧ ق.م ،
هبو كورش (كيروش) دجله جنوب أربيش (ربما في مضمور) ، وضحي
بملك محلي على ضفاف هذا النهر ، وفي عام ٥٤٦ ق.م - حاول الرجف
في اتجاه الجنوب ، قاصدا الخليج ، وفي هذا الاثناء جاءت قوات عيلامية

(١٣) - شعاع ٨/٤٤ ، ١٢/٤٤ ، ١٢/٤٧ - ١٥ ، وكذا

M. Nuth, Op. Cit., P. 301.

(١٤) - G. G. Cameron, New Light in Ancient Persia, in JAOS, LII, 1932,
P. 304

الى أكد ، وبدأ ماك عيلامى يخدم فى الزركاء ، وهذا يعنى أن بلاد بابل أصبحت بين غكى الكماشة .

وبدأ كبروش يسيطر على منطقة «جوتيسوم» (Gutium) بين الزاب الاسفل ودجلة وجبال السليمانية - وهى منطقة كانت تحت حكم نمرخز نمر ، وكانت «أراجا» (كركوك) مركز ادارتها : وعهد الى «جوبارو» (جوبرياس) (Gubar-Gobryas) أن يتولى حكمها ، وهو حاكم بابلى فى الاصل ، ولكنه انحاز الى كيروش^(١٥) .

وشرب بداية أكتوبر من عام ٥٣٩ قبل الميلاد : قاد كيروش معركة فى «أوبيس» (Opis) على الدجلة ، على مقربة من الدائن - وأحرق أكد أكد بالنار ، وبهذه الطريقة التيجية من الرعب البغيض ، أغقد كيروش حشوده شجاعهم ، وفى ١١ أكتوبر استسلمت «سيبار» دون قتال ، وحاول «نبونيد» انهرب الى الجنوب الغربى متجها الى ناصحراء ، غير أن البدو من أنوان كيوش قتلوا عليه الطريق وأجبروه على العودة ، وفى ١٧ أو ١٣ أكتوبر عام ٥٣٩ ق.م ، دخل «جوبرياس» (Gobryas) محافظ «جوتيسوم» الخائن ، مدينة بابل : معه قواته كيوش ، دون معركة ، ون ظلت القنعة والقمص يذوومان فترة ، حتى ذهب البعض الى أن النزاع لم يتدبروا على اتحامية المحاصرة الا بالحقيلة : وهكذا استسلمت اميرانية «نبيخذ نصر» على يد أحد الضباط البابليين ، وفى ٢٩ أكتوبر عام ٥٣٩ ق.م ، بدأ الكتاب يؤرخون باسم «نحاش الجديد» «كيروش ملك العالم» .

وفى ٢٦ أكتوبر عام ٥٣٩ ق.م ، دخل كيروش نفسه مدينة بابل ، وقرئت الود فى طريقه : ورحب به كهيئة مردوك ، الذين لم يكونوا راضين عن حكومة ذوتيد ، وأعلن الفارز الجديد الامان لسكان بابل :

(١٥) مؤيد سعيد : المراجع السابق ص ٢٢٦ - ٢٢٧ ، وكذا G. Roux, Op. Cit., P. 357-358.

وأن يبعده إلى منطقة نائية ، في «كرمانيا» ، ليصبح حاكما عليها ، أو لتكون منفى له ، وعلى أية حال ، غلقت قضى كيروش في عام ٥٢٩ ق.م (وربما ٥٣٠ ق.م) حين كان يهاجم الطورانيين عند حدوده الشمالية ، بعد أن نجح خلال ثلاثين عاما من أن يرتفع من بداية متواضعة ، لكي يصبح أقوى حاكم في عصره^(١٨) .

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن سقوط بابل في عام ٥٣٩ قبل الميلاد ، ومن قبلها سقوط «نيزي» في عام ٦١٢ قبل الميلاد ، لا يعد أبداً كنهاية لتاريخ العراق القديم ، ككولة مستقلة فحسب ، وإنما الأمر أكثر من هذا وأخطر ، ذلك لأنه في هذا الوقت ، وفي هذه المنطقة من مناطق الشرق الأدنى القديم ، انتهت سيادة العناصر السامية ، وبدأت سيادة العناصر «الهندو - أوروبية» من «الفرس الأخمينيين» (٥٣٩ - ٣٣١ ق.م) و «الآخمينيين» ، بما في ذلك عصر الاسكندر الأكبر والسلوقيين (٣٣١ - ١٣٥ ق.م) ، حيث شيد «سلوقس الأول» - أحد قواد الاسكندر - مدينة «سلوقية» على نهر دجلة (وهي تلك المدينة على نهر دجلة ، مقابل طيسفون ، أي طاق كسرى) فكان ذلك ضربة قاضية على بابل ، حيث هجرها الناس ، وبدأ الخراب يعمها منذ ذلك الحين ، ثم «الفرس الفريقيين» (١٣٥ ق.م - ٢٢٦ م) ثم «الفرس الساسانيين» (٢٢٦ - ٦٣٧ م) وقد نقل الفرس الفريقيون العاصمة من «سلوقية» إلى «طيسفون» - على بعد ٧٠ كيلاً من بابل - وتقع طيسفون على دجلة ، مقابل سلوقية ، وقد عرفت الأديبان (سلوقية وطيسفون) باسم «المدائن» والتي ظلت العاصمة حتى الفتح الإسلامي ، وعلى أية حال ، فيمكن أن نعمل مدة عهود الاحتلال الأجنبي ، قرابة اثني عشر قرناً متتالية (٥٣٩ ق.م - ٦٣٧ م) ، حتى جاء الإسلام الخفيف ، فحضر الأرض والقوم من ذل الاستعمار ، ودنس الاستعباد ، فخلا عن تحرير المقول من وثنية المخي ، وهكذا أصبح القوم في العراق - كما أصبحوا

18) A. H. Gardiner, Op. Cit., P. 354.

وعين الخائن (الجورجياس) وأتيا (ساتراب = Satrap) على إقليم
بابل الجديدة ، وأعيد الموحَّدون إلى وظائفهم ، وأعلن كيروش أنه
«الملك العظيم ، الملك القوي ، ملك بابل ، ملك سومر وأكد ، ملك كل أنحاء
العالم» ، وهكذا انتقلت مقاليد الأمور في الإمبراطورية البابلية الجديدة
إلى كيروش ، وسرعان ما خضعت له بلاد النهرين بدون صعوبة ،
واعترفت سورية وفلسطين بالهزاري الجديد^(١٦) .

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن تأسيس الإمبراطورية
الفرسية لم يكن مجرد تغيير في السيادة ، وإنما كان تغييرا جوهريا في
سياسة الدولة من أنشور وبابل تجاه الشعوب الخاضعة لهم ، الذين
كانوا يدولون بوحيد سلطانهم عن طريق وضع السكان الوطنيين في
الولايات الخاضعة لهم تحت وصايتهم ، وتحويل الطبقات الأعلى مرتبة
إلى أقاليم أخرى ، هذا فضلا عن إدخال دين الإمبراطورية الرسمي في
عواصم المقاطعات ، إلى جانب الأديان المحلية ، واستمر الفرس في سياسة
تسمح ندبي ، وإن احتفظوا تماما بالسلطة الفعلية ، والتي كانت مركزة
في يد الملك وكبار المحافظين في أيديهم^(١٧) ، كما استعملوا القسود عند
الفرز خدمهم .

وأما ملك بابل «بونيد» فلقد رأى كيروش أن يحفظ عليه حياته :

(١٦) محمد بيومي مؤلفان : حركات التحرير في مصر القديمة ص
٣٤٢ - ٣٤٣ ، وكذا

Nafonidas Chronicle, III, 12-22

A. L. Oppenheim, ANET, 1966, P. 313-316.

R. W. Rogers, Cuneiform Parallels to The Old Testament, London
1912, P. 381.

A. T. Olmstead, History of The Persian Empire, Chicago, 1970, P. 50-51.

R. Ghidman, Iran. (Penguin Books), 1964, P. 131-132.

R. A. Parker and W. H. Desboration, Babylonian Chronology, 626 B.C.
AD 45, 1912, P. 11.

(١٧) M. Nath, Op. Cit., P. 202

في غيره من بلاد المشرق الأدنى القديم — يؤمنون بالله الواحد الاحد ،
الذي لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير .

وأخر دعواتنا ، إن الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا وجدنا
ومحمد رسول الله ، وعلى آله الطيبين الطاهرين
ثم بحمد الله ، ،

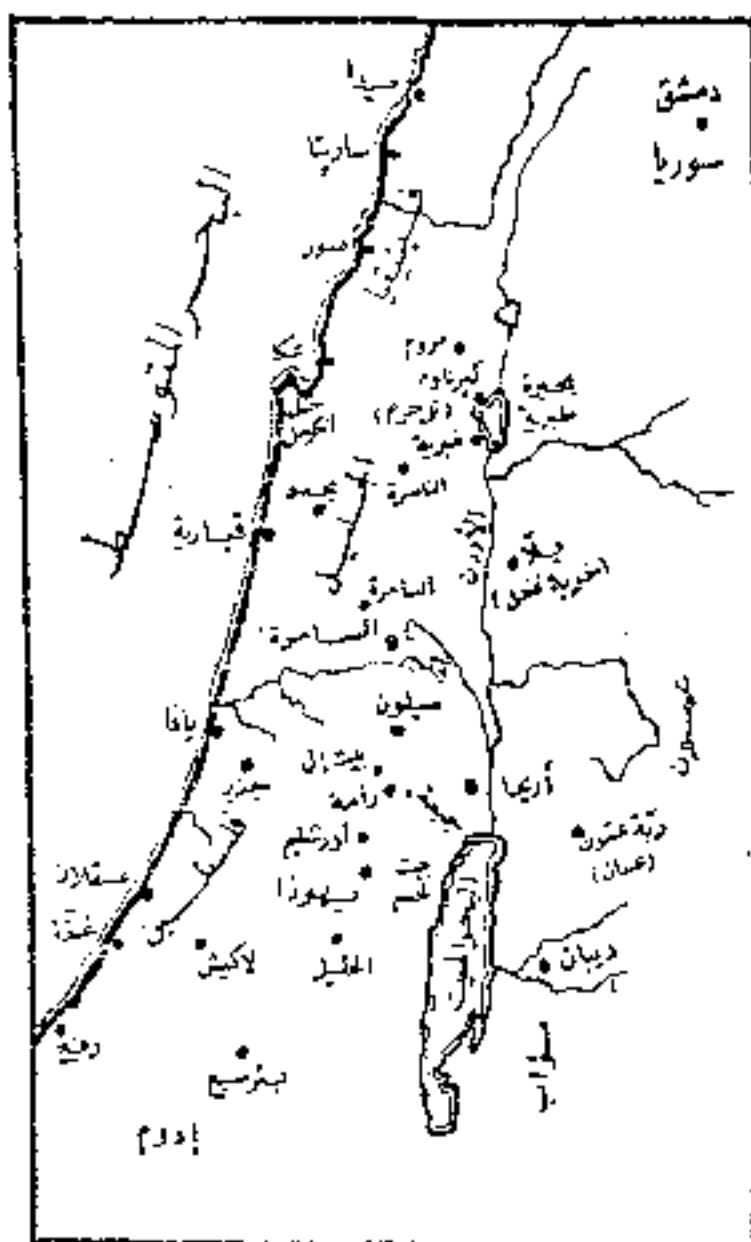
الخُـمُـسُ



أعمال

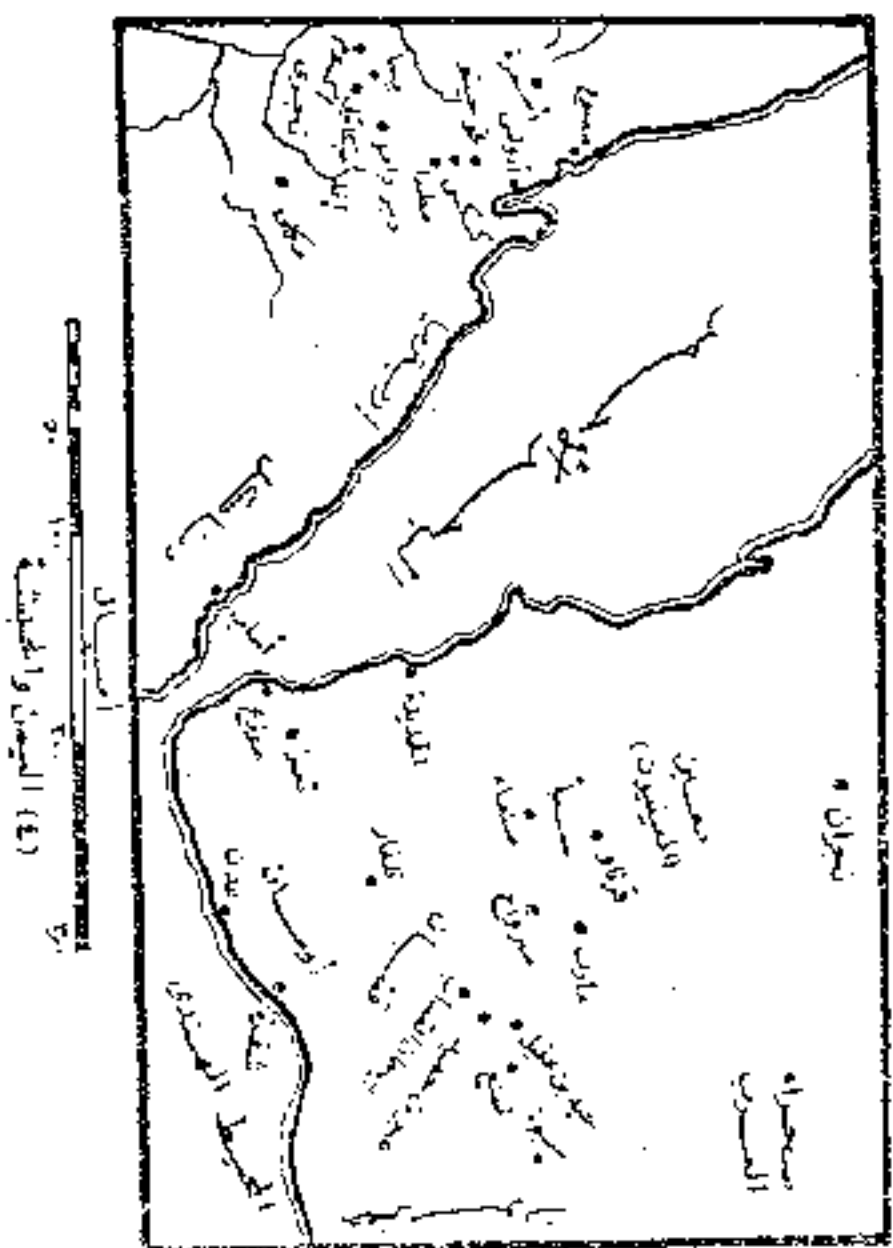
١٠ ٢٠ ٣٠ ٤٠

(د) المنطقة الساعية



أسماء
٠ ١ ٢ ٣ ٤ ٥

١٣١ فلسطين



المراجع المختصرة

أولا - المراجع العربية :

القرآن الكريم

التوراة

الدكتور أحمد أمين سليم

- ١ - دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم - بيروت ١٩٨٩ .
- ٢ - القيم الأخلاقية والسلوكية في العراق القديم - بيروت ١٩٨٤ .
- ٣ - دراسات في تاريخ إيران القديم وحضارتها - الجزء الأول - بيروت ١٩٨٨ .

الدكتور أحمد سوسة

- ١ - تاريخ حضارة وإحدى المراقدين (جزءان) - بغداد ١٩٨٦ .

الدكتور أحمد فخري

- ١ - دراسات في تاريخ الشرق القديم - القاهرة ١٩٦٣
- ٢ - مصر الفرعونية - القاهرة ١٩٧٠ .

الدكتور نقي الدين الدياغ

- ١ - العراق في عصور ما قبل التاريخ - العراق في التاريخ - بغداد ١٩٨٣ .
- ٢ - الثورة الزراعية والقرى الأولى - حضارة العراق - الجزء الأول - بغداد ١٩٨٥ .

الدكتور رشيد الناصري

- ١ - جنوب غربي آسيا وشمال أفريقيا - الكتاب الأول - بيروت ١٩٧٧

د. جواد الهاشمي

- ١ - التجارة - القانون والاحوال الشخصية - حضارة العراق - الجزء الثاني - بغداد ١٩٨٥ .

الدكتور سامي سعيد الاحمد

- ١ - الادارة ونظام الحكم - حضارة العراق - الجزء الثاني - بغداد ١٩٨٥ .
- ٢ - الزراعة والمري - حضارة العراق - الجزء الثاني - بغداد ١٩٨٥ .
- ٣ - العصر البابلي القديم - العراق في التاريخ - بغداد ١٩٨٣ .
- ٤ - سلالة بابل الحديثة - العراق في التاريخ - بغداد ١٩٨٣ .
- ٥ - الادب - حضارة العراق - الجزء الاول - بغداد ١٩٨٥ .

الدكتور سليمان حزين

- البيئة والانسان والحضارة في وادي النيل - تاريخ الحضارة المصرية - الجزء الاول - القاهرة ١٩٦٢ .

الدكتور طارق عبد الوهاب مظلوم

- النحت من عصر فجر السلالات حتى العصر البابلي الحديث - من كتاب حضارة العراق القديم - الجزء الرابع - بغداد ١٩٨٥ .

الدكتور طه باقمر

- ١ - مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة - القسم الثاني - تاريخ العراق القديم - بغداد ١٩٥٥ .
- ٢ - مقدمة في ادب العراق القديم - بغداد ١٩٧٦ .
- ٣ - ملحمة جلجاميش - بغداد ١٩٨٠ .
- ٤ - شرايع العراق القديمة - مجلة سومر - بغداد ١٩٤٧ .

الدكتور عامر سليمان

- ١ - اتصالات الساسية الخارجية - حضارة العراق - الجزء الثاني - بغداد ١٩٨٥ .
- ٢ - العصر الاشوري - العراقي في التاريخ القديم - بغداد ١٩٨٣ .
- ٣ - جوانب من حضارة العراق القديم - العراق في التاريخ - بغداد ١٩٨٣ .
- ٤ - اتراث التلغوي - حضارة العراق - الجزء الاول - بغداد ١٩٨٥ .

- ٥ - الفاتون في العراق القديم - الجزء الأول - الموصل ١٩٧٧ .

الدكتور عبد الحميد زايد

- ١ - مصر الخائنة - القاهرة ١٩٦٦ .
- ٢ - المشرق الخالد - القاهرة ١٩٦٦ .

الدكتور عبد العزيز صالح

- المشرق الأدنى القديم - الجزء الأول - مصر والعراق - القاهرة ١٩٦٧ .

عبد الكريم عبد الله

- ملاحم الوجود السامي في جنوب العراق قبل تأسيس الدولة
الأكديّة - مجلة سومر - العدد ٣٠ - بغداد ١٩٧٤ .

الدكتور عبد المنعم أبو بكر

- ١ - كفاحنا ضد الغزاة - العصر الفرعوني - القاهرة ١٩٥٧ .
- ٢ - حضارة مصر والمشرق القديم - العراق القديم - القاهرة .

الدكتور فاضل عبد الواحد علي

- ١ - السومريون والأكديون - العراق في التاريخ - بغداد ١٩٨٣ .
- ٢ - سلالة ابيسن الثانية - العراق في التاريخ - بغداد ١٩٨٣ .
- ٣ - حضارة بلاد وادي الرافدين - العراق في التاريخ - بغداد ١٩٨٣ .
- ٤ - عشتار ومناسة كموز - بغداد ١٩٧٣ .
- ٥ - لطوفان - بغداد ١٩٧٥ .

فرج بصممة جي :

- بحث في الفخار - صناعه وأنواعه في العراق القديم - مجلة
سومر - العدد ٢١ - بغداد ١٩٦٥ .

الدكتور فوزي رشيد

- ١ - نشرائع العراقية القديمة - بغداد ١٩٧٩ .

- ٢ - الجيش والسلاح - حضارة العراق - الجزء الثاني - بغداد
١٩٨٥ .

الدكتور محمد أبو المحاسن عصفور

- معالم تاريخ المشرق الأدنى القديم - الاسكندرية ١٩٦٨ .
معالم حضارة المشرق الأدنى القديم - الاسكندرية ١٩٦٩ .

الدكتور محمد بيومي مهران

- ١ - الثورة الاجتماعية الأولى في مصر الفرعونية - الاسكندرية
١٩٦٦ م .
٢ - مصر والعالم الخارجي في عصر رمسيس الثالث -
الاسكندرية ١٩٦٦ .
٣ - خناتون : عصره ودعوته - الاسكندرية ١٩٧٩ .
٤ - السامريون والآراء التي دارت حول موطنهم الأصلي -
الرياض ١٩٧٤ .
٥ - قصة الطوفان بين الآثار والكتب المقدسة - الرياض ١٩٧٥ .
٦ - العرب وعلاقاتهم الدولية في العصور القديمة - الرياض
١٩٧٦ .
٧ - حركات تحرير في مصر القديمة - القاهرة ١٩٧٦ .
٨ - تاريخ العرب القديم - الرياض ١٩٧٧ .
٩ - إسرائيل - التاريخ - (جزءان) - الاسكندرية ١٩٧٨ .
١٠ - إسرائيل - الحضارة - (جزءان) - الاسكندرية ١٩٧٩ .
١١ - دراسات تاريخية عن القرآن الكريم - الجزء الرابع - ق
العراق - بيروت ١٩٨٨ .
١٢ - مصر - الجزء الأول - الاسكندرية ١٩٨٨ .
١٣ - مصر - الجزء الثاني - الاسكندرية ١٩٨٨ .
١٤ - مصر - الجزء الثالث - الاسكندرية ١٩٨٨ .
١٥ - الحضارة المصرية - الجزء الأول - الاسكندرية ١٩٨٩ .
١٦ - الحضارة المصرية - الجزء الثاني - الاسكندرية ١٩٨٩ .
١٧ - الحضارة العربية القديمة - الاسكندرية ١٩٨٨ .

الدكتور محمد عبد اللطيف

- ١ - تاريخ العراق القديم - الاسكندرية ١٩٧٧ .
- ٢ - المراكز التجارية الآشورية في وسط آسيا الصغرى - الاسكندرية ١٩٨٤ .

الدكتور محمد عبد القادر محمد

- ١ - الساميون في العصور القديمة - القاهرة ١٩٦٨ .
- ٢ - قصة الطوفان في ادب بلاد الرافدين - القاهرة ١٩٦٥ .

الدكتور محمود الأمين

- قوانين حمورابي والقوانين البابلية الأخيرة : مجلة كلية الآداب -
عدد يناير ١٩٦١ - بغداد ١٩٦١ .

الدكتور مؤيد سعيد

- ١ - العراق خلال عصور الاحتلال - العراق في التاريخ - بغداد ١٩٨٣ .
- ٢ - العمارة من عصر فجر السلالات إلى العصر البابلي الحديث - حضارة العراق - الجزء الثالث - بغداد ١٩٨٥ .

الدكتور مجيب عيخانيل

- عصر والشرق الأدنى القديم (٦ أجزاء) - الاسكندرية ١٩٦٣ -
١٩٦٦ .

هنري عبود

- معجم الحضارات السامية - بيروت ١٩٨٨ .

ثانيا : المراجع المترجمة الى اللغة العربية :

اندرية بسارو :

بلاد آشور - ترجمة عيسى سلمان وسليم التكريتي - بغداد ١٩٨١ .

النويس مومسيل :

شمال الحجاز - ترجمة عبد المحسن الحسيني - الاسكندرية ١٩٤٦

انجلون مورتجمات

الفن في العراق القديم - ترجمة عيسى سلمان وسليم التكريتي - بغداد ١٩٧٥ .

جورج سارتون :

تاريخ العلم - بلاد ما بين النهرين - ترجمة الدكتور طه باقر - القاهرة ١٩٦٣ .

جورج كونتينسو :

الحياة البوذية في بلاد بابل وآشور - ترجمة سليم طه التكريتي ، وبرهان عبد الكريمي - بغداد ١٩٨٦ .

جيمس فريزر :

الفنكلور في العهد القديم - ترجمة نبيلة ابراهيم - القاهرة ١٩٧٢

جيمس هنري برستد :

انصار الحضارة - ترجمة الدكتور أحمد فخري - القاهرة ١٩٦٦

سبتيو مومسكالي :

الحضارات السامية القديمة - ترجمة وزاد علي - سيد يعقوب بكر - القاهرة ١٩٦٨ .

مهويل نوح كريم

١ - اساطير العالَم القديم - ترجمة أحمد عبد الحميد يوسف ، ومراجعة عبد المنعم أبو بكر - القاهرة ١٩٧٤ .

٢ - من ألواح سومر - ترجمة طه باقر ، ومراجعة أحمد فخري
القاهرة ١٩٥٨ .

ل . ديلاپورت :

بلاد ما بين النهرين - ترجمة محرم كمال ومراجعة الدكتور
عبد المنعم أبو بكر - ألف كتاب (٣٥) - القاهرة .

ليو أوينهايم :

بلاد ما بين النهرين - ترجمة سعد فيضي - بغداد ١٩٨١ .

فيلب حقي :

١ - لبنان في التاريخ - ترجمة أنيس فريجة ونقولا زيادة -
بيروت ١٩٥٩ .

٢ - تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين - ترجمة جورج حداد
وعبد الكريم رافق - بيروت ١٩٥٨ .

هورمت كلنجمل :

حمورابي ملك بابل وعصره - ترجمة غازي شريف - بغداد ١٩٨٧

المراجع الاجنبية

Abbot, (N.)

Pre-Islamic Arab Queens, in *AJSL*, 58, 1941.

Al-Adani, (K. A.)

Excavations at Tell-Es-Sawwan, in *Sumer*, 24, 1968.

Albright, (W. F.),

The Epic of The King of Barde, in *ISOR*, 7, 1923.

All, (F. A.)

New Text of Enannatum, 1, in *Sumer*, 29, 1973.

Anders, (W.),

Babylon, Berlin, 1952.

Baqir, (T.)

1 - Tell-Harrad, in *Sumer*, 11, 1946.

Baqir, (T.)

Excavations at Aquz-Quf, Iraq. Supplement, 1944-1945, Iraq, VII, 1946, P. 73-92.

Barnaki, (D.)

Phoenici and The Phoenicians, Beirut, 1941.

Barton, (G. A.),

The Royal Inscriptions of Sumer and Akkad, London, 1929.

Bibby, (G.)

Looking for Uruk (Penguin Books) 1972.

Buhl, (F. M. T.)

King Hammurabi of Babylon in The Setting of his Time, Amsterdam, 1946.

Bottero, (J.)

1. Syria at The Time of The Kings of Agade, in CAH, I, Part. 2, Cambridge, 1971.
2. Syria During The Third Dynasty of Ur, in CAH, I, Part. 2, Cambridge, 1971.

Bottero, (J.) and Others

The Near East, The Early Civilizations, London, 1967.

Branden, (A. Van den)

Les Textes Thémoudiens de Philby, II, Louvain, 1956.

Breasted, (J. H.)

1. La Conquete de la Civilisation, Payot-Paris, 1945.
2. A. History of Egypt, From The Earliest Times to The Persian Conquest, New York, 1946.
3. The Dawn of Conscience, New York, 1939.

Brinkman, (J. A.)

1. Materials and Studies for Kassite History I, Chicago, 1976
2. A. Political History of Post-Kassite Babylonia (1158-722 B. C.), Rome, 1968.

Budge, (E. A. W.)

The Babylonian Story of The Deluge and The Epic of Gilgamesh, New York, 1920.

Cameron, (C. G.)

1. History of Early Iran, 1936.

Belincé, (A.),

Codex Hammurabi, 1930 (3rd ed by E. Bergmann, 1953).

Dhormy, (E.),

Les religions de Babylonié et d'Assyrie, Paris, 1949.

Dossin, (G.)

Les Archives épistolaires du Palais de Mari, in *Syria*, 19, 1936.

Dougherty, (R. P.),

Nebuchadnezzar and Belshazzar, New-Haven, 1949.

Dougherty, (R. P.),

The Scaland of Ancient Arabia, New Haven, 1932.

Driver, (G. R.) and Miles, (J. C.),

1. *The Assyrian Laws*, Oxford, 1933.
2. *The Babylonian Laws*, 2 Vols, Oxford, 1952-1955.

Brumer, (M. S.),

Syria Before 2200 B. C., in *CAH*, I, Part, 2, Cambridge, 1971.

Dupont-Sommer, (A.),

Les Arameens, Paris 1939.

Edwards, (I. E. S.),

The Early Dynastic Period in Egypt, in *CAH*, I, Part, 2, Cambridge, 1971.

Edvard, (D. O.), and Others

The Near East, The Early Civilizations, London, 1967.

Eggert, (N.),

1—*The Preliminary Report of Excavations at Tell Achab-
atlat*, in *Sumer*, 12, 1957.

2. New Light on Ancient Persia, in JAOS, LII, 1933.

Carter, (I. H.),

Studies in Cassite History and Archaeology, Bryn, 1962.

Childe, (V. G.),

New Light on The Most Ancient East, London, 1952.

Clark, (G.)

Prehistory of The World, Cambridge, 1963.

Clay, (A. T.),

1. The Empire of The Assyrians, New Haven, 1919.
2. Documents from The Temple Archives of Nippur dated in The Reigns of Cassite Rulers, 1926.

Cole, (S.),

The Neolithic Revolution, London, 1961.

Contenau, (G.),

1. Everyday Life in Babylon and in Assyria, London, 1937.
2. Manuel d'archéologie Céléstique, 3 Vols, Paris, 1937-1952.

Cook, (S. A.)

Israel and The Neighbouring States, in CAH, III, Cambridge, 1965.

Cooke, (G. A.)

A Text-Book of North Semitic Inscriptions, Oxford, 1917.

Cronwall, (F. B.)

On The Location of Dilram, in BASOR, 105, 1946.

Dalgaard, (T.),

1. Hammer Pottery, in Sumer, 21, 1963.
2. Hal' Pottery, in Sumer, 22, 1966.

Egami, (N.) and Others

Brief Report of The Third Season's Excavations at Tell II, of
Telu' Ean-Thalzinat and Some Observations, Le Sumer. 22. 1906.

El-Waily, (F.) and Abu-Saof, (B.)

The Excavations at Tell es-Sweiri, First Preliminary Report,
1964 in *Sumar*, 21, 1965.

Ellen G. White.

The Code of Hammurabi, in AO. 31. 1021.

Fassfeldet. (O.).

The Hebrew Kingdom in CAH, II, Part 2, Cambridge, 1975.

Exhibit (A.A.).

Three Sumerian Letters, in *Sumero*, 26, 1970.

Feiglin, (S. 1.) und Landsberger, (B.)

The Date-List of The Babylonian King Samsu-iluna. in JNES, 13, 1955.

Fleisch (Fl.)

Introduction à l'étude des Langues Semitiques. Paris, 1937.

Vinegar, (J.).

Light from The Ancient Past, The Archaeological Background
of Judaism and Christianity, Princeton, 1969

Finkelstein, J. I.,

1. The Dates of Lo-Nanna, in JCS, 22, 1968.
2. The Year-dates of Samsu-ilu, in JCS, 13, 1959.

Flückelstein, M. J.),

Amisutkeque's Ede, and The Babylonian Lawcode, in JCS, 15, 1961.

Frankfort, H.),

1. Kingship and The Gods, Chicago, 1948.
2. The Art and Architecture of The Ancient Orient (Penguin Books), 1950.
3. The Last Pre-nimistic Period in Babylonia, in CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1973.
4. Archaeology and The Sumerian Problem. London 1932.
5. The Birth of Civilization in The Near East, London, 1951.
6. Before Philosophy (Penguin Books), 1954.

Frankfort, H.) and Jacobsen (Th.),

The Guphin Temple and The Palace of The Rulers at Tell-Amar, in OIP, XLIII, 1949.

Gadd, C. J.),

1. The Cities of Babylonia, in CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971.
2. The Dynasty of Agade and Gutian Invasion, in CAH, I, Part, 2, 1971.
3. Babylonia C. 1530-1520 B. C. in CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971.
4. The Fall of Nineveh, London 1928.
5. The Hittite Inscriptions of Nabonidus, Anatolian Studies, VII, 1958.

Gardiner, A. H.),

Egypt: The Pharaohs, Oxford, 1961.

Garrod, (D. A. F.),

Primitive Man in Egypt, Western Asia and Europe in Palaeo-
Ethic Times, in CAH, 1, Part, I, Cambridge, 1936.

Gella, (G.),

The Name of The Goddess Inana, JNES, 19, 1960.

Ginsburg, (G.),

Iran, (Penguin Books) 1954.

Ginsberg, (H. L.),

Ancient Letters, in ANET, 1966.

Goeze, (A.),

1. The Laws of Hammurabi, New Haven, 1950.
2. The Laws of Hammurabi, in ANET, 1966.

Cray, (J.),

Near Eastern Mythology, New York, London, 1939 .

Garvey, (G. D.),

The Hittites, (Penguin Books) 1962.

Gyles, (M. Y.),

Pharaonic Policies and Administration (563-223 B. C.) Carolina,
1959.

Hall, (G. R.),

The Ancient History of The Near East, London, 1963.

Hall, (W. W.), and Simpson, (W. K.),

The Ancient Near East, A History, U. S. A., 1971.

Harden, (D. G.),

The Phoenicians, London, 1962.

- Margue, (R. V.),
The Code of Hammurabi, London 1904.
- Martin, (F.),
L'Architecture dans L'Ancienne Egypte, Paris, 1921.
- Hastings, (C.),
Dictionary of The Bible, Edinburgh, 1956.
- Reich, (A.),
1. The Gilgamesh Epic and The Old Testament Parallels,
London, 1939
2. The Babylonian Genesis, Chicago, 1931
- Price, (W.)
Patria C. Nicolson B. C. in CASS. I, Part, 2, Cambridge, 1971.
- Rigg, (P. K.)
1. The Near East in History, Princeton, 1961.
2. History of Syria, London, 1951.
3. History of The Arabs, London, 1968
- Saunders, (T.)
1. Continue Democracy in Ancient Mesopotamia, in JNES, 2,
1943.
2. A Survey of The Giza (Tefot) Region, in Studies, 25, 1969
3. The Sumerian King List in AS. B. 1959.
4. Towards The Image of Tammuz, JBR, I, 1961.
- Saunders, (T.) and Kramer, (S. N.),
The Myth of Tammuz and Dilmun JNES, 13, 1958
- James, (L. O.),
Myth in Egypt and the Near East, Paris, 1961.

Kramer, (S. N.),

Lipit-Ishtar Lawcode, in ANET, 1966.

Kramer, (S. N.) and Falkenstein (A.),

Ur-Nammu Law Code, *Orientalia*, 23, 1954.

Kundtzen, (O. A.),

Die El-Amarna Tafeln, 2 Vols, Leipzig, 1908.

Kupper, (J. R.),

1. Archives Royal de Mari, 6, 1954.

2. Northern Mesopotamia and Syria, in CAH, Part, I, Cambridge, 1973.

Labat, (A.),

Elam and Western Persia, 1200-600 B. C., CAH, Part, 2, A, Cambridge, 1930.

Lawson, (J.),

The People of Ancient Assyria/translated from The Danish by,
F. S. Leigh-Brown, London, 1961

Lambert, (M.),

1. La Période Prosergonique, in Sumer, 8, 1952.

2. Les reforms d'urnakagina, in Revue d'assyriologie, V, 1956.

Lambert, (W. G.),

1. Babylonian Wisdom Literature Oxford, 1960

2. Nabonidus in Arabia, *Seizlar for Arabian Studies*, London, 1972.

Langdon, (S. H.),

Sumerian Origins and Racial Characteristics in *Archaeologia*, 1920.

Jawad, (A.),

The Eradu Material and its Implications in *Sumer*, 10, 1974.

Kramer, (S. N.), Baqir, (I.) and Levy, (S. J.),

Fragments of a diorite Statue of Kurigalzu in The Iraq Museum,
in *Sumer*, 4, 1948.

Keller, (W.)

The Bible As History, London, 1967.

Kenyon, (K. M.),

Archaeology in The Holy Land, London, 1970.

King (L. W.),

1. Legends of Babylon and Egypt in Relation to Hebrew Tradition, London, 1918.
2. History of Sumer and Akkad from Prehistoric Times to The Foundation of The Babylonian Monarchy, London, 1916.
3. History of Babylon from The Foundation of The Monarchy to The Persian Conquest, London, 1915.

Kichen, (K. A.),

The Third Intermediate Period in Egypt, Oxford, 1973.

Kraeling, (E. G.)

Aram and Israel, New York, 1918.

Kramer, (S. N.),

1. The Sumerians, Chicago, 1959.
2. The Deluge, in ANET, 1966.
3. Sumerian Mythology, Philadelphia, 1944.
4. Dilmun The Land of The Living, in BASOR, 96, 1944.
5. The Indus Civilization and Dilmun, The Sumerian Paradise Land Expedition, Philadelphia, 1964.

Layard, (A. H.),

Discoveries in Nineveh and Babylon, 1853.

Leahman, (W. F.),

1. Foreign Trade in The Old Babylonian Period, London, 1960

2. *Ishrar of Lagash*, Leiden, 1952,

Lewy, (H.),

Assyria C 2000-1861 B. C., in *CAH*, 3, Part, 2, Cambridge, 1971.

Lewy, (H.),

Amurritica, in *JUCA*, 32, 1961.

Lie, (A. C.)

The inscriptions of Sargon, II, King of Assyria, Part, I, *The Annals*, Paris, 1929.

Lloyd, (S.),

1. Uruk Pottery. A Comparative Study in Relation to Recent Finds at Erdu, in *Sumer*, 4, 1958.

2. *Foundations in The Dust*, (Penguin Books), 1955

Lloyd, (S.) and Safar, (P.),

1. Tel. Ugarit, in *JNUA*, 2, 1953.

2. Tel-Harassus, in *JNUA*, 4, 1955.

3. Erdu, in *Sumer*, 4, 1958

Lods, (A.)

Israel, From its Beginnings to The Middle of The Eight Century, London, 1952

Lund, (G.)

Khorsabad, Chicago, 1926-1938

Luckenbill, (G. D.),

Ancient Records of Assyria and Babylonia, I-II, Chicago, 1908.

Malanusi, (A.),

1. The Last Wars of The Kingdom of Judah, in JNES, 9, 1950.
2. The Arameans in Aram Nabatani and The Rise of Their State, Jerusalem, 1952.

Mallowan, (M. E. L.),

1. Early Mesopotamian Trade, London, 1965.
2. The Development of Cities from Al-Ubaid to The End of Ur III, in CAH, 3, Part 1, London 1970.
3. The Early Dynastic Period in Mesopotamia, in CAH, 3, Part 2, Cambridge, 1971.
4. Nimrod and his Kingdoms, 2 Vols. London, 1960.
5. Twenty-five Years of Mesopotamian Discovery, London, 1965.

Mary, (A. H.),

Preliminary to Northeastern Aramaic, The Problem of Interregional Interaction, Miami, Florida, 1974.

Microwa, (D. E.),

Excavations at Nippur, in JNES, XI, 1962.

Meek, (T. E.),

1. The Code of Hammurabi, in ANET, 1965.
2. The Middle Assyrian Laws, in ANET, 1966.
3. The Neo-Babylonian Laws, in ANET, 1966.
4. Mesopotamian Legal Documents, in ANET, 1966.

2. The Northern Nejd, New York, 1928.
3. In The Arabia Desert, New York, 1930.

Noth, (M.)

The History of Israel, London, 1965.

Neugayral, (J.),

The Code of Hammurabi. in: RA, XLV, 1955.

Oates, (J.)

1. First Preliminary Report on a Survey in The Region of Mandali and Badra, in Sumer, 22, 1966.
2. A Preliminary Report. The First Season's Excavations at Choga Mami, in Sumer, 25, 1969.

Olmstead, (A. T.),

1. History of Assyria, New York, 1921.
2. Western Asia in The Days of Sargon of Assyria! New York, 1908.
3. History of Palestine and Syria, Chicago, 1931.
4. History of The Persian Empire, Chicago, 1975.

Oppenheim, (A. L.),

1. The Archives of The Palace of Mari, in JNES, XI, 1952.
2. The Sumerian King List, in ANET, 1966.
3. Sargon of Agade, in ANET, 1966.
4. Gudea, Ensi of Lagash, in ANET, 1966.
5. The Sargon Chronicle, in ANET, 1966.
6. Naram-Sin in The Cedar Mountain, in ANET, 1966.
7. The City of Assur in 7th B. C. in JCS, 19, 1963.

Palls, (S. A.)

The Antiquity of Iraq, Copenhagen, 1955.

Mellart, (J.),

1. *Earliest Civilizations of The Near East*, London, 1974.
2. *The Earliest Settlements in Western Asia from The Ninth to The End of The Fifth Millennium B. C.*, in *CAH*, I Part, I, Cambridge 1970.

Mercer, (S. A. B.),

The Tell-FI-Amarana Tablets, 1-11, Toronto, 1939.

Millard, (A. R.) and Tudmor, (H.),

Adad-Nirari, III in Syria, *Iraq*, 33, 1973.

Mortgat, (S.),

Aegypten und Vorderasien in Altägypten, München, 1936.

Morgan, (J-de),

La Préhistoire Orientale, II, Paris, 1928

Mortensen, (P.),

On The Chronology of Early Village Farming Communities in North Iraq, in *Sumar*, 16, 1962.

Moscati, (S.)

1. *Ancient Semitic Civilization*, London, 1957.
2. *The Face of The Ancient Orient*, London, 1961

Mongayrol, (J.) and Aynard, (J. M.)

La Mesopotamie, Paris, 1965.

Mum-Rankin, (J. M.),

Assyrian Military Power: 1300-1200 B. C., in *CAH*, II, Part, I A, Cambridge, 1980.

Musil, (A.)

1. *The Northern Hegaz*, New York, 1926

Fugère, (C. &), *Comp. Distribution*, (1971, 36).

Babylonian Chronology, 476 B.C. - A.D. 15, London, 1947.

Exhibit (A)

1. Mari, Paris, 1953.
2. *Archéologie Mésopotamienne. Techniques et Problèmes*, Paris, 1953.
3. Sonn, London, 1960.
4. Azor, (Cailhauard, France, 1961).
5. Ninow, and Babylon, 1961.

Page 42 of 43

The Offices of Agriculture, London, 1928.

Figure 6.3.3.

Nisrine c. i Assyria, Paris, 1867-1870.

Table 6. (A.)

The *Aspergillus* from Khorsbad, in MEE, 1, 1942.

Roitz, (C.).

A Short History of The Jewish People, London, 1969

ՀԱՅԱՍՏԱՆԻ ԱՊՐԵԼԻ

Ancient Iraq (Penguin Books), 1980.

Ragun, R. W.,

Canadian Parables in the Old Testament, London, 1912.

Berg, D. L. & E. J.

The Greenness That Was Gatsby, London: Dord.

 $\lim_{n \rightarrow \infty} \mathbb{E}_n \{ \sum_{i=1}^n \mathbb{I}_{\{X_i \geq 0\}} \} = 1$ Miles, S. and S. Thompson, in *BEA*, 4, 1950.

Seitz, (U.),

Die Babylonischen Kudurru-Reliefs, in BSA. 4, 1968.

Smith, (S.),

1. Early History of Assyria to 1000 B. C, London, 1928.
2. Events in Arabia in The 6th Century A. D, in BSQAS, 1954.

Smith, (W. S.),

Interpretation in The Ancient Near East, London, 1963.

Sollberger, (E.),

The Flood, London, 1962.

Spaulinger, (A.),

Assurbanipal and Egypt, a Source Study, in IAL, XLV, 1974.

Speiser, (E. A.),

1. The Eumerian Problem Revisited, in HEC, 23, 1959.
2. The Epic of Gilgamesh, in ANET 1966.
3. The Legend of Sargos, in ANET 1956.
4. Moshkemum, in Oriensalis, XXVII, 1958.

Szalachter, (E.),

Le Cole C'Ur-Namru, in RA, XLIX, 1955.

Tadmor, (H.),

The Historical Inscriptions of Ashd-Namru, III, in Iraq, 35, 1973.

Thureau - Danguin, (P.),

1. Festes de Mar, in BA 23, 1956.
2. Les Reliefs de la Huitieme Campagne de Sargon, Paris 1912.

Unger, (M. F.),

Unger's Bible Dictionary Chicago, 1970.

Ward, (W. A.),

Egypt and The East Mediterranean, From Predynastic Times to
The End of The Old Kingdom, in JESHO, VI, 1963.

Winckler, (H.),

The History of Babylonia and Assyria, New York, 1907.

Wiseman, (O. J.),

1. The Laws of Hammurabi again, in JSS, 7, 1962.
2. Assyria and Babylonia, I, 200-1000 B. C, in CAH, II, Part,
2, A, Cambridge, 1980.
3. A New Stele of Asut Nasir-Pal. in Iraq, 14, 1952.
4. Chronicles of Chaldean Kings, London, 1956.

Woolley, Sir Leonard),

1. Excavations At Ur, London, 1963.
2. Ur of The Chaldees, London, 1965.
3. The Beginnings of Civilization, New York, 1965.

Yasin, (W.),

Excavations at Tell-Es-Sawwan, in Surin, 26, 1970.

Yeivin, (G. E.),

The Sepulchres of The Kings of The House of David in JNES,
7, 1948.

Zeissl, (H. Von),

Arhiogen und Assyrer in Ägypten, Hamburg, 1944.

1. Encyclopaedia Biblica.
2. Encyclopaedia Britannica.
3. Encyclopaedia of Islam.
4. Encyclopaedia of Religion and Ethics.
5. The Jewish Encyclopaedia N. Y., 1903.

محتويات الكتاب

الفصل الأول : في شمال العراق	٢
١ - العصر الحجري القديم	٥
٢ - العصر الحجري الأوسط	٦
٣ - العصر الحجري الحديث	٨
٤ - العصر الحجري النحاسي	١٠

الباب الأول

عصور ما قبل التاريخ

الفصل الأول : في شمال العراق	٢
١ - العصر الحجري القديم	٥
٢ - العصر الحجري الأوسط	٦
٣ - العصر الحجري الحديث	٨
٤ - العصر الحجري النحاسي	١٠
الفصل الثاني : في جنوب العراق	٢٥
١ - حضارة أريدو	٢٨
٢ - حضارة تخالاج محمد	٢٩
٣ - حضارة العبيد	٣٠
٤ - حضارة الوركاء	٣٨
٥ - حضارة جبة نصر	٤٢

الباب الثاني

السومريون

الفصل الأول : قصة الطوفان	٥٣
١ - تقديم	٥٥
أولاً : قصة الطوفان السومرية	٥٣
ثانياً : قصة الطوفان البابلية	٦٨
١ - ملحمة جلجامش	٦٨
٢ - قصة إنر وسوس	٧٩
٣ - قصة إنراخامش	٧٨

- ٢ - أسرة لجش الثانية (٢٢٢٠ - ٢١١٣ ق.م) ... ١٦٢
- ٣ - أسرة الوركاء الخامسة (٢١٢٠ - ٢١١٣ ق.م) ... ١٦٣
- الفصل الثاني : أسرة اور الثالثة (٢١١٣ - ٢٠٠٦ ق.م) ... ١٦٤
- ١ - أور - سامو (٢١٠٢ - ٢٠٩٦ ق.م) ... ١٦٥
- ٢ - شولجي (٢٠٩٥ - ٢٠٤٨ ق.م) ... ١٦٦
- ٣ - ادر - مين (٢٠٤٧ - ٢٠٣٩ ق.م) ... ١٦٧
- ٤ - شوبين (٢٠٣٨ - ٢٠٣٠ ق.م) ... ١٦٨
- ٥ - ايبي - مين (٢٠٢٩ - ٢٠٠٦ ق.م) ... ١٦٩
- الفصل الثالث : ايسمين ولارسا واشنونا ... ١٧٠
- ١ - أسرة ايسمين ... ١٧١
- ٢ - أسرة لارسا ... ١٧٢
- ٣ - مملكة اشنونا ... ١٧٣

الباب الخامس

البابون

- الفصل الاول : أسرة بابل الاولى ... ٢١٤
- ١ - بابل ... ٢١٥
- ٢ - قيام الأسرة الثانية لبابل ... ٢١٦
- ٣ - حمورابي ... ٢١٧
- ٤ - قانون حمورابي ... ٢١٨
- ٥ - خلفاء حمورابي ... ٢١٩
- ٦ - نهاية أسرة بابل الاولى ... ٢٢٠
- الفصل الثاني : الاسرات البابلية من الثانية الى الرابعة ... ٢٢١
- أولا : أسرة بابل الثانية : أسرة الفطر البحري الاولى ... ٢٢٢
- ثانيا : أسرة بابل الثالثة - أي الدولة الكلدانية ... ٢٢٣
- ثالثا : أسرة بابل الرابعة - أسرة ايبي الثانية ... ٢٢٤

المباب السادس

الأشوريون

- الفصل الأول : الآشوريون فيما قبل عصر الإمبراطورية ... ٣٢١
- ١ - الموقع والسكان ٣٢٣
- ٢ - العواصم الآشورية ٣٢٦
- ٣ - مراحل التاريخ الآشوري ٣٢٢
- أ - عصر التبعية السومرية - الأكديّة ... ٣٢٣
- ب - العصر الآشوري القديم ٣٣٥
- ج - العصر الآشوري الوسيط ٣٤٣
- د - التشريعات الآشورية ٣٥١
- الفصل الثاني : عصر الإمبراطورية ٣٥٩
- أولاً : عصر الإمبراطورية الأولى ٣٦١
- ١ - أداد - نيراري الثاني (٩١١ - ٨٩١ ق.م) ... ٣٦١
- ٢ - توكليشي - نينورتا الثاني (٨٩٠ - ٨٨٤ ق.م) ... ٣٦٢
- ٣ - آشور ناصر بال الثاني (٨٨٣ - ٨٥٩ ق.م) ... ٣٦٣
- ٤ - شلمنصر الثالث (٨٤٨ - ٨٢٤ ق.م) ... ٣٧٢
- ٥ - شمشي - أداد الخامس (٨٢٣ - ٨١١ ق.م) ... ٣٧٨
- ثانياً : عصر الإمبراطورية الثانية ٣٨١
- ١ - تجانفت بلارس الثالث (٧٤٥ - ٧٢٧ ق.م) ... ٣٨١
- ٢ - شلمنصر الخامس (٧٢٦ - ٧٢٢ ق.م) ... ٣٨٩
- ٣ - سرجون الثاني (٧٢٢ - ٧٠٥ ق.م) ... ٣٩١
- ٤ - سنحاريب (٧٠٥ - ٦٨٦ ق.م) ... ٤٠٠
- ٥ - أسرحدون (٦٨٦ - ٦٦٩ ق.م) ... ٤١٠
- ٦ - آشور بانيبال (٦٦٨ - ٦٢٧ ق.م) ... ٤١٩
- ٧ - نهاية الإمبراطورية الآشورية ٤٢٩

الباب السابع
العصر البايني الاخير

٤٦٥	..	..	..	..	..	الفصل الاول : الدولة الكلدانية
٤٦٧	..	..	..	..	..	١ - تفصيل
٤٦٨	..	..	..	..	..	٢ - نابو بولاسر (٦٢٦ - ٦٠٥ ق م)
٤٦٩	..	..	..	..	..	٣ - نبوخذ نصر الثاني (٦٠٥ - ٥٦٢ ق م)
٤٧٠	..	..	..	..	..	٤ - خلفاء نبوخذ نصر
٤٧١	..	..	..	..	..	الفصل الثاني : الغزو الفارسي
٤٧٢	..	..	..	..	..	١ - قيام الدولة الفارسية
٤٧٣	..	..	..	..	..	٢ - الاحتلال الفارسي لبابل
٤٧٤	..	..	..	..	..	الخسرات
٤٧٥	..	..	..	..	..	المراجع المختارة
٤٧٦	..	..	..	..	..	١ - المراجع العربية
٤٧٧	..	..	..	..	..	٢ - المراجع المترجمة الى اللغة العربية
٤٧٨	..	..	..	..	..	٣ - المراجع الاجنبية
٤٧٩	..	..	..	..	..	مختصيات الكتاب
٤٨٠	..	..	..	..	..	مؤلفات الاستاذ الدكتور محمد بيومي مهريان
٤٨١	..	..	..	..	..	المؤلف في سطور

مؤلفسات

الاستاذ الدكتور محمد بيومى مهران
استاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

أولا - التاريخ المصرى القديم :

- ١ - الخorde الاجتماعية الاونى فى مصر الفرعونية - الاسكندرية ١٩٦٦
- ٢ - مصر والعالم تخرجى فى عصر رمسيس الثالث الاسكندرية ١٩٦٩
- ٣ - حركات التحرير فى مصر القديمة - القاهرة ١٩٧٦
- ٤ - اخناتون : عصره ودعوته - القاهرة ١٩٧٩

ثانيا - فى تاريخ اليهود القديم :

- ٥ - التوراه (١) - مجلة الاسطول - العدد ٦٣ - الاسكندرية ١٩٧٠
- ٦ - التوراه (٢) - مجلة الاسطول - العدد ٦٤ - الاسكندرية ١٩٧٠
- ٧ - التوراه (٣) - مجلة الاسطول - العدد ٦٥ - الاسكندرية ١٩٧٠
- ٨ - قصة ارض الميعاد بين الحقيقة والامثولة - مجلة الاسطول - العدد ٦٦ - الاسكندرية ١٩٧١
- ٩ - التفاوض الحثية عند اليهود - مجلة الاسطول - العدد ٦٧ - الاسكندرية ١٩٧١
- ١٠ - التفاوض الجنسية عند اليهود - مجلة الاسطول - العدد ٦٨ - الاسكندرية ١٩٧١
- ١١ - اخلاقيات الحرب عند اليهود - مجلة الاسطول - العدد ٦٩ - الاسكندرية ١٩٧١
- ١٢ - التلمود - مجلة الاسطول - العدد ٧٠ - الاسكندرية ١٩٧٢
- ١٣ - اسرائيل - الجزء الاول - التاريخ - الاسكندرية ١٩٧٨
- ١٤ - اسرائيل - الجزء الثانى - التاريخ - الاسكندرية ١٩٧٨
- ١٥ - اسرائيل - الجزء الثالث - الحضارة - الاسكندرية ١٩٧٩

- ١٦ - إسرائيل - الجزء الرابع - الحضارة الاسكندرية ١٩٧٩
- ١٧ - النبوة والانباء عند بني اسرائيل الاسكندرية ١٩٧٩
- ثالثا - في تاريخ العصر القديم :
- ١٨ - الساميون والآراء التي دارت حول موطنهم الاصيل
- ١٩ - العرب وعلاقتهم الدولية في العصور القديمة
- ٢٠ - مركز المرأة في الحضارة العربية القديمة
- ٢١ - الديانة المصرية القديمة
- ٢٢ - العرب والفرس في العصور القديمة
- ٢٣ - الفكر الجاهلي
- رابعا - في تاريخ العراق القديم :
- ٢٤ - فضاء الطوفان بين الآثار والكيب المقدس
- ٢٥ - قانون حمورابي وآراء في تشريعات النور
- خامسا - سلسلة دراسات تاريخية من القرآن الكريم :
- ٢٦ - الجزء الاول - في بلاد العرب
- ٢٧ - الجزء الثاني - في مصر
- ٢٨ - الجزء الثالث - في بلاد الشام
- ٢٩ - الجزء الرابع - في العسراق
- سادسا - سلسلة مصر والمشرق الادنى القديم :
- ٣٠ - مصر - الجزء الاول - الاسكندرية ١٩٨٨
- ٣١ - مصر - الجزء الثاني - الاسكندرية ١٩٨٨
- ٣٢ - مصر - الجزء الثالث - الاسكندرية ١٩٨٨
- ٣٣ - الحضارة المصرية - الجزء الاول - الاسكندرية ١٩٨٩
- ٣٤ - الحضارة المصرية - الجزء الثاني - الاسكندرية ١٩٨٩
- ٣٥ - تاريخ العرب القديم - الاسكندرية ١٩٨٨
- ٣٦ - الحضارة العربية القديمة - الاسكندرية ١٩٨٨
- ٣٧ - سجد النسيم - الاسكندرية ١٩٩٠

- ٣٨ - المغرب القديم
الإسكندرية ١٩٩٠
- ٣٩ - العراق القديم
الإسكندرية ١٩٩٠
- سابعاً - سلسلة : في رحاب النبي وآل بيته الطاهرين :
- ٤٠ - السيرة النبوية الشريفة - الجزء الأول - بيروت ١٩٩٠
- ٤١ - السيرة النبوية الشريفة - الجزء الثاني - بيروت ١٩٩٠
- ٤٢ - السيرة النبوية الشريفة - الجزء الثالث - بيروت ١٩٩٠
- ٤٣ - أنسيد فاطمة الزهراء - بيروت ١٩٩٠
- ٤٤ - الإمام علي بن أبي طالب (الجزء الأول) - بيروت ١٩٩٠
- ٤٥ - الإمام علي بن أبي طالب (الجزء الثاني) - بيروت ١٩٩٠
- ٤٦ - الإمام الحسين بن علي - بيروت ١٩٩٠
- ٤٧ - الإمام زين العابدين - بيروت ١٩٩٠
- ٤٨ - الإمام علي زين العابدين - بيروت ١٩٩٠

ثامناً - معجم البلدان الكبرى في مصر والشرق الأدنى القديم :

(بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور/محمد جمال الدين مختار) - تحت الطبع



المؤلف في سطور

دكتور

محمد يسوحي مهران

أستاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم

كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

- ١ - ولد في البصرة - مركز ادفو - محافظة أسوان .
- ٢ - حفظ القرآن الكريم ، ثم التحق بمعهد المعلمين بقا ، حيث تخرج فيه عام ١٩٤٩ م .
- ٣ - عمل مدرسا بوزارة التربية والتعليم (١٩٤٩ - ١٩٦٠) .
- ٤ - حصل على ليسانس الآداب بمرتبة الشرف من قسم التاريخ بكلية الآداب - جامعة الاسكندرية عام ١٩٦٠ م .
- ٥ - عين أستاذا لتاريخ مصر والشرق الأدنى القديم بكلية الآداب - جامعة الاسكندرية عام ١٩٦١ م .
- ٦ - حصل على درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف في التاريخ القديم من كلية الآداب - جامعة الاسكندرية عام ١٩٦٩ م .
- ٧ - عين مدرسا لتاريخ مصر والشرق الأدنى القديم في كلية الآداب - جامعة الاسكندرية عام ١٩٦٩ م .
- ٨ - عين أستاذا مساعدا لتاريخ مصر والشرق الأدنى القديم في كلية الآداب - جامعة الاسكندرية عام ١٩٧٥ م .
- ٩ - عين أستاذا لتاريخ مصر والشرق الأدنى القديم في كلية الآداب - جامعة الاسكندرية عام ١٩٧٩ م .
- ١٠ - أعار إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض في الفترة ١٩٧٣ - ١٩٧٧ م .
- ١١ - عين عضوا في مجلس إدارة هيئة الآثار المصرية في عام ١٩٨٠ م .

- ١٢ - عين عضوا بلجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة في عام ١٩٨١م .
- ١٣ - أعير إلى جامعة أم القرى بمكة المكرمة في الفترة ١٩٨٣-١٩٨٧م .
- ١٤ - عين رئيسا لقسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية في كلية الآداب جامعة الاسكندرية (١٩٨٧ - ١٩٨٨م) .
- ١٥ - أخير مقرا للجنة العلمية الدائمة لترقية الاساتذة المساعدين في الآثار الفرعونية وتاريخ مصر والشرق الأدنى القديم (١٩٨٨ - ١٩٨٩م) .
- ١٦ - عين استاذًا متفرغا في كلية الآداب - جامعة الاسكندرية في عام ١٩٨٩م .
- ١٧ - عضو لجنة التراث الحضاري والآثري بالمجالس القومية المتخصصة .
- ١٨ - عضو اللجنة الدائمة للآثار المصرية في هيئة الآثار .
- ١٩ - عضو اللجنة العلمية الدائمة لترقية الاساتذة المساعدين في الآثار الفرعونية وتاريخ مصر والشرق الأدنى القديم .
- ٢٠ - عضو اللجنة العلمية الدائمة لترقية الاساتذة في الآثار الفرعونية وتاريخ مصر والشرق الأدنى القديم .
- ٢١ - عضو اللجنة التسمية الدائمة لترقية الاساتذة المساعدين في التاريخ .
- ٢٢ - أشرف وشارك في مئة أكثر من ٢٥ رسالة دكتوراه وماجستير في تاريخ واثار وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم في الجامعات المصرية والعربية .
- ٢٣ - أسس وأشرف على شعبه الآثار المصرية بكلية الآداب - جامعة الاسكندرية منذ عام ١٩٨٢م .
- ٢٤ - شارك في عشرات كلية الآداب - جامعة الاسكندرية في الوف - مركز دشنا - محافظة قنا ، (في عام ١٩٨٠/١٩٨١م) ، وفي «الفرعين» مركز دسوف - محافظة كفر الشيخ (في عام ١٩٨٢/١٩٨٣) .

